An International Refereed Research Journal
Revue Scientifique Internationale Indexée

السنة الخامسة - العدد الثاني عشر(12) - سبتمبر (أيلول) 2013م - ذي القعدة 1434هـ

Studies and Research
Études et Recherches

دراسات وأبحاث

DIRASSAT WA ABHATH

الترقيم الدولي المعياري للدورية (ر.د.م.د) : ISSN : 9751 - 1112
الترقيم الالكتروني الدولي المعياري للدورية (ر.د.م.د) : e-ISSN : 2253 - 0363
الإيداع القانوني لدى المكتبة الوطنية الجزائرية : 2009/6013

An International Refereed Research Journal
Revue Scientifique Internationale Indexée

السنة الخامسة - العدد الثاني عشر(12) - سبتمبر (أيلول) 2013م - ذي القعدة 1434هـ

Studies and Research
Études et Recherches

دراسات وأبحاث

DIRASSAT WA ABHATH

الترقيم الدولي المعياري للدورية (ر.د.م.د) : ISSN : 9751 - 1112
الترقيم الالكتروني الدولي المعياري للدورية (ر.د.م.د) : e-ISSN : 2253 - 0363
الإيداع القانوني لدى المكتبة الوطنية الجزائرية : 2009/6013

دراسات و أبحاث

دورية علمية عالمية مُحكّمة ربع سنوية

يصدرها نخبة من الباحثين في جامعات جزائرية ودولية

جامعة الجلفة - الجزائر

الترقيم الدولي المعياري للدورية (ر. د. م. د): ISSN: 9751 – 1112 (النسخة الورقية)
الترقيم الدولي المعياري للدورية (ر. د. م. د): e-ISSN: 2253 – 0363 (النسخة الإلكترونية)
الإيداع القانوني لدى المكتبة الوطنية الجزائرية: 6013 / 2009
منشورات مركز الحكمة للدراسات والبحوث والنشر والتوثيق

دراسات و أبحاث

أول دورية جزائرية علمية عالمية مُحكَّمة تصدر في شكل إلكتروني وورقي
تحت إشراف هيئة علمية من مختلف الجامعات من داخل و خارج الوطن

توجه المراسلات والاقتراحات والموضوعات المطلوبة للنشر إلى
رئيس التحرير الدكتور/ عطاء الله فشار، على العنوان الآتي:
دورية دراسات وأبحاث
طريق المجبارة – ص. ب: 3117 الجلفة - الجزائر
هاتف: 00213 550 24 85 39
بريد إلكتروني: dirasat.waabhath@gmail.com
موقع المجلة: www.revue-drassat.org

منشورات مركز الحكمة للدراسات والبحوث والنشر والتوثيق
جميع الحقوق محفوظة © مجلة دراسات وأبحاث
لا يسمح بطبع أو نسخ أو إعادة نشر المجلة أو جزء من الأبحاث المنشورة بها، إلا بإذن خطّي من مدير المجلة.
و كل مخالفة لذلك يتحمل صاحبها مسؤولية المتابعة القضائية.

مجلة دراسات و أبحاث، أول دورية جزائرية علمية عالمية مُحكَّمة ربع سنوية تصدر في شكل إلكتروني وورقي تحت إشراف هيئة علمية من الباحثين ذوي الخبرة و الكفاءة من داخل و خارج الوطن، و بمتابعة من هيئة تحكيم ذات كفاءة تشكل دوريًا لتقييم البحوث و الدراسات.

الدورية متخصصة في الدراسات والبحوث العلمية الأكاديمية المحكمة من ذوي الخبرة و الاختصاص في ميدان العلوم الإنسانية، والاجتماعية، والإسلامية، والأدب، واللغات، والفنون، والحقوق، والعلوم السياسية، والعلوم الاقتصادية، والعلوم ذات العلاقة.

الترقيم الدولي المعياري للدورية

دورية دراسات و أبحاث مسجلة وفق النظام العالمي للمعلومات، وحاصلة على الترقيم الدولي المعياري الموحد للدوريات، سواء بالنسبة للنسخة الورقية أو النسخة الإلكترونية، ومودعة في المكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم (2009/6013)

الدورية مسجلة في قواعد البيانات والفهارس الوطنية والعالمية

- قواعد البيانات الجزائرية (CERIST) .
- قاعدة بيانات مؤسسة دار المنظومة، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- قاعدة البيانات العربية الإلكترونية "معرفة" بالتعاون مع شركة إبسكو (EBSCO) العالمية، المملكة الهاشمية الأردنية.
- قاعدة بيانات شركة المنهل للنشر الإلكتروني، دبي – دولة الامارات العربية المتحدة.

علاقات تعاون

ترتبط "دراسات وأبحاث" بعلاقات تعاون مع عدة مؤسسات جزائرية وعربية ودولية، بهدف تعزيز البحث العلمي و تعميق المعارف، واكتساب الخبرات في المجالات ذات الاختصاص المشترك، وتحقيق الفائدة من البحوث والدراسات الأكاديمية، وتعميمها على الباحثين والطلبة، وتوسيع حجم المشاركة، وخدمة أهداف البحث العلمي، وفق مبدأ سيادة الدولة الجزائرية وقوانينها.

- دورية كان التاريخية المتخصصة في الدراسات التاريخية، القاهرة- مصر.
- مركز ابن خلدون للبحوث والدراسات، عمان - الأردن.
- مركز الدراسات و الأبحاث في قضايا الأسرة و المرأة، فاس - المغرب.
- المركز المتوسطي للدراسات القانونية و القضائية، أصيلة - المغرب.
- الجامعة العربية المفتوحة لشمال أمريكا، الولايات المتحدة الأمريكية.
- الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، الولايات المتحدة الأمريكية.
- مجلات ودوريات علمية تصدر في الجزائر ومخابر و وحدات بحث في جامعات جزائرية ودول صديقة وشقيقة.

فعاليات علمية

تنظم "دراسات وأبحاث" سنويًا ندوة علمية دولية متخصصة بمشاركة خبراء و باحثين من داخل و خارج الوطن.

الراعي الرسمي	أعداد الدورية
• جامعة الجلفة – الجزائر.	• موقع المجلة: www.revue-drassat.org
• مركز الحكمة للدراسات والبحوث والنشر والتوثيق.	• موقع جامعة الجلفة: www.univ-djelfa.dz
• مخبر جمع ودراسة المخطوط، جامعة الجلفة.	• قواعد البيانات الوطنية والعالمية.

مدير المجلة ورئيس التحرير

د. عطاء الله فشار

نائب رئيس التحرير ورئيس الهيئة العلمية

د. أسعد المحاسن لحرش

مدير الإدارة والتحرير

محمد بن يعقوب

هيئة التحرير

عبد القادر كداوة

جداوي خليل

بشيري عبد الرحمان

هزرشي عبد الرحمان

نادية بن ورقلة

هيئة التحكيم

تشكل دوريًا تحت إشراف

د. أسعد المحاسن لحرش

د. عطاء الله فشار

د. عبد الوهاب مسعود

د. فتيحة أوهابية

د. راضية بوزيان

د. دليلة براف

الهيئة العلمية للمجلة

من داخل الجزائر

أ.د كمال بوزيدي	**أستاذ باحث في الدراسات الاسلامية**	**جامعة الجزائر1**
أ.د الغالي غربي	**أستاذ باحث في الدراسات التاريخية**	**جامعة الجزائر2**
أ.د صالح لميش	**أستاذ باحث في الدراسات التاريخية**	**جامعة المسيلة – الجزائر**
أ.د شعيب مقنونيف	**أستاذ باحث في اللغة والأدب العربي**	**جامعة تلمسان – الجزائر**
د. سمير شعبان	**أستاذ باحث في الدراسات القانونية**	**جامعة باتنة – الجزائر**
د. أسامة غربي	**أستاذ باحث في الدراسات القانونية**	**جامعة المدية – الجزائر**
د. فتيحة أوهابية	**أستاذة باحثة في علوم الإعلام والاتصال**	**جامعة عنابة – الجزائر**
د. فايزة يخلف	**أستاذة باحثة في علوم الإعلام والاتصال**	**جامعة الجزائر3**
د. عقيلة خرباشي	**أستاذة باحثة في الدراسات القانونية**	**جامعة المسيلة – الجزائر**
د. راضية بوزيان	**أستاذة باحثة في علم الاجتماع**	**جامعة الطارف – الجزائر**
د. ليليا بن صويلح	**أستاذة باحثة في علم الاجتماع**	**جامعة قالمة – الجزائر**

د. طعيبة أحمد	أستاذ باحث في العلوم السياسية والعلاقات الدولية	جامعة الجلفة – الجزائر
د. نورالدين حمادي	أستاذ باحث في الفقه والقانون	جامعة الجلفة – الجزائر
د. أسعد المحاسن لحرش	أستاذ باحث في الفقه والقانون ومدير مخبر	جامعة الجلفة – الجزائر
د. عطاء الله فشار	أستاذ باحث في القانون وتاريخ العلوم	جامعة الجلفة – الجزائر
د. مريم خليفي	أستاذة باحث في العلوم القانونية	جامعة بشار – الجزائر
د. دليلة براف	أستاذة باحثة في الفقه والقانون	جامعة البليدة – الجزائر
د. عبد الحليم بوهلال	أستاذ باحث في الفلسفة	جامعة الجلفة – الجزائر
د. عيسى أخضري	أستاذ باحث في الأدب العربي	جامعة الجلفة – الجزائر
د. خالدي خيرة	أستاذة باحثة في علم النفس وعلوم التربية	جامعة الجلفة – الجزائر
أ. محمد بن يعقوب	أستاذ باحث في الاعلام والاتصال	جامعة الجلفة – الجزائر

الهيئة العلمية للمجلة

من خارج الجزائر

أ.د بن زغيبة عز الدين	رئيس قسم الدراسات والنشر – مركز جمعة الماجد	الإمارات
أ.د ذياب البداينة	مدير مركز ابن خلدون للبحوث والدراسات	الأردن
أ.د محمد نشطاوي	أستاذ باحث في العلوم القانونية – جامعة القاضي عياض	المغرب
أ.د الحسن تاوشيخت	باحث في علم الآثار والتاريخ، ورئيس قطب في المكتبة الوطنية	المغرب
أ.د عبدالله الرشدي	أستاذ باحث في البلاغة و النقد الأدبي مؤسسة دار الحديث الحسنية	المغرب
أ.د هاشم ماقورا	أستاذ باحث في القانون الدولي الجنائي – جامعة طرابلس	ليبيا
أ.د محمد سالم سعد الله	باحث في النقد الأدبي – جامعة الموصل	العراق
أ.د محمد هواري	أستاذ باحث في تاريخ الحضارات – جامعة عين شمس	مصر
أ.د محمد بوساق المدني	أستاذ باحث في الفقه والقانون الجنائي – جامعة الرياض	السعودية
أ.د حبيب الله علي ابراهيم	أستاذ باحث في الأدب والنقد، كلية اللغة العربية – أم درمان	السودان
أ.د خلفان بن زهران	أستاذ باحث في التراث والمخطوط – جامعة السلطان قابوس	سلطنة عمان
أ.د فاطمة زبار عنيزان	أستاذة باحثة في التراث والمخطوط – جامعة بغداد	العراق
د. حلا النعمي بنت فؤاد	باحثة في القانون الدولي – جامعة حلب	سوريا
د. فاطمة الزهراء عواطي	أستاذة باحثة في كلية الدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة	الإمارات
د. المصطفى الغشام الشعيبي	مدير المركز المتوسطي للدراسات القانونية والقضائية – أصيلة	المغرب
د. ابراهيم صبري الأرناؤوط	أستاذ باحث في القانون – جامعة المجمعة	السعودية
د. مازن مصباح صباح	أستاذ الفقه وأصوله – جامعة الأزهر (غزة)	فلسطين
د. علي الصالح مولّى	أستاذ الحضارة المعاصرة – جامعة صفاقس	تونس
د. حسن عبد الجليل العبادلة	أستاذ باحث في الدراسات الاسلامية – جامعة البلقاء التطبيقية	الأردن
د. سعيد الحسين عبدولي	أستاذ باحث في علم الاجتماع – جامعة تونس	تونس
أ. أشرف صالح محمد سيد	أستاذ باحث في الدراسات التاريخية – جامعة ابن رشد	هولندا

الشروط والقواعد والاجراءات الخاصة بالنشر في الدورية

ترحب دورية "دراسات وأبحاث" بنشر البحوث الجادة والأصيلة والتي لم يسبق نشرها بمجلة أخرى، ولا تكون جزءًا من كتاب منشور، أو رسالة جامعية يعدها الباحث.

هيئة التحرير

- تعطى الأولوية في النشر للبحوث والعروض والتقارير حسب الأسبقية الزمنية للورود إلى هيئة تحرير الدورية، وذلك بعد إجازتها من هيئة التحكيم، ووفقًا للاعتبارات العلمية والفنية التي تراها هيئة التحرير.
- تقوم هيئة التحرير بالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشر بالدورية للتأكد من توافر مقومات البحث العلمي، وتخضع البحوث والدراسات والمقالات بعد ذلك للتحكيم العلمي والمراجعة اللغوية.

هيئة التحكيم

- يعتمد قرار قبول البحوث المقدمة للنشر على توصية الهيئة العلمية والمحكمين، حيث يتم تحكيم البحوث تحكيمًا سريًا بإرسال العمل العلمي إلى المحكمين بدون ذكر اسم الباحث أو ما يدل على شخصيته، و يرفق مع العمل العلمي المراد تحكيمه استمارة تقويم تضم قائمة بالمعايير التي على ضوئها يتم تقويم العمل العلمي.
- يستند المحكمون في قراراتهم في تحكيم البحث إلى مدى ارتباط البحث بحقل المعرفة، والقيمة العلمية لنتائجه، ومدى أصالة أفكار البحث وموضوعه، ودقة الأدبيات المرتبطة بموضوع البحث وشمولها، بالإضافة إلى سلامة المنهاج العلمي المستخدم في الدراسة، ومدى ملاءمة البيانات والنتائج النهائية لفرضيات البحث، وسلامة تنظيم أسلوب العرض من حيث صياغة الأفكار، ولغة البحث، وجودة الجداول والأشكال والصور ووضوحها.
- البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات جذرية عليها تعاد الى أصحابها لإجرائها في موعد أقصاه أسبوعين من تاريخ إرسال التعديلات المقترحة إلى المؤلف، أما إذا كانت التعديلات طفيفة فتقوم هيئة التحرير بإجرائها.
- في حالة عدم مناسبة البحث للنشر، تقوم الدورية بإخطار الباحث بذلك، أما بالنسبة للبحوث المقبولة والتي اجتازت التحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها، واستوفت قواعد وشروط النشر في الدورية، فيمنح كل باحث إفادة بقبول بحثه للنشر.
- تقوم الدورية بالتدقيق اللغوي للأبحاث المقبولة للنشر، ليخرج في الشكل النهائي المتعارف عليه لإصدارات الدورية.

البحوث والدراسات العلمية

- تقبل الأعمال العلمية المكتوبة باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها أو تقديمها للنشر في مجلة أو مطبوعة أخرى.
- يجب أن يتسم البحث العلمي بالجودة والأصالة، وأن يكون موضوعه ومنهجه وعرضه متوافقًا مع عنوانه.
- التزام الكاتب بالأمانة العلمية في نقل المعلومات واقتباس الأفكار وعزوها لأصحابها، وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها.
- اعتماد الأصول العلمية في إعداد و كتابة البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع، مع الالتزام بعلامات الترقيم المتنوعة.
- يرفق الباحث تعهد مع البحث المطلوب للنشر، يبين فيه أن هذا البحث غير منشور ولم يرسل لجهة أخرى بغرض النشر، ويتعهد فيه بعد اخطاره بقبول نشر بحثه، بانتقال جميع حقوق الملكية المتعلقة بالبحث إلى الدورية.

الاشتراطات الشكلية والمنهجية

ينبغي ألا يزيد حجم البحث على خمسة و عشرين (٢٥) صفحة، من القطع المتوسط بواقع ٧٥٠٠ كلمة على الشكل الآتي:

- Page Sisie (taille de la page): A4 (21cm x 29.7cm).
- Fonts (polices): Simplified Arabic (14) and Times New Roman (12).
- Single-spaced (Interligne Simple) and justified (justifie).
- Margins (marges): Top (haut) 2cm, Bottom (bas) 2cm, Left (gauche) 2cm, Right (Droite) 2.5cm, Binding position (position de la reliure): Right (Droite).

ترسل عبر البريد الإلكتروني للمجلة، مع الالتزام بالقواعد المتعارف عليها عالميًا بشكل البحوث، بحيث يكون المحتوى حسب التسلسل: ملخص، مقدمة، موضوع البحث، خاتمة، ملاحق: (الأشكال، الجداول)، الهوامش، المراجع.

عنوان البحث

يجب أن لا يتجاوز عنوان البحث عشرين (٢٠) كلمة، وأن يتناسب مع مضمون البحث، و يدل عليه، أو يتضمن الاستنتاج الرئيسي.

نُبذة عن الباحث صاحب المقال

يقدم مع البحث نبذة عن كل باحث في حدود خمسين (٥٠) كلمة تبين آخر درجة علمية حصل عليها، واسم الجامعة (القسم/الكلية) التي حصل منها على الدرجة العلمية والسنة، والوظيفة الحالية، والمؤسسة أو الجهة أو الجامعة التي يعمل لديها، والمجالات الرئيسة لاهتماماته البحثية، مع توضيح عنوان المراسلة (العنوان البريدي) وأرقام (الهاتف، المحمول، الفاكس).

ملخص البحث

- يجب تقديم ملخص للبحث باللغة العربية في حدود مائة (١٠٠) كلمة.
- البحوث و الدراسات باللغة الفرنسية أو الإنجليزية، يرفق معها ملخص باللغة العربية في حدود (١٥٠ - ٢٠٠) كلمة.

الكلمات المفتاحية

الكلمات التي تستخدم للفهرسة لا تتجاوز عشرة كلمات، يختارها الباحث بما يتواكب مع مضمون البحث، وفي حالة عدم ذكرها، تقوم هيئة التحرير باختيارها عند فهرسة المقال وإدراجه في قواعد البيانات بغرض ظهور البحث أثناء عملية البحث والاسترجاع على شبكة الإنترنت.

مجال البحث

الإشارة الى مجال تخصص البحث المرسل "العام والدقيق".

المقدمة

تتضمن المقدمة بوضوح دواعي إجراء البحث (الهدف)، وتساؤلات وفرضيات البحث، مع ذكر الدراسات السابقة ذات العلاقة.

موضوع البحث

يراعي أن تتم عملية كتابة البحث بلغة سليمة واضحة مركزة وبأسلوب علمي حيادي، وينبغي أن تكون الطرق البحثية والمنهجية المستخدمة واضحة، وملائمة لتحقيق الهدف، وتتوفر فيها الدقة العلمية، مع مراعاة المناقشة والتحليل الموضوعي الهادف في ضوء المعلومات المتوفرة بعيدًا عن الحشو.

الجداول والأشكال

ينبغي ترقيم كل جدول (شكل) مع ذكر عنوان يدل على فحواه، والإشارة إليه في متن البحث على أن يدرج في الملاحق، ويمكن وضع الجداول و الأبحاث في متن البحث إذا دعت الضرورة إلى ذلك.

الصور التوضيحية

في حالة وجود صور تدعم البحث، يجب إرسال الصور على البريد الإلكتروني في ملف منفصل، حيث أن وضع الصور في ملف الكتابة word يقلل من درجة وضوحها.

خاتمة (خلاصة)

تحتوي على عرض موضوعي للنتائج والتوصيات الناتجة عن محتوى البحث، على أن تكون موجزة بشكل واضح، ولا تأتي مكررة لما سبق أن تناوله الباحث في أجزاء سابقة من موضوع البحث.

الهوامش

- يجب إدراج الهوامش في شكل أرقام متسلسلة في نهاية البحث، مع مراعاة أن يذكر اسم المصدر أو المرجع كاملاً عند الإشارة إليه لأول مرة، فإذا تكرر يستخدم الاسم المختصر، وعليه سيتم فقط إدراج المستخدم فعلاً من المصادر والمراجع في الهوامش.
- يمكن للباحث اتباع أي أسلوب في توثيق الهوامش بشرط التوحيد في مجمل الدراسة، و بإمكان الباحث استخدام نمط (APA) الشائع في توثيق الأبحاث العلمية والتطبيقية.

المراجع

يجب أن تكون ذات علاقة فعلية بموضوع البحث، وتوضع في نهاية البحث، وتتضمن قائمة المراجع الأعمال التي تم الإشارة إليها فقط في الهوامش، أي يجب أن لا تحتوي قائمة المراجع على أي مرجع لم تتم الإشارة إليه ضمن البحث.

وترتب المراجع طبقًا للترتيب الهجائي، وتصنف في قائمة واحدة في نهاية البحث مهما كان نوعها، كتب، دوريات، مجلات، وثائق رسمية ..الخ، ويمكن للباحث اتباع أي أسلوب في توثيق المراجع والمصادر بشرط التوحيد في مجمل الدراسة.

عروض الكتب

- تنشر الدورية المراجعات التقييمية للكتب "العربية و الأجنبية" حديثة النشر ، أما مراجعات الكتب القديمة فتكون حسب قيمة الكتاب وأهميته.
- يجب أن يعالج الكتاب إحدى القضايا أو المجالات العلمية المتعددة، و يشتمل على إضافة علمية جديدة.
- يعرض الكاتب ملخصًا وافيًا لمحتويات الكتاب، مع بيان أهم أوجه التميز وأوجه القصور، و إبراز بيانات الكاتب كاملة في أول العرض (اسم المؤلف، المحقق، المترجم، الطبعة، الناشر، مكان النشر، سنة النشر، السلسلة، عدد الصفحات).
- ألا تزيد عدد الصفحات عن (١٥) صفحة.

عروض الأطاريح الجامعية

- تنشر الدورية عروض الأطاريح الجامعية (رسائل الدكتوراه و الماجستير) التي تم إجازتها بالفعل، و يراعى في الأطاريح موضوع العرض أن تكون حديثة، و تمثل إضافة علمية جديدة في أحد حقول الدراسات العلمية المختلفة.
- إبراز بيانات الأطروحة كاملة في أول العرض (اسم الباحث، اسم المشرف، الكلية، الجامعة، الدولة، سنة الإجازة).
- أن تشمل العرض على مقدمة لبيان أهمية موضوع البحث، مع ملخص لمشكلة (موضوع) البحث وكيفية تحديدها.
- ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وأدواته، وخاتمة لأهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.
- ألا تزيد عدد صفحات العرض عن (١٥) صفحة.

تقارير اللقاءات العلمية

ترحب الدورية بنشر التقارير العلمية عن الندوات، والمؤتمرات، والحلقات النقاشية الحديثة الانعقاد في دول الوطن العربي، والتي تتصل موضوعاتها بالدراسات في ميدان العلوم الإنسانية، والاجتماعية، والإسلامية، والأدب، واللغات، والفنون، والحقوق، والعلوم السياسية، والعلوم الاقتصادية، والتاريخية، بالإضافة إلى التقارير عن المدن والمواقع الأثرية والمشروعات التراثية.

- يشترط أن يغطي التقرير فعاليات اللقاء (ندوة، مؤتمر، ورشة عمل، حلقة نقاشية) مركزًا على الأبحاث العلمية، وأوراق العمل المقدمة، ونتائجها وأهم التوصيات التي توصل إليها اللقاء.
- ألا تزيد عدد صفحات التقرير عن (١٠) صفحات.

حقوق المؤلف

- المؤلف مسؤول مسؤولية كاملة عما يقدمه للنشر في الدورية، و عن توافر الأمانة العلمية، سواء لموضوعه أو محتواه، ولكل ما يرد بنصه، و في الإشارة إلى المراجع و مصادر المعلومات.
- جميع الآراء و الأفكار و المعلومات الواردة في البحث تعبر عن رأي كاتبها وعلى مسؤوليته هو وحده، و لا تعبر عن رأي أحد غيره، و ليس للدورية أو هيئة التحرير أي مسؤولية في ذلك.
- ترسل الدورية لكل صاحب بحث أجيز للنشر ، نسخة من العدد المنشور به البحث، ومستله من البحث على البريد الإلكتروني ونسخة ورقية منهما، علمًا بأن الدورية لا تدفع أي مكافآت مالية عما تقبله للنشر فيها.
- يحق للدورية إعادة نشر البحث المقبول منفصلاً، أو ضمن مجموعة من المساهمات العلمية الأخرى بلغتها الأصلية، أو مترجمة إلى أي لغة أخرى، وذلك بصورة إلكترونية أو ورقية.
- تحتفظ الدورية بحقها في طلب رسوم مقابل النشر والتحكيم والطباعة.

الإصدارات والتوزيع

- تصدر الدورية أربع مرات في السنة (مارس – جوان – سبتمبر – ديسمبر).
- الدورية متاحة للقراءة والتحميل عبر موقعها الإلكتروني على شبكة الانترنت وعلى موقع جامعة الجلفة.
- يتم الإعلان عن صدور الدورية عبر المواقع المتخصصة، والمجموعات البريدية، والشبكات الاجتماعية.

- ترسل كافة الأعمال المطلوبة للنشر بصيغة برنامج Microsoft Word ولا يلتفت الى أي صيغ أخرى.
- المساهمون للمرة الأولى من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات يرسلون أعمالهم مصحوبة بسيرهم الذاتية العلمية "أحدث نموذج".
- ترتب الأبحاث عند نشرها في الدورية وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث أو قيمة البحث.
- كل الأبحاث الواردة للمجلة والتي لا يتقيد أصحابها بشروط وقواعد وإجراءات النشر تعتبر لاغية، ولا يرد على أصحابها، ولا تؤخذ بعين الاعتبار.

فهرس العدد

كلمة العدد

الخصائص الشخصية و الاجتماعية و الاقتصادية للمشاركين في الحراك الشعبي في الاردن و أثرها في مدركات انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية---**ص 14**

د. ذياب البداينة / د. خولة الحسن

التدبّر.. أهميته وفوائده وأثر المصطلحات والدلالات اللغوية والبلاغية في تَدَبُّر معاني القرآن الكريم---**ص 41**

د. أشرف محمد زيدان

التحصينات الدّفاعية الإسلامية ببجاية---**ص 75**

د. عزوق عبد الكريم

الخِطَاب السّيَاسِي: الخصائص واستراتيجيات التأثير---**ص 96**

د. راضية بوبكري

مقاربة سوسيو–قانونية لواقع التسريح الجماعي للعمال في المؤسسات الاقتصادية العمومية الجزائرية---**ص 106**

د. بوكربوط عزالدين

المعايير والصفات المفضلة لدى طلبة الجامعة الأردنية في شريك/شريكة الحياة والعوامل المؤثرة فيها (دراسة استطلاعية)---**ص 119**

د. أمل محمد علي الخاروف

ترتيب المقاصد الضرورية بين المتقدّمين والمعاصرين وأهميتها للمفتي---**ص 135**

د. لحرش أسعد المحاسن

عرض لواقع القراءة من خلال المكتبات في ولاية عنابة دراسة ميدانية للمكتبات البلدية و المكتبات الجامعية و المراكز الثقافية و دور الشباب و الورقات---**ص 161**

د. الهذبة مناجلية

اختبار نموذج مقترح للتطبيق الناجح لإدارة المعرفة في الجامعات السعودية: نحو إستراتيجية فعالة لإدارة المعرفة---**ص 190**

د. معاذ يوسف الذنيبات

إصلاح جامعة الدول العربية---**ص 217**

د. نجيب بن عمر عوينات

تحليل وتقييم التنافسية العالمية للاقتصاد الليبي خلال الفترة 2009 -2011---**ص 241**

د. نجيب محمد حمودة الشعافي

مسارات القصيدة في شعر حسين رشيد خريس---**ص 259**

د. نادية هناوي سعدون

العمل بالنظام الليلي والتناوبي وأثره على التوافق العام دراسة ميدانية على عينة من موظفي الجمارك والأمن الوطني---**ص 284**

د. آمنة ياسين

دور المورد البشري في تفعيل إدارة الجودة الشاملة بالمؤسسة الاقتصادية الجزائرية – دراسة حالة المؤسسة الجزائرية لصناعة الأنابيب ALFAPIPE غرداية، الجزائر–---**ص 305**

د. محمد زرقون / د. رشيد مناصرية

Indexical dependence---**ص 356**

د. عبلة حسن *Abla Hasan*

..../....

La notion de réflexion stratégique----------ص 346
د. زايد مراد *Mourad Zaid* / أ. صبرينة ترغيني *Sabrina Terghini*
Journalisme à l'ère du blog----------ص 336
أ. بن يعقوب محمد *Benyagoub Mohamed*

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

السادة الزملاء الباحثين والباحثات داخل الوطن وخارجه نحييكم ونتمنى لكم مزيدا من النجاح والتألق وتطوير مشاريعكم العلمية.

ها نحن نستقبل مع بعض العدد الثاني عشر من مجلتكم « دراسات وأبحاث » متوجا بكوكبة من الباحثين في مواضيع جادة ومتنوعة خدمة للمعرفة والبحث العلمي خطتها أقلام ثلة من الباحثين من داخل الجزائر ومن دول شقيقة وصديقة يجمعهم هم واحد وهو هم الابتكار والجدة والانطلاق من واقع شعوبهم لتكون جامعاتهم في مقدمة شعوبها خدمة للتنمية وتكريس الديمقراطية وحرية التعبير وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية ومواجهة الفساد والجريمة المنظمة وجذور الإرهاب وغيرها من القضايا التي تعج بها الساحة الوطنية والدولية وتعمل في المقام نفسه على نشر قيم التسامح والحوار والتعارف بين الحضارات ومواجهة الحروب والاتجار بالبشر وكل ما يضر المجتمعات وتنميتها وسلميتها وأمنها واستقرارها من خلال القيام ببحوث علمية وتفعيل أنشطة أكاديمية تصب في خدمة قضايا المجتمعات.

وكما عودتكم مجلة « دراسات وأبحاث » بمبادرات علمية ها هي تعلن بمناسبة صدور العدد الثاني عشر وانطلاق الموسم الجامعي 2014/2013 عن :

(1 الندوة العلمية الدولية السنوية ويكون موضوعها هذه السنة : « السياسة الجنائية ومكافحة الجريمة والانحراف » وتنظم بالتنسيق مع شركاء اجتماعيين وهيئات متخصصة.

(2 الندوة العلمية الوطنية السنوية ويكون موضوعها هذه السنة حول:« تاريخ العلوم في العالم العربي والإسلامي » متبوعة بإصدار كتاب جماعي حول نفس الموضوع برعاية الباحث الوزير السابق للتربية سعادة الدكتور أحمد جبار.

نتمنى لكم التوفيق والمزيد من النجاح والرقي ، والى لقاء آخر في عدد جديد.

رئيس التحرير

د. عطاء الله فشّار

الخصائص الشخصية والإجتماعية والإقتصادية للمشاركين في الحراك الشعبي في الأردن وأثرها في مدركات انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية

الدكتور: ذياب البداينة
جامعة قطر – قطر

الدكتورة: خولة الحسن
مركز ابن خلدون للدراسات والابحاث – الأردن

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف علىأثر الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مدركات انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية. كما تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للحراك الشعبي. تكونت عينة الدراسة من عينة قصدية من (821) فردا من المشاركين في الحراك الشعبي الأردني في (12) محافظة. ولتحقيق أهداف الدراسة وجمع بياناتها، تم استخدام الاداة التي طورها البداينة (2010) الخاص بمدركات الفساد، والمعتمدة على المقاييس الدولية مثل فهرس مدركات الفساد(CPI).

أظهرت نتائج الدراسة وجود أثر للخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مدركات انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية($F=2.8, \alpha=0.001$). كانت غالبية المشاركين من الذكور(78%) وبمتوسط عمر (40) سنة، وجامعيون (51%)، وبلا عمل (15%) وانهم ينتمون لتيار الاصلاح (30%)، منهم (16%) حزبيون و(17%) وسطيون. **الانتشار الجغرافي**. حيث يوجد حراك في كل محافظة ومدنية وقرية وبادية ، حتى ضمن العشيرة الواحدة مثل: حراك شباب معان، حراك الشوبك، حراك الخلايلة، حراك ساكب، حراك الدعجة، حراك المعلمين، التجمع الشعبي للاصلاح، حراك حي الطفايلة، تجمع جبل عجلون، الحراك الوطني للاصلاح، الحراك الشركسي، وغيرها من الحراكات والتجمعات والائتلافات.اما **الأهداف الوطنية**.فقد ركزت على: محاربة الفساد ومحاكمة الفاسدين وتعديل التشريعات وسن قانون انتخاب يمثل كافة الشرائح والطبقات تمثيلا نسبياً، والسعي نحو الاصلاح الشامل. و**الاستقلالية**. وتمثلت بعدم وجود اطار موحد ناظم للحراكات الشعبية أو قيادة عليا تنسيقية، مع أن هناك تواصل واتصال بين المنتمين لهذه الحراكات، فكل حراك (حزبي، أو شبابي، أو اصلاحي، أو نقابي، له استقلالية خاصة به. و**الاستمرارية**. يتم الاحتجاج والتظاهر كل يوم جمعة، وفي بعض الأحيان يتم عمل اعتصامات ومظاهرات ليلية. اما **النوعية**. حيث أنه ولأول مرة يشترك المتقاعدين العسكريين في الحراكات الشعبية ضمن تيار المتقاعدين العسكريين. أما **الاستجابة الشرطية**. لقد استخدم الامن العام عقيدة جديدة ومناسبة في التعامل مع الحراك الشعبي تمثلت بسياسة الأمن الناعم مع المتظاهرين والمحتجين. وكانت **وسائط التواصل**. حيث يتم التواصل والتفاعل بين أفراد الحراك، والدعوة لتنفيذ الاعتصامات والاحتجاجات، ورفع الشعارات عبر شبكات التواصل الاجتماعي مثل فيس بوك(**Face Book**) وتوتير (**Twitter**). أما **التنظيم**. حيث يوجد العديد من المبادرات الشبابية الذاتية في تنفيذ حملات محاربة الفساد، والمطالبة بالاصلاح، والاحتجاج والاعتصام بطريقة حضارية وسلمية مثل "الحملة الاردنية للتغيير جايين" و "الحملة الوطنية الاردنية للتغيير" و"الحملة الوطنية لمكافحة الفساد"، أما **الاستجابة الأمنية:** ظهرت أساليب أمنية تقليدية في التعامل مع الحراك الشعبي منها: شيطنة الحراك، وايجاد مجموعات مضادة بعناوين وطنية مثل الولاء والانتماء.

المقدمة

يعد الفساد اهم المحركات في الحراك الشعبي في بلدان الربيع العربي، ويمكن القول أن تضخم مشكلة الفساد بالاضافة إلى مشكلات أخرى كالفقر والبطالة وغياب العدالة ساهمت في اسقاط بعض أنظمة السياسة العربية. وفي الاردن تعد المطالبات الشعبية بمكافحة الفساد الجامع المشترك بين الحراكات الشعبية في جميع المحافظات الاردنية، وقد قامت الحراكات الشعبية والاجتماعية بالتصدي لهذه الظاهرة ومكافحة تغولها والمطالبة بمحاكمة القائمين على الفساد واسترجاع ما تم سلبه من مقدرات وثروات البلد. وقد أشار تقرير أمني أردني إلى وجود 4100 اعتصام منذ بداية عام 2011 (وكالة جراسا الإخبارية، 2011/12/19) تطالب بمحاربة الفساد والبدء بإصلاحات سياسية وتفعيل الجهود الحكومية لمكافحة الفساد وتقديم الفاسدين إلى المحاكم المختصة.

بدأ الحراك الشعبي في الأردن قبل ما يسمى بالربيع العربي حيث بدأ في الجنوب وتحديداً في مدينة معان ومن ثم في محافظة الطفيلة وامتد إلى مناطق أخرى، وتشكلت أحزاب ومنظمات تنادي بالإصلاح ومحاربة الفساد، مثل التجمع الوطني للاصلاح، حيث يعد الحراك الشعبي في مرحلته الفتية، فقد بدأ الحراك بالتنامي وارتفاع وتيرة الهتافات والاحتجاجات مطالباً بمكافحة الفساد منذ بداية عام 2011 وإن كانت هناك بعض المطالبات والاحتجاجات في أعوام سابقة مثل 1989 والتي تعرف "بهبة نيسان" والاحتجاجات عام 1996 ضد رفع أسعار الخبز والسلع الأساسية التي تمس موضوع الأمن الغذائي للمواطن الأردني والتي انطلقت من جنوب الأردن، تحديدا مدينة الطفيلة ومعان والكرك.

يشير مصطلح الفساد إلى وجود حالات انتهاك في النزاهة، وله معاني عديدة وفق السياق الذي تقع فيه حادثة الفساد، فيكون الفساد في السلع أو الاخلاق أو التعامل بين أفراد المجتمع او التعامل السلطوي وتنفيذ الواجبات والمهام. ويعرف معجم أوكسفورد الإنكليزي الفساد بانه "انحراف أو تدمير

النزاهة في أداء الوظائف العامة من خلال الرشوة والمحاباة"(Oxford, 2006). وقد يعنى الفساد "التلف" إذا ارتبط المعنى بسلعة ما، وهو لفظ شامل لكافة النواحى السلبية في الحياة، قال ابن منظور : "الفساد نقيض الصلاح" وتفاسد القوم بمعنى تدابروا وقطعوا الأرحام، واستفسد السلطان قائده إذا أساء إليه حتى استعصي عليه، والمفسدة.

ويضعف الفساد في القدرة المؤسساتية للحكومة، لأنه يؤدي إلى إهمال إجراءاتها واستنزاف مصادرها، فقد يؤدي الفساد لبيع وشراء المناصب الرسمية كما ويؤدي الفساد إلى تقويض شرعية القيم الديمقراطية للمجتمع، كالثقة والتسامح والعدل والمساواة، إضافة إلى شعور عامة الشعب بالظلم والاضطهاد، جراء عدم الحصول على الفرص المتكافئة والحق في الحياة الكريمة وحق المواطنة. وتعد المطالبة بمحاربة الفساد الجامع المشترك بين دول ما عرف بالربيع العربي، حيث لوحظ في عام 2012 ارتفاع وتيرة الاحتجاجات والاعتصامات والمطالبة بالإصلاحات على كافة الأصعدة في بعض البلدان ومنها الأردن وفي معظم محافظاتها، وقد شغلت الشعارات المنادية بمحاربة الفساد المساحة الكبرى لدى المتظاهرين والمحتجين في مسيرات الحراك الشعبي الاردني.

كما أظهر تقرير الفساد لعام 2011 المعروف باسم باروميتر الفساد العالمي (GCB) The Global Corruption Barometer) 2011أن الأحزاب السياسية هي أكثر المؤسسات فساداً على مستوى البلدان التي شملها التقرير، يليها البرلمان/ التشريعات، ثم الشرطة بنسبة 55%، يتبعها فئة موظفين الدولة (الخدمة المدنية)، ثم الجهاز القضائي. كما أشار التقرير إلى أن ثلاثة ارباع الاشخاص حول العالم يعتقدوا أنه بامكانهم أن يحدثوا فرقاً في مكافحة الفساد، وأن اربع أخماس الناس حول العالم قد دعموا زميل أو صديق لهم في مكافحة الفساد، وأن اكثر من ثلاث ارباع الاشخاص حول العالم قد قاموا بالابلاغ عن حادثة فساد، وأن نصف الاشخاص حول العالم لا يتعقدوا بأن الجهود الحكومية فاعلة في مكافحة الفساد.

وعند مقارنة مؤشر الفساد في البلدان العربية للعام (2011) وفق منظمة الشفافية الدولية نجد أن متوسط الاردن على مؤشر مدركات الفساد هو (4.5) بترتيب الخامس عربياً و(56) دولياً ضمن (182) تم تقييمها وذلك حسب تقرير منظمة الشفافية الدولية، وهو تقرير

الجدول رقم (1)

ترتيب الدول العربية في مدركات الفساد للعام 2011

الدولة	الترتيب العربي	الترتيب الدولي	مؤشر الفساد
قطر	1	22	7.2
الامارات العربية	2	28	6.8
سلطنة عمان	3	50	4.8
الكويت	4	54	4.6
الاردن	5	56	4.5
السعودية	6	57	4.4
تونس	7	73	3.8
المغرب	8	80	3.4
جيبوتي	9	100	3
الجزائر	10	112	2.9
مصر	10	112	2.9
سوريا	11	129	2.6
لبنان	12	134	2.5
موريتانيا	13	143	2.4
اليمن	14	164	2.1
تشاد	15	168	2.0
ليبيا	15	168	2.0
العراق	16	175	1.8
السودان	17	177	1.6
الصومال	18	182	1.0

المصدر: منظمة الشفافية الدولية/2011 * الجدول من عمل الباحثين

ينشر سنوياً منذ عام 1995، حيث أنه كلما زادت قيمة المؤشر في الدولة تكون أقل فساداً والعكس بالعكس، فالمقياس من (9.-0) يعني الاكثر فساداً ومن (10- 9) يعني الاقل فساداً. والجدول رقم (1) يبين ترتيب الدول العربية للعام تصاعدياً لعام2011 حسب منظمة الشفافية الدولية حيث شمل المسح (20) دولة عربية.

قام مركز الشفافية الاردني بإعداد دراسة لمقارنة الاردن مع باقي البلدان وحصر نسب مدركات الفساد في الاردن بناءً على المعلومات والبيانات الواردة في تقرير منظمة الشفافية الدولية، والجدول رقم (2) يبين وضع الاردن خلال الاعوام (2001 – 2011) من حيث نتيجة المؤشر والترتيب

العربي والدولي وعدد الدول التي تم تقييمها، حيث كان مؤشر مدركات الفساد في الاردن لعام 2001 (4.9) من (10) وارتفع في عام 2005 إلى (5.7) ليعود بعدها إلى الانخفاض إلى (5.0) في عام 2009 ويستمر بالانخفاض إلى (4.5) في عام 2011.

الجدول رقم (2)

مدركات الفساد في الاردن للاعوام 2001- 2011

السنة	المؤشر	الترتيب العربي	الترتيب الدولي	عدد الدول التي تم تقييمها
2001	4.9	2	37	91
2002	4.5	2	40	102
2003	4.6	6	43	133
2004	5.3	4	37	145
2005	5,7	5	37	158
2006	5.3	5	40	163
2007	4.7	5	53	179
2008	5.1	5	47	180
2009	5.0	5	49	180
2010	4.7	5	50	178
2011	4.5	6	56	182

المصدر: مركز الشفافية الاردني، 2012

مشكلة الدراسة:

شكلت المناداة بمحاربة الفساد وتقديم رموزه للمحاكمة، وطرح أسماء الفاسدين ضمن الشعارات، وتكونت الاهازيج التي تنادي بمكافحة الفساد حتى أصبحت جزء من ثقافة الحراك الشعبي اليومية.تنامى عدد الحراكات الاجتماعية في الأردن عمودياً وافقياً، فزاد عدد الحركات الشعبية وزادت أعداد المظاهرات وأعداد المشاركين، وشملت المطالبات قضايا غير مسبوقة من مثل المناداة بمحاكمة أشخاص معينين، وانتقاد الملك والملكة وأسرتها، وشكلت المناداة بمحاربة

الفساد الجامع المشترك الأكبر لهذه الحراكات، وعلى سقف المطالبات الشعبية بمحاكمة رموز الفساد وأعوانه، واستجاب جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين بقوله" إن كان ابني فاسداً فحاكموه" في رسالة ملكية على أن محاربة الفساد تحظى بأولوية وطنية ودعم ملكي، وما محاكمة مدير المخابرات الأسبق إلا أحد المؤشرات على استفحال الفساد في مؤسسات الدولة، ودليل على جدية الدولة في محاربة الفساد والمفسدين. والسؤال المتداول محلياً، هدفت هذه الدراسة إلى التعرف إلى أثر الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مدركات انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية. كما تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للحراك الشعبي.

أهمية الدراسة:

كانت هذه أنها الدراسة العلمية الأولى التي تدرس الحراك الشعبي الأردني من خلال تحديد الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للحراك الشعبي الأردني. كما أن لهذه الدراسة مضامين تتعلق برسم السياسات الاجتماعية والأمنية والاقتصادية للمجتمع الأردني وتصميم البرامج الموجه إلى الشباب وإلى فئات الحراك الشعبي، وتساعد في فهم ظاهرة الفساد في الأردن وخصائصه وخصائص الحراك الشعبي الاجتماعية أو الاقتصادية وغيرها. اضافة إلى انها تمثل مجالاً جديداً واقعياً وتطبيقياً للبحث الاجتماعي في الأردن وفي المنطقة العربيةلدراسة المشكلات الاجتماعية وتفتح باب جديد للباحثين في هذين الجانبين الهامين الحراك الشعبي والفساد.

أسئلة الدراسة :

تسعى الدراسة إلى الاجابة على الأسئلة التالية:

1. ما هي الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للحراك الشعبي الأردني؟
2. أثر الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مدركات انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية.

الدراسات السابقة:

هدفت دراسة البداينة (**Al-badayneh, 2010**)، حول التنمية البشرية والسلام والفساد والارهاب في العالم العربي، لمعرفة العلاقة ما بين التنمية البشرية والسلام والفساد وحوادث الارهاب في العالم العربي خلال الفترة ما بين (1970– 2007)، حيث استندت الدراسة إلى بيانات دولية معتمدة شكلت (22) دولة عربية. وأظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة سلبية بين العدد الاجمالي لحوادث الارهاب والوفيات الناجمة عنها، وقيمة التنمية البشرية، وفهرس الفقر الانساني، ومتوسط عدم المساواة بين الجنسين. كما أظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة سلبية ذات دلالة احصائية بين فهرس السلام والعدد الاجمالي لحوادث الارهاب والوفيات الناجمة عنها. وأشارت إلى وجود علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين جميع مقاييس الفساد، والحرية، وضبط الفساد، ومؤشر مدركات الفساد، مع العدد الاجمالي لحوادث الارهاب. اضافة إلى أن هذه الدراسة قد بينت وجود علاقة ايجابية ذات دلالة احصائية بين الحوادث الارهابية والبطالة لدى الشباب العربي، وأن حوادث الارهاب والوفيات الناجمة عنها تختلف وفقاً لمؤشر التنمية البشرية.

وفي دراسة الشمري(2010)هدفت الدراسة التعرف على اتجاهات الموظفين العاملين في القطاع العام في منطقة تبوك نحو أسباب الفساد المالي والإداري المتعلقة بجرائم الرشوة والمحسوبية والوساطة، والتعرف إلى أكثر صور الفساد الإداري انتشاراً في البيئة الإدارية، وعلى الأسباب التي تحد من كشف أعمال الفساد التي تحدث في موقع العمل الرسمي. ولتحقيق أهداف الدراسة تم الاعتماد على منهج المسح الاجتماعي، بوساطة أداة الاستمارة المغلقة، التي تم جمعها من خلال عينة الدراسة البالغ حجمها130 موظفاً حكومياً من كافة قطاعات الدولة في منطقة تبوك، كما تم استخدام الأسلوب الإحصائي الوصفي وتحليل التباين الأحادي للإجابة عن أسئلة الدراسة.

وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن أكثر أشكال الفساد انتشاراً بين الموظفين كانت: إساءة استخدام الوظيفة العامة، ثم قيام الموظف العام بالتحيز والمحاباة، ثم تلقي الرشوة، فالاختلاس، ثم إهدار الممتلكات العامة، فالتقصير بأداء العمل،فالتزوير والابتزاز. وكانت اتجاهات الموظفين الحكوميينمرتفعة نحو جميع فقرات أسباب الفساد، وأهم أسباب الفساد: عدم وجود واجبات وظيفية

محددة للموظف من قبل الإدارة يجب عليه تأديتها، وعدم قيام المؤسسات الحكومية بعقد الندوات والبرامج للتثقيف الوظيفي حول الشفافية والنزاهة والشعور بالمسؤولية.أما أهم الأسباب التي تمنع الموظف من الكشف عن وجود الفساد الإداري في المؤسسة التي يعمل فيها؛ فقد كانت عدموجودحمايةمناسبةللموظف والخوفمنالعقابأوالانتقام. وأظهرت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند($\alpha \leq 0.05$) بينتصورات المبحوثين نحو أسباب الفساد الإداري والمالي تعزى إلىاختلاف النوع الاجتماعي للمبحوث، بينما تبين وجود فروق معنوية عند($\alpha \leq 0.05$)في درجة التصورات بوجود جريمة إهدار الممتلكات العامة؛ فقد كانت تصورات الذكور أعلى من الإناث، بينما كانت الإناث أكثر شعوراً بوجود جريمة التحيز والمحاباة في العمل. كما تبين وجود علاقة ارتباط معنوية وعكسية بين مستوى تعليم الموظف و درجة الإقرار بوجود جريمة الرشوة، وعلاقة طردية مع الإقرار بوجود جريمة التحيز والمحاباة، ووجود علاقة ارتباط معنوية وطردية بين مستوى عمر الموظف وعدد سنوات الخبرة لديه مع الإقرار بوجود جريمة إهدار الممتلكات العامة.

وفي دراسة للعتيبي (2012)، بعنوان:"دور أعمال الحكومة الإلكترونية فيالحد من جرائم الفسادالإداري: دراسة ميدانية على موظفي القطاع العام في المملكة العربية السعودية"وقد هدفت إلى تعرف تصورات العاملين في القطاع العام السعودي نحو مستويات الفساد الإداري في القطاع العام، ودور الحكومة الإلكترونية في الحد منها، ومستوى جاهزية العاملين، ودرجة فاعلية تطبيقها في هذه المؤسسات، وتحديد العلاقة بين مستوى هذه التصوراتمع الوظيفية والديمغرافية لهم. وقد استخدمت الدراسة الاستبانة كأداة رئيسة لجمع البيانات، واشتمل مجتمع الدراسة على الموظفين العاملين جميعهم في الجهاز الحكومي السعودي القادرين على التعبير عن معتقداتهم نحو أهداف الدراسة، معتمداً على عينة قوامها 350 موظف، وباستخدام أساليب الإحصاء الوصفي، واختبار معامل ارتباط كندال، تم التوصل إلى أن مستوى التصورات نحو كل من: درجة وجود الفساد الإداري في المؤسسات العامة، ودور الحكومة الإلكترونية في الحد منه مرتفعاً. وكانت درجة التصورات عند العاملين في المؤسسات الحكومية السعودية نحو الدور الإيجابي والفعال للحكومة الإلكترونية في الحد من مظاهر الفساد الإداري المنتشر في مؤسساتهم والسيطرة عليها مرتفعاً. وتوصلت الدراسة إلى أن الذكور والذين يسكنون المدن وذوي الأعمار والمستويات التعليمية

والوظيفية والخبرة العملية المرتفعة أقل شعوراً بوجود مظاهر الفساد الإداري في مؤسساتهم وأكثر تفاؤلاً نحو دور الحكومة الإلكترونية في الحد من الفساد الإداري في حال وجودة.

وفي دراسة للصرايرة (2010) هدفت تعرف مستوى اتجاهات النخب الأردنية نحو الدرجة العامة لوجود الفساد الإداري والمالي في المؤسسات الأردنية العامة، وتحديد أكثر عناصر الفساد الإداري والمالي أهمية في تأثيرها على مستوى الاتجاهات العامة لمستوى الفساد، وأثر العوامل الديموغرافية والوظيفية في اختلاف اتجاهاتهم، تم الاعتماد على منهجية المسح الاجتماعي الميداني بالعينة من خلال المقابلة الشخصية والمراسلة بوساطة استبانة أعدت لهذا الغرض. وتكون مجتمع الدراسة الإحصائي المستهدف من النخب الأردنية، وهم: أعضاء مجلسي الأعيان، والنواب العاملون، والوزراء العاملون، وأعضاء مجالس النقابات ممثلة بنقابتي المهندسين، والمحامين. وبالاستعانة بأسلوب العينة العشوائية البسيط تم سحب عينة حجمها 388 وحدة معاينة من المجتمع المستهدف. وقد توصلت الدراسة إلى أن الاتجاه العام للنخب في الأردن لجميع العناصر الدراسة جميعها كان عاليا. وتبين أن درجة الاتجاه العام للفساد الإداري كان عاليا، وكان أعلى مستوى اتجاه لعناصر الفساد الإداري استغلال الوظيفة العامة لتلبية المصالح الشخصية، ثم الاتجاه نحو المحسوبية والوساطة والرشوة، فقد كان الاتجاه نحو هذه العناصر عاليا، أما الاتجاه نحو الالتزام بالأنظمة والتعليمات وأخلاقيات العمل؛ فقد كان متوسطا. وفي ما يتعلق بالاتجاه العام لعناصر الدراسة المتعلقة بالفساد المالي؛ فقد كان الاتجاه العام عاليا، وللإجابة عن تساؤلات الدراسة المتعلقة بالاستفسار عن أكثر عناصر الفساد الإداري والمالي أهمية في تأثيرها على مستوى الاتجاهات العامة لمستوى الفساد لعناصر الدراسة، فقد استطاعت6عناصر أساسية،وهي: المحسوبية، والوساطة، والرشوة، والتهرب الجمركي، واستغلال الوظيفة العامة لتلبية المصالح الشخصية، وغسيل الأموال، والتهرب الضريبي، والالتزام بالأنظمة والتعليمات وأخلاقيات العمل، من أن تفسر جزءاً مهما من التباين في تفسر سبب الاتجاهات العام للنخب الأردنية نحو الفساد بمعدل67.3%، إلا أن عنصر المحسوبية والوساطة والرشوة استطاع وحده أن يفسر 46.6% من الاتجاه العام نحو الفساد في الأردن؛ مما يعطيه الأهمية الكبرى بالاتجاه نحو تفشي هذا النوع من الفساد الإداري في الأردن، يليه بالأهمية التهرب الجمركي بمعدل 8.8% وعنصر استغلال

الوظيفة العامة لتلبية المصالح الشخصية بمعدل 8.6% من الأهمية النسبية لدرجة التباين الكلي المفسر لسبب وجو الفساد في المؤسسات الأردنية.

وفي نموذج نظري بين دريهر وسيمر (Dreher and Siemer, 2005) تبين وجود علاقة متبادلة بين الفساد والقيود على حساب رأس المال، ويرى الباحثان بأن هذه القيود تستحث مستويات أعلى من الفساد وبالتالي فإن المزيد من الفساد يرتبط بمزيد من القيود على حساب رأس المال.

أما ميجول وفيسمان (Miguel &Fisman, 2006) فقد طورا تجربة طبيعية لإنشاء مقياس التفضيل المستخرج للفساد الرسمي ونبعت هذه التجربة من وجود آلاف الدبلوماسيين في مدينة نيويورك (مسئولون حكوميون من 146 دولة في العالم) في بيئة تمتع فيها الدبلوماسيين بحصانة دبلوماسية ولا يعاقب على الوقوف الخاطئ لسيارته، ويزعم الباحثان بأن مقياسهما للفساد مرتبط مع المقياس الحالي للفساد في البلد الأم، ويرى الباحثان بأن الأعراف الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالفساد يتم تعزيزها بوجود الحصانة الدبلوماسية.

أما دراسة سيرا دانيلا (Serra, 2006)فقد اختبرت تعزيز الدلائل التجريبية السابقة حول محددات الفساد من خلال تنفيذ تحليل الحساسية العالمية المستند إلى التحليل المتطرف لـ(Learner Edward, 1985). وقد استنتجت الباحثة بأن خمسة متغيرات فقط مرتبطة بشكل كلي بالفساد، وهذه المتغيرات تشمل مستوى التطور الاقتصادي،الاضطراب السياسي، الديمقراطية السلسة، الإرث الاستعماري، والمذهب البروستانتي.

قام(مركز عدالة لدراسات حقوق الانسان،2012) بتنفيذ دراسة بعنوان 'اتجاهات الشباب الاردنينحو الاصلاح في ظل الربيع العربي' وشملت الفئة العمرية من 18–30 سنة ، ضمن عينة الدراسة التي بلغت 300 شخص من مستويات تعليمية وعمرية وجغرافية مختلفة، وتم اختيار الفئةالشبابية لاجراء الدراسة باعتبارها القوى المحركة للثورات العربية، حيث شاركتأربع قوى رئيسة في الانتفاضات الشعبية التي شهدتها عدة دول عربية في الشهور الأخيرةوهي الحركات الاحتجاجية الشبابية، والأحزاب والقوى السياسية المعارضة، وقوى عماليةومهنية، وأخيرا قوى ذات جذر طائفي وقبلي،حيث كانت فئة الشباب (خاصة المتعلموالمستخدم لتقنيات الاتصال الحديثة) في مقدمة القوى التي دعت الى انتفاضات شعبيةفي مواجهة الفساد والاستبداد.

هدفت الدراسة إلى معرفة دور الشباب في عملية التغيير والتنميةودورهم الأساسي في بنية العديد من مؤسسات المجتمع المدني،وإلى التعرف على رؤيةالشباب الاردني للاصلاح في ظل الربيع العربي وإتجاهات الشباب نحو عملية التغيير،إضافة الى نظرتهم لدور وسائل التواصل المجتمعي في الثورات العربية، كذلك رأيهم في دور وسائل الاعلام الحديثة في التواصل بين الشباب بعيدا عن الرقابة وأهمية حريةالتعبير، وركزت الدراسة على معرفة المستوى الثقافي والسياسي في أوساط الشباب، ومدى إندماجهم المجتمعي في الحياة السياسية وتعزيز المشاركة السياسية للشباب، وتعميقمفهوم المواطنة لديهم واكتساب قيم المواطنة كالولاء والانتماء للوطن والاعتزاز به،والالتزام بالقوانين ومحاربة الفساد بكافة اشكاله وتعميق أسلوب الحوار الديمقراطيوقبول الرأي والرأي الآخر ونبذ التعصب والعنف وكافة أشكال التمييز.

وقد بينت أنالمحرك الرئيسي للحراك في الأردن هو الفقر والبطالة وظاهرة الفساد، واشارت إلى التدني فيمستوى الإيمان بالعمل التطوعي وبالأنشطة اللامنهجية لدى العينة. كما بينتالنتائج التي توصلت إليها الدراسة أن 73 بالمئة من الشباب لايشاركون في الفعاليات والمسيرات التي تجري محليا الى جانب ان وسائل الاتصالالمجتمعي لعبت دورا بارزا في تحريك الشباب كما أفاد 67 بالمئة بذلك، مشيرة الى انالدراسة اظهرت أن مدى رضا الشباب عن عملية الإصلاح وحرية التعبير في الأردن مقبولةالى حد ما.

وفي دراسة (حسني، وليد،2012)، بعنوان "الشاهد والشهيد الاعلام الاردني في زمن الثورات والحراك" على عينة تكونت من (1611) صحفياً واعلامياً قد أظهرت نتائجاً بأن الموقف من القوانين تأثر بشكل واضح في رأي الصحفيين بالمادة "23" من قانون هيئة مكافحة الفساد، وإن 80 % منهم يؤكدون أنها تضع قيداً على حرية الإعلام، و78.8 % تدفع الصحفيين لتجنب الكتابة بقضايا الفساد، و72.2 % يعتقدون أنها تقلل دور الإعلام في مكافحة الفساد، و70 % واثقون بأنها تضعف من منظومة النزاهة، لكن 50 % يرون أنها تحد من نشر الإشاعات والأخبار الكاذبة. فالنتائج تشير إلى موقف المشاركين من التعديلات الدستورية المتعلقة بحرية الإعلام، فأكثر من 50 % يعتقدون أنه لا تأثير لها على الحريات، و 26.2 % يرون أنها تحد من الحريات الصحفية، وفقط 20.8 % يؤكدون أن لها تأثيرا إيجابيا على واقع الحريات الإعلامية.فيما يبين تقرير حالة الحريات الإعلامية إن الحراك الشعبي وضع حداً للتدخل الحكومي والأمني في

الإعلام بنسبة% 65.5، وأسهم في تراجع خوف الصحفيين من الملاحقات القانونية بمعدل 67.9 %، ولعب دوراً محدوداً في تراجع الرقابة الذاتية.

ويوضح التقرير الذي أعده مركز حماية وحرية الصحفيين إن 62.7 % من الصحفيين يعتبرون أن الرقابة الذاتية تقلصت بفعل الاحتجاجات، وأن 61.3 % ينظرون إلى أنها أعطت بعض وسائل الإعلام مساحة أكبر لترويج الإشاعات في الأردن.وكشفت مؤشرات خرج بها التقرير عن وجود مفارقة أردنية بامتياز، ففيما أكد استطلاع رأي الصحفيين ورصد وتوثيق الانتهاكات الواقعة على الإعلام، ودراسة "الشاهد والشهيد.. الإعلام الأردني في زمن الثورات والحركات الاحتجاجية" عن زيادة مساحة الحريات الإعلامية وانتزاع الصحفيين لمكاسب جديدة وقدرتهم على تحدي القبضة الأمنية وملامسة التابوهات التي كانت خطوطاً حمراء، أظهرت أن الانتهاكات الممنهجة على الصحفيين كانت الرد الحكومي والأمني على تحرك الإعلاميين لممارسة حقهم وحريتهم ورصد ما يجري بالشارع.

ويكشف التقرير، الذي شارك به 500 إعلامي وإعلامية عن أن حالة الحريات الإعلامية رغم التدخل الحكومي في تقدم عن 2010، فقد بلغت نسبة الذين يرون أن الحريات تقدمت بدرجة كبيرة 15.4%، في حين بلغت في 2010، 4.6.% وبينت نتائج الاستطلاع حالة المد والجزر على الحريات الإعلامية من 2006 وحتى 2011، ففي حين شهدت تقدماً عام 2006 ليصل معدلها إلى 40 % تراجعت 2010 لتصل 18.5 % ثم عاودت الصعود إلى 43.5% في 2011.

وفي دراسة مسحية أعدها مرصد الإعلام الاردني بمركز القدس للدراسات السياسية حول(الإحتواء الناعم وتأثيره على إستقلالية وسائل الإعلام) في الفترة من (3/28 – 4/12 2012) وشملت عينة مكونة من 504 صحافياً وصحافية من مختلف وسائل الإعلام المقرؤة والمرئية والمسموعة والإلكترونية، الحكومية وشبه الحكومية والخاصة و المراسلين،وقادة الرأي الذين شكلوا ما نسبته 15% من حجم العينة. وقد هدفت هذه الدراسة للتعرف على أشكال وأساليب الإحتواء الناعم التي تمارسها الحكومات للسيطرة على الصحافة والإعلام ورصد (الجهات الاخرى) التي تمارس شكلاً أو أكثر من أشكال الإحتواء الناعم للسيطرة على الصحافة والإعلام وقياس مدى تأثير أساليب الإحتواء الناعم على حرية وإستقلالية وسائل الإعلام في قضيتين رئيسيتين هما الفساد والحراك الشعبي المطالب بتحقيق إصلاحات سياسية.وتشير نتائج الدراسة أن ما نسبته

82% من العينة يعتقدون أن الحكومات تمارس أساليب الإحتواء الناعم في حين أفاد ما نسبته 84% من قادة الرأي بأن الحكومات تمارس أساليب الإحتواء الناعم. ويلاحظ ارتفاع النسبة بشكل طفيف بين قادة الرأي بإعتبار أنهم الهدف الأول للحكومات في محاولة كسب تأييدهم ومنع انتقاداتهم للسياسات الحكومية بالنظر لقدرتهم الكبيرة على التأثير في الرأي العام.

أظهرت النتائج إرتفاع نسبة الصحافيين الذين يعتقدون بممارسة الحكومات لأسلوب الإحتواء الناعم للسيطرة على الصحافة وهذا ايضاً ما أثبتته نتائج الدراستين السابقتين لعام 2011 حيث بلغت النسبة 86% في حين بلغت النسبة 70% في الدراسة الأولى التي أجريت عام 2009. وحول أكثر أشكال الإحتواء الناعم التي تستخدمها الحكومات للسيطرة على الصحافيين ووسائل الإعلام، تظهر الدراسة ان الهبات المالية والهدايا أحتلت المرتبة الأولى وبنسبة 70%، تلاها تسهيل الخدمات والاجراءات في المؤسسات الرسمية وبنسبة 42%، ثم التعيين في منصب حكومي أو شبه حكومي والدعوة الدائمة لحضور اللقاءات الرسمية الهامة ومرافقة المسؤولين في السفر وبنسبة 36%، ثم توفيرالمعلومات بسهولة ويسر بخلاف السائد وبنسبة 28% وأخيراً الإعفاءات الجمركية أو العلاج أو التعليم المجاني وبنسبة 21%وقال 35% من افراد العينة أنهم تعرضوا لشكل من أشكال الإحتواء الناعم خلال ممارستهم لعملهم الصحافي، فيما كانت النسبة مرتفعة بين قادة الرأي وبلغت 42%. وكانت الهبات المالية والهدايا هي أكثر أشكال الإحتواء الناعم التي تعرض لها الصحافيون من قبل الحكومات، وبنسبة بلغت 72% بين قادة الرأي و62% بين الصحافيين، ثم التعيين في منصب حكومي أو شبه حكومي وبنسبة بلغت 22 % بين قادة الرأي و32% بين الصحافيين، ثم تسهيل الخدمات والإجراءات في المؤسسات الرسمية، وتوفير المعلومات بسهولة ويسر، وأخيراً الإعفاءات الجمركية أوالعلاج والتعليم المجاني. كما أحتل رجال الأعمال المرتبة الأولى الجهات الأخرى (غير الحكومة) التي تمارس أساليب الإحتواء الناعم على الصحافيين وبنسبة بلغت 69%, ثم الأجهزة الأمنية بنسبة 50%, ثم الشخصيات المتنفذة وبنسبة 32.2%,ى تلاها مؤسسات المجتمع المدني بنسبة بلغت 31%, والأحزاب السياسية بنسبة بلغت 27%, ثم أعضاء مجلس النواب والأعيان بنسبة 19%, ثم شيوخ ووجهاء العشائر بنسبة بلغت 12.4%, ثم جهات خارجية وسفارات بنسبة بلغت 2.2% ثم الديوان الملكي بنسبة بلغت 1.6%.

المنهجية

أداة الدراسة:

تم استخدام الأداة التي طورها (البداينة،2010) والتي استخدمها الشمري بدراسة مدركات الفساد الاداري في المجتمع السعودي. واعتمدت أداة الدراسة في بنائها على الدراسات السابقة والمقاييس الدولية في قياس الفساد، وقد تم تطوير بعض المقاييس لتتناسب مع طبيعة الدراسة على مجتمع الحراك الشعبي الأردني باضافة بعض الفقرات وتعديل بعض فقرات المقياس. وتكون المقياس من جزء خاص في البيانات الديموغرافية للمستجيب، وتتدرج الإجابة على فقرات الاستبانة على مقياس من (صفر) إلى (10)، حيث (صفر) الأقل مساهمة و(10) الأكثر مساهمة، على الشكل التالي:

0	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10

ويطلب من المستجيب وضع الرقم الذي يعبر عن رأيه لكل بند من بنود الاستبانة، وبشكل مفصل تكونت أداة الدراسة من الأجزاء التالية:

بيانات ديموغرافية (شخصية): وهي بيانات عن المبحوثين متعلقة بنوع القطاع الذي يعملون فيه، والمحافظة، والنوع الاجتماعي، والعمر، والدرجة الوظيفية،والتعليم، والعمل.وهي بيانات تفيد التعرفعلى خصائص الحراك الشعبي الأردني.

مقياس انتشار الفساد الحكومي. ويتكون هذا المقياس من (10) فقرات والسؤال الرئيسي فيه هو مدى انتشار الفساد ضمن (10) أشكال في المؤسسات الحكومية من مثل: اتخاذ القرارات لمنفعة شخصية، واتخاذ القرارات لخدمة الواسطة والمحسوبية والمحاباة والجهوية ..... الخ. ويحدد فيه المستجيب مدى انتشار أشكال الفساد في المؤسسات الحكومية.

الصدق:

تتضمن هذه الخطوة عرض لاختبارات الصدق والثبات التي تم إجراؤها على عينة الصدق والثبات:

أ. **الصدق:** تم التحقق من صدق أداة الدراسة بطريقتين:

أولاً:صدق المحكمين:

اجماع (90%) من المحكمين على جميع فقرات الاستبانة.

ثانياً: صدق البناء:

تم اضافة مقياس رضا المشاركين لغايات اختبارات الصدق، حيث تم حساب معاملات الارتباط بين رضا المشاركين مع مدركات انتشار اشكال الفساد في المؤسسات الحكومية. وقد كان متوقعا أن تكون العلاقة سلبية (α=0.000 0163.-وهذا يدل على صدق المقياس.

الثبات:

تم التحقق من ثبات المقياس باستخدامكرونباخ الفا (Cronbach's Alpha)وذلك للتحقق من الاتساق الداخلي للاختبار، وتم حساب معامل الثبات باستخدام البرنامج الإحصائي SPSSIMB/20وكانت الفا (0.912)

اجراءات الدراسة

بعد أن أصبحت أداة الدراسة جاهزة للتطبيق، تم اختيار عينة قصدية من مجتمع الدراسة من المشاركين في الحراك الشعبي الاردني في (12) محافظة هي جميع المحافظات الأردنية، وباستخدام العينة القصدية تم توزيع الاستبانات على عينة الدراسة من أحزاب سياسية، وحراكات شبابية وتجمعات نقابية، وحملات وطنية، وأفراد مستقلين بشكل مباشر(باليد)، وقد تتطلب الامر التنسيق المسبق مع القيادات والمسؤولين في الحراك لتوزيع الاستبانات، والالتقاء مباشرة مع أفراد الحراك لشرح الغرض من الاستبانة، والهدف من الدراسة والتأكيد على أنها لغايات البحث العلمي فقط. وقد تم استلام الاستجابات مباشرة في بعض الأحيان وتتطلب الامر احيانا الرجوع مرة أخرى في فترة لاحقة لجمع الاستبانات. وقد واجهت الدراسة بعض الصعوبات تمثلت في رفض البعض تعبئة الاستبانة، وعدم اعادة الاستبانة من قبل البعض الآخر والتخوف من إبداء الرأي بخصوص بعض الاسئلة. وقد استغرقت عملية توزيع الاستبانات وجمعها حوالي شهرين.

خصائص العينة

كانت غالبية المشاركين من الذكور(78%) وبمتوسط عمر (40) سنة، وجامعيون (51%)، وبلا عمل (15%) وانهم ينتمون لتيار الاصلاح (30%)، منهم (16%) حزبيون و(17%) وسطيون. الانتشار الجغرافي. حيث يوجد حراك في كل محافظة ومدنية وقرية وبادية ، حتى ضمن العشيرة الواحدة مثل: حراك شباب معان، حراك الشوبك، حراك الخلايلة، حراك ساكب، حراك الدعجة، حراك المعلمين، التجمع الشعبي للاصلاح، حراك حي الطفايلة، تجمع جبل عجلون، الحراك الوطني للاصلاح، الحراك الشركسي، وغيرها من الحراكات والتجمعات والائتلافات.

عرض النتائج والمناقشته والتوصيات

السؤال الأول :ما هي الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للحراك الشعبي الأردني؟

القطاع

تبين أن عدد المشاركين الكلي (821)، استجاب منهم (795) ،حيث بلغ عدد المشاركين من القطاع الحكومي (352) بنسبة (44.3)%، ومن القطاع الخاص (257) بنسبة (32.3)% ومن المجتمع المدني (186) بنسبة (23.4)%.

الاقليم

أما وفق الاقليم فكانت بنسبة 25% من كل اقليم تقريبا. أما عن توزيع المشاركين في الحراك وفق المحافظة، تبين أن البلقاء كانت النسبة الأعلى تليها الطفيلة ثم معان والعقبة، أما النسبة الأقل فكانت الزرقاء، وذلك كما هو مبين في الجدول رقم (3).

الجدول رقم (3)

توزيع أفراد عينة الدراسة

الاقليم	المحافظة	العدد	%	النسبة
اقليم الوسط	عمان	61	%7.4	**%34**
	الزرقاء	41	%5.0	
	البلقاء	101	%12.3	
	مادبا	76	%9.3	
اقليم الشمال	اربد	52	%6.3	**%30.4**
	عجلون	80	%9.7	
	المفرق	49	%6.1	
	جرش	68	%8.3	

اقليم الجنوب	الكرك	48	%5.8	**%35.6**
	الطفيلة	89	%10.8	
	معان	78	%9.5	
	العقبة	78	%9.5	
	المجموع	821	%100	%100

النوع الاجتماعي والعمر

وفيما يتعلق بالنوع الاجتماعي للمشاركين في الحراك الشعبي، كان عدد الذكور (631) بنسبة (77.7)% مقارنة مع عدد الاناث الذي بلغ (181) وشكل ما نسبته (22.3)%. اما متوسط العمر فقد كان 39.7 سنه بانحراف معياري 11.6.

الدرجة الوظيفية

أما فيما يتعلق بالدرجة الوظيفية للمشاركين موزعة ما بين الدرجة التاسعة والدرجة الأولى، وهناك نسبة غير عاملة (15.4 %) أو ممن يعملوا بمهن لا توجد فيها درجات ادارية. كانت نسبة الدرجة الرابعة حوالي 34% والثالثة 16%، والولى 13%، والثانية 12%.

التعليم

وفي توزيع المشاركين بالحراك وفق التعليم ضمن 6 فئات أساسية فقد جاء حملة الشهادة الجامعية أكثر من النصف بقليل (51%)، فالدبلوم 17%، والدراسات العليا 14%.

الدخل والعمل

كان متوسط الدخل 514 دينار وبانحراف معياري 311 دينار. كانت نسبة العاطلين عن العمل 15% والعمل المهني 29% والعمل الاداري 43%

نوع الحراك

وفيما يتعلق بنوع الحراك الذي شارك به الشخص، فقد تبين أن حراك الاصلاح قد شكل النسبة الأعلى يليه حراك الشباب، وهناك أكثر من الربع لا ينتمون لحراك معين، وذلك كما هو مبين في الجدول رقم (4).

الجدول رقم (4)

توزيع المشاركين وفق نوع الحراك

نوع الحراك	التكرار	النسبة الفعلية	النسبة العامة
الاحرار	49	%6.8	%6.0
الاصلاح	214	%29.7	%26.1
الشباب	89	%12.4	%10.8
المعارضة	22	%3.1	%2.7
الاسلاميون	66	%9.2	%8.0
اليساريون	19	%2.6	%2.3
بصفة شخصية	46	%6.4	%5.6
لم اشارك	194	%26.9	%23.6
أخرى	21	%2.9	%2.6
المجموع	720	%100	%87.7
الفاقد	101		%12.3
المجموع	821		%100

الانتماء الحزبي

وفي اجابة المشاركين حول طبيعة الانتماء لحزب أو تنظيم شبابي أو تجمع نقابي،... الخ، فقد تبين أن حوالي أكثر من النصف بقليل ينتمون إلى تنظيمات حزبية، وان أقل من النصف بقليل لا ينتمون إلى تنظيمات حزبية أو شبابية أو نقابية وذلك كما هو موضح في الجدول رقم (5)، في حين ينتمي للأحزاب حوالي سدس المشاركين فقط.

الجدول رقم (5)

توزيع المشاركين وفق الانتماء

الانتماء	التكرار	النسبة الفعلية	النسبة العامة
حزب	125	%16.1	%15.2
تنظيم شبابي	88	%11.3	%10.7
تجمع نقابي	70	%9.0	%8.5
مستقل	142	%18.3	%17.3
لا انتمي	352	%45.3	%43
المجموع	777	%100	94.8
الفاقد	43		%5.2
المجموع	821		%100

التفضيل الحزبي

أما فيما يتعلق بالتفضيل الحزبي لدى المشاركين فقد تبين أن حوالي نصف المشاركين قد وصفوا أنفسهم بالمستقلين، وأن حوالي ربع العينة اسلاميون، وحوالي سدس المشاركين وصفوا أنفسهم بالوسطيين، وذلك كما هو واضح في الجدول رقم (6).

الجدول رقم (6)

توزيع المشاركين وفق التفضيل الحزبي

التفضيل الحزبي	التكرار	النسبة الفعلية	النسبة العامة
وسطي	114	%17.5	%13.9
يميني	10	%1.5	%1.2
اسلامي	144	%22.1	%17.5
مستقل	332	%50.8	%40.4
ليبرالي	10	%1.5	%1.2
يساري	43	%6.6	%5.2
المجموع	653	%100	%79.5
الفاقد	168		%20.5
المجموع	821		%100

المشاركة السابقة في الحراك

أما عن مشاركة الحراك الحالي في حراك عام 1989 فقد تبين أن حوالي ربع المشاركين قد شاركوا في حراك 1989. أما عن المشاركة في حراك عام 1996 فقد تبين أن خمس العينة تقريباً قد شاركوا عام 1996.

أسباب المشاركة (سؤال مفتوح)

وعن أسباب المشاركة بالحراك فقد تبين وجود (10) أسباب رئيسية للمشاركة وجاء الاصلاح السياسي والاقتصادي ومكافحة الفساد بكافة أشكاله من أهم الأسباب، وذلك كما هو موضح في الجدول رقم (7).

الجدول رقم (7)

أسباب المشاركة في الحراك

الاسباب	التكرار	النسبة الفعلية	النسبة العامة
الاصلاح الاجتماعي والسياسي والاقتصادي	98	%17.9	%11.9
تغيير النهج السياسي والاقتصادي	42	%7.7	%5.1
محاربة الفساد بكافة اشكاله	92	%16.8	%11.2
تحسين مستوى المعيشة وعدم رفع الاسعار	39	%7.1	%4.7
المطالبة بالعدالة والديمقراطية والحرية	43	%7.8	%5.2
محاربة الفاسدين	67	%12.2	%8.1
وقف نهب ثروات الوطن والخصخصة	40	%7.3	%4.8
توفير فرص عمل	39	%7.1	%4.7
المطالبة بانتخابات نزيهة	42	%7.7	%5.1
الشعور بالظلم والإجحاف والاستبداد	43	%7.8	%5.3
المجموع	545	%100	%66.4
الفاقد	276		%33.6
المجموع	821		%100

السؤال الثاني :ما أثر هي الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للحراك الشعبي الأردني في مدركات انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية؟

ما مدى انتشار أشكال الفساد في المؤسسات الحكومية؟

يظهر الجدول التالي مدى انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية على مقياس من (0) إلى (10) حيث حيث يشير الرقم صفر إلى عدم انتشار الفساد والرقم 10 انتشار كبير للفساد. وقد تبين أن هناك ادراك ان جميع اشكال الفساد منتشرة في المؤسسات الحكومية، وبمتوسط اعلى من 5 درجات. اما أعلى المتوسطات فكان اتخاذ القرارات بالواسطة والمحسوبية تلا ذلك المحاباة

والجهوية ثم اتخاذ القرارات لمنفعة شخصية وجاء بعدها التحايل على القوانين ثم استخدام الوظيفة للتعد على المال العام، وبانحرافات معيارية (2.1، 2.2، 2.3، 2.3،2.5) على التوالي، أما أقل المتوسطات فكانت التزوير في المستندات الرسمية تلاها تعاطي الرشوة ثم التربح من أعما الوظيفة وجاء بعدها تسخير الموظفين لأعمال شخصية ثم اساءة المعاملة باسم الوظيفة، وبانحرافات معيارية (2.5، 2.5، 2.4، 2.3، 2.3) مرتبة على التوالي.

الجدول رقم (8)

المتوسطات والانحرافات المعيارية لبنود انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية

	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	الترتيب
اتخاذ القرارات لمنفعة شخصية	757	7.5641	2.38218	3
اتخاذ القرارات للواسطة والمحسوبية	756	7.8598	2.12308	1
المحاباة والجهوية	756	7.7474	2.21037	2
التزوير في المستندات	747	6.1432	2.53545	10
التربح من الوظيفة	753	6.8154	2.43133	8
تعاطي الرشوة	750	6.7373	2.55232	9
استخدام الوظيفة للتعد على المال العام	755	7.0066	2.36883	5
تسخير الموظفين لاعمال شخصية	753	6.8499	2.31325	7
اساءة المعاملة باسم الوظيفة	753	6.9137	2.39219	6
التحايل على القوانين	753	7.0027	2.51432	4
الاجمالي	718	76.6560	25.68297	

الجدول رقم (9)

تحليل الانحدارلفحص أثر الخصائص الشخصية والاجتماعية والاقتصادية للمشاركين في مدركات الفساد في المؤسسات الحكومية.

المقياس	المصدر	مجموع المربعات	df	متوسط المربعات	F	Sig
مدركات انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية	بين المجموعات	11270.774	13	866.983	2.823	0.001
	داخل المجموعات	247815.084	807	307.082		
	الاجمالي	259085.858	820			

يظهر الجدول اعلاه وجود أثر ذا دلالة احصائية لمتغيراتالخصائص الشخصية والاجتماعية والاقتصادية للمشاركين في مدركات انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية (F=2.823, ∞=.001).ويبين الجدول رقم 10 معاملات الانحدار لمتغيرات الدراسة.

الجدول رقم (10)

معاملات الانحدار لمتغيرات الدراسة في مدركات الفساد في المؤسسات الحكومية

Model	Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	T	Sig.	Correlations		
	B	Std. Error	Beta			Zero-order	Partial	Part
(Constant)	68.773	7.561		9.096	.000			
القطاع	.345	.899	.015	.384	.701	.025	.014	.013
المحافظة	.451	.189	.089	2.384	.017	.045	.084	.082
النوع الاجتماعي	-1.727	1.534	-.040	-1.126	.261	-.049	-.040	-.039
العمر	.009	.060	.006	.147	.883	.004	.005	.005
التعليم	.302	.666	.016	.454	.650	.006	.016	.016
العمل	1.254	.634	.074	1.978	.048	.034	.069	.068
الدخل	-1.417	.650	-.083	-2.179	.030	-.058	-.076	-.075
عدد السنوية	-.006	.003	-.086	-2.331	.020	-.065	-.082	-.080

تقديم رشوة	.045	.035	.054	1.299	.194	.092	.046	.045
الانتماء الحزبي	-.975	1.555	-.022	-.627	.531	-.034	-.022	-.022
محاربة الفساد	-.938	.442	-.078	-2.120	.034	-.097	-.074	-.073
المشاركات الشهرية	2.865	1.470	.068	1.948	.052	.052	.068	.067

ويلا

حظ من معاملات الانحدار المعيارية أن المتغيرات الأكثر تاثيرا في مدركات انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية والتي كانت ذات دلالة احصائية هي المحافظة، والعمل، والدخل، وعدد المشاركات السنوية في الحراك، ومحاربة الفساد، وعدد المشاركات الشهرية.

كما وتظهر الاشكال التالية التوزيع المعياري للخطاء والتوزيع الاحتمالي

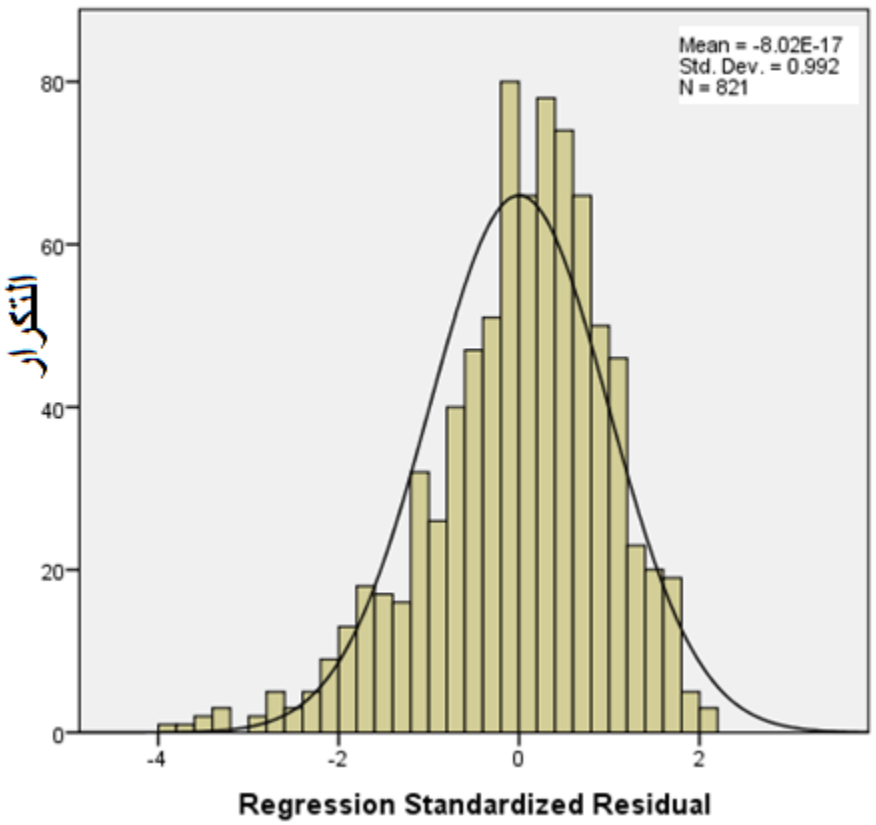

شكل (1) توزيع الخطاء المعياري للانحدار لمتغير مدركات انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية

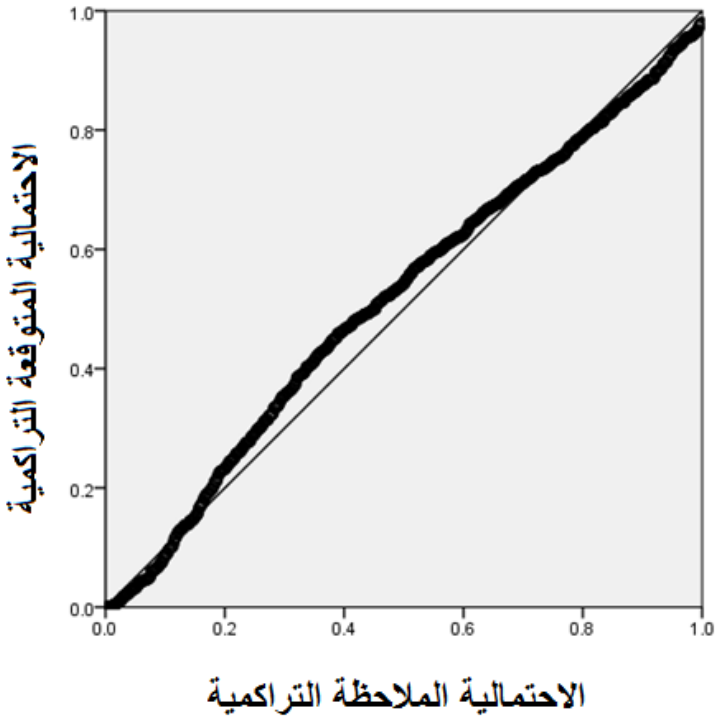

شكل (2) التوزيع الاحتمالي الطبيعي للخطاء المعياري للانحدار لمتغير مدركات انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية

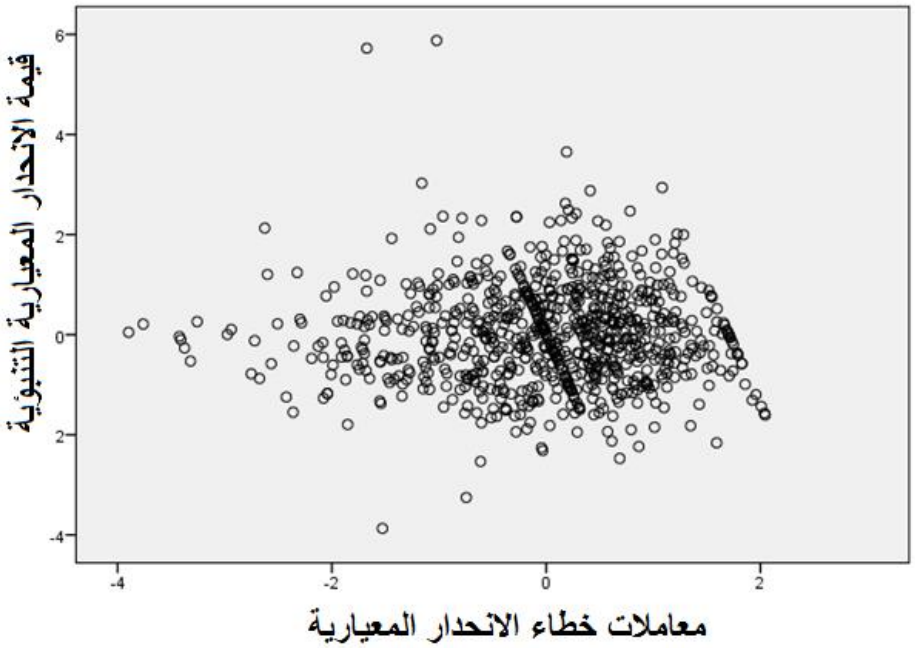

شكل (3) التوزيع بالانتشار لمعاملات للانحدار المعيارية لمتغير مدركات انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية

المناقشة

كانت خصائص المشاركين في الحراك على النحو التالي: غالبية المشاركين من الذكور(78%) وبمتوسط عمر (40) سنة، وجامعيون (51%)، وبلا عمل (15%) وانهم ينتمون لتيار الاصلاح (30%)، منهم (16%) حزبيون و(17%) وسطيون. ويوجد **حراك في كل محافظة ومدنية وقرية وبادية** ، حتى ضمن العشيرة الواحدة مثل: حراك شباب معان، حراك الشوبك، حراك الخلايلة، حراك ساكب، حراك الدعجة، حراك المعلمين، التجمع الشعبي للاصلاح، حراك حي الطفايلة، تجمع جبل عجلون، الحراك الوطني للاصلاح، الحراك الشركسي، وغيرها من الحراكات والتجمعات والائتلافات. وكانت **أهداف الحراك** محاربة الفساد ومحاكمة الفاسدين وتعديل التشريعات وسن قانون انتخاب يمثل كافة الشرائح والطبقات تمثيلا نسبياً، والسعي نحو الاصلاح الشامل، واستعادة حقوق الشعب، وقف نهب ثروات الوطن، وضد رفع الاسعار والمشتقات النفطية والتأكيد على أن الشعب مصدر السلطات.ويمتاز الحراك **بعدم وجود اطار موحد** أو قيادة عليا تنسيقية، مع أن هناك تواصل واتصال بين المنتمين لهذه الحراكات، فكل حراك (حزبي، أو شبابي، أو اصلاحي، أو نقابي، له استقلالية خاصة به.و يتم الاحتجاج والتظاهر كل يوم **جمعة بعد صلاة الظهر** تحديداً ورفع الشعارات والهتافات في كافة المحافظات، وفي بعض الأحيان يتم عمل اعتصامات ومظاهرات ليلية. والملفت مشاركات أفراد من القطاع العسكري والأمني المتقاعد في الحراكات الشعبية ضمن تيار المتقاعدين العسكريين. لقد استخدم الامن العام عقيدة جديدة ومناسبة في التعامل مع الحراك الشعبي تمثلت **بسياسة الأمن الناعم** مع المتظاهرين والمحتجين. ويتم التواصل والتفاعل بين أفراد الحراك، والدعوة لتنفيذ الاعتصامات والاحتجاجات، ورفع الشعارات عبر شبكات التواصل الاجتماعي مثل فيس بوك(**Face Book**) وتوتير (**Twitter**)ولقد ظهرت أساليب أمنية تقليدية في التعامل مع الحراك الشعبي منها: شيطنة الحراك، وايجاد مجموعات مضادة بعناوين وطنية مثل الولاء والانتماء.

أظهرت نتائج الدراسة وجودعلاقة بين متغيرات للخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ومدركات انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية (**R=.209**) كما أثر للخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مدركات انتشار الفساد في المؤسسات الحكومية($F=2.8, \alpha=0.001$).

ويمكن تفسير هذه النتيجة بردها إلى وجود شرائح شابة من العاطلين عن العمل والمتعلمين ممن يرزحون تحت الفقر والبطالة والتهميش، وهم واقعون تحت العديد من المخاطر الاجتماعية، والضغوط المجتمعية، هذا بالاضافة إلى السياسات الحكومية التقليدية في التعامل مع الازمة الاقتصادية، والمستندة على رفع الاسعار والتضييق على الحريات وتراجع الاصلاح. ومن المتوقع عودة الحراك الشعبي بقوة أكبر بعد فترة كمون نتيجة المتغيرات الاقليمية وخاصة في مصر وسوريا.

المراجع

الصرايرة، رياض. (2010). الفساد الإداري والمالي من وجهة نظر النخب الأردنية. الأردن: رسالة دكتوراه غير منشورة , جامعة مؤته.

الشمري، نامي بن خلف. (2010).مدركات العاملين في القطاع العام والخاص نحو الفساد الإداري في السعودية. المملكة الأردنية الهاشمية: رسالة دكتوراه غير منشورة: جامعة مؤته.

القحطاني، سالم بن سعيد والشمري عبدالرحمن بن عبدالله. (1999). اتجاهات الموظفين نحو بعض الظواهر السلبية في أجهزة القطاع العام الإدارية بالمملكة العربية السعودية. الرياض: كلية العلوم الإداري: قسم الإدارة العامة: جامعة الملك سعود.

البداينة،ذياب؛ الساكت، ميساء. (2010) فحص فروض نظرية النشاط الرتيب على سلوك الغش في الامتحانات الجامعية، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات. الأردن. المجلد25، العدد5، ص ص 183-218.

تقرير باروميتر الفساد العالمي، (2011).

تقرير مركز الشفافية الأردني، (2012).

حسني، وليد. (2012). الشاهد والشهيد الاعلام الاردني في زمن الثورات والحراك.

مركز عدالة لدراسات حقوق الانسان، (2012). اتجاهات الشباب الاردني في ظل الربيع العربي، عمان، الأردن.

وكالة جراسا نيوز، 2011/11/29. متوفر عبر الرابط: www.gerasanews.com

المراجع الأجنبية

Al-badayneh, D. (2010). Human Development, Peace, Corruption, and Terrorism in the Arab World. Paper was presented at the 1st International Symposium on Terrorism and Transnational Crime, November 13-15, 2009, Antalya, Turkey

Dreher, A., & Thomas H. (2005). "The Economic co of Corruption: A Survey and New Evidence", available at SSRN: http://ssrn.com/abstracl=734184.

Serra, D. (2006). "Empirical Determinarts of Corruption: A Sensitivity Analysis", Journal of Public choice, 126:225-256.

Oxford dictionary, 2006.http://oxforddictionaries.com/definition/corruptionOpportunism, corruption and the multinational firm's mode of entryStéphane Straub

Fisman, R., & Edward M. (2006)."Cultures of corruption: Evidence from Diplomatic parking tickets", Bureau of Research and EconomicAnalysis (BREAD), working Paper, No.122.

Serra, Danila. (2006). “Empirical Determinants of Corruption: A Sensitivity Analysis, “Journal of Public Choice, 126:22-256>

التدبّر.. أهميته وفوائده وأثر المصطلحات والدلالات اللغوية والبلاغية في تَدَبُّر معاني القرآن الكريم

الدكتور: أشرف محمد زيدان
جامعة كوالالمبور – ماليزيا

الملخص

لاشك أن للمصطلحات المعنية بدراسة القرآن الكريم والدلالات البلاغية ومعرفة الفروق اللغوية في الاستعمال والوضع؛ أثر أساس في تدبر معاني القرآن الكريم وفهم مقاصده، ولتسليط الضوء على هذه النقطة التي لا تزال محط التباس عند الكثير من الباحثين لاسيما المبتدئين منهم عزمنا بعد التوكل على الله تعالى بحث هذا الموضوع بصور أكثر عمقاً تكشف لنا بطريق البحث العلمي التخصصي الدقيق أثر ما تقدم في تحقيق فهم منضبط بشروط البحث العلميلمعاني القرآن الكريم.

إشكالية البحث: تتمثل إشكالية البحث في وجود التباس وتداخل بين حدود بعض المُصطلحات المعنية بدراسة القرآن الكريم، وكذلك في الدلالات البلاغية أو الجهل النسبي بحكم التدبّر مما يفوّت كثيراً من فرص فهمه والاستزادة من معينه الزاخر بالمعاني والمناهج والحِكَم.

محور البحث: يقع هذا البحث ضمن محور أثر تدبّر القرآن في الارتقاء بالأمة.

عنوان الدراسة: لعلوم القرآن الكريم مصطلحات تنفرد بها وأخرى تشترك بها مع غيرها من العلوم، وما يعنينا هو أشهر تلك المصطلحات المتعلق بدراسة القرآن الكريم، سعياً لمعرفة أثرها في فهم وتدبر معانيه، بهدف وضع هذا الأثر نصب أعين الباحثين في كتاب الله تعالى.

الأصالة: تتمثل أصالة هذا الموضوع في نقطتين رئيستين هما: أولاً: عمق التحليل ودقة النظر في تفاصيل الموضوع. ثانياً: طريقة العرض الجديدة والتي تركز على مسألة جوهرية تتمثل في أثر فهم المصطلح وتوجيهه في تدبر معاني القرآن الكريم.

حدود البحث: تمثل علوم القرآن الكريم، وآياته وتفسيرها؛ حدود هذه الدراسة، مع ما يتعلق بها من تحليل ومقارنة واستنتاجات.

أهداف البحث: الهدف الرئيس لهذه الدراسة يتمثل في تحديد أثر مصطلحات دراسة القرآن الكريم في فهم معانيه، وثمة أهداف فرعية سيأتي ذكرها في خاتمة البحث.

فرضية البحث: تفترض الدراسة وجود أثر كبير لفهم المصطلح ودقة استعماله؛ في تدبر معاني القرآن الكريم، وتحاول الدراسة إثبات هذه الفرضية بصورة علمية موضوعية.

منهج البحث: يعتمد الباحث جمع وتحليل البيانات – من مصادرها المعتمدة – المتعلقة بمفردات الدراسة بهدف تبويبها موثقة حسب الموضع المناسب لها في هيكلية الدراسة.

هيكلية البحث: يشتمل البحث على مقدمة وملخص وثلاثة مباحث (الأول: مصطلحات الدراسات القرآنية.. بلاغتها وأثرها في التدبر، الثاني: قراءة في مصطلحات الدراسات القرآنية، الثالث: التدبُّر وأهميته من خلال آياته) بالإضافة إلى الخاتمة والنتائج والتوصيات مع قائمة المصادر والمراجع.

المقدمة:

التَدَبُّر صفة يمتاز بها أصحاب العقول والنفوس الحيّة ويرفل بها أهل النفوس الرضيّة، ولما كانترقي الأمة في سبيل نهضتها القادمة التي صارت تلوح بوادرها في أفق الزمن الذي نعيشُه اليوم؛ صار لزاماً على أهل الاختصاص من عُلماء الأمة ودُعاتها بحث معززات التقدم على هذا السبيل، ولا شك أن إحد أقوى هذه المعزّزات هو تثوير القرآن واستنباط منهج يحاكي واقعنا المعاصر بلغته، يلبي متطلبته و ينير ما لايزال يعاني الظلام من جوانب حياة الأمة، ويفيد مضمون البحث أن التَدبُّر هو أداة التثوير ودلو استخراج كامن الكنوز من بَحر القرآن الكريم.

بالإضافة إلى ما تقدم؛ تتمثل أهمية البحث في محاولة تقديم إضاءة جادّة في مجال الدراسات البقرآنية المعنية بتدبّر كتاب الله مما يسهم في إخراج المزيد من أبناء الأمة من ظلمات التيه إلى نور المعرفة بالله تعالى وبدينه الذي ارتضاه لخلقه، وقد تم اختيار الموضوع بوصفه محوراً مهماً من محاور التوجّه نحو تدبُّرٍ مبني على أسس علمية يستخرج وينظّم معطياتصناعة الحياة على أسس قرآنية واضحة لا يشوبها اختلاف الفُرقة.

جاء البحث في ثلاث مباحث.. الأول: مصطلحات الدراسات القرآنية.. بلاغتها وأثرها في التدبر، الثاني: قراءة في مصطلحات الدراسات القرآنية، الثالث: التدبُّر وأهميته من خلال آياته.

وقد عالجت هذه المباحث إشكاليات تتعلق بمصطلحات الدراسات القرآنية التي يفترض تأثيرها في عملية التدبّر، ثم عرض لبحث أثر البلاغة في هذه العملية، ليبحث بعد ذلك في حدود التدبّر ويقترب من الحديث عن مقدمات ضوابط شرعية لمعرفة هذه الحدود، ومن ثم لينتقل إلى أهمية ترسيخ قواعد بحث ودراسة وتحقيق للموضوعات القرآنية تستهدف النظر إليها من زاوية التدبُر وعدم الاكتفاء بالحث عليه فقط.

وقد استخدم الباحث منهج الاستقراء والتحليل بالرجوع إلى المصادر اللغويةلتحديد دقة استعمال المصطلحات، وكذلك بيان الفرق بين بعض المفردات المستعملة في مصطلحات الدراسات القرآنية، لتحقيق ذات الهدف، مع تمرير الآيات على المفسرين لثلاثة عصور مختلفة من تاريخ الحضارة الإسلامية، لبيان التفسير المعتمد والأشهر للآيات، ثم توثيق آراء العقلماء بشأن التدبّر وحُكمهِ، واثره في فكر الفدر وإيمانه وفي وضع الأمة من حيث القرب أو البُعد عن الله وكذلك من حيث القوة والضعف، وقد اختتم البحث بخاتمة وصفت أبرز نقاطه الرئيسة، وانتهت بتوصيات تعزز وتفصّل الهدف الذي من أجله تم بحث موضوع التدبّر.

المبحث الأول: مصطلحات الدراسات القرآنية..

بلاغتها وأثرها في التدبر

المطلب الأول: الاصطلاح.. مفهومه.. غايته.. إشكاليته

أولاً:تعريف الاصطلاحومفهومه

إبتداء لا بد من تعريف المصطلح والحديث عن مفهمومه لما لذلك من أهمية في معرفة تأثيره من حيث الفهم والتوجيه الصحيح لتحقيق تدبر سليم لمعاني القرآن الكريم.."الاصطلاح" "هُوَ اتِّفَاق الْقَوْم على وضع الشَّيْء، وَقيل: إِخْرَاج الشَّيْء عَن الْمَعْنى اللّغَوِيّ إِلَى معنى آخر لبَيَان المرَاد، واصطلاح التخاطب هُوَ عرف اللُّغَة، والاصطلاح: مُقَابل الشَّرْع فِي عرف الْفُقَهَاء، وَلَعَلَّ وَجه ذَلِك أَن الِاصْطِلَاح (افتعال) من (الصُّلْح) للمشاركة كالاقتسام، والأمور الشَّرْعِيَّة مَوْضُوعَات الشَّارِع وَحده لَا يتصالح عَلَيْهَا بَينالأقوام، وتواضع مِنْهُم وَيسْتَعْمل الِاصْطِلَاح غَالِبا فِي الْعلم الَّذِي تحصل معلوماته بِالنّظرِ وَالِاسْتِدْلَال وَأما الصِّنَاعَة: فَإِنَّهَا تسْتَعْمل فِي الْعلم الَّذِي تحصل معلوماته بتتبع كَلَام الْعَرَب"[1]، فالاصطلاح إجمالاً هو اتفاق أهل الاختصاص على تسمية معلوم لديهم في أصله وما اتفقوا على تحويله إليه من معنى لإخراجه عن الأصل إلى وصف جديد توسيعاً للاستعمال، وتتمييزاً للموصوف الجديد.

ثانياً: غاية الاصطلاح تفصيلاً

تتمثل غاية الاصطلاح في تحقيق دقة الدلالة؛ حيث لا يخفى أن غاية وضع وتحديد الاصطلاح هو تحري دقة الدلالة على أمر أو معنى مستحدث تمييزاً له عن غيره ودفعاً لتوهم الناس بفهم المعنى الأصلي أو المعاني الأخرى المشابهة على أن المعرفة بالفرق بين الأصل والاصطلاح الجديد لا تنفي اشتراكهما باللفظ؛ ولا يقع الاشتباه في المعنى الاصطلاحي وأصله إذا كان "الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر.. الأوّل يسمّى دالا والشيء الآخر يسمّى مدلولا. والمراد بالشيئين ما يعمّ اللفظ وغيره فتتصور أربع صور، الأولى: كون كلّ من الدّال والمدلول لفظا كأسماء الأفعال الموضوعة لألفاظ الأفعال على رأي، والثانية كون الدّال لفظا والمدلول غير لفظ كزيد الدّال على الشخص الإنساني. والثالثة عكس الثانية كالخطوط

[1] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء (المتوفى: 1094هـ) تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، د.ت. ص129-130.

الدّالة على الألفاظ. والرابعة كون كلّ منهما غير لفظ كالعقود الدّالة على الأعداد"[2]، حيث تبين الدلالة اللفظية الفرق بينهما لكن الصلاة التي هي بمعنى الدعاء في اللغة تستوجب بيان اتخاذها اصطلاحاً للصلاة التي هي "عِبَارَةٌ عَنْ أَرْكَانٍ مَخْصُوصَةٍ وَأَذْكَارٍ مَعْلُومَةٍ بِشَرَائِطِ مَخْصُورَةٍ فِي أَوْقَاتٍ مُقَدَّرَةٍ. وَهِيَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ يَكْفُرُ جَاحِدُهَا وَلَا يَسَعُ تَرْكُهَا، ثَبَتَتْ فَرَضِيَّتُهَا بِالْكِتَابِ وَالسُنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ"[3]، مما تقدم نستنتج أن للاصطلاح دور أساس في فهم المصطلح عليه، وللمصطلح دور مماثل في فهم الموضوع الخاضع للدراسة وفق مصطلحات معنية به، وبالتالي فإن ضبط المصطلحات المعنية بدراسة القرآن الكريم له دور مهم للغاية في حُسن تدبر معانيه والعمل بمقتضاها.

ثالثاً: إشكالية المُصطلح وأثرها في التَدبّر

إشكالية التعامل مع المصطلحات تتمثل في اشتباهها وتقاربها لفظاً أو معنى، وهو ما يفرض واجباً علمياً على المفسر لكتاب الله يتركز حول ضرورة تحري المعنى المصطلح عليه لا عند عموم علماء المسلمين فحسب بل المصطلح عليه عند المفسرين تحديداً أو الإشارة إلى تنوع المصطلح عند الحاجة إلى استعمال اصطلاح آخر معروف لدى الأصوليين أو الفقهاء

فمعنى التفسير نفسه –على سبيل المثال– عند الأصوليين هو "تَرْجِيح الْمَرْجُوح لدَلِيل" وعند الفقهاء هو "الْحَقِيقَة الَّتِي يؤول اليها الْكَلَام" أما عند المفسرين أنفسهم فهو "التأويل"[4]، لقد غابت هذه المعاني عن كثير حتى من المتخصصين، وضاع معها الكثير من فرص تدبر كتاب الله تعالى والتقصير يقع لاشك على عاتق أهل العلم الذين لم يعودوا ينبهوا الأمة إلى خطورة الجهل بأدوات فهم كتاب الله، وقد ساهم في ذلك ضعف المقدرة اللغوية للناس عموماً وعند معظم المثقفين على وجه الخصوص " إن بتنحية اللغة العربية أو إهمالها يتحقق للأعداء هدفان وتضرب الأمة المسلمة بذلك ضربتين هما:

---

[2] موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي ، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (المتوفى: بعد 1158هـ) ، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط1، 1996م، ج1 ص787.

[3] الاختيار لتعليل المختار، الحنفي، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل (المتوفى: 683هـ) مطبعة الحلبي – القاهرة، 1356 هـ - 1937 م، ج1 ص37.

[4] إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد،ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (المتوفى: 840هـ) دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1987م، ص88.

1. جهل الناس بدينهم وبفهم كتاب الله تعالى إذ ليس المقصود من نزول القرآن قراءته فقط بل تدبر معانيه والعمل به ولا يكون ذلك إلا لمن يجيد اللغة العربية.

2. تمزيق الأمة المسلمة، والقضاء على عامل من عوامل وحدة الأمة وتحقيق جماعتها ألا وهو عامل اللغة, فاللغة لغة القرآن الكريم هي من عوامل جمع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فأنى اتجهت إلى قطر إسلامي ولقيت مسلما حييته بتحية الإسلام العربية "السلام وعليك ... فرد السلام باللسان العربي، وإن سألته عن حاله أجابك بلسان عربي: الحمد لله؛ تسري بينهم الألفة والمحبة وإن اختلفت ألوانهم وأجناسهم فالذي يجمعهم كتاب ربهم القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين"[5]وفوق ذلك نجد اختلاف الناس واضحاً حتى في فهمهم لبعض معاني الوحي ودلالة النصوص مما أثّر سلباً في قدرة الناس على تدبر معاني القرآن الكريم بوجود هذه المؤثرات المتباينة في فهم النص الواحد وترجيح دلالاته، وهو مما انعكس على الأمة وتسبب بتفرقها، بعد جهود حثيثة لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في جمع كلمتها وتوحيدها حتى في قراءة القرآن "وَهَذَا -أَيْضًا-مِنْ أَكْبَرِ مَنَاقِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّ الشَّيْخَيْنِ سَبَقَاهُ إِلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ أَنْ يَذْهَبَ مِنْهُ شَيْءٌ وَهُوَ جَمَعَ النَّاسَ عَلَى قِرَاءَةٍ وَاحِدَةٍ؛ لِئَلَّا يَخْتَلِفُوا فِي الْقُرْآنِ، وَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعُ الصَّحَابَةِ، وَإِنَّمَا رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ شَيْءٌ مِنَ التَّغَضُّبِ بِسَبَبِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ كَتَبَ الْمَصَاحِفَ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِغَلِّ مصاحفهم لما أمر عثمان بحرقه ماعدا الْمُصْحَفَ الْإِمَامَ، ثُمَّ رَجَعَ ابْنُ مَسْعُودٍ إِلَى الْوِفَاقِ حَتَّى قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُثْمَانُ لَفَعَلْتُهُ أَنَا. فَاتَّفَقَ الْأَئِمَّةُ، أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ الدِّينِ"[6]، ومن أعظم مصالح الدين وحدة الأمة التي لا تتحقق إلا بتوحيد مصادر وأدوات فهمها وتدبرها لكتابها ودستورها؛ القرآن الكريم، وذلك بدلالة واقعنا الذي نعيشه اليوم.

[5] موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، ج1 ص58.

[6] تفسير القرآن العظيم، الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم (المتوفى: 774هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م، ج1 ص28.

المطلب الثاني: دور البلاغة في تدبر معاني القرآن

لاشك أن للبلاغة دور أساس في تدبر القرآن الكريم،بواسطة معرفة المعنى المقصود من المفردة والآية والسورة والوحدة الموضوعية، والبلاغة في اللغة هي "حُسْنُ الكلام مع فصاحته وأدائه لغاية المعنى المراد"[7]، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ}[8] "{مثل} أي: صفة {الفريقين} أي: الكفار والمؤمنين {كالأعمى والأصم} هذا مثل الكافر شبه بالأعمى لتعاميه عن آيات الله، وبالأصم لتصامّه عن استماع كلام الله تعالى وتأبّيهِ عن تدبر معانيه، {والبصير والسميع} هذا مثل المؤمن شبه بالبصير والسميع؛ لأنّ أمره بالضدّ من الكافر فيكون كل منهما مشبهاً باثنين باعتبار وصفين، أو يشبه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضدّيهما على أن تكون الواو في الأصم وفي السميع لعطف الصفة على الصفة، بخلافه على التشبيه الأوّل فإنه لعطف الموصوف على الموصوف، ويعبر عنه بعطف الذات على الذات، {هل يستويان} أي: هل يستوي الفريقان {مثلاً} أي: تشبيهاً لا يستويان، ويصح أن يكون مثلاً صفة لمصدر محذوف، أي: استواء مثلاً، وأن يكون حالاً من فاعل يستويان وقوله تعالى: {أفلا تذكّرون} فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، أي: تتعظون بضرب الأمثال، والتأمّل فيها"[9]، لقد كان لبلاغة التشبيه أثرها في تدبر المفسرين لمعاني هذه الآية، وأمثالها في القرآن كثير، مما يكشف لنا عن أثر البلاغة في تدبر معاني القرآن الكريم.

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[10] "يبين الله سبحانه وتعالى أن مثل أعمال الذين كفروا بالله مثل سراب بأرض منبسطة يرى وسط النهار وحين اشتداد الحر، فيظنه العطشان ماء، فإذا أتاه ملتمساً الشراب لإزالة عطشه لم يجد السراب شيئاً، فكذلك الكافرون في غرور من أعمالهم التي عملوها وهم يحسبون أنها تنجيهم عند الله من الهلاك كما حسب العطشان السراب ماء، فإذا صار الكافر إلى الله واحتاج لعمله لم ينفعه وجازاه الله

---

[7] البلاغة العربية، الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني (المتوفى: 1425هـ) دار القلم، دمشق- الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996م، ص128.

[8] هود24.

[9] السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الشافعي، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (المتوفى: 977هـ) مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، 1285 هـ، ج2 ص52.

[10] النور39

الجزاء الذي يستحقه"[11]، إن بلاغة هذا التشبيه تستلزم تدبراً عميقاً لمعاني النصِّ سعياً لتحصيل ما أمكن من فوائده وإدراك ما استطاعته العقول من أبعاده؛ وهو أمر لا يمكن تحصيله إلا باشتمال الباحث على أدوات الفهم اللازمة لآيات الكتاب العزيز، ومنها المعرفة بالتفسير واللغة ومصطلح الدراسة، وهذا الأخير هو محور موضوعنا في المبحث القادم.

لاشك أن تأثير الدراسة الموضوعية في التدبر – مثلاً- ينكشف لنا عن طريق جمع آيات تتحدث عن موضوع دفع أذى العدو وكسب صداقة الناس وتحييد من استطعنا من أعدائنا بالحكمة والموعظة وحسن التعاطي مع الآخرين.

قال تعالى: {**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**}[12]

قال تعالى: {**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**}[13]

قال تعالى: {**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**}[14]. "فإنه عند ما أمرنا أن ندفع بالحسنى، أثار فينا تلك الرغبة في أن نجد بجوارنا الناصر والمعين نستكثر منهما، حتى لينقلب العدو بتلك المعاملة، كأنه صديق حميم"[15]، إن هذه الوحدة الموضوعية في باب طلب السلم الذي هو اصل العلاقة في الإسلام، لتكشف لنا يقينا تأثير دقة استعمال المصطلح في كشف بعض أسرار البلاغة وبالتالي التأثير في مستوى تدبُّرنا لكتاب الله.

ومن المشور عن أهل الاختصاص أن البلاغة عِلمٌيتألف من ثلاثة أقسام رئيسة يندرج تحتها الكثير الكثير من أسرار اللغة العربية "وقد وصل علماء البلاغة إلى إدراك كثير من هذه الأسرار، فعقدوا علماً يتحدث عن خصائص الجملة ودعوه علم المعانى، وعلماً للخيال الذى يعقد الصلة بين الأشياء ودعوه علم البيان، وآخر لبعض ألوان الجمال، وسموه علم البديع"[16]ولأهمية هذا الباب لزمَ التعريف تفصيلاً بهذه الأقسام وهي: **المعاني**.. "العلم الذي تُعرف به

---

[11] الإيمان بالله جل جلاله، الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد، دار ابن كثير – سوريا، ط1، د. ت. ص255

[12] آل عمران64

[13] النحل125

[14] (فصلت 34)

[15] من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: 1384هـ)، نهضه مصر – القاهرة، 2005م، ص39.

[16] من بلاغة القرآن، ص14.

أحوال اللّفظ العربي التي بهامُطابقاً لِمقتضى الحال"[17]، أما **البيان**.. "أصولٌ وقواعدُ، يعرف بها إيرادُ المعنى الواحد، بطرق يختلف بعضُها عن بعض، في وُضوح الدّلالة العقلية على نفس ذلك المعنى"[18]، وأما **البديع**.. "علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتسكوه بهاءً، ورونقاً، بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالته على المراد لفظا ومعنى"[19]، وتؤثر هذه الأقسام على المصطلحات الخاصّة بالدراسات القرآنية، مما ينعكس بصورة لازمة على مستوى تدبر معاني القرآن الكريم، وهو ما يفسر كذلك تفوت التفسير للمفردة أو الآية أو الوحدة القرآنية الموضوعية الواحدة.

بناءً على ما تقدم من أمثلة نجد أن للمصطلح دور في تدبر معاني القرآن، فمصطلح "دراسة بلاغية" مثلاً: من شأنه أن يكشف لنا في حال دقة استعماله في موضعه المناسب ورعاية دوره في جميع مراحل البحث؛ عن نتائج علمية أقرب إلى المطلوب من المعنى الذي تشتمل عليه الكلمة أو الآية او جملة الموضوع وهو ما يكون لاشك أحرى لتحقيق تدبر عالي المستوى لكتاب الله.

المبحث الثاني: قراءة في مصطلحات الدراسات القرآنية

بعد ما تقدم من تعريفات وتوطئة لصلب موضوعات الدراسة؛ نعود إلى تحليل مصطلحات الدراسات القرآنية من حيث اللغة والمفهايم المتعلقة باختصاص هذه المصطلحات لنضعها تحت مجهر البحث العلمي بهدف تمييز ما يتفق عما يختلف منها مع قواعد البحث التخصصي في مجال الدراسات القرآنية، وقد حاولنا ترتيبها حسب كثافة استعمالها من قبل الدارسين والباحثين في مجال الدراسات القرآنية.

المطلب الأول: أشهر مصطلحات الدراسات القرآنية استعمالا

أولاً: دراسة موضوعية

أشتهر مصطلح "دراسة موضوعية"في القرآن الكريم عند الباحثين منذ بضعة عقود من الزمن و" الدراسة الموضوعية هي أوقع المناهج وأعمقها للكشف عن علل النصوص ومناسباتها وحكمها وهديها ودلالاتها وظِلالها، باستخدام

[17] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت. ص46-47

[18] المصدر السابق ص216

[19] المصدر السابق ص289

منظار القرآن نفسه طلباً لإدراك ملكة التعرف على المقاصد القرآنية.. إن هذا النوع من التفسير ينظر إلى موضوع معين في القرآن كله ليجلّي جوانبه ويحدد ملامحه ويربطه بالحياة، ومن ثم يرتب المجال لكل دارس كي يربط تخصصه بهدايات الوحي ويصنع الحياة على عينه؛ فالفقيه يجد مَعِينَهُ في آيات الأحكام، والمفكر يلتقي بالموارد القرآنية التي يبحث عنها في مظان التدبر وإعمال النظر، والاقتصادي يقف على آيات المال والإنفاق والثروة والإعمار، وعالم الكونيات يرى مراداته في آيات الفلك والنجوم وحركة الكواكب والليل والنهار، والباحث التربوي يلقى ضالته في آيات الإرشاد والوعظ والتوجيه والاعتبار، والمؤرخ يعثر على أخبار الأمم السابقة ودروس العبر القرآنية وأحوال الأقوام والدول، وباحث الاجتماع يجمع ثروة هائلة من الآيات الدالة على سنن الابتلاء والتمكين والاستدراج والزوال، وأحوال العمران. وكلهم يسوس الحياة كما يريدها الله بعد أن برزت إلى الساحة علوم جديدة"[20]، ويمكن القول بأن الدراسة الموضوعية هي ركن من أركان الدراسات القرآنية التي تكشف عن سرٍ كبير من أسرار تجدد روح النص كلّما تم ربط موضوعات القرآن الكريم بالواقع المعاش خصوصاً عندما يدرك الباحث أنه يعرض واقعه على موضوعات القرآن الكريم عن طريق تكوين صورة جديدة بترتيب جديد لموضوعاته؛ سعياً للوصول إلى استنتاج علمي جديد يتمثل في استضاءة الباحث بهذه الصورة الجديدة أو الربط الجديد للكشف عن معالجة قرآنية للإشكالية المعروضة للدراسة والبحث.

بقد يبين لنا مفهوم (الموضوع) والذي "هو محل العرض المختص به، وقيل: هو الأمر الموجود في الذهن – حيث إن –موضوع كل علم: ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية، كبدن الإنسان لعلم الطب؛ فإنه يبحث فيه عن أحواله من حيث الصحة والمرض، وكالكلمات لعلم النحو؛ فإنه يبحث فيه عن أحوالها من حيث الإعراب والبناء"[21]، أن مصطلح الدراسة الموضوعية هو مصطلح مستقر لا غبار عليه، ما لم يُستعمل باتجاه خاطئ كأن يحمِّل الباحث النصوص أكثر مما تحتمل أو يقصِّر في مراعاة شروط الدراسة الموضوعية، أو يخلط بين ما هو تحليلي وما هو موضوعي مثلاً.

ويعرف الكومي التفسير الموضوعي بأنه "بيان الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد وإن اختلفت عباراتها وتعددت أماكنها مع الكشف عن أطراف ذلك الموضوع حتى يستوعب المفسر جميع نواحيه ويلم بكل أطرافه وإن أعوزه ذلك

---

[20] مجلة البيان العدد 165 ص19

[21] التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: 816هـ) تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، 1403هـ -1983م، ص236.

لجأ إلى التعرض لبعض الأحاديث المناسبة للمقام لتزيدها أيضحاً وبياناً"[22]، وذلك بوصف السُنة المطهرة جائت شارحة ومفصلة للقرآن الكريم، وقد فصّل ال في بيان أنواع التفسير الموضوعي فقسذمه إل: التفسير الموضوعي للمصلح (اللفظ) القرآني والتفسير الموضوعي للموضوع القرآني والتفسير الموضوعي للسورة القرآنية[23]، لقد خدم توسع علوم القرآن لاسيما التفسير الموضوعي عملية تدبر معاني القرآن الكريم حيث "امتاز القرآن الكريم في عرض موضوعاته بطريقة لم يسبق إيها فلا يستطيع أن يسلكها سالك ولا ينتهجها ناهج، فهو في عرضه يتخذ له أسلوباً يختص به، أعجز الإنس والجن عن معارضته، يرعي المقام في كل موقف من مواقفه، ويطابق جميع مقتضيات الحال في كل عبارة من عباراته"[24] وهذا ما قد يفسِّر لنا تكرار القصة الواحدة في سياق موضوعي مختلف؛ ومع ذلك فهو لا يمنع من تشكيله صورٍ جديدة وفوائد عديدة عند ربطه بالموضوعات التي اشتملت على ذات القصة سواء السابقة منه أو اللاحقة، وذلك كله مما يضفي أبعاداً أكثر تنوعاً وأوسع افقاً لتدبر معاني القرآن الكريم.

ومن أمثلةأثر التفسير الموضوعي في التدبّر ما جاء في سورة الكهف من قصص "عندما تعرض قضية الطاعة والتضحية من خلال قصة إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام، تمون أوقع في النفس وأشد أثراً – وكذلك آداب طلب العلم من خلال قصة موسى والخضر عليهما السلام في سورة الكهف"[25]، إنها صياغات موضوعية تقرب للسامع والقارئ جميع وسائل التدبر لما تحويه تلك الوحدات الموضوعية من معاني وعِبر.

ثانياً: دراسة تحليلية

يرجع أساس المصطلح إلى مصدر "ح ل ل – وهو – حلَّلَ يحلِّل، تحليلاً وتَحِلَّةً، فهو مُحلِّل، والمفعول مُحلَّل، ومنه: حلَّل اليمينَ: برّرها، جعلها حلالاً ومباحًا بكفَّارة وجعل لها مخرجًا يُخرِج من الحِنْث {قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ}[26]"[27].

---

[22] التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الكومي، أحمد السيد – القاسم، محمد أحمد يوسف، ط1، 1402هـ - 1982م، ص16-17.

[23] ينظر التفسير الموضوعي في الرسائل العلمية: دراسة ونقد، المنيع، ناصر بن محمد، بحث منشور على الإنترنت، وهو ورقة علمية مقدمة إلى مؤتمر التفسير الموضوعي: واقع وآفاق، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، 1431هـ - 2010م، ص5-6

[24] التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ص34.

[25] مباحث في التفسير الموضوعي، مسلم، مصطفى، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ - 1989م، ص200.

[26] التحريم2

[27] معجم اللغة العربية المعاصرة، عُمر، أحمد مختار عبد الحميد (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 1429 هـ - 2008م، ج1 ص549.

وللتحليل مضآن عدَّة تفصِّل وتعرِّف التحليل الكمي والنوعي والحجمي وتقسيم الكل إلى جزئيات، وكذلك التحليل الإشعاعي والأساسي[28]، والتحليل: مفرد – جمعه – تحليلات (لغير المصدر) وتحاليلُ (لغير المصدر) — وتصنف عقول البشر إلى صنفين – عقلٌ تحليليّ: يفطن لأجزاء الشّيء خلافًا للعقل التركيبيّ الذي يفطن لمجموع الشّيء دون أجزائه– كشّاف تحليليّ: فهرسة تعتمد على سرد موادّها حسب المؤلّفين والموضوعات ونحوها"[29]

وفي انتقال إلى الحديث عن مفهوم التحليل في مجال الدراسات القرآنية حصراً نجد أن تظافر القرائن حول الموضوع أو المفردة أو الآية القرآنية الواحدة؛ يستوجب إتقان صنعة التحليل لتحصيل نتائج سليمة عن طريق بحث مدلولات الكلمة أو الجملة وترجيح معناها الدقيق بقرائن واضحة قوية قد خضعت هي الأخرى للتحليل بهدف اختيار الأقوى من بينها وهو ما يضمن ترجيحاً علمياً سليماً لمعنى الآية أو المفردة أو الموضوع وهو المنهج العلمي المقابل لمنهج "معالجة الكثرة ارتدادًا بها إلى الوحدة، وربط الظواهر ضمن علاقاتها الجدلية بإطارها الموضوعي، والتحليل على هذا النحو مضر بفهم النص وتفسيره سواء كان نصًّا قرآنيًّا أو غيره، أشار إلى ذلك بعض النقاد الغربيين في حديثهم عن تطبيق منهج التحليل "ويسمونه التفكيك" في الشعر؛ حيث إن النقاد الجدد في أمريكا أقاموا ممارساتهم النقدية على أساس الشكل العضوي، وهي الفكرة القائلة: إن للقصيدة وحدة شكلية تماثل وحدة الشكل الطبيعي، ولكن بدلًا من أن يكشف هَؤُلَاءِ النقاد في الشعر وحدة العالم الطبيعي وتلاحمها، فإنهم اكتشفوا معاني متعددة الأوجه، وفي نهاية المطاف تحول النقد الذي يبحث عن نقد للالتباس والتعدد في المعنى. . . إلى لغة ملتبسة مناقصة لفكرتهم الأصلية الكلية لوحدة الموضوع"[30]، وتتمثل سلبيات هذا المنهج الذي وقع فيه بعض الباحثين المعاصرين بغير قصد ربما؛ في جملة نقاط من أبرزها:–

1- إن هذه الطريقة مأخوذة عن منهج غربي نقضه فيما بعد أصحابه قبل غيرهم.

2- بوصفه ممارسة أدبية نقدية فإن منهج التفكيكية يعتمد إظهار البناء المتناقض وغير المنسجم؛ بناءً منسقاً خالياً من التناقضات يمثل وحدة طبيعية بواسطة الجهود الفنية البلاغية[31].

---

[28] ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ج1 ص549.

[29] معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1 ص550.

[30] تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (المتوفى: 333هـ) تحقيق:د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ – 2005م، ص287.

[31] ينظر تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ج1 ص287.

إن هذا الاتجاه في الدراسات التحليلية هو مما لا ينطبق على الدراسات القرآنية التي يعلم أهل الاختصاص أنها تشرح وتبسِّط كلام رب الأرباب في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ للعامّة من الناس بما يعينهم على فهمه وتدبره والعمل بمقتضاه، حيث يتبين لنا بحسب ما تقدم أن نظرية معالجة الكثرة ارتدادًا إلى الوحدة هي نظرية مأخوذةعن مدرسة النقد الغربي، وهي فكرة أنكرها بعد عقود من نشأتها؛ الغربيون أنفسهم، ذلك أن "التفكيكية" والتي يقصد بها تفكيك النّصوص لكشف حقيقة الأعمال الأدبية التي تتخذ من البلاغة وسيلة لتظهر بمظهر من الرصانة بالغ القوة؛ وهو تفكيك ينفي عنها معنى القوة والحبكة ويبدي نقاط التناقض والضعف التي تعتريها؛ عبر التشكيك بالجزئيات وصولاً إلى كليات مشكوك بها[32]، على أن النظرية "التفكيكية" ذاتها لم تُعد من قبل البعض أكثر من طريقة نقدية بمكن من خلال وضع أقوال جديدة لوصف أو مراجعة نصوص قديمة في الأدب الإنجليزي[33].

أما عن مفهوم التحليل المستهدف بهذه الفاصلة من البحث، فهو راجع تحديداً إلى "حل العقد.. يحُلُهُ حلاً وكل جامد أذبته فقد حلَّلته"[34]، وتحليل النصوص يستوجب بحث تفاصيلها من جميع الوجوه المعنية وعليه يكون التفسير التحليلي هو تفسير "ينصب على معرفة دلالة الكلمة اللغوية ودلالتها الشرعية، والتعرف على الرابط بين الكلمات في الجملة وبين الجمل في الآية وبين الآيات والسور وكذلك التعرف على القراءات وأثرها على دلالة الآية، ووجوه الإعراب ودورها في الأساليب البيانية وإعجاز القرآن الكريم.. وغيرها من الوجوه التي تساعد إجلاء المعنى وتوضيح المراد"[35]، وعلى هذا النسق يتوجب إجراء الدراسات التحليلية المتعلقة بالقرآن الكريم والعلوم المستنبطة عن نصوصه.
هكذا نجد أن مصطلح الدراسة التحليلية هو مصطلح سليم من الناحية اللغوية ولا يشوبه ما يمنع استعماله في الدراسات القرآنية من جهة المفهوم، والمهم هو رعاية الاختصاص للدلال على المعنى المطلوب من إطلاقه، تجنباً للانحراف عن منهج الدراسة المعتمد.
والتفسير التحليلي "هو بيان الأيات القرآنية بالتعرض لجميع نواحيها والكشف عن كل مراميها حتى يكون المفسِّر مستوعباً لجميع الأهداف التي تتطلبها من بحث عن ألفاضها ومعانيها وأسباب نزولها وعما ترمي إليه من أحكام

[32] ينظر تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ج1 ص287.
[33] ينظر التفككية النظرية والممارسة، كريستوفر نوريس، ترجمة: د. ثبري محمد حسن، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، 1410م، 1989م، ص21
[34] جمهرة اللغة، الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (المتوفى: 321هـ) تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الأولى، 1987م، ج1 ص110.
[35] مباحث في التفسير الموضوعي، مسلم، مصطفى، دار القلم، دمشق، ط1، 1410هـ - 1989م، ص52.

وعقائد وعن السر في تعبيرها وما ترمي إليه بألفاظها وتستهدفه بألسلوبها، ومن أمثله هذه التفاسير – تفسير الفخر الرازي وافسير الآلوسي"[36]، ومن أمثلة أثر التفسير التحليلي في التدبر ما جاء في تفسير قوله تعالى من مطلع سورة النحل "افتتحت السورة الكريمة، بتهديد الكافرين الذين كانوا ينكرون البعث، وما يترتب عليه من ثواب أو عقاب، ويستبعدون نصر الله- تعالى- لأوليائه، فقال- تعالى-: أَتى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ والفعل «أتى» هنا، بمعنى قرب ودنا بدليل «فلا تستعجلوه» ، لأن المنهي عن الاستعجال يقتضى أن الأمر الذي استعجل حصوله لم يحدث بعد، والمراد بأمر الله: ما اقتضته سنته وحكمته- سبحانه- من إثابة المؤمنين ونصرهم، وتعذيب الكافرين ودحرهم، والفاء في قوله «فلا تستعجلوه» للتفريع. والاستعجال: طلب حصول الشيء قبل وقته، والضمير المنصوب في «تستعجلوه» يعود على «أمر الله» ، لأنه هو المتحدث عنه، أو على «الله» – تعالى-، فلا تستعجلوا الله فيما قضاه وقدره، والمعنى: قرب ودنا مجيء أمر الله- تعالى- وهو إكرام المؤمنين بالنصر والثواب، وإهانة الكافرين بالخسران والعقاب، فلا تستعجلوا- أيها المشركون- هذا الأمر، فإنه آت لا ريب فيه، ولكن في الوقت الذي يحدده الله تعالى- ويشاؤه، وعبر عن قرب إتيان أمر الله- تعالى- بالفعل الماضي «أتى» للإشعار بتحقق هذا الإتيان، وللتنويه بصدق المخبر به، حتى لكأن ما هو واقع عن قريب، قد صار في حكم الواقع فعلا. وفي إبهام أمر الله، إشارة إلى تهويله وتعظيمه، لإضافته إلى من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، قوله «فلا تستعجلوه» زيادة في الإنذار والتهديد، أى: فلا جدوى من استعجالكم، فإنه نازل بكم سواء استعجلتم أم لم تستعجلوا"[37]، وقد كشف لنا تحليل هذه الآية عن معاني عظيمة في قرب حتمية تحقيق وعد الله تعالى وعدم جدوى استعجال العذاب الذي هو نازل بأعداء الله تعالى لا محالة، وانتصار الخير وما يصاحبه من انكسار للباطل وأهله.

ثالثاً: دراسة بلاغية

تقدم الحديث في المطلب الثاني من المبحث الأول عن دور الدراسة البلاغية في تدبر معاني كتاب الله تعالى، ولاعاية للتخصيص نؤكد اختصاراً بأن مصطلح "دراسة بلاغية" يضاف أحياناً إلى عناوين دراسات معنية بالقرآن الكريم بهدف تحديد نوعيتها، ويمثل البحث في الأسرار البلاغية للمفردات والآيات والموضوعات القرآنية، ويبحث في زوايا

[36] التفسير الموضوعي للكومي ص16.

[37] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، محمد سيد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1، 1998م، ج8 ص100.

محددة مثل: القسم في القرآن الكريم – حسن التخلص في القرآن الكريم – التقديم والتأخير– الذكر والحذف – الحشد الفني – التصوير الفني،[38] وما إلى ذلك من موضوعات تكشف كامن أسرار القرآن الكريم في الصياغة والأسلوب والنظم الذي يشكّل المعاني المتجددة والمؤثرة في نفس السامع تأثيرا يبلغ به إن أحسن الفهم والتدبّر؛ حد اليقين بأن تطبيقها على النحو المطلوب هو من أعظم القربات إلى الله تعالى، ويبعث في النفس الهمة على حسن التطبيق وتحري أدقِّ صوره.

رابعاً: من منظور قرآني

المنظور لغةً: هو "الَّذِي يُرْجَى خَيره، وَيُقَال: مَا كَانَ هَذَا نظيراً لهَذَا، وَلَقَد أنْظَرَ بِهِ وَمَا كَانَ خَطِيراً، وَلَقَد أَخْطَرَ بِهِ، والمَنْظورُ أَيْضا الَّذِي أَصَابَتْه نَظْرَةٌ، ونظيرُك أَيْضا الَّذِي يُناظِرك وتُناظِرهُ، وَفِي حَدِيث ابْن مَسْعُود: لقد عرفتُ النَّظَائِر الَّتِي كَانَ رَسُول الله يقوم بهَا، عشْرين سُورَة من المفصَّل يَعْنِي سُوَر المفصَّل، سميت نَظَائِر لاشتِباه بعضِها بِبَعْض فِي الطول، وَقَول عَدِي: لم تُخطِىء نِظارتي، أَي فِراستي"[39] ويقال أيضاً "فلان ناظورة بني فلان: إذا كان المنظور إليه فيهم، والنّاظور: هو الّذي يكون في رأس المرقبة ينظر للقوم، والمنظور إليه من الرّجال: [هو] الذي يبتغى رفده [ويمنه] وعونه، والنّظور: الذي لا يغفل عن النّظر إلى ما أهمّه، وجمعه: نظر، مثل:رسول [ورسل]"[40]، ويذهب بعض اللغوين إلى أن المنظور يطلق أحياناً على "رَجُلٍ فِيهِ نَظْرَةٌ أَي عيبٌ، والمنظورُ: الَّذِي أَصابته نَظْرَةٌ، وَصَبِيٌّ مَنْظُورٌ: أَصابته الْعَيْنُ. والمنظورُ: الَّذِي يُرْجَى خَيْرُه. وَيُقَالُ: مَا كَانَ نَظِيراً لِهَذَا وَلَقَدْ أَنْظَرْتُه، وَمَا كَانَ خَطِيراً وَلَقَدْ أَخْطَرْتُه"[41]، والملاحظ من جملة ما تقدم أن المنظور هو المراقَب والمشاهَد بُغية فائدة مرجوَّةٍ، وقد يُستعمل للمقابلة والممايزة وإظهار أمر لمقارنته بآخر، وكل ذلك يأتي بواسطة النظر إلى معنى أو مبنى يراد التحقق من مدى مطابقته بالمنظور إليه.

---

[38] ينظر، حسن التخلص في القرآن الكريم: دراسة بلاغية، رمضان، أحمد فتحي، حسن، آلاء أحمد، مجلة جامعة تكريت/ مجلد 15، العدد 2، 2008م. وينظر كذلك، السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، دار عمار، عمان – الأردن، ط4، 1427هـ - 2006م.

[39] تهذيب اللغة، تحقيق، منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو (المتوفى: 370هـ) محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م، ج14 ص266.

[40] الفرق بين الضاد والظاء فى كتاب الله عز وجل وفى المشهور من الكلام، الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو (المتوفى: 444هـ) تحقيق: حاتم صالح الضّامن، دار البشائر – دمشق، ط1، 1428 هـ - 2007 م، ص49.

[41] لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى (المتوفى: 711هـ) دار صادر – بيروت، ط3- 1414 هـ، ج5 ص220.

وما يعنينا في دراستنا هذه؛ هو المنظور القرآني لموضوعات شتى يتناولها الباحثون في محاولة لتدقيقها وفق قواعد وضوابط ومفاهيم قرآنية، بهدف الخروج بنتيجة واضحة تقوم على توجيه القرآن لهذا لموضوع البحث، بيان الجائز من غيره فيما يتعلق بتفاصيل الموضوع، أو كشف مجموعة من الأولويات المتعلقة بترتيب فقرات أو مسارات موضوع ما، إن دراسة الموضوعات الدينية أو الدنيوية من منظور قرآني وفق ضوابط شرعية محددة؛ هي لاشك مما يساعد على تحقيق تدبّرٍ حقيقي لمضامين تلك الموضوعت المعروضة للبحث من منظور القرآن الكريم .

بعبارة أخرى.. يعبِّر مفهوم المنظور القرآني عن الصور المتخيلة بحسب فهم المتخصص المتقن بهدف نقل الصورة المتخيلة إلى كلام مكتوب لا يؤثر أو ينقص أو يزيد على المؤثرات الأصلية للصورة لاسيما أن "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية؛ وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور؛ وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية" ، وبذلك يكون المنظور هو محاولة فنية لنقل الحكم أوالوصف القرآنيين للموضوع أو النموذج المعني بالدراسة لتحقيق هذه الغاية، مما يهيئ لتدبر رفيع المستوى لآيات القرآن الكريم ومواضيعه المتنوعة.

المطلب الثاني: المنظور والرؤية.. فروق المعاني وأثرها في التدبر

أولاً: فروق مهمة بين النظر والفكر والرؤية.

لتحقيق لاحاه علمي لاستعمال المصطلحات المتعلقى بالدراسات القرآنية لابد من معرفى عدد من الفروق بين مفردات يرد استعمالها كثيراً ضمن هذه المصطلحات، وذلك بحسب العرض الآتي:

أولاً: الفرق بين النظر والفكر والرؤية

يقال أن "النظر يكون فكراً ويكون بديهة والفكر ما عدا البديهة"[42]. وهما مما لا يدخلان في تعريف الرؤية حيث يُمَيَزُ بين النظر والرؤية على أن "النظر طلب الهدى، والشاهد قولهم نظرت فلم أر شيئا، وقال علي بن عيسى: النظر طلب ظهور الشيء، والناظر الطالب لظهور الشيء والله ناظر لعباده بظهور رحمته إياهم، ويكون الناظر الطالب لظهور الشيء بإدراكه من جهة حاسة بصره أو غيرها من حواسه ويكون الناظر إلى لين هذا الثوب من لين غيره، والنظر بالقلب من جهة التفكر، والإنظار توقف لطلب وقت الشيء الذي يصلح فيه، قال والنظر أيضا هو الفكر

[42]معجم الفروق اللغوية، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (المتوفى: نحو 395هـ) تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين،ط1، 1412هـ، ص544.

والتأمل لأحوال الأشياء ألا ترى أن الناظر على هذا الوجه لابد أن يكون مفكراً والمفكر على هذا الوجه يسمى ناظراً وهو معنى غير الناظر وغير المنظور فيه ألا ترى أن الإنسان يفصل بين كونه ناظراً وكونه غير ناظر، ولا يوصف القديم بالنظر لان النظر لا يكون إلا مع فقد العلم ومعلوم أنه لا يصلح النظر في الشيء ليعلم ألا وهو مجهول، والنظر يشاهد بالعين فيفرق بين نظر الغضبان ونظر الراضي، وأخرى فإنه لو طلب جماعة الهلال ليعلم من رآه منهم ممن لم يره مع أنهم جميعا ناظرون فصح بهذا أنالنظر تقليب العين حيال مكان المرئي طلبا لرؤيته، والرؤية هي إدراك المرئي، ولما كان الله تعالى يرى الأشياء من حيث لا يطلب رؤيتها صح أنه لا يوصف بالنظر"[43]، يمثل استيعاب هذه الفروق زتدقيق النظر فيها بداية لسلوك الطريق الصحيح نحو ضبط معاني المفردات والآيات والموضوعات القرآنية ودلالاتها، وهو ما يفضي قطعاً إلى حسن التدبّر والتَفَهمحيث "لا يتهيأ لمن أراد فهمه والوقوف على أسراره، واستخلاص أحكام الشريعة الجزئية، وقواعدها الكلية، ومقاصدها العامة، إلا بأن يجعله موضوع درسه ونظره، وأن يتدبر آياته، ويطيل النظر في معانيه، ويشد الرحال في اقتناص إشاراته وإدراك تلويحاته"[44].

ثانياً: رؤية قرآنية

يحدد المعنى اللغوي بالإضافة إلى المفهوم الاصطلاحي سواء أكان مقبولاً أم مرفوضاً من حيث الوضع أو الدلالة؛ الفصل بين المتشابه من المفردات المقاربة للمعنى، ومن ذلك الرأي والرؤية وما يمكن الإفادة منه بحسب ما تقدم؛ في تحديد مشروعية معنىالتعامل مع الدراسات القرآنية وكذلك في صياغة منهج متكامل وضوابط معلومة لتدبر القرآن الكريم، وقد يتأتى ذلك من خلال التفصيل عبر العرض الآتي:

الفرق بين العلم والرؤية

يقرِّبُنا أكثر التعرف على ما بين العلم والرؤية من فروق؛ من الحكم بشأن مصطلح "الرؤية القرآنية" وقد فصّل أهل الفنِّ بينهما بقولهم "أن الرُّؤْيَة لَا تكون إِلَّا لْمَوْجُود؛ وَالْعلم يتَنَاوَل الْمَوْجُود والمعدوم وكل رُؤْيَة لم يعرض مَعهَا آفَة فالمرئي بهَا مَعْلُوم ضَرُورَة وكل رُؤْيَة فَهِيَ لمحدود أَو قَائِم فِي مَحْدُود كَمَا أَن كل إحساس من طَرِيق اللَّمْس فَإِنَّهُ يَقْتَضِي

[43] معجم الفروق اللغوية ص543

[44] علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، أبو عاصي، محمد سالم، دار البصائر – القاهرة، ط1، 1426 هـ – 2005 م، ص133.

أَن يكون لمحدود أَو قَائِم فِي مَحْدُود والرؤية فِي اللُّغَة على ثَلَاثَة أوجه أَحدهمَا الْعلم وَهُوَ قَوْله تَعَالَى (ونراه قَرِيبا) أَي: نعلمهُ يَوْم الْقِيَامَة وَذَلِكَ أَن كل آتٍ قريب، وَالْآخر بِمَعْنى الظَّن وَهُوَ قَوْله تَعَالَى: (إِنَّهُم يرونه بَعيدا) أَي: يَظُنُّونَهُ، وَلَا يكون ذلك بِمَعْنى الْعلم لأنه لَا يجوز أَن يَكُونُوا عَالمين بِأَنَّهَا بعيدَة وَهِي قريبَة فِي علم الله، وَاسْتِعْمَال الرُّؤْيَة فِي هذَيْن الْوَجْهَيْنِ مجَاز، وَالثَّالِث رُؤْيَة الْعين وَهِي حَقِيقَة"[45]، إن تعدد هذه الوجوه يشير إلى التزام الحذر في التعامل مع مصطلح "الرؤية القرآنية" والتدقيق في دراسته وتحليل مضآنه وصولاً إلى حكم نهائي بشأن جواز استعماله من عدمه، وقد تكشف لنا نظرة أولية أن خطأ استعمال الرؤية ضمن مصطلحات الدراسات القرآنية يتمثل في معناها الذي هو "النظر لمحدود" وهو ما يتقاطع مع سعة معاني النص القرآني وتجدده وصلاحيته لكل زمان ومكان، بالإضافة إلى ايحاء المعنى بأن الباحث في النص القرآني قد استحكم على أقصى غاية البيان له؛ وهو مما لا يمكن تصور إمكانه مع النص القرآني من الناحيتين الشرعية والعلمية.

ثالثاً: حدود التدبر المطلوبة

للتدبر حدود تسلتزم من القارئ الإلتفات إليها، وخير ما نستوضح به هذه الحدود هو كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويفيدنا تفسير قوله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً}[46]، فحدود التدبر إذاً مفتوحة لا يحدها سوى حَدَّ الاختلاف الذي حيثما عرض لنا أدركنا أننا خرجنا عن حدود التدبّر المشؤوع في آيات القرآن وكلماته وموضوعاته "وفي نفْي الله جلّ ثناؤه ذلك عن حُكْم كتابه، أوضحُ الدليل على أنه لم ينزل كتابه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم إلا بحكمٍ واحدٍ متفق في جميع خلقه، لا بأحكام فيهم مختلفة"[47]، إن التفكّر في عاقبة التدبّر ومنتهى ما يصل إليه إعمال العقل في النصّ أو الوحدة الموضوعية في القرآن يكشف حتماً حدود التدبّر لكتاب الله تعالى "وَالتَّدَبُّرُ هُوَ النَّظَرُ فِي آخِرِ الْأَمْرِ، وَدُبُرُ

---

[45] الفروق اللغوية، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (المتوفى: نحو 395هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، د. ت. ص94.

[46] النساء82

[47] جامع البيان في تأويل القرآن،الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م، ج1 ص49.

كُلِّ شَيْءٍ آخِرُهُ"[48]، وهنالك من يحدد التدبُّر بالمحكم من كتاب الله "ثم انتقل بعد ذلك إلى وصف الكتاب وجعله قسمين، محكم العبارة محفوظ من الاحتمال والاشتباه، وهو الأصل الذي دعى الناس إلى تدبر معانيه والعمل به، وإليه يرجع في فهم المتشابه، ومتشابه وهو ما يدل اللفظ فيه على شيء والعقل على خلافه فتشابهت الدلالة ولم يمكن الترجيح كالاستواء على العرش وكون عيسى روح الله وكلمته، ثم بين أن الناس في هذا انقسموا فرقتين: فرقة زائغة يرجعون في تأويله إلى أهوائهم وتقاليدهم لا إلى الأصل المحكم الذي بنى عليه الاعتقاد، وفرقة يقولون آمنا به ونفوّض علمه إلى ربنا، وقد دعوه ألا يضلّهم بعد الهداية، ويرزقهم الثبات على معرفة الحقيقة والاستقامة على الطريقة"[49]، ولا ينصرف ذلك إلى التعارض مع سعة حدود تدبّر معاني النص القرآني فالتأويل غير التدبر، وقد يوحي كلام المراغي (رحمه الله) للبعض باتحاد المعنيين، لكن النصوص واضحة ولم يقيد إطلاقها بنص أقوى بحسب معظم المفسرين.

المطلب الثالث: توجيه دراسة الكتب وتحقيقها لخدمة التدبر

أولاً: معنى مُصطلح.. دراسة وتحقيق

الدراسة لغة هي من "دَرَسَ الْمَنْزِلُ دُرُوسًا مِنْ بَابِ قَعَدَ عَفَا وَخَفِيَتْ آثَارُهُ وَدَرَسَ الْكِتَابُ عَتُقَ وَدَرَسْتُ الْعِلْمَ دَرْسًا مِنْ بَابِ قَتَلَ وَدِرَاسَةً قَرَأْتُهُ"[50]، وقيل "والدَّرس: بقيّة أَثَرِ الشيءِ الدّارس، والمصدر الدُّرُوس. ودَرَسَتهُ الرِّياح أي عَفَتْه. والدَّرْس: دَرْسُ الكتابِ للحِفْظ، ودَرَسَ دِراسةً، ودارَسْتُ فلاناً كتاباً لكي أحفَظَ. والدَّريسُ: الثَّوْبُ الخَلَق، وكذلك من البُسُطِ ونحوها. وقَتَلَ رجلٌ رجلاً من جُلَساءِ النُّعمان في مجلسه فأمر بقتله؛ فقال: أيقتُل الرجلُ جارَه ويُضيعُ ذِمارَه، قال: نَعَم اذا قَتَلَ جليسَه وخَضَبَ دريسه، ويجمع الدَريس على الدُّرْسان"[51]، ويقال "المِدْراس:

---

[48] معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، البغوي محيي السُّنة أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفى: 510هـ) حققه وخرَّج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ – 1997م، ج2 ص254.

[49] تفسير المراغي، المراغي، أحمد بن مصطفى (المتوفى: 1371هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ – 1946م، ج3 ص94 -95.

[50] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو (المتوفى: نحو 770هـ)المكتبة العلمية – بيروت، ج1 ص192.

[51] العين، البصري، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (المتوفى: 170هـ) كتتحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ت. ج2 ص227-228 .

الْموضع الَّذِي يُدرس فِيهِ الْقُرْآن وغيرُه، ودَرَسَتِ الجاريةُ، إِذا حَاضَت فِي بعض اللُّغَات. قَالَ أَبُو بكر: لَا أعرف الْمصدر فِيهِ. وَأهل الشَّام يَقُولُونَ: دَرَسْتُ الطعامَ فِي معنى دُسْتُه"[52]، وذكر ابن فارس في مجمل اللغة أن الدرسُ هو "الطريق الخفي. والدريسُ: الثوب الخلق، وجمعه درسان، ودرس المنزل: عفا"[53]، وعليه فإن مفهوم الدراسة بوجه عام هو الإتيان على الشيء حتى آخره بعامل مؤثر، واستحالة المدروس قديماً بالنسبة للدارسِ بوصفه صار معلوماً له.

التحقيق لغة: من "حقّق ظنه وقوله: أي صَدَّق وثوب مُحَقَّقٌ: أي مُحْكَمُ النَّسْج"[54]، ويقال "حَقَقْت" الحديثَ حَقّاً و"أحققته" تبيّنتُه حقق والأمرَ كنتُ منه على يقينٍ كذلك و"حديث-2" الرجل صدّقتُه كذلك والأمر عَليك والقضاءَ أوجبته كذلك والماشية سَمِنت كذلك و"حَقَقْت" الرجُلَ و"أحققته" وحَقّقْته داينته على الحَق"[55]، ويقال: "الحَقَق، وَهُوَ أَن يضع الفرسُ حافرَ رجله على مَوضِع حافر يَده فِي مَشْيه، وَذَلِكَ عيب يُقَال: فرس أَحَقُّ بيِّن الحَقَ"[56] وبين متابعة الشيء والتصديق نجد من يذهب إلى أن تأكيد الحق "حقَّق الرجل إِذا قَالَ: هَذَا الشَّيْء هُوَ الحقّ كَقَوْلِك: صدّق"[57]، ولا شك أن تحقيق النصوص هو إظهار أصولها الحقّة وتحقيق ارتباطها بتلك الأصول كترقيم الآيات وتخريج الأحاديث وأبيات الشعر، وتأصيل النصوص التي لم يتم أحالتها إلى مراجعها الأصلية أو تخريج أصول المعاني في متاب معين ونسبتها إلى المصادر الأقدم، وابطال شبه انقطاع النص عن أصوله "الحَقُّ: خلاف الباطل. والحَقُّ: واحد الحُقوقِ. والحَقَّةُ أخصّ منه. يقال: هذه حَقَّتي، أي حَقّي. والحَقَّةُ أيضاً: حَقيقَةُ الأمر. يقال: لَمَّا عرف الحَقَّةَ منّي هرب. وقولهم: " لَحَقُّ لا آتيك "، هو يمينٌ للعرب يرفعونها بغير تنوين إذا جاءت بعد اللام، وإذا أزالوا عنها اللام قالوا: حقًّا لا آتيك. وقولهم: كان ذاك عند حَقِّ لقاحها وحِقِّ لقاحها أيضاً بالكسر،

---

[52]جمهرة اللغة، ج2 ص627.

[53]مجمل اللغة لابن فارس، الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو (المتوفى: 395هـ) تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2، 1406 هـ - 1986م، ج1 ص322.

[54]شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، اليمني، نشوان بن سعيد الحميرى (المتوفى: 573هـ) تحقيق: حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) ط1، 1420 هـ - 1999م، ج3 ص1297.

[55]الأفعال، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي (المتوفى: 515هـ) عالم الكتب، ط1، 1403هـ -1983م، ج1 ص204.

[56]جمهرة اللغة، ج2 ص1004.

[57]تهذيب اللغة، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (المتوفى: 370هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م، ج3 ص242.

أي حين ثَبَتَ ذلك فيها. والحُقَّةُ بالضم معروفة، والجمع حُقٌّ وحُقَقٌ وحِقاقٌ. والحِقُّ بالكسر: ما كان من الإبل ابن ثلاثِ سنين وقد دخل في الرابعة، والأنثى حِقَّةٌ وحِقٌّ أيضا، سمى بذلك لا ستحقاقه أن يحمل عليه وأن ينتفع به. يقول: هو حق بين الحقة. وهو مصدر"[58]، وبذلك يكون التحقيق في الدراسات القرآنية غير جائز في حال ارتباطه بالنص القرآني مباشرة كأن نقول مثلاً: "سورة آل عمران: دراسة وتحقيق" بينما نجد الحكم يتحول إلى الجواز في حال تحقيق تفاسير أو مخطوطات تفسيرية أو مؤلفات عن علوم القرآن وما إلى ذلك.

يضاف إلى ما تقدم أن جهود التحقيق تخدم لا شك جهود العودة بالأمة إلى مستوى رفيع من التدبر لكتاب الله يؤهلها للعودة قائدة لركب الحضارة الإنسانية، لذا أصبح من الواجبات اليوم اهتمام اصحاب الشأن بتوجيه الباحثين والدراسين لتحقيق التفاسير ودراستها من زاوية التدبَر الذي من شأنه معالجة مظاهر الإنحلال والشرك ومكامن الظلال في جسد الأمة خصوصاً عندما نعلم بأن إصرار الكافرين على كفار مكة على كفرهم كان بسبب إعراضهم عن تدبُّر ما كان يعرض عليهم من القرآن، قال تعالى: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ}[59] "أي: قل يا رسولنا لكفار مكة القرآن نبأ عظيم وخبر جسيمأنتم عنه معرضون: لا ترغبون في سماعه ولا في تدبر معانيه"[60]، وهذا في تصوري كباحث؛ ما يوجب دراسة وتحقيق التفاسير من زاوية التدبُّر والتفكّر.

ثانياً: الإشتغال بالتدبُّر من علامات رضى الله تعالى

لا يشك مُسلم في أن الإشتغال بتدبُّر معاني القرآن والتفكر في أبعادها وآفاقها بهدف استنباط المزيد من فوائدها وتطبيقها في حياتنا اليومية؛ لايشك أن ذلك كله من دلائل وعلامات رضى الله تعالى من المتدبِّر المتفكِّر، قال تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ}[61]، "أي: كثيرُ البركاتِ والخيراتِ، فَمَنْ تَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ به غمرته الخيراتُ في الدنيا والآخرة؛ لأن ما سَمَّاهُ اللَّهُ مُبَارَكًا فهو كثيرُ البركاتِ والخيراتِ قَطْعًا. وكان بعضُ علماءِ التفسيرِ يقول: اشْتَغَلْنَا بالقرآنِ فَغَمَرَتْنَا البركاتُ والخيراتُ في الدنيا، تَصْدِيقًا لقوله: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ

---

[58] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407هـ، ج4 ص1460.

[59] ص67

[60] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ/2003م، ج4 ص459.

[61] ص29

مُبَارَكٌ}[62] ونرجو أن يكونَ لنا مِثْلُ ذلك في الدنيا. وهذا الكتابُ المباركُ لا يُيَسِّرُ اللَّهُ للعملِ به إلا الناسَ الطَّيِّبِينَ الْمُبَارَكِينَ، فإنه كثيرُ البركاتِ والخيراتِ؛ لأنه كلامُ رَبِّ العالمين؛ إذا قَرَأَهُ الإنسانُ وتدبرَ معانيه ففي كُلِّ حرفٍ عشرُ حسناتٍ في القراءةِ، إذا تَدَبَّرَ معانيه عَرَفَ منها العقائدَ التي هي الحقُّ، وعرفَ أصولَ الحلالِ والحرامِ، ومكارمَ الأخلاقِ، وأهلَ الجنةِ وأهلَ النارِ، وما يصيرُ إليه الإنسانُ بعدَ الموتِ، وما يُسَبِّبُ له النعيمَ الأبديَّ، وما يسببُ له العذابَ الأبديَّ، فكله خيراتٌ وبركاتٌ؛ لأنه نورٌ يُنِيرُ الطريقَ التي تُمَيِّزُ بين الحسنِ من القبيحِ، والنافعِ من الضارِّ، والباطلِ من الحقِّ، فهو كُلُّهُ خيراتٌ وبركاتٌ، مَنْ عَمِلَ به غمرته الخيراتُ والبركاتُ في الدنيا والآخرةِ، وأصلحَ له اللَّهُ الدَّارَيْنِ"[63]، إن اشتباه الحلال والحرام وتقارب المسافة بين الصواب والخطأ أحياناً، مما يوجب تمرس المسلم على تدبّر النصوص وتلمس سُبل الهداية بفهم صحيح يتفق وقواعد الفقه والفكر عند جمهور عُلماء الأمة.

المبحث الثالث: التدبُّر وأهميته من خلال آياته

المطلب الأول: التدبّر والفهم ودورهما في التمسك بالقرآن الكريم ومقاصده العامّة

أولاً: مفهوم الفَهم

ذكر الشيباني في معرض وصفه للشرب قائلاً: " الشرب: الفهم، يقال: شرب يشرب شربا، إذا فهم"[64]، فهو يحمل من دلالات تشرب الذهب بالمعلومات حول موضوع معين، ويهو يختلف عن العلم والتعلم ذلك أن "الفهم هو العلم بمعاني الكلام عند سماعه خاصة ولهذا يقال فلان سئ الفهم إذا كان بطئ العلم بمعنى ما يسمع ولذلك كان الاعجمي لا يفهم كلام العربي، ولا يجوز أن يوصف الله بالفهم لانه عالم بكل شئ على ما هو به فيما لم يزل، وقال بعضهم لا يستعمل الفهم إلا في الكلام ألا ترى انك تقول فهمت كلامه ولا تقول فهمت ذهابه ومجيئه كما تقول علمت ذلك، وقال أبو أحمد بن أبي سلمة رحمه الله: الفهم يكون في الكلام وغيره من البيان كالاشارة ألا ترى

---

[62] الأنعام 92

[63] العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى: 1393هـ) تحقيق، خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط2، 1426 هـ، ج1 ص7.

[64] مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2، 1406 هـ - 1986م، ج1 ص528.

أنك تقول فهمت ما قلت وفهمت ما أشرت به إلي، قال الشيخ أبو هلال رحمه الله: الاصل هو الذي تقدم وإنما استعمل الفهم في الاشارة لان الاشارة تجري مجرى الكلام في الدلالة على المعنى، –وقيل أن – الفرق بين الفهم والعلم: –هو أن – الفهم: تصور المعنى من لفظ المخاطب، وقيل: أدراكخفي، دقيق، فهو أخص من العلم، لان العلم نفس الادراك سواء كان خفيا أو جليا، ولهذا قال سبحانه في قصة داود وسليمان[65] عليهما السلام: {ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما....}[66]، وهنا لا بد من تحديد مقصود "مفهوم" وهل يريد به الباحث الإفهام أم الفهم بمعنى ما يمكن فهمه من جملة النص أو جملة نصوص الموضوع الواحد وأجزاءه وتراكيبه، حيث يكمن الفرق بينهما بقولهم "من لم يؤت من سوء الفهم أتى من سوء الإفهام، وقلّ من أوتي أن يَفهم ويُفهم، ورجل فهم: سريع الفهم، ولا يتفاهمون ما يقولون. وتقول: من جزع من الاستبهام، فزع إلى الاستفهام"[67]، وبناء على هذه المعطيات يكون المفهوم هو المدرك بحسب فهم السامع أو القارئ للمسموع أو المقروء، وهو بهذه الصيغة مما لا يجوز التعامل به مع نصوص القرآن الكريم لتفاوت مدارك المتخصصين، فمن يجروء على الجزم بأن ما فهمه من النّصِ هو مقصود القرآن بالتحديد؟ لكنه جائز عند إطلاقه على المتفق عليه مما فهمه وأقره جمع من المفسرين عبر تاريخ الحضارة الإسلامية، وهو ما يعرف تحديداً بالقطعي الثبوب القطعي الدلالة، عنده يمكن اعتماد هذا القطعي بوصفه مفهوم قرآني، ذلك أن "جودة الفهم: صحة الانتقال من الملزومات إلى اللوازم"[68]، والجزم بفهم معنى المفهوم يقتضي مطابقة المفهم للازمه وهو هنا قطعية ثبوت النص وقطعية دلالته، ذلك أن ظنية الدلالة تحجب قطعية المفهوم الناتج عن النص أو مجموعة النصوص .

---

[65] معجم الفروق اللغوية، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (المتوفى: نحو 395هـ) تحقيق، الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» ط1، 1412هـ، ج1 ص414.

الطبعة: الأولى، 1412هـ

[66] لأنبياء79

[67] أساس البلاغة، جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: 538هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419 هـ - 1998م، ج2 ص38.

[68] التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) كتاب ، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، 1403هـ -1983م، ص80.

ثانياً: صفة المفهوم

للإحاطة وجبت الغشارة إلى ضرورة تحديد صفة مفهوم النّص، وهل هو مفهوم موافقة أم مفهوم مخالفة، لأن "مفهوم الموافقة: هو ما يفهم من الكلام بطريق المطابقة – أما- مفهوم المخالفة: هو ما يفهم منه بطريق الالتزام؛ وقيل: هو أن يثبت الحكم في المسكوت على خلاف ما ثبت في المنطوق"[69]، حيث يضمن جملة ما تقدم اتجاه التدبُّر اتجاهاً صحيحاً يعود على المتدبِر بالفهم السليم والاستيعاب التامِّ لمعاني النصوص مما يساعد في تحقيق تطبيق مبني على إيمانٍ عميق بتلك المعاني وما تحويه من دلالات.

ثالثاً: أثر الوجهة الخاطئة للتدبر في المجتمعات المُسلمة

إذا أخذ التدبُّر وجهته الصحيحة حال بين المسلم وبين طريق أولئك الذين "اتبعوا أهواءهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا تهدون، ويزعمون أنهم هم المهتدون، وما سبب ذلك إلا الإعراض عن كتاب الله وعدم تدبر معانيه والعمل بما فيه، قال تعالى: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ}[70] ونرى كثيراً منهم مع ارتكابهم أكبر الكبائر على الإطلاق يرتكبون الكبائر ويجترحون المآثم والمظالم، ولا يبالون بالله بل يخافون المخلوق ما لا يخافون الله، فيجعلون تلك المظالم قربات يتقربون بها إلى نبي أو ولي، ويجعلون على قبره الأبنية والتوابيت وأكسية الديباج والحرير، وعلى قبته أبواب الورق ليجلب لهم نفعاً، ويدفع عنهم ضراً، ولو لم يفعلوا عادتهم تلك بل اتفق أنهم تركوها وقت فعلها فحصل لهم أو عليهم أمر مزعج ومكدر لم يسندوه إلا إليه لتقصيرهم بعدم صنيعهم. ومنهم من يأت القبر ويقف عليه ويظهر له كيس النفقة خالياً فيومي بها إليه ويكلمه بما هو فيه من الشدة والفاقة وأنه محسوب عليه، وليس فعله ذلك جهلاً بل عناداً وبغياً زاعماً أنه من الدين، ومما يرضي رب العالمين. وهذا بعينه ما يفعله جميع عباد الأوثان بأوثانهم زيادة على بذل النذور للأموات وسادنيها ليجلبوا لهم الخير ويدفعوا عنهم الشرور"[71]، إن جملة هذه المفاهيم التي لم يعد بالإمكان إنكار وجودها في المجتمعات المسلمة، لتدلل بما لا يقبل الشك على وجود اتجاهات خاطئة في فهم وتدبر معاني القرآن وبالتالي إلى سوء فهم مماثل لمقاصد الشريعة.

---

[69] كتاب التعريفات، ص224.

[70] الزخرف 36-37

[71] التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد (المتوفى: 1233هـ) دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1404هـ - 1984م، ص185.

المطلب الثاني: لا بديل عن التدبر

لا يُعدُّ تبُّر القرآن الكريم أمراً ثانوياً لإتمام الفرائض أو بناء الحضارة أو ترقية مكانة القيم الإسلامية في نفوس الناس، بل هو أساس من أُسس ما تقدم من مطالب، وفي ذات الوقت لا يكفي قراءة القرآن من غير تبُّر وهو أمر لطالما أنشغلت به العامّة ظناّ منها أنها تؤدي جميع ما عليها إزاء القرآن الكريم،إذاً "فليس معنى الانشغال بالقرآن هو كثرة قراءته باللسان دون تدبر معانيه بالعقل، أو تحريك القلب به، فهذا إن حدث فلن يحقق مقصود القرآن، وما نزل من أجل تحقيقه"[72]، " أَخْبَرَكُمْ أَبُو عُمَرَ بْنُ حَيَوَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ نُعَيْمٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ مِخْرَاقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أُنَاسًا يَقْرَأُ أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَتْ: «قَرَأُوا، وَلَمْ يَقْرَأُوا، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ لَيْلَهُ التَّمَامَ، فَيَقْرَأُ سُورَةَ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، وَسُورَةَ النِّسَاءِ، لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا اسْتِبْشَارٌ إِلَّا دَعَا اللَّهَ تَعَالَى وَرَغِبَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ إِلَّا دَعَا اللَّهَ وَاسْتَعَاذَ»[73]، وقد قسّمَ العُلماء التدبُّر إلى مراتب وجعله بعضهم الآخر ضمن مراتب التلاوة الشرعية، وقد صنّف الإمام الغزّالي (رحمه الله) في باب أعمال الباطن في التلاوة إلى عَشرِ مراتب هي: "فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عنموانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري، فالأول: فَهْمُ عَظَمَةِ الْكَلَامِ وَعُلُوِّهِ وَفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه، فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه.. الثَّانِي التَّعْظِيمُ لِلْمُتَكَلِّمِ فَالْقَارِئُ عِنْدَ الْبِدَايَةِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ يَنْبَغِي أَنْ يَحْضُرَ فِي قَلْبِهِ عَظَمَةُ الْمُتَكَلِّمِ وَيَعْلَمَ أَنَّ مَا يَقْرَؤُهُ لَيْسَ مِنْ كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فإنه تعالى قال {لا يمسه إلا المطهرون}[74] وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً فباطن معناه أيضاً بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهراً عن كل رجس ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير"[75]، وقد ميّز الغزّالي بين الفهم والتدبّر

---

[72] الجيلالموعودبالنصروالتمكين،الهلالي،مجدي،دارالأندلسالجديدةللنشروالتوزيع،مصر،ط1، 1429 هـ - 2008م،ص53

[73] الزهد والرقائق لابن المبارك، المرْوزي، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي (المتوفى: 181هـ) (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ» تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت. ص421.

[74] الواقعة 79

[75] إحياء علوم الدين، الطوسي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى: 505هـ) دار المعرفة – بيروت، د. ت. ج1 ص280-281.

وكشف تمييزه هذا عن أن التدبّر هنا هو التأمل في المفهوم بعد تحقق صحيح الفهم، وكشف ترتيبه هذا بالإضافة إلى ما تقدم؛ عن ضرورة تحقق الإخلاص ولزوم الصّدق للوصول إلى تدبر سليم لمعاني النصوص القرآنية ومفرداتها ووحداتها الموضوعية.

المطلب الثالث: وقفه مع آيات التدبر في القرآن الكريم

في ختام هذا البحث لا بد من وقفة تأمل مع آيات التدبّر في كتاب الله، وقد ورد مصدر "دبر" في صيغتين هما "يَتدبّر" و "يَدبّر" بواقع آيتين لكل واحدة منهما، ولكي نتمكن من الوقوف على شيئ من فوائد آيات التدبُّر لابد من تمريرها على واحة التفسيرلاستعراض فهم المتقدمين والمتأخرين منهم في محاولة لستقّراء ما أمكن من فوائد.

أولاً: يَتدبّر.. قال تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً}[76]، "حَدَّثَنِي يُونُسُ , قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ , قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: إِنَّ الْقُرْآنَ لَا يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا , وَلَا يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا , مَا جَهِلَ النَّاسُ مِنْ أَمْرِهِ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ تَقْصِيرِ عُقُولِهِمْ وَجَهَالَتِهِمْ. وَقَرَأَ: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}قال: "فَحَقٌّ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَقُولَ: كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ , وَيُؤْمِنَ بِالْمُتَشَابَهِ , وَلَا يَضْرِبَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؛ وَإِذَا جَهِلَ أَمْرًا وَلَمْ يَعْرِفْ أَنْ يَقُولَ: الَّذِي قَالَ اللَّهُ حَقٌّ , وَيَعْرِفَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَقُلْ قَوْلًا وَيَنْقُضَهُ , يَنْبَغِي أَنْ يُؤْمِنَ بِحَقِّيَّةِ مَا جَاءَ مِنَ اللَّهِ"[77]، فالمقدرة على التدبر مراتب تختلف باختلاف ملكات أصحابها، والقصور في قدرات البعض لا يعني من قريب أو بعيد وجود تناقض أو تعارض في الكتاب الذي تحدى قائله جميع خلقه أن يأتو بآية من مثل آياته، بل هو الحق الذي يصدق بعضه بعضاً ويحمل دلائل صدقه بين كلماته وآياته وسوره {اخْتِلَافاً كَثِيراً} "أَيْ: تَفَاوُتًا وَتَنَاقُضًا كَثِيرًا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقِيلَ: لَوَجَدُوا فِيهِ أَيْ: فِي الْإِخْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ بِمَا كَانَ وَبِمَا يَكُونُ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ فَيَعْرِفُوا -بِعَدَمِ التَّنَاقُضِ فِيهِ وَصِدْقِ مَا يُخْبِرُ -أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ مَا لَا يَكُونُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا يَخْلُو عَنْ تَنَاقُضٍ وَاخْتِلَافٍ"[78]، وقد شدّد

---

[76] النساء82

[77] جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، ج

[78] معالم التنزيل في تفسير القرآن –المسمى– تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ - 1997م، ج2 ص254.

القرآن على المتراخين في تدبّر صدقية هذا الكتاب المعجِز "ولو كان من عندك لا من عند الله الذي أرسله به لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لأسباب كثيرة:

1- أن أي مخلوق لا يستطيع تصوير الحقائق كما صورها القرآن بلا اختلاف ولا تفاوت فى شيء منها.

2- أنه حكى عن الماضي الذي لم يشاهده محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقف على تاريخه، وعن الآتي فوقع كما أنبأ به، وعن الحاضر فأخبر عن خبايا الأنفس ومكنونات الضمائر كما أخبر عما بيتته هذه الطائفة مخالفا لما تقول للرسول أو ما يقوله لها فتقبله فى حضرته وترفضه فى غيبته.

3- أن أحدا لا يستطيع أن يأتى بمثله فى بيان أصول العقائد وقواعد الشرائع وسياسة الشعوب والقبائل مع عدم الاختلاف والتفاوت فى شيء من ذلك.

4- أن أحدا لا يستطيع أن يأتى بمثله فى سنن الاجتماع ونواميس العمران وطبائع الملل والأقوام مع إيراد الشواهد وضرب الأمثال وتكرار القصة الواحدة بالعبارات"[79].

يوجّه القرآن الكريم إلى أن أولى خطوات التدبّر السليم والموصل إلى نتائج سليمة؛ هو التدبّر في صدق الكتاب الذي أمرنا أن نتدبر معانيه ونجهد أنفسنا في فهم أسراره وتطبيق أحاكمه وتوجيهاته.

وقال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[80]، "أي: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون كتاب الله وما فيه من الحجج، فيعلموا خطأ ما هم عليه مقيمون من النفاق بل على قلوبهم أقفال أقفلها الله عليهم، فهم لا يعقلون ما يتلى عليهم"[81]، وقد ذهب القرطبي (رحمه الله) إلى الاستدلال بهذه الآية على وجوب التدبّر"وَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ.. عَلَى وُجُوبِ التَّدَبُّرِ فِي الْقُرْآنِ"[82]، وقد ذكر الشعراوي (رحمه الله) من فوائد التدبُّر في تفسيره لهذه الآية "أي: لا تنظر إلى واجهة الآية فقط، بل انظر في أعماقها، ولذلك يقول لنا سيدنا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْه: «ثَوِّروا القرآن» أي: استخرجوا

---

[79]تفسير المراغي، المراغي، أحمد بن مصطفى (المتوفى: 1371هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ - 1946م، ج5 ص102.

[80]محمد24

[81]الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، المالكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي (المتوفى: 437هـ) وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ - 2008م، ج11 ص6911.

[82]الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي،القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م، ج5 ص290.

منه الكنوز بالتدبُّر؛ لأن التدبر يحمي من حماقة التفكير"[83]، نعم إن حماقة التفكير هي ما تودي بالإنسان إلى شتى المهالك، مع أنه يظن أحياناً أن في تلك المسالك النجاة التامّة والخلاص الأكيد، لذا نصحّ عُلماء الأمة (رحمهم الله) بالتدبّر في كتاب الله بغية تجنب منزلقات خطيرة ربما عرضت للمرء مراتٍ عدةٍ في اليوم الواحد، وربما أودت بمصير أمةٍ بأسرها إذا تواطئ معظم أفرادها على ترك التدبّر واتّباع الأهواء.

ثانياً: يَدَّبّر، من المعلوم أن الزيادة أو النقصان في المعنى تقابلها حالة مماثلة في المبنى[84]، وبينما جاءت الآيات السابقة بصيغة (تَفعّلَ) جاءت هذه الأبيات بصيغة (فَعَلَ) وقد حذفت التاء لبيان مراتب "التدبُّر" وأنه من لم يسعه ذلك فعليه أن "يدّبر" على أقل تقدير، إذا لا مناص للعاقل الطالب للنجاة في دنياه وأخراه من التدبّر ولو بالحدود الدنيا لهذا الفعل، وقد أشار أهل البلاغة إلى موضوع الذكر والحذف ومنه ذكر حرف او حذفه إلى ما يدلل قطعاً على وجود علاقة أكيدة بين الذكر والحذف وبين المعنى المطلوب من سعة إلى ضيق ومن يُسر إلى صعوبة وما إلى ذلك من مرادفات[85].
قال تعالى: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ}[86]، "أفلم يستمعوا القرآن"[87]، ولما كان الاستماع من أدنى مراتب التدبّر..... "(أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ)، أي: القرآن، ليعلموا حقيته، (أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ): من الرسول والكتاب، يعني إرسال هذا الرسول إليهم ليس ببدع، فإنه مثل ما أرسلنا إلى آبائهم الأقدمين، وأم منقطعة، أي: بل جاءهم ما لم يأت آباءهم فلذلك أنكروا"[88]، وحتى باعتبار "أم" متصلة فالمعنى يكون.. أم جائهم ما لم يأتي آبائهم الأولين من الأدلة على صحة اعتقادهم وهجرهم لدين التوحيد، "إن مثل ما جاء به محمد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لا يملك من يتدبره أن يظل معرضا عنه، ففيه من الجمال، وفيه من الكمال، وفيه من التناسق، وفيه من الجاذبية، وفيه من موافقة الفطرة، وفيه من الإيحاءات الوجدانية، وفيه من غذاء القلب، وفيه من زاد الفكر، وفيه من عظمة

---

[83] الخواطر - تفسير الشعراوي، الشعراوي، محمد متولي (المتوفى: 1418هـ) مطابع أخبار اليوم، د. ت. ج12 ص7184.

[84] ينظر إسفار الفصيح، الهروي، محمد بن علي بن محمد، أبو سهل (المتوفى: 433هـ) تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ، ج1 ص176.

[85] ينظر التعبير القرآني ص75-124.

[86] المؤمنون68

[87] تفسير مقاتل بن سليمان، البلخى، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (المتوفى: 150هـ) تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط1،- 1423 هـ، ج3 ص161.

[88] جامع البيان في تفسير القرآن - تفسير الإيجي ،الإيجي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الشافعيّ (المتوفى: 905هـ) دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1424 هـ - 2004م، ج3 ص92.

الاتجاهات، وفيه من قويم المناهج، وفيه من محكم التشريع.. وفيه من كل شيء ما يستجيش كل عناصر الفطرة ويغذيها ويلبيها «أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ» إذن؟ فهذا سر إعراضهم عنه لأنهم لم يتدبروه"[89]، وفي ذلك أبلغ رسالة للأمة في ضرورة أخذ ما يلزم من الاستعداد والأدوات لتحقيق تدبّر يليق بمقام كتاب الله بل ويليق بالله جلَّ شأنه.

قال تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ}[90]، لقد أستدلّ بعض علماء الأمة بهذه الآية في حديثهم عن عدم شمول تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم) "إذ لو قلنا بتفسير رسول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ – القرآن كله لما كان هناك داع لدعوة القرآن إلى تدبر آيات اللَّه فيه (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)، ولما كان للتحذير الشديد والوعيد القاصم للذين لا يتدبرونه في قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (23) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[91]،)، من قيمة"[92]، وقد كان للإقران بين البركة والتدبّر دلالة واضحة على أن علاقة التدبَّر بالبركة علاقة تلازم "سماه: مباركًا؛ لأن من اتبعه وتمسك به وعمل بما فيه صار شريفًا مذكورًا عند الناس عظيما على أعينهم وقلوبهم، وذلك عمل المبارك أن ينال كل بر وخير يكون أبدًا على الزيادة والنماء، واللَّه اعلم"[93]، "كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ أي هذا كتاب يعني القرآن أنزلناه إليك مُبارَكٌ أي كثير خيره ونفعه لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ أي ليتدبروا ويتفكروا في أسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه في أوامره ونواهيه وَلِيَتَذَكَّرَ أي وليتعظ أُولُوا الْأَلْبابِ أي ذوو العقول والبصائر"[94]، ولا تعارض بين بين التفسير التدبّر بالنظر وطول التأمل بهدف تحقيق التعبّد على أتم وجه؛ وبين تفسيره اتباع الأوامر والنواهي إذا لا يكون الإتّباع الحَق إلا بالتدبّر الحَق. "عَقِبَ الْإِمْعَانِ فِي تَهْدِيدِ الْمُشْرِكِينَ وَتَجْهِيلِهِمْ عَلَى إِعْرَاضِهِمْ عَنِ التَّدَبُّرِ بِحِكْمَةِ الْجَزَاءِ وَيَوْمِ الْحِسَابِ عَلَيْهِ وَالِاحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ، أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْ خِطَابِهِمْ وَوَجَّهَ الْخِطَابَ إِلَى النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالثَّنَاءِ عَلَى الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ، وَكَانَ هَذَا الْقُرْآنُ قَدْ بَيَّنَ لَهُمْ مَا

---

[89] في ظلال القرآن، قطب، سيد إبراهيم حسينالشاربي (المتوفى: 1385هـ) دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط17،- 1412 هـ، ج4 ص2474.

[90] ص29

[91] محمد23 - 24

[92] تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ج1 ص205.

[93] تفسير الماتريدي(تأويلات أهل السنة) ج8 ص623.

[94] لباب التأويل في معاني التنزيل– تفسير الخازن، الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف (المتوفى: 741هـ) تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415 هـ، ج4 ص40.

فِيهِ لَهُمْ مَقْنَعٌ، وَحِجَاجًا هُوَ لِشُبُهَاتِهِمْ مَقْلَعٌ، وَأَنَّهُ إِنْ حَرَمَ الْمُشْرِكُونَ أَنْفُسَهَمْ مِنَ الِانْتِفَاعِ بِهِ فَقَدِ انْتَفَعَ بِهِ أُولُو الْأَلْبَابِ وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ. وَفِي ذَلِكَ إِدْمَاجُ الِاعْتِزَازِ بِهَذَا الْكِتَابِ لِمَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَلِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَاهْتَدَى بِهَدْيِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"[95]

بعد هذه الوقفة الموجزة مع الآيات الكريمة ذكرت "التدبّر" صراحة يمكننا الخلوص إلى الآتي:-

1- يُعدُّ تدبّر القرآن الكريم وسيلة فاعلة لدفع التعارض الظاهر بين النصوص.

2- التدبّر واجب شرعية وأمر إلهي، وحصانة من السفه والحمق، وأداة للوقوف على أصحّ المعاني لمفردات وآيات وموضوعات القرآن الكريم.

3- اختلف المفسرون في تصنيف التدبر بحسب زاوية نظرهم لهذا الموضوع لكنهم اتفقوا على وجوبه وأثره في صياغة العقل المسلم.

4- مراتب التدبّر المتعددة تشير إلى أهمية تحقيق الوجوب الشرعي لهذه العبادة.

فائدة:

من خلال متابعة نتائج بحث مُصطلح "تدبّر القرآن" على أشهر ثلاثة محركات بحث على شبكة الإنترنت (Google – Bing - Yahoo) يتبين لنا بوجه آخر أهمية مصطلح "تدبّر القرآن" وضرورة البحث فيه بوصفه أحد علوم القرآن وإن لم يكن قد عُرف بوصفه علماً مستقلاً حتى اليوم.

Google	421,000
Yahoo	102,000
Bing	34,200

[95] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»عاشور بن، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى : 1393هـ) الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ، ج23 ص251.

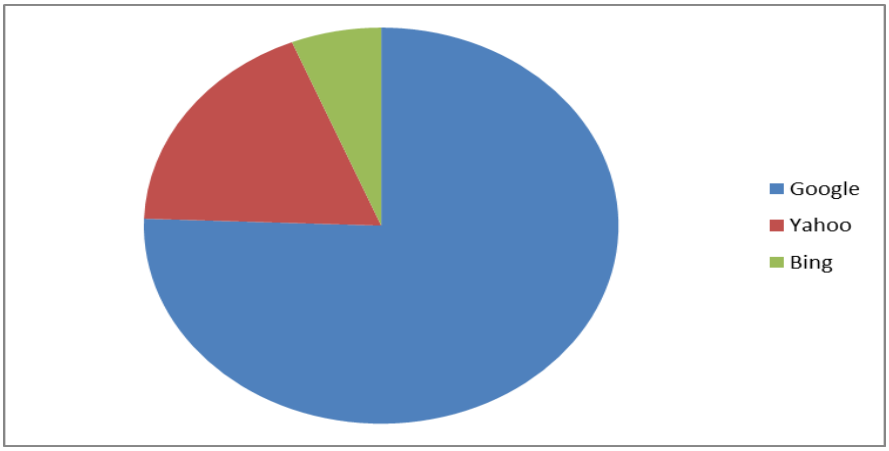

أشارت القراءة الأولية لنتائج البحث على المحركات الثلاث إلى وجود تفاوت واضح يعود غالباً إلى تفاوت شهرة وعدد مستخدمي هذه المحركات، لكنه يشير إلى أهمية الموضوع.

الخاتمة

تركز البحث حول محورين رئيسين أولهما: دور وأثر المصطلح المستعمل في الدراسات القرآنية في التدبّر، والثاني: عن بعض دقائق موضوع التدبّر بصفة مباشرة، وقد عرض البحث عدّة مفاصل مما يتعلق بموضوعه الذي يفصح عنه العنوان الرئيس، لبيان إشكاليات موضوع التدبّر والتي تمثلت في فهم قاصر أو تطبيق خاطئ لحدود التدبّر أو حكمه أو أهميته، وقد توصل البحث إلى أن التدبّر واجب شرعي لا يقل عن بقية واجبات الشريعة لما له من دور في تنقية العقل المسلم من بواعث السَفَه وأسباب الجهل ونوازع الشياطين وسوء الفهم لكتاب الله.

أفضى البحث في موضوع "تدبّر القرآن الكريم" إلى جملة توصيات تمثلت بالآتي:

التوصيات:

1- تسليط المزيد من الأضواء على أهمية معرفة فن استعمال المصلحات في الدراسات القرآنية، لاسيما الدراسات المتعلقة بالتدبّر.

2- بذل الجهود المؤسسية وتوسيعها لنشر ثقافة التدبّر والتعريف بوجوبه من الناحية الشرعية.

3- محاولة تنسيق الجهود العلمية وتبويبها لرفد مسيرة نشر ثقافة التدبّر بين أبناء الأمة المسلمة.

4- حث العُلماء والأساتذة طلبة العلوم الشرعية على تنفيذ الدراسات التطبيقية المتعلقة بتدبّر القرآن الكريم.

5- مفاتحة الجامعات والمعاهد الإسلامية من قبل إدارة المؤتمر لتضمين برامج الدراسات الإسلامية وخصوصاً في أقسام الدراسات القرآنية والدعوة؛ مساقات خاصّة بموضوع تدبّر القرآن الكريم.

مصادر البحث

المصدر الأول القرآن الكريم

التفاسير

الإيجي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الشافعيّ (المتوفى: 905هـ) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1424 هـ - 2004م.

البغوي محيي السُّنة أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفى: 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) حققه وخرَّج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ - 1997م.

البلخى، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (المتوفى: 150هـ) تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط1،- 1423 هـ.

الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم (المتوفى: 774هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م.

الشعراوي، محمد متولي (المتوفى: 1418هـ)تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم، د. ت.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى: 1393هـ) العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، تحقيق، خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط2، 1426 هـ.

طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1، 1998م.

عاشور بن، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى : 1393هـ)التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671هـ) الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (المتوفى: 333هـ) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) تحقيق:د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ - 2005م.

محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن –المسمى- تفسير البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ - 1997م.

المراغي، أحمد بن مصطفى (المتوفى: 1371هـ) تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ - 1946م.

المصادر والمراجع:

ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (المتوفى: 840هـ) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1987م.

أبو عاصي، محمد سالم، علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، دار البصائر – القاهرة، ط1، 1426 هـ - 2005 م.

أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (المتوفى: 370هـ) تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م.

أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: 1384هـ)، من بلاغة القرآن، نهضه مصر – القاهرة، 2005م.

أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي

أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) مجمل اللغة لابن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2، 1406 هـ - 1986م.

الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (المتوفى: 321هـ) جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الأولى، 1987م.

البصري، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (المتوفى: 170هـ) كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ت.

تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، 1403هـ -1983م.

التهانوي ، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (المتوفى: بعد 1158هـ) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط1، 1996م.

التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (المتوفى: بعد 1158هـ) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط1، 1996م.

جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: 538هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419 هـ - 1998م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: 816هـ) كتاب التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، 1403هـ -1983م.

الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ/2003م.

الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو (المتوفى: 395هـ) مجمل اللغة لابن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2، 1406 هـ - 1986م.

الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء (المتوفى: 1094هـ) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، د.ت.

الحنفي، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل (المتوفى: 683هـ) الاختيار لتعليل المختار، مطبعة الحلبي – القاهرة، 1356 هـ - 1937م.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف (المتوفى: 741هـ) لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415 هـ.

الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو (المتوفى: 444هـ) الفرق بين الضاد والظاء فى كتاب الله عز وجل وفى المشهور من الكلام، تحقيق: حاتم صالح الضّامن، دار البشائر – دمشق، ط1، 1428 هـ - 2007 م.

الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني (المتوفى: 1425هـ) البلاغة العربية، دار القلم، دمشق- الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996م.

رمضان، أحمد فتحي، حسن، آلاء أحمد، حسن التخلص في القرآن الكريم: دراسة بلاغية، مجلة جامعة تكريت/ مجلد 15، العدد 2، 2008م. وينظر كذلك، السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، دار عمار، عمان – الأردن، ط4، 1427هـ - 2006م.

الشافعي، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (المتوفى: 977هـ) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، 1285 هـ.

الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد، الإيمان بالله جل جلاله، دار ابن كثير – سوريا، ط1.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ)جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م، ط1، 1412هـ.

الطوسي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى: 505هـ) إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت، د. ت.

العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو (المتوفى: نحو 770هـ)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت.

عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد (المتوفى: 1233هـ) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1404هـ - 1984م.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (المتوفى: نحو 395هـ) معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين،ط1، 1412هـ.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (المتوفى: نحو 395هـ) الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، د. ت.

علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي (المتوفى: 515هـ) كتاب الأفعال، عالم الكتب، ط1، 1403هـ -1983م.

علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) كتاب التعريفات

عُمر، أحمد مختار عبد الحميد (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429 هـ - 2008م.

الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى: 393هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407هـ.

قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ) في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط17،- 1412 هـ.

الكومي، أحمد السيد – القاسم، محمد أحمد يوسف، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ط1، 1402هـ - 1982م.

المالكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي (المتوفى: 437هـ) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ - 2008م.

مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى (المتوفى: 711هـ) دار صادر – بيروت، لسان العرب، ط3- 1414 هـ.

المَرْوَزي، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي (المتوفى: 181هـ) الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ» تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت.

مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ - 1989م.

منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو (المتوفى: 370هـ) تهذيب اللغة، تحقيق، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م

المنيع، ناصر بن محمد، التفسير الموضوعي في الرسائل العلمية: دراسة ونقد، بحث منشور على الإم=نترنت، وهو ورقة علمية مقدمة إلى مؤتمر التفسير الموضوعي: واقع وآفاق، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، 1431هـ - 2010م.

نوريس، كريستوفر، التفككية النظرية والممارسة، ترجمة: د. ثبري محمد حسن، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، 1410م، 1989م.

الهروي، محمد بن علي بن محمد، أبو سهل (المتوفى: 433هـ)إسفار الفصيح، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ.

الهلالي، مجدي الجيل الموعود بالنصر والتمكين، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1429 هـ - 2008م.

اليمني، نشوان بن سعيد الحميرى (المتوفى: 573هـ)شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم تحقيق: حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) ط1، 1420 هـ - 1999م.

التحصينات الدّفاعية الإسلامية ببجاية

الدكتور: عزوق عبد الكريم
جامعة الجزائر2 – الجزائر

الملخّص:

تناول موضوع البحث التحصينات الدّفاعية التي عرفتها مدينة بجاية بالمغرب الأوسط في العهد الإسلامي منذ تأسيسها سنة (460 هـ/1067 م) في عهد الناصر بن علناس الحمادي و هذا بعد خراب قلعة بن حماد بالمسيلة إلى أواخر الحكم العثماني، و تشمل كلّ من القلاع و الحصون و الأبراج و الأسوار و الأبواب و غيرها و التي ما زالت قائمة لحد الآن و تؤرّخ لكل فترة من الفترات التاريخية التي عرفتها المدينة في العهد الإسلامي، مركزين الدّراسة على الناحيتين التاريخية و الأثرية لكلّ معلم من المعالم الأثرية الباقية، محاولين استنتاج أهم المميّزات التي امتازت بها التحصينات الدّفاعية للمدينة موضوع الدّراسة، و على تطور الأساليب الدّفاعية و الهجومية و آلات الحصار المستخدمة، كما توحي أيضا هذه الإستحكامات بمدى تقدّم العمارة العسكرية في المغرب الأوسط من حيث مواد بنائها واستراتيجية إقامتها كما تعطينا أيضا صورة واضحة و نموذجا لتحصينات المدن الإسلامية في المغرب الأوسط.

الكلمات الدّالة :بجاية، تحصينات، عسكرية، قلاع، حصون، أسوار، أبراج

Summary:

This present work deals with the defensive fortifications known in Bejaia, in the middle Maghreb, during the Islamic era since its foundation in (460 AH / 1067 AD).This was during the reign of Nasser Bin Alnas El Hammadi; exactly after the destruction of Beni Hammad castle in Msila until the late Ottoman rule. These include all castles, forts, towers, fences, doors and others which remain standing today chronicling each of the historical periods that this city had witnessed in the Islamic era. The focus of this study is on both historical and archaeological aspects of each remaining archaeological monuments, trying, thereby, to consider the most important features that characterized the defensive fortifications of the city in question. And on the development of defensive and offensive methods and war machines for sieges used. These fortifications reveal the degree of military architecture's evolution in Central Maghreb in terms of construction materials, and the establishment strategy .it also provides us with a clear picture and a model of fortifications of Islamic cities in Central Maghreb.

Key words: Bejaia, fortifications, military, castles, forts, fences, towers

مقدمة:

تعتبر مدينة بجاية التي تقع في الناحية الشمالية الشرقية للجزائر و التي تبعد بحوالي 230 كلم شرق العاصمة الجزائرية، من العواصم الإسلامية التي أدّت دورا كبيرا في تاريخ المدن الأثرية الإسلامية بالمغرب الأوسط لما قدّمته من إسهامات في مجال العمارة و العمران للحضارة الإسلامية، و لعلّ ما تبقّى من معالمها الأثرية التي تعود إلى مختلف الفترات التي عرفتها المدينة في العهد الإسلامي خير دليل على ذلك.

تعتبر التحصينات الدّفاعية إحدى المعالم الأثرية التي مازالت تحتفظ بها المدينة من أبواب و أسوار و قلاع و حصون و ذلك منذ تأسيسها على يدّ الناصر بنو علناس الحمّادي سنة (460هـ/1067م) بعد هجرة الحماديين من قلعة بني حمّاد بالمسيلة إلى بجاية العاصمة الثانية لهم و التي كانت تعرف آنذاك بالنّاصرية نسبة لمؤسّسها، دون أن ننسى العهد الموحدي و الحفصي و العثماني وكلّها فترات تاريخية مرّت بالمدينة و تركت بصماتها واضحة في تاريخها و حضارتها. و عليه فإنّ هذه الدّراسة تتناول ما تبقى من المنشآت العسكرية بالمدينة، و التي تعود إلى الفترات التاريخية المذكورة.

تعريف المنشآت العسكرية:

يقصد بالمنشآت العسكرية، تلك الاستحكامات التي أنشأت لغرض دفاعي بالدرجة الأولى وبمختلف أنواعها، ومنها: المحارس والأبراج، والقلاع والمناظر، والمنارات والأسوار والخنادق والأربطة والحصون والقصبات التي تجمع سكن السلطان مع إدارته ودواوينه، ولها جانب دفاعي بحيث تحاط عادة بالأسوار لعزل الحاكم عن رعيته. وقد لجأ الحكام في العهد الإسلامي إلى تحصين جميع النقاط التي تتحكم في مداخل المدن والموانئ ويبنون الحصون والقلاع على أقرب مرتفع يشرف على المدينة وتتخذ كصمام أمان.

إن المنشآت العسكرية لها صلة قوية بالدين الإسلامي، بحيث أنه يقدس حياة الفرد وحياة الجماعة، وإزهاق الروح في الإسلام حرام مطلق طبقا لقوله تعالى:" منْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا" (المائدة- الآية32)، مما استوجب على المسلمين العمل على حماية هذه الأرواح للأفراد والجماعات، وهذا لا يتم إلا بإقامة منشآت دفاعية من جهة، ومن أجل الحماية من الغزوات الخارجية من جهة أخرى.

و تشير المصادر مثل "ابن حوقل" و "الإدريسي" و "البكري" في أكثر من موضع على أنّ المسلمين قد بنوا سلسلة من المباني العسكرية من أقصى الشمال الغربي للشام على شريط المحيط الأطلسي، وانه يمكن الهجوم على العدو في ليلة واحدة من عكة بفلسطين إلى سبتة وطنجة بالمغرب الأقصى.

ومن ضمن الوسائل التي يتم فيها الاستشعار بقدوم العدو، إشعال النيران ليلا، وإثارة الدخان أو الحمام أو المرايا العاكسة نهارا. وقد كانت هذه المنارات والمحارس مبنية بطريقة يمكنها من مشاهدة ما يعطيها البرج أو المنارة من معلومات.

أما من الناحية الطبوغرافية، يتدرج الحوض الغربي عن الشرقي تدريجيا بطريقة تسمح ببناء المنارات التي تكون سلسلة متتالية.

والواقع أن هذه المباني كلها موجودة في السواحل وفي المدن في فترات متتالية من العصر الإسلامي.

ومع مطلع القرن 3هـ/9م أصبح المسلمون سادة البحر إثر حملة "أسد بن الفرات[1]" أولى الحملات التي مكنت المسلمين من النيل من الأعداء سنة 212هـ/827م وجاء على إثرها بناء دار لصناعة السفن في عهد "حسان بن النعمان"، وبعد التمكن على البيزنطيين أصبح البحر المتوسط حوضا إسلاميا من شرقه إلى غربه.

وما زال المغرب الأوسط (الجزائر) محتفظا ببعض النماذج حول وجود العمارة العسكرية، ممثلة في قلعة بني حماد ذات الصبغة العسكرية وموانئ الجزائر كهنين وبني صاف والغزوات بنواحي تلمسان، وكذلك تلمسان الحاضرة في العهد المرابطي، وأغادير وما كان يحيطها من أسوار وأبراج مازالت آثارها لحد الآن، وبجاية التي احتفظت ببعض النماذج التي سنتعرض إليها لاحقا بالدراسة والتفصيل.

وما تجدر الإشارة إليه أن المصادر التاريخية تذكر لنا الكثير، لكن معظمها اندثر مع عدم الاستقرار الذي عرفه المغرب الإسلامي لأنها كانت العمارة المستهدفة بالدرجة الأولى.

إن دراسة المعالم العسكرية تعني دراسة تقنية وأساليب الحرب، وتطور السلاح الذي يقابله تطور في المنشآت العسكرية بمختلف أنواعها من حيث تخطيطها المعماري وعناصرها ومواد البناء المستعملة فيها. ولقد شهد المغرب الإسلامي تطورا على درجة كبيرة من الأهمية مما يدل على الصراع والهجوم الذي تعرض له في جميع فتراته، ما اندثر من تلك المنشآت تحتفظ بذكره ووصفه بطون كتب الرحالة والمؤرخين والجغرافيين وما هو قائم يمكننا من خلاله تتبع ذلك التطور.

1- حصن القصبة:

يذكر "حسن الوزان"[2] أن الإسبان بعد دخولهم بجاية قاموا بتحصين قلعة قديمة مجاورة للبحر بجانب دار الصناعة، ولعل المقصود منها قصبة بجاية اليوم، لكن هناك بعض المعالم الدالة على أن القصبة كانت موجودة قبل العهد الموحدي ببجاية (6 هـ/12م) وهو تاريخ دخولها من طرف "عبد المؤمن بنو علي مؤسّس دولة الموحدين" سنة 547هـ/1152م.

ويغلب على الظن أن عمارة القصبات قد ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي منذ العهد الموحدي، أما قبله فليس لنا من النصوص التاريخية ما يذكر هذه القصبات، وقد تكون قصبة بجاية حيّا من أحياء الدّولة الحمادية (5هـ/11م) ضمن الأحياء الواحد والعشرون التي كانت تحتفظ بها المدينة، ثم بقدوم الحملة الموحدية تحولت إلى قصبة

[1]- أسد بن الفرات (توفي سنة 231هـ/828م)، فقيه خراساني الأصل تولى القضاء في القيروان فتح صقلية، و له "الأسدية" في فقه المالكية.

[2]- حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمة أحميدة عبد الرحمن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 51.

وهي مقر الحكم لدى الموحدين، ثم أصبحت فيما بعد مقرا للدولة الحفصية حيث كان يتم فيها تقليد وتنصيب الأمراء وتتويجهم بوشائح الحكم فيها[3].

إن دار الصناعة الحمادية كان مقرها بالقصبة، ولنا أن نتساءل إن كان يحميها أبراج أو حصن صغير أم أن القصبة التي كانت في تلك الفترة في نطاق ضيق، ثم توسعت فيما بعد لتشمل منشآت معمارية أخرى خاصة في العهد الموحدي.

أما من حيث الموقع فهي تشرف على البحر من جهة، ومحمية من ناحية البر من جهة أخرى، كما أنها محمية من جهة البحر عن طريق حصن البحر المعروف ببرج سيدي عبد القادر، كما أنها أيضا محمية عن طريق الأبراج المنتشرة عبر السور، وكانت هذه الأبراج تتخذ أماكن مرتفعة من المدينة. والواقع أن مدينة بجاية محمية طبيعيا بسلسلة الجبال والتلال المحيطة بها من الشمال الغربي إلى الجنوب، ومن الجهة الشرقية للمدينة واد الصومام الذي ينبع من جبال و مرتفعات جرجرة جنوبا و الذي يعتبر عائقا يصعب اجتيازه[4]. تعتبر قصبة بجاية من الحصون الأكثر أهمية في المدينة وذلك من حيث موقعها على هضبة مرتفعة في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة، ومن حيث المساحة التي تشغلها، إذ أنّ شكلها العام عبارة عن مستطيل تقدر أبعاده بـ 155م طولا و70م عرضا[5] ولقد طرحت إشكالات حول تأريخها كما سبق الذكر، فـ"دوبيلي" مثلا يرجعها إلى العهد الإسباني، أمّا الآخرون فيرجعونها إلى عهد الموحدين[6]، وإن كنا نميل كثيرا إلى الطرح الثاني لأن الصور القديمة التي تعود إلى فترة استيلاء الإسبان على بجاية توضح وجود هذه المنشأة داخل الأسوار الحمادية بأبراجها التي يحتمل أنها تعود إلى الفترة الموحدية ولقد عرفت القصبة بعض التغييرات في عصور لاحقة، لكن الجهة الأصلية منها هي تلك الواقعة في الجهة اليسرى، وفي الجنوب الغربي للسور نظرا للتجانس الكبير فيما بينها. اما الجهة المقابلة للبحر فعرفت بعض التغييرات وذلك بمواد بنائية مسترجعة تعود إلى مختلف العهود التي عرفتها المدينة، وذلك بتعرضها لضربات المدفعية.

وللقصبة بابان: واحدة رئيسية تؤدي إلى المدينة، والأخرى ثانوية تؤدي إلى السهول المحيطة بها[7].

تعرضت القصبة للهدم سنة 1510م عندما اقتحم "بيدرو نافارو" بجاية بجيش قوامه 15000 رجل أمام العدد القليل من السكان الذي كان يقدر آنذاك بحوالي 8000 ساكن، ثم وضع حاميات عسكرية في الحصون القائمة لحراسة المدينة[8]، وكان يعرف حصن القصبة باسم (Le grand château). وفي العهد العثماني حاصر

---

[3]- نفسه، ص20.

[4]- Louis Salvator de Habsbourg, Bougie la perle de l'Afrique du nord, traduction de Viviane Jambert, France, 1999. p65.

[5]- Naima (Abderrahim), Essai de restitution urbaine de la ville de Bejaia, thèse de Magistère. EPAU, Alger 2002, p65.

[6]- Brunschving (R), **La berberie orientale sous les Hafsides de l'origine a la fin de XI siècle**, TI et II, maisonneuve, Paris, 1940-1947, p379.

[7]- Naima Abderrahim, op.cit, p103.

[8]- علي خلاصي، **التنظيمات والمنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2004، ج1، ص308.

"صالح رايس[9]" مدينة بجاية سنة 963هـ/1555م، واتخذ من القصبة مقرا له أين كان يقيم (دون ألفونسو بيرالت Don Alfonse Peralte) مع بقية الجيوش. وبعد 1555م رممت الأسوار ودعمت الواجهة الأمامية، أما ممشى الحرس الذي كان يعلو أسوار القصبة فقد تهدم، ويتخلل الأسوار المتبقية من القصبة فتحات للرمي على شكل مزاغل حدد سمكها بـ 1,20م، وهي مبنية بالحجارة من الأسفل وبالآجر وبطبقة من الملاط بالقسم الأعلى، أما سمك الجدار في بعض الأماكن فقد حدد بحوالي 5م، أما في الجهة الجنوبية يبدو جدار التحصين بسيطا جدا نظرا لعلو المكان واستحالة الوصول إلى الأعلى، إذ يصل الارتفاع حوالي 50م عن مستوى سطح البحر، ويمتد من الشرق إلى الغرب في شكل تعرجات.

ولقد بينت بعض التنقيبات الأثرية التي أجريت على القصبة على وجود بعض الآبار والخزانات التي تتوزع على جميع مرافق وأقسام القصبة، والتي كانت تتزود منها بالماء وتشير المراجع إلى أن بها خمس خزانات تتسع لمائتي ألف لتر من الماء[10].

كانت المباني في القصبة تتوزع من الشرق إلى الغرب وفي نطاق تدرجي (صورة 01)، وتتكون القصبة من القاعدة الجنوبية الشرقية والمقابلة للبحر، وكانت قديما تحمي دار الصناعة، ومن آثار هذه الواجهة برج مربع الشكل في الجهة الشمالية الشرقية. ويعتقد الأستاذ "خلاصي" على أنه يعود إلى الفترة الحمادية[11]، ويبدو في الجدار الشرقي آثار غرفة للمراقبة بها فتحات التسديد ولم يبق منها إلا ممشى الحرس وبعض الشرّافات والمزاغل.

أما عن مواد البناء بالقصبة، فهي مبنية على حجر أساس كبير على شكل مداميك رومانية قديمة وأسوارها مزودة بأبراج وحصون، وتعتبر نموذجا حيا للعمارة الدفاعية في مدينة بجاية، إذ كانت تشكل مع القلاع الأخرى نقطة اتصال دقيق لمراقبة المدينة من أي عدوان خارجي خاصة في تلك الفترة التي تميزت بعدم الاستقرار، هذا ويعلو المدخل كتابة تشير إلى تاريخ بنائها (صورة 02).

2- حصن سيدي عبد القادر:

يعرف الحصن أيضا باسم "حصن البحر"، وأعيد بناؤه من طرف الإسبان ويعود تاريخه إلى العهد الحمادي (5هـ/11م) والحفصي (8هـ/14م)، حيث كان برجا للمراقبة آنذاك، ويقع في الحدود الجنوبية الشرقية للمدينة، ويسمح له موقعه الجغرافي بمراقبة الساحل المشرف على شاطئ سيدي يحي، والطريق المؤدية إلى القصبة.

يقع الحصن على قمة هضبة صخرية ويتخذ شكلا يقترب من المستطيل (شكل 01) وتقابل واجهته الجنوبية جهة البحر مشكلة عرض المستطيل، أما الضلعان المستطيلان فيتجهان جهة الشمال ويسمحان بمراقبة فعالة على الجهة الغربية ناحية شاطئ سيدي يحي. أما الجهة الشمالية من الحصن فتتخذ شكلا منحنيا يسمح بمراقبة واسعة ناحية الجبال المقابلة.

---

[9]-صالح رايس، تولى الحكم في شهر جمادى الأولى سنة 959هـ/1552م، وهو أوّل حاكم عربي يحكم الجزائر باسم الأتراك.

[10]- Louis Salvator, op.cit, p 65.

[11]- علي خلاصي، مرجع سابق، ص306.

تضرب جدران الحصن في البحر، وهي من مادة الحجارة الكبيرة، وأحيانا من الحجارة المتقنة القطع من مختلف الأحجام (صورة 03). تقدر مقاسات الحصن بحوالي 56م طولا و18م عرضا[12]، ويتكون من طابق أرضي به أربع غرف تحوي الواحدة منها حوالي خمسين رجلا، وعلى مساحة مسطحة علوية ناحية حدود المستطيل المقابل للجبال ناحية الشمال، وهذه المساحة العلوية بها شرافات وهي مخصصة للخيالة، ويتخللها أربعة عشر فتحة موزعة على مختلف الجهات من الحصن، هذا بالإضافة إلى طابق تحت الأرض، توجد فيه مخازن مغطاة بأقبية وضيقة وعلى مستويات مختلفة وتتصل فيما بينها بواسطة ممرات وسلالم. أما واجهات الحصن من الخارج فهي مسطحة وخالية من الفتحات نحو الخارج. كان الحصن في القديم بموقعه الإستراتيجي يحمي قصر اللؤلؤة في العصر الحمادي، ثم اختاره الإسبان لغلق جدار التحصين، وكان يمتاز بتشييده على مسطحات تنحدر من الغرب إلى الشرق، وفتحت بجدار التحصين فتحات للقناصة تسمح بعرقلة رجال الحملة من نزول البر أو الاقتراب من المرسى[13].

وحصن سيدي عبد القادر بشكله هذا يختلف كليا عن حصن القصبة وحصن برج موسى من حيث الشكل والتخطيط. أما عن مواد بنائه فهي الحجارة المصقولة، ثم ألصقت ببعضها البعض بطريقة فوضوية، ويغلب على الظن أن تكون هذه الحجارة مجلوبة من مبان رومانية قديمة بالمنطقة، كما كان يحتوي على خزانات للمياه[14]، ولقد تعرض الحصن لبعض الاهتزازات الناجمة عن الزلزال الذي ضرب المدينة في شهر أغسطس من سنة 1856م[15].

3- برج موسى:

يعتبر من أحسن الحصون التي مازالت محافظة على شكلها المعماري، والتي مازالت قائمة لحد الآن، ولقد أضيفت له بنايات في سطحه العلوي تعود للحقبة الفرنسية.

بني برج موسى على أنقاض قصر النجم الذي كان "المنصور" قد شيده ويعتبر ضمن القلاع الهامة في بجاية (صورة 04)، ولقد احتل موقعا إستراتيجيا يشرف من خلاله على الميناء من جهة، وعلى القصبة وبرج سيدي عبد القادر من جهة أخرى، ولقد بني بطريقة جد محكمة، ويتخذ شكله العام مربعا على جانبيه إضافات على شكل جناحين من ناحية الشرق والغرب (شكل 02).

أما عن الموقع الذي احتله برج موسى فقد سحر كل الدويلات التي تعاقبت على حكم بجاية من الرومان إلى الفرنسيين، مما جعله يؤدي دورا بارزا في تاريخ المدينة. ففي العهد الروماني كانت المنطقة محمية بنقطتين حراسيتين تعرفان فيما بعد ببرج موسى وبريجة. أما في العهد الحمادي فنتج عن التطور المعماري الراقي لمدينة بجاية، بناء مجموعة من القصور ومن بينها قصر النجمة الذي يشغل مكانه اليوم برج موسى الذي كان يعرف في العهد الإسباني باسم (Le fort imprerial)، وذلك بأمر من "شارلكان Charles quint" سنة 1548م[16].

---

[12]- Naima Abderrahim, op.cit, p110.

[13]- خلاصي، مرجع سابق، ص313.

[14]- Feraud (Ch), Notes sur Bougie. In. Revue Africaine, 3ème année, N°13.1858. OPU, Alger. 1985p51.

[15]- Louis Salvator, op.cit, p81.

[16]- Naima Abderrahim, op.cit, p107.

أما في العهد العثماني فكان البرج مسرحا لحروب ضارية مع الإسبان، حيث تمكن سبعة من رجال المدينة المتصوفة باستعمالهم السلالم لاقتحام البرج ولكن ماتوا في عين المكان، ومع مرور الوقت تم فتح البرج والاستيلاء عليه بعد اقتحامه وإبادة من فيه من الإسبان، واعترافا بشجاعتهم بنى لهم "صالح رايس" أضرحة[17]. وإلى وقت قريب كان المكان محل زيارة وتقديس من أهالي المدينة. وبعد الاستيلاء أعاد العثمانيون بناءه واستعملوه كحصن دفاعي عن المدينة.

ويتكون البرج من طابق أرضي يتكون من ثلاث أقبية كبيرة علوها 9م وعرضها 6م، أمّا الطابق الأول فيتكون من قاعة كبيرة بها عشر فتحات للإضاءة والتهوية تتوزع على جدرانها، بينما الطابق الثاني وهو المستوى الوسطي، فلقد أضيف إلى أصل البناء غرف بالجهة الجنوبية تغطي سقف المدخل والقبو الذي يكونه، هذا بالإضافة إلى بعض الزيادات بطريقة انسجمت مع البناء ليصبح في العهد الفرنسي يعرف باسم (حصن برال Le fort Barrale).

أما الطابق الثالث فلا يختلف عن سابقه في جزئه الجنوبي، حيث نجد خمس غرف مماثلة لغرف الطابق الثاني. ويوجد بهذا الطابق عدة فتحات تسمح بمراقبة المدينة والفحص والأحواز الشمالية[18]، وتحاط من الجهة الجنوبية والشرقية والغربية بسور صغير سمكه حوالي 40سم وعلوه حوالي 1,50م.

تتميز جدران الحصن بسمكها الكبير خاصة الشمالية منها والمقابلة لجبل قوراية والتي يصل سمكها على 6م. أما الجدران الداخلية والخارجية فبنيت من مادة الآجر وبها فتحات على شكل كواة ومزاغل، ويتم الاتصال بين المستويين عن طريق سلم داخلي.

4- قلعة بني عباس:

نجد خارج مدينة بجاية أن كل القرى المنتشرة في حوض الصومام تتخذ أماكن مرتفعة في قمم الجبال كما هو الشأن في قرية "ترونة" ببني معوش، وقرية "أسرافيل" بالقرب منها، وكذلك قرية "الجابية بني خيار" وغيرها كثير، والتي يصعب الارتقاء إليها وكان بعضها محاط بسور تفتح عليه مجموعة من الأبواب، غير أن أهم قلعة أدت دورا بارزا في تاريخ المنطقة هي قلعة بني عباس، التي تقع ضمن سلسلة جبال البيبان، والتي تحتل موقعا إستراتيجيا بالغ الأهمية (**صورة 05**)، إذ يتشكل من هضبة على ارتفاع 1050م على مستوى سطح البحر وجبلها "تقربوست" على ارتفاع 1297م، وتحدها من جهاتها الثلاث أودية عميقة يتراوح عمقها بين 500 و 600م، ويصلها بالجهة الرابعة شريط ضيق يتصل بالجبال المحيطة بها وتحده مرتفعات شديدة الانحدار[19]، ويبدو أن المدينة قد أخذت اسمها من "العباس بن عبد العزيز مؤسّس إمارة المقرانيين في القرن 9هـ/15م بأعالي جبال القبائل"[20].

---

[17]- Feraud (Ch), Notes sur Bougie…, p49.

[18]- خلاصي، مرجع سابق، ص314.

[19]- جمال صديق، "**قلعة بني عياس**"، محاضرة ألقيت بمناسبة الذكرى الخمسمائة لتأسيس مدينة قلعة بني عباس"، الجمعية الثقافية نادي المقراني، قلعة بني عباس، بجاية.

[20]- صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1832م**، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2005، ص33.

ويعود تاريخ المنطقة إلى العهد الحمادي حيث كانت حلقة وصل بين القلعة وبجاية وانتقل السكان إليها من جبل عياض بالحضنة كما يذكر "ابن خلدون" وذلك بعد خراب قلعة بني حماد على يد كتائب العرب الهلاليين فاستقروا في بداية الأمر بقرية "الشواريخ" قرب "موقة" ثم اتجهوا فيما بعد إلى الشمال ناحية جبل تقربوست، ثم إلى "أزرو القلعة"[21]، حيث بنيت المدينة على صخرة كبيرة وتشتمل على الكثير من الأحياء والمصليات والمساكن.

وكانت القوافل تجوب المسالك الرابطة بين القلعة وبجاية عبر أراضي إقليم "بجانة" الحالي، ثم مع ظهور الدولة الموحدية، احتل "عبد المؤمن" واستمر زحفا على أرض منطقة بجاية متجها نحو القلعة بالمسيلة. وبعد سقوط الموحدين ظهرت إمارة المقرانيين بقلعة بني عباس التي ورثت في الحقيقة ملك بني حماد، والتي يمتد نفوذها إلى مناطق عديدة. وأدت إمارة المقرانيين (9هـ/15م) أدوارا سياسية واقتصادية مشرفة في التاريخ السياسي والعسكري والحضاري لبلاد الجزائر[22].

وتلتقي روايات المؤرخين حول نسب المقرانيين الذي يرجع إلى شرفاء المغرب الأقصى ومن الأدارسة بالضبط[23]، غير أن من المؤرخين من يرى أن أصلهم مرتبط بالأمراء الحفصيين الذين حكموا قسنطينة وهاجر آخر أمرائهم وهو "عبد العزيز" إلى قلعة بني عباس بمرتفعات البيبان[24]، غير أن هذا الرأي يعتريه كثير من الملابسات، لأن المتصفح لكتب التاريخ يجد بأن قلعة بني عباس كانت قائمة منذ عهد الأمير "عبد الرحمن" الذي وضع نواتها الأولى وتوفي عام 1500م[25]، ثم في عهد الأمير "سيدي أحمد بن عبد الرحمن الزواوي" خلال القرن 9هـ/15م أقام بها قصبة لحكمه، وعاصمة حصينة في موقع إستراتيجي متميز لا يصلها العدو إلا بشق الأنفس، وأسس بها زاوية للتعليم وتدريس القرآن الكريم وكان لها فضل كبير على الجهات المجاورة مدة ثلاثة قرون من الزمن، أي منذ دخول الإسبان إلى بجاية حتى نهاية عهد العثمانيين أي في الفترة الممتدة من القرنين 16م إلى القرن 18م،حيث كانت معظم معاهد العلم منتشرة في قراها وذلك بعد أن تراجع الدور الحضاري والعلمي والفكري لبجاية بعد سقوطها في يد الإسبان ثم في يد الأتراك في مرحلة لاحقة[26].

ومن الناحية الأثرية تكتسي المدينة أهمية كبيرة كقلعة دفاعية محصنة طبيعيا بحكم موقعها الإستراتيجي من جهة وبعد إضافة تحصينات إضافية كالسور والأبواب التي بقيت آثارها لحد الآن.

وكانت المدينة محاطة بسور تفتح عليه أربعة أبواب هي: باب أعجي في الجنوب وباب الجبل في الشرق، وباب البرج في الشمال نسبة إلى برج مراقبة في المدينة، وباب العسة في الغرب، غير أن الباب الأول لم يبق منه إلا آثار

---

[21]- عبد الرحمن ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر**...، مج6، ص ص 52- 53، 255- 296.

[22]- صالح عباد، مرجع سابق، ص33.

[23]- مزيان وشن، مرجع سابق، ص52.

[24]- Feraud (Ch), Histoire des villes…, 1872 , p194.

انظر أيضا: الورثيلاني، الرحلة، ص 36.

[25]- مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص211.

[26]- مزيان وشن، مرجع سابق، ص66.

السور، وباب الجبل في أعلى قمة من المدينة اندثر ولم يبق له أثر، اما باب البرج فمازالت آثار المدخل أي الممر فقط بدون الباب الخشبي، بينما باب العسة اندثر تماما.

هذا من حيث الإطار العام لقلعة بني عباس من الناحيتين التاريخية والأثرية والتي لم تنل حظها من الدراسات والبحث الأثري المعمق، رغم أن ما بقي من أحيائها ومساجدها ومصلياتها ومساكنها يتطلب دراسات متعددة ومن مختلف الجوانب لعلها تميط اللثام عن كثير من الحقائق التاريخية والأثرية لهذه المدينة القلعة التي لا يمكن أن ننكر دورها الإيجابي في مسيرة تاريخ الجزائر وحضارتها.

5- قلعة تمززدكت:

تمززدكت حصن زياني يبعد حوالي 25 كلم عن بجاية وتابع لبلدية القصر على بعد 2كلم شرق المدينة، ويوجد على الضفة اليسرى لنهر الصومام وبني من طرف السلطان الزياني أبو تاشفين عند حصاره لبجاية مرتين وذلك سنة 720هـ/1320م[27]، وهذا بعد أن أدرك بأن حصن بكر الذي بناه لا يتسع للعدد الكبير من الجنود التي حضّرها لمحاصرة بجاية، مما دفعه إلى التفكير في مكان آخر أكثر ملائمة من حيث الاتساع والقرب من بجاية، فوقع اختياره على الموقع الذي يعرف بسوق الخميس في حوض الصومام، والتي جمع لها العمال بمساعدة الجنود، ولقد أتم بنائها في ظرف أربعين يوما[28].

وفي هذا الشأن يذكر "يحي ابن خلدون"[29] على انه في سنة أربع وعشرين أمر السلطان "أبو تاشفين" قواده بالنهوض لحصار بجاية، وفي سنة ست وعشرين عاد "موسى بن علي بالجيوش" إلى وادي بجاية قادما من قسنطينة بعد أن أفسد بقطرها الزرع والضرع،واختط مدينة "تمززدكت" وقسم مسافاتها على الجيش فبنوها في مدة أربعين يوما، وأوطنها ثلاثة آلاف ومائتي فارس، وأمر السلطان بحمل الزرع إليها من جميع البلاد الشرقية، فشحنت مخازنها أقواتا نامية، وهناك اشتد الحصار على بجاية وأهلها، وفي سنة ثلاث وثلاثين هدمها السلطان أبو الحسن وعاد إلى مغربه.

ولقد تعددت الوقائع بين بني حفص والزيانيين إلى أن كان النصر فيها للزيانيين في 729هـ/1328م، فأقاموا تخليدا لهذا النصر قصر "بكر" أو مدينة "تاقريدت"[(*)] التي بناها القائد موسى بن علي بأمر من السلطان "أبي تاشفين" في مدة أربعين يوما، مما أجبر "أبي يحي أبو بكر الثاني الحفصي" إلى الذهاب إلى مدينة "بونة" جريحا[30].

ولقد سمحت لنا الزيارة الميدانية التي قمنا بها إلى هذه القلعة من الوقوف على عدة ملاحظات وحقائق: فمن حيث الطابع العام لأسوارها التي بقيت أطلالا قائمة (صورة 06) تتشابه إلى درجة كبيرة مع أسوار مدينة تلمسان والمنصورة، إن لم نقل صورة طبق الأصل لها، كما تتشابه أيضا مع أسوار الآثار المكتشفة مؤخرا في منطقة "قرقرة

---

[27]- عبد الرحمن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط4، دار الثقافة، بيروت، 1980، ص161.

[28] - Bourouiba (R), **L'architecture militaire de l'Algérie médiévale**, OPU, Alger, 1983, p109.

[29]- أبي زكريا يحي ابن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج1، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص217.

[*]- هكذا ورد في نص عبد الرحمن الجيلالي، ولكن يغلب على الظن أنها مدينة "تاقريت" المعروفة بهذا الاسم اليوم، والتي تبعد عنها ببضعة كيلومترات.

[30]- عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق، ص161.

"بالعامرة" ولاية عين الدفلى، والتي يحتمل أن تكون قلعة من قلاع الزيانيين أقيمت كمراكز تحصينية لطريقهم من تلمسان نحو الشرق الجزائري، وذلك لتأمين خط الرجعة عبر هذه القلاع، وفي حالة صحة هذه الفرضية يمكننا القول بأنّ هناك طرازا معماريا واحدا موحدا يميز الدولة آنذاك، فبمجرد ظهوره في منطقة ما سرعان ما ينتشر في كل الأقاليم التي يتم فتحها من قبل الدولة صاحبة الطراز ويعطي طابعا معماريا خاصا ومميزا لتلك الدولة، وهذا ما يفسر التواصل والاستمرار والتداخل الحضاري في البلد الواحد ومن حيث علو أسوار القلعة فقدرنا ما تبقى منها بحوالي 5م، ولكن يبدو أن العلو المرجح لها يتراوح من 6 إلى 7م كما يذكر "بورويبة"[31].

أما عن سمك الجدران فقد تآكل الكثير من سمك ما تبقى مع مرور الزمن، ولقد قدرناه في أكثر من نقطة من السور بـ 1,02م، لكن السمك الأصلي له قد يتجاوز هذا التقدير بكثير، فقد يصل حتى متر ونصف أو أكثر لأن المكان أصلا بني ليكون قلعة عسكرية.

ولقد لاحظنا بأن أساس جدران القلعة غير عميقة تتراوح ما بين 80سم إلى 1م وهذا ربما يفسر السرعة الفائقة في إنجاز هذا الحصن آنذاك، كما تشير إلى ذلك كتب التاريخ، وأسس الجدران مبنية بالحجارة، أما الناحية العليا بالتراب المدكوك كما هو الحال في حصون "تنس" و "تنمل"[32]. أما عن جدران الحصن من الداخل فكانت ملبسة بالجص مع بعض الأخشاب المدمجة في السور.

يبدو حصن تمززدكت من خلال ملامحه العامة حصن مؤقت أقيم خصيصا للاستيلاء على بجاية و هذا ما يفسر السرعة في إنجازه، ومن الملاحظات أن داخل الأسوار عبارة عن مساحة واسعة مسطحة خالية من الأبنية، ولذلك فخلال أيام الحرث يتم العثور على بقايا قطع من الفخار والقرميد مما يدل على أن هناك أبنية كانت بداخله، فمن المتعارف عليه في عمارة الحصون أن تتوفر فيها غرف للجند ومصلى لهم، بالإضافة إلى المكان المخصص للطبخ، لكن كل شيء اندثر ما عدا الأسوار الخارجية وبعض الأبراج المربعة، ومن الملاحظات الأثرية في أعلى السور أن هناك بقايا ممشى الحرس الذي كان يربط بين أبراج القلعة، وهذا السور مطوق بطريق للحراسة الدورية يعلوه أيضا جدار ارتفاعه 1م، كما يذكر ذلك الأستاذ "بورويبة"[33]، ولكن لا أثر له اليوم ويذكر أيضا أن السور كان مسبوقا بخندق لا أثر له اليوم أيضا، لكن ما لاحظناه بأن سور قلعة تمززدكت يتقدمه سور أمامي استعمل خصيصا لتكسير الهجمات على القلعة .

أما عن داخل القلعة فمن خلال ما تبقى من أسوار حاولنا إعادة تصور لمخطط القلعة العام، والمرجح أن يكون بها مدخلا أو اثنان على الأكثر لأن تعدد المداخل في القلعة يعتبر نقاط ضعف في العمارة العسكرية وخطأ في التقدير الدفاعي ويمنح الفرصة للعدو من اقتحامها من هذه الفتحات، كما أن ما تبقى بها من أبراج مربعة وعددها اثنان في الواجهة الأمامية للحصن، وبقايا أثار برج في الركن الجنوبي للحصن، جعلنا نفترض بأن قلعة تمززدكت كانت

---

[31]- بورويبة رشيد، "**أسوار المدن الإسلامية في العصر الوسيط**"، ترجمة عريب مختار، مجلة الجامعة، العدد 18، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص41.

[32]- نفسه، ص41.

[33]- بورويبة، **أسوار المدن**...، ص.41.

متوجة بأبراج في أركانها، وعملا بمبدأ التماثل والتناظر التي هي سمة من سمات العمارة والفن الإسلامي افترضنا بأن يكون السور المقابل للسور الأمامي يحتوي على برجين مربعا الشكل كما يمكن أن يكون الضلعان الجانبيان بدورهما مزودان ببرج في كل سور على الأقل وهذا ما يسمح بمراقبة فعالة وناجعة من مختلف الجهات المحيطة بالحصن، وعلى هذه الأساسيات تم تصورنا الافتراضي للإطار العام لحصن تمززدكت.

ومن خلال استعراض عام لأهم الحصون والقلاع التي تنتشر في بجاية ومازالت آثارها قائمة لحد الآن يتبين لنا أهمية الخطط المنتهجة آنذاك لتوفير الأمن والأمان للمدينة، وعن المراحل التي مرت بها في العصر الإسلامي، كما توحي أيضا بتطور فن العمارة لاسيما في مجالها الدفاعي من حيث التخطيط والتقنية وطريقة الاتصال بين الحصون والقلاع والتي من دون شك أيضا رافقها تطور في استعمال السلاح الدفاعي آنذاك.

ومن الحصون الهامة التي لا يستطيع الباحث عن مدينة بجاية أن يمر عليها دون أن تلفت انتباهه هي حصن "قوراية" (صورة 07)، التي أثارت جدلا كبيرا من قبل الباحثين عن الشخصية التي ينسب إليها الحصن، هل هي أسطورة أم خيال؟ وأن حصنها يقع في أعلى نقطة من جبل قوراية المشرف على المدينة، وهو موقع إستراتيجي بالغ الأهمية من حيث المراقبة. لكن الدراسات التي يقوم بها حاليا الباحث الجزائري "مالك آيت حمودة" بالمدرسة الوطنية العليا للهندسة بباريس ستميط اللثام عن كثير من الحقائق حول هذا اللغز[34].

وباكتشافه لمخطوط حول المدينة من إعداد (Le Mercier) تضمن موقع "قوراية" قبل وصول الفرنسيين إليه على أن ضمن الملحقات المعمارية به ضريح "لالة قوراية" كما تعرف، وهو على شكل قبة في أعلاها هلال، كما أنه لم يكن بوسع الإسبان بناء هذا الحصن، نظرا للمدة القصيرة التي قضوها في بجاية، وانشغالهم بالحرب مع الأهالي آنذاك، وارجع بناء حصن قوراية إلى الفرنسيين سنة 1833م، وهذا ما جعلهم يهدمون الضريح ويردمون القبة ويمنعون الأهالي من التوجه إلى هذا المكان لزيارته خاصة ما وصل إلى الفرنسيين من أن قوراية تعاونت مع الأخوين "خير الدين وعروج" بدعوتها المسلمين إلى الجهاد ضد الإسبان، التي لم تمر سنوات طويلة من طرد المسلمين من الأندلس وسقوط غرناطة 1492م، وإن كان هذا الكلام صحيحا فإن "لالة قوراية" ستصبح بطلة تاريخية حقيقية بعد أن ظل إسمها مرتبطا بالأساطير لعدة قرون من الزمن، كما يتبين أيضا فشل الفرنسيين في محوها من الذاكرة الجماعية لأهل المنطقة الذين مازالوا يتوافدون اليوم إلى هذا المكان ويزحفون إلى قمة الجبل للتبرك بها، وهي العادة التي يحتفظ بها السكان إلى اليوم.

إن الأبحاث التي يقوم بها الباحث الجزائري المذكور حول هذا الموضوع بفرنسا يكون قد أزاح الأسطورة وفتح حقل البحث للدارسين للعمل من أجل رفع ستار النسيان، عن هذه البطلة التاريخية التي يمكن أن تصنف ضمن بطلات الكفاح الوطني من أجل الاستقلال، ومن هنا يبدأ البحث الجدي بعيدا عن الروايات والخرافات، وهي امرأة حقيقية متصوفة اتخذت مأوى لها بقمة الجبل وابتعدت عن كل ملذات وشهوات الحياة الدنيوية، وتفرغت لعبادة الله دون توقف، شأنها في ذلك شأن علماء بجاية التي مازالت أضرحتهم ماثلة لحد الآن في أعلى الربوات من المدينة.

---

[34]– عكور رضوان، **"قوراية امرأة حقيقية، وليست أسطورة خيالية"**، جريدة الخبر اليومية، الجزائر 6 جانفي 2007، ص14.

لقد خلّف الحماديون مجموعة من الحصون والقلاع على الطريق الرابط بين بجاية وقلعة بني حماد والتي ذكرها الأثري الجزائري الأستاذ "بورويبة"[35] اعتمادا على جغرافيين أمثال "الإدريسي" ولكنها اندثرت ولا أثر لها اليوم، إلا في كتب المؤرخين والدارسين للعمارة العسكرية في المغرب الأوسط[36].

6-أبواب بجاية في العهد الإسلامي:

تعتبر الأبواب ظاهرة معمارية ارتبطت بأسوار المدن الإسلامية، منذ العهود الإسلامية الأولى، و اتخذت جانبا معماريا اتسم بالقوة و الحصانة. و تعتبر الأبواب وسيلة الاتصال بين العالم الخارجي و داخل المدينة. و كان للأوضاع السياسية و الاقتصادية أثر كبير في تحصين المدن الإسلامية، و تدعيمها بأسوار و أبواب و أبراج و ذلك لتوفير الراحة و الطمأنينة و الأمن للسكان، و انطلاقا من هذا الغرض أصبحت الأبواب من خصائص المنشآت العسكرية، ثم زادت الحاجة إليها، و تعددت أشكالها، و انتشرت في معظم المدن الإسلامية.

و قد ساهمت الأبواب في تسهيل تحديد المدن، كما أدت دورا هاما في عالم الفن لما احتوته من مواد صناعية كالحديد و الفولاذ، و مزخرفة بأنواع ثمينة كالذهب و الفضة و النحاس.و قد عرفت الأبواب عدة تسميات إما نسبة إلى مهندسها، أو إلى اسم حاكم المدينة، أو المدينة نفسها، أو إلى اسم القبائل التي تسكنها، أو اسم الحرف الاقتصادية، أو حتى بعض الحدائق و البساتين التي كانت تقع بالقرب من الباب.

أما عن أبواب مدينة بجاية في العهد الإسلامي، و التي كانت منتشرة على السور الخارجي للمدينة، فلقد احتفظت كتب التاريخ بذكرها عامة، غير أن ما تبقى منها هما بابان فقط، باب البحر، و باب البنود و كلاهما في العهد الحمادي، و كانت وسيلة الاتصال بالعالم الخارجي تتم عن طريق هذه الأبواب و نذكر منها:

1- باب البحر: و هي الباب الوحيدة التي ما زالت قائمة ليومنا هذا، و التي صمدت في وجه الحروب و الزمن، و كانت السفن تمر تحت قبوها للدخول إلى المدينة.
2- باب أمسيون: تقع في السور الشرقي للمدينة، و في منتصف الطريق المؤدي إلى سيدي يحي فوق المستشفى العسكري.
3- باب المرسى: تقع في منطقة بريجة السفلى، و تعرف هذه الباب أيضا باسم باب السادات، و كانت تقع في الطريق المؤدي من برج سيدي عبد القادر إلى ميناء سيدي يحي.
4- باب البنود: و تعرف حاليا باسم باب الفوقة، و تقع في الجهة الشمالية الغربية للمدينة، و أنها كانت تفتح على الجهة الداخلية للبلاد.
5- باب اللوز: و هي الباب التي إقتحم علي بنو غانية من خلالها المدينة و استولى على القصبة، و تقع في المرتفع الذي يعرف بجبل خليفة، و تقع في الجهة الغربية.

---

[35]- بورويبة وهو بدوره عن الإدريسي، **وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية**، مطبعة بيرس، الجزائر، 1957، ص ص 64-65.

[36]- عن قائمة هذه الحصون انظر: - Bourouiba, **L'architecture militaire de l'Algérie**, p85.

6- باب المرقوم: و هي التي تعرف بباب البر، و تقع فوق قبة سيدي محمد أمقران، مع المحور المؤدي إلى برج موسى.

7- باب دار الصناعة: اندثر الباب عندما استولى الاسبان على المدينة، و أعادوا بناء القصبة، و كانت تتخذ مكانا لباب القصبة الذي كان يفتح على حدائق المدينة و بساتينها و يمكن أن تكون باب القصبة التي تحدث عنها دوبيلي.

و هناك أسماء أبواب أخرى جاء ذكرها في كتب التاريخ كابن خلدون و شارل فيرو، و لكن يتعذر على الباحث تحديدها، و ذلك راجع لنقص الإشارات إلى مواقعها و منها: باب إيلان و باب الدباغين، و باب الجديد، و باب الباطنة، و كذلك باب الرواح.[38]

و نعتقد بأن عدد أبواب مدينة بجاية لا يمكن أن يتعدى السبعة أبواب، لكن أساميها عرفت تغييرات من فترة لأخرى، غير أن أقدم بابين مازالا قائمين لحد اليوم هما: باب البحر، و باب البنود اللذين نوليهما جزءا من التفصيل.

1- باب البحر:

لقد كان باب البحر من ضمن الأبواب السبعة التي تتخلل الأسوار المحيطة بمدينة بجاية أثناء العهد الحمادي، و أطلق عليها هذا الاسم كونها مدخلا رئيسيا للسفن القادمة من البحر إلى المرسى الداخلي للمدينة (صورة 08).بنيت الباب في عهد السلطان الناصر بن علناس حوالي (463هـ/1070م) في نفس الوقت الذي بنيت فيه الأبواب الأخرى للمدينة.

ففي القديم كانت السفن تحط رحالها داخل المرسى الصغير للمدينة مارة تحت قوس باب البحر المنكسرة التي لا تزال في حالة جيدة إلى يومنا هذا، و لقد شهدت الهجوم الفرنسي على المدينة في سبتمبر 1833م بقيادة الجينرال (ترزل Trezel)، و كان الفرنسيون يطلقون عليها اسم (باب سرازين- Porte de Sarazine)، و كان متصلا بالسور الجنوبي للمدينة، و يقع في منتصفه، أما الآن فهو منفصل تماما عن السور. و لقد أعطى موقعه هذا منظرا جماليا للشاطئ.

و من الناحية المعمارية، فالباب محصورة بين السورين الجنوبي و الشمالي، و تقدر أبعاده ب7,60م عرضا، و 11,90م ارتفاعا، أما عمقه فيقدر ب 4.30م ، و هو قائم على دعامتين حجريتين يبلغ سمك كل واحدة 1.10م و ارتفاعها 2,60م، و مبنية بالدبش و الآجر. و تتكون واجهة الباب من عقد منكسر يساعد في تشكيل القبوة الداخلية للباب، و هذا العقد مكون من آجر مسطح و مملوء و موضوع على شكل صفوف أفقية إلى غاية ارتفاع 1,50م تقريبا، ثم يليه عقد آخر لتشكيل القبو الداخلي.

كان يتقدم باب البحر برجان مربعان بارزان عن مستوى الجدار، ما زالت آثارهما بارزة لحد الآن، و لقد استعملا لتشديد الرقابة على الباب، ثم لإعطاء الباب القوة أكثر بتدعيمهما له، أما الفتحة الخاصة بمرور البواخر، فيوجد انكسار في أحد جوانبها ليسمح بدخول البواخر دون اعتراض سبيلها أثناء الدوران (شكل 03).

و يعلو أعلى الباب قديما طريق للمراقبة الدورية فوق القوس الذي يعلو الباب مباشرة[39] و كانت هذه الباب بعلاقة مباشرة مع برج شوف الرياض الذي شيد في مرتفع استراتيجي و الذي يشرف على ثلاثة أبواب رئيسية يقوم بحراستها هي: باب البنود، و باب البحر، و باب المرسى.[40]

لقد روعي في عمارة باب البحر كثير من الجوانب المعمارية لتأدية الغرض الدفاعي الذي من أجله أقيم الباب، فجولفان على سبيل المثال يرى بأن العقد المنكسر الذي يعلو الباب يتكون من قطع آجر مسطحة، و مملوءة و موضوعة بشكل أفقي إلى ارتفاع 1,50م، ثم فيما بعد يتحول إلى عقود متداخلة لتشكل القبوة الداخلية للباب التي ترتكز على قائمين بارزين عن مستوى العقد.[41]

2- باب البنود:

تقع في الجهة الشمالية الغربية، و تعتبر المدخل الرئيسي للمدينة و التي تؤدي إلى مقر السلطان حين استقبال وفوده القادمين أثناء الاستعراضات، أو أيام وصول القوافل، و أيضا لحضور بعض المراسم و الحفلات.

تعتبر بابا معماريا يحيط بها من الجانبين برجان الأول خماسي الأضلاع و هو أصيل في البناء، و الثاني مربع القاعدة أضيف في العهد الفرنسي، لكن شكله الأصلي كان على غرار البرج الأول، و هذان البرجان بارزان عن مستوى الجدار، و يقومان بدور حماية مدخل الباب و الممر الذي يليه(صورة 09).

و تتكون الباب من طبقة متناوبة من الدبش، و الحجر، و يعلو البرجان أماكن لرمي القذائف من الآجر المسطح الذي يعلو الجدار بمقدار 2م.أما الباب فتتكون من عقد نصف دائري مبني من الحجر يعلوه جدار سميك عبارة عن صفوف من الدبش المرصف و المنتظم يتناوب مع الحجر المسطح، و يعلو الباب ممشى الحرس الذي يسمح باتصال البرجين مع بقية السور.و تعرض الباب في الفترة الفرنسية إلى بعض التغييرات حيث فتحت باب جديدة إلى جانب القديمة، أما أحد البرجين المضلعين اندثر و عوض بآخر مربع .[42]

و لعل من أهم المظاهر المعمارية الملفتة للنظر في عمارة البابين المدروسين اكتنافهما لبرجين على الجانب، و هذه ظاهرة قديمة لها وظيفتها و منافعها في العمارة الدفاعية، فالأبراج أنواع: منها المربعة المألوفة في العمارة العسكرية ببلاد المغرب، و منها التي تتخذ شكل نصف الدائرة، أو ثلاث أرباع الدائرة، و تكون مدمجة ضمن جدار السور، و تستعمل للحراسة، و منها ما يستعمل للإشعار بقدوم الخطر.[43]

أما عن الأبراج الأسطوانية المدمجة مع السور، فهي ظاهرة معمارية قديمة وجدت في قصر الحير الشرقي الذي شيد من قبل الخليفة هشام في 110هـ / 729م في العهد الأموي[37]. أما في العهد العباسي تتجلى في بناء مدينة

---

[39] بورويبة ، أسوار المدن....ص.45

[40] خلاصي، مرجع سابق، ص..305

[41] Golvin ; Le Maghreb Central a l'epoque des Zirides. Edition, Art et Metiers Graphiques, Paris. 1957, p.193.

[42] Naima Abderrahim ;Opcit.p.98.

[43] Colin (GS) ; « Burj ».in.Encyclopedie de l'islam .Tome1.Paris.1975.p.1355

[37]- عفيف بهنسي، **الفن الإسلامي** ، الطبعة الثانية، دار طلاس للدراسات و الترجمة والنشر، دمشق، 1991، ص 253.

بغداد من قبل المنصور في 145-147هـ/5-762م حيث يظهر نظام جديد من البوابات ذات المداخل المنكسرة، أو ما يعرف في العمارة العباسية بمصطلح (الباشورة)، على عكس العهد الأموي الذي كانت بواباته مستقيمة[44] و هذا النموذج للبوابات المنكسرة قد استعمل في الأبواب الأربعة التي تتوج السور الخارجي لمدينة بغداد، و منها مثال باب خراسان الذي تعلوه قبة من الآجر، و يذكر (كريزول Creswell) بأن نظام الأبواب ذات المداخل المنكسرة نظام عرف في تحصينات العهد البيزنطي بشمال إفريقيا، و هذا النظام يتكرر في العهد الفاطمي في باب زويلة بالقاهرة و التي أسسها بدر الجمالي[38] بجعله كسر في الباب حتى يعيق قوة هجوم الجيوش[45] .

و لعل المتأمل في العمارة الإسلامية عبر العصور، يجد بأن أبواب المدن الإسلامية محصنة، و خير مثال عن ذلك باب قصر الأخيضر ببغداد في نهاية القرن 2هـ/8م الذي يعتبر نموذجا رائعا للأبواب الدفاعية في المدن الإسلامية بالقبو الذي يعلو مدخل الباب، و يحيط به من الجانبين برجان على شكل ثلاث أرباع الدائرة، و خلف قبو المدخل، يوجد عقد آخر.ويعلو مدخل الباب غرفة صغيرة للحراسة.

و نعتقد في رأينا بأن أبواب مدينة بجاية تكون قد تأثرت بالأبواب الفاطمية سواء في المهدية أو في القاهرة و ذلك من حيث شكلها، أو طابعها العام المعماري، بل هي استمرار للعمارة الفاطمية. و ما دامت أبواب قلعة بني حماد قد اندثرت و لم يبق لها أثر يسمح لنا بمقارنتها بتلك التي بقيت في بجاية و لذلك استدللنا بهذا الطرح.

أما بالنسبة للأبراج ذات ثلاث أرباع الدائرة الموجودة في باب البنود، فهناك دلائل عنها في بلاد المغرب،منها برج خلف الفتى في رباط سوسة الذي يبدو في رأينا أن يكون قد تأثر بتلك الأبراج الموجودة في العمارة الأموية و العباسية، و يغلب على الظن أن الفاطميين قد اقتبسوا شكل هذا البرج من رباط سوسة، ثم أثروا به على العمارة الحمادية و ما تلاها، حيث يبدو هذا الشكل فيما بعد في باب القرمدين بتلمسان، و في أحد أبراج المشور بتلمسان أيضا في العهد الزياني، فالحضارة الإنسانية استمرار و تواصل، و تاثر و تأثير.

إن ما تبقى و ما اندثر من أبواب بجاية يسمح لنا بالتعرف على طبوغرافية المدينة، و شكلها العام، أما أسامي الأبواب تبين لنا التشابه القائم بين مثيلاتها من مدن أخرى بالجزائر.ففي بجاية و تلمسان كان هناك باب يسمى باب الجديد، و كذلك في طبنة و القاهرة و الجزائر.

أما عن شكلها المعماري، فيوحي لنا بتقدم فن القتال عند المسلمين، فباب الفتوح و باب زويلة بالقاهرة على سبيل المثال تحتوي على أبراج مستطيلة و مستديرة على السطح و هي أكثر فعالية من الناحية الدفاعية، و قد وضعت مرامي النبال بطريقة بارعة، و هي متقدمة جدا بما يسمح لها الاستغناء عن شرفة خارجية لوقوف الرجال، و من خلال الثقوب الموجودة تحت قوس الرمي.

---

[44] Golvin (L) ; « Note sur les entrées en avant corps et en chicane dans l'architecture musulmane de l'Afrique du Nord ». in Annales de l'institut d'etudes orientales.Tome XVI.Année 1859.

[38]-بدر الجمالي (405-487هـ/1014-1094م) وزير المستنصر الفاطمي، وطّد أركان الدّولة، شيّد باب زويلة بالقاهرة.

[45] Creswell(KAC) ; « Bab ».in.Encyclopedie de l'Islam.Tome1.1975.p.854.

7-أسوار بجاية:

يعتبر السور عاملا أساسيا في المدن الإسلامية، و هذا بعد خوف الحكام على أمنهم، بعد الانتفاضات التي عقبت الفتوح الإسلامية، و هذا ما جعلهم يشيدون الأسوار حول المدن التي كانوا يشرفون عليها. و كان لهذه الأسوار أبواب تحمل أسماء الجهات الأربع، أو أسماء أمكنة، أو اسماء أشخاص، أو أسماء حرف، أو ورشات عمل، أو أسماء حدائق و أشجار كما سبق الذكر، و كانت بعض هذه الأسوار مزودة بشرافات في أعلاها، و بأماكن خاصة للدفاع، و هذه التحصينات كلها دليل كاف على حرمة المدينة الإسلامية[46].

و بجاية من المدن التي ما زالت تحتفظ بأسوارها التي تعود للفترة الحمادية الأولى 1067م، عندما أصبحت المدينة عاصمة ثانية للدولة الحمادية، إذ كان الغرض منه حمايتها ببناء سور جديد خلافا للسور الروماني القديم.و لقد استقدم الناصر آلاف العمال الذين أتموا بناء السور في بضعة أشهر، و كان متوجا بأبراج و التي ما زالت آثارها ناحية البحر (صورة 10) و هذا السور بني بطريقة تدريجية من القمة إلى الأسفل و لكنه يختفي أسفل جبل قورايا في الصخور شديدة الانحدار.[47]

و عن مساره، يعتقد الأستاذ بويحياوي بأنه قد أخذ نفس مسار السور الروماني القديم، بل احتواه في الكثير من الأحيان، و زاد عنه في الناحية العليا للمدينة، و بذلك يتحدد الفضاء العمراني الحمادي بصورة أوسع و أشمل[48].

يصعد السور متدرجا مع الجبل في شكل مثلث ضخم حتى يقتحم صخور قورايا الوعرة، من مكان يبلغ ارتفاعه 660م عن مستوى البحر. و يمتد السور الذي يمكن مشاهدة آثاره حتى اليوم في خط يساير تعرج الشاطئ و يحيط بالمدينة من جهة البحر. أما من الناحية الغربية، فالسور تبدو آثاره في المنحدر السفلي لسيدي محند أمقران إلى غاية البحر مرورا بالقصبة الموحدية إلى غاية الميناء الروماني القديم. و من سيدي محند أمقران يصعد باتجاه جبل قورايا (صورة 11).

أما في الجهة الموازية للبحر، فهناك سور مواز به أبراج يربط بين السورين النازلين من قمة قورايا إلى غاية البحر، و يمتد السور على مسافة 5400م، و يختلف ارتفاعه من موقع لآخر حسب طبوغرافية الموقع و ارتفاعه، و يتراوح سمك جدران السور في بعض المناطق من 90سم إلى 2م، و في أماكن أخرى ما زالت محتفظة بشكلها الأصلي، يصل ما بين 1,70م و 2,50م.[49] أما عن ارتفاعه، فمن الصعب تقديره نظرا لتحطم معظم الأسوار، و لكن تقديرنا العام له في أكثر من مكان أنه يصل ما بين 4م و 6م ارتفاعا. و كانت تعلو السور شرافات، و يتوج أعلاه ممشى الحرس. و كان السور قديما متوجا بابراج مستطيلة القاعدة يتراوح أبعادها من 4م طولا إلى 3م عرضا، و علوها يصل إلى 6م. و يذكر بورويبة بأن هذه الأبراج كانت تبعد عن بعضها البعض مسافة تقدر ب25م و تتخذ أشكالا مستطيلة، و تبرز هذه الأبراج عن مستوى السور و هذه الظاهرة موجودة في العمارة

---

[46] بورويبة، أسوار المدن.....ص...39

[47] Bourouiba ;Architecture militaire….p.80.

[48] بويحياوي، **تطور العمران الإسلامي من خلال عواصم المغرب الأوسط**، رسالة دكتوراة دولة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2004 ص..255

[49] Bourouiba opcit.p.80.

المغربية منذ العصر الإسلامي.فسور المهدية البحري كان مزودا بمائة برج، و السور البري بستة أبراج اتخذت أشكالا معينة منها المربعة و المستطيلة و المستديرة و المضلعة.[50] و كانت هذه الأبراج مزودة بوسائل الاتصال كالمرايا العاكسة التي كانت في برج شوف الرياض، و التي كانت موزعة على باقي الأبراج الأخرى في مختلف الجهات، و التي يمكن بواسطتها الإبلاغ الفوري بقدوم الخطر على كل أطراف المدينة.أما في الليل فكانت الإشارات تتم بواسطة إشعال النيران بطريقة متقنة، و هي من الطرق الإعلامية الدفاعية السائدة كثيرا في العصر الإسلامي، و على هذا الأساس نجد بأن الأبراج أطلق عليها مصطلح منارات و ذلك للوظيفة المنوطة بها و هي إشعال النيران، كما كانت تحتوي أيضا على فتحات موزعة على جهاتها تستعمل للمراقبة.

و أسوار بجاية كما يذكر دوبيلي[51] مبنية بالحجر و الدبش و الآجر في تعاقب مع طبقة الملاط و غير سميكة، و في بعض الأبراج كانت طبقة الآجر تتراوح 4سم سمكا تتناوب مع طبقة من الدبش و التي يقدر سمكها بحوالي 20سم، و هذا الدبش عبارة عن دقائق الآجر المغطى بطبقة من الجير و الإسمنت حيث تختلط الحجارة المنحوتة مع الآجر.

إن وجود السور في مختلف المناطق المحيطة بالمدينة دليل على أن الحماديين قد اهتموا بالجانب الدفاعي قبل غيره، فكان تحديد الفضاء العمراني و تأمينه هو الأساس في مدينة بجاية.

إن موقع بجاية الجبلي هو الذي حدد الشكل العام للسور الذي ساير الموقع من قمته إلى أسفله، و هذا ربما يتشابه مع السور الحمادي بالقلعة بالمسيلة الذي يشبه فخذ خروف كما يسميه بورويبة، و هو يحاذي سهل وادي فرج، و يصعد إلى جبل تقربوست، ثم ينزل متبعا خط القمة في اتجاه جبل قرين، ثم يتجه نحو الشرق متعديا الوادي، و ملتويا فيما بعد نحو الجنوب الشرقي متبعا وادي فاضل أحد روافد وادي فرج. و هذا يبين مدى مقدرة الحماديين في إتباع تقنيات تتماشى و الموقع المنحدر، و هي إتباع نظام البناء التدرجي و هذا لإيجاد نقاط تكسير الثقل في السور كلما نزل من الأعلى إلى الأسفل خاصة بعلوها الشاهق الذي يحمل ثقلا معينا يستوجب على المعمار كيفية التعامل معه، و إن كنا لا نعرف الشيء الكثير عن ارتفاع أسوار المدن الإسلامية في العصر الوسيط باعتبارها العمارة المستهدفة بالدرجة الأولى قبل اقتحام المدينة، و لذلك نجد معظم الأسوار قد تحطمت ناحيتها العليا، كما أن هناك بعض الأسوار مكونة من جدار واحد، وأخرى من جدارين مثل أسوار بغداد و الرقة و اشبيلية و المهدية و طرابلس و فاس الجديد و هنين و غيرها.[52]

إن ما تبقى من أسوار بجاية يتطلب جهدا كبيرا لإعادة تصور ما ضاع منها، و ذلك لتحديد الإطار العام للمدينة، و كيفية توزع الأبراج على واجهاتها، بالإضافة إلى الأبواب التي تفتح عليها، هذا مع التطرق لبعض تقنيات البناء و المواد المستعملة في بناء السور، بالإضافة إلى علوه و سمكه، و في حال توفر كل هذه المعطيات،

---

[50] بورويبة، أسوار المدن.....ص..42

[51] Debeylie (GL), La Kalaa des Beni-Hammad, une capitale Berbère de l'Afrique du Nord au XI siècle, Ernest Leroux, Paris, 1909p.106.

[52] بورويبة، أسوار المدن....ص.41.

فإنها تضفي على الدراسة جانبا هاما من جوانب العمارة الدفاعية بالمغرب الأوسط، والتقنيات الدفاعية المستعملة في تلك الفترة، و مقارنتها في أماكن أخرى من العالم الإسلامي.

خاتمة

يتضح من خلال استعراض نماذج من الاستحكامات العسكرية ببجاية و نواحيها، من أسوار و أبواب و قلاع و حصون و أبراج، بأن المدينة إضافة إلى تحصينها الطبيعي، فهي محصنة أيضا بوسائل دفاعية مستحدثة يصعب اختراقها و دخول المدينة خاصة في أوج قوتها و تألقها الحضاري، و من جهة أخرى توحي هذه الاستحكامات بمدى تقدم العمارة العسكرية في المغرب الأوسط من حيث تخطيطها و مواد بنائها و إستراتيجية إقامتها.

إن الشروط التي يجب أن تتوفر في مدينة من المدن الإسلامية قد روعيت إلى أبعد الحدود من حيث توفرها و بإتقان في مدينة بجاية و نواحيها، بدءا باختيار الموقع الذي يشترط بأن يكون حصينا بطبيعته كأن يكون على هضبة وعرة من الجبل، أو باستدارة بحر أو نهر مما يجعل النيل منها أمرا صعب المنال. و كل هذه العوامل المجتمعة جعلت من بجاية و قراها الريفية قلاعا محصنة يسهل الدفاع عنها.

و تكشف الآثار الدفاعية التي ما تزال قائمة في بجاية على تطور الأساليب الدفاعية و الهجومية و آلات الحصار المستخدمة في مختلف العصور الإسلامية التي مرت بها بجاية.

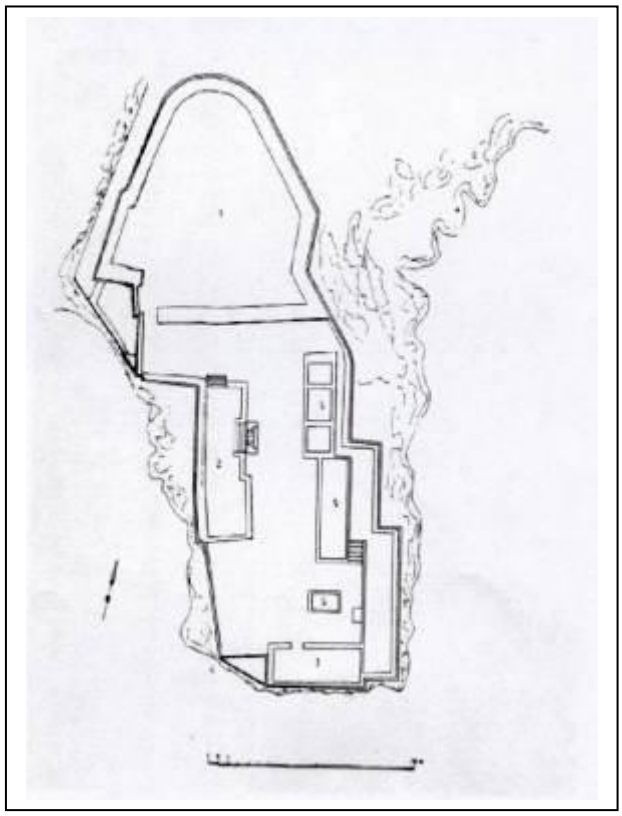

شكل 1: مخطط عام لبرج سيدي عبد القادر ببجاية (عن نعيمة عبد الرحيم)

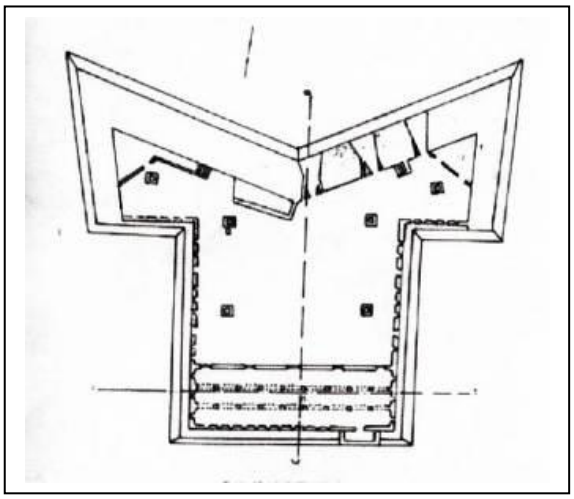

شكل 2: مخطط عام لبرج موسى ببجاية (الطابق الأرضي) عن (نعيمة عبد الرحيم)

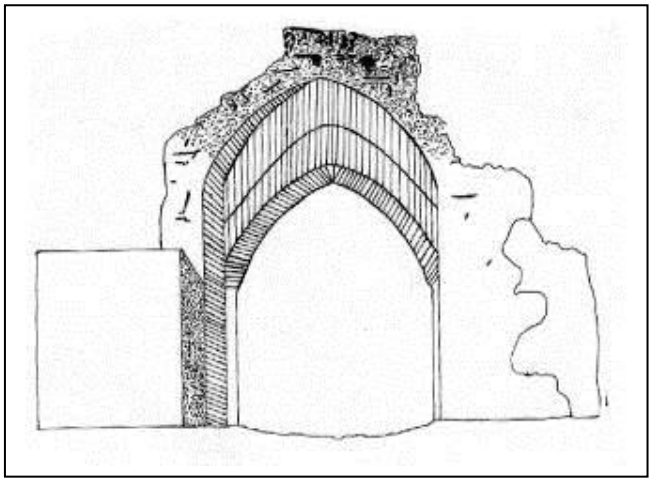

شكل 3 أ : رسم تخطيطي لواجهة باب البحر

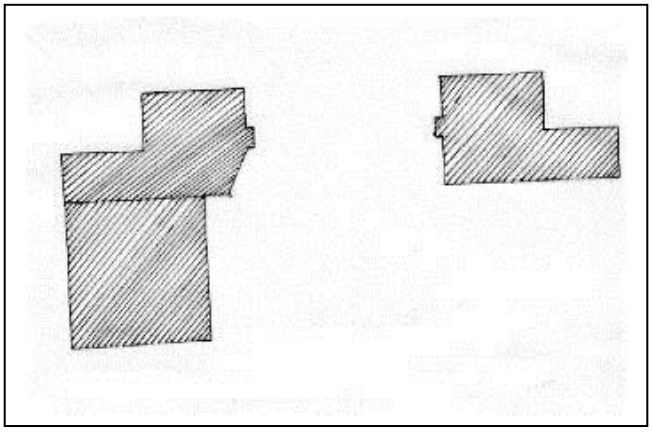

شكل 3 ب : مسقط أرضي لباب البحر ببجاية سلم 200/1

ص.1

ص.2

ص.3

ص.4

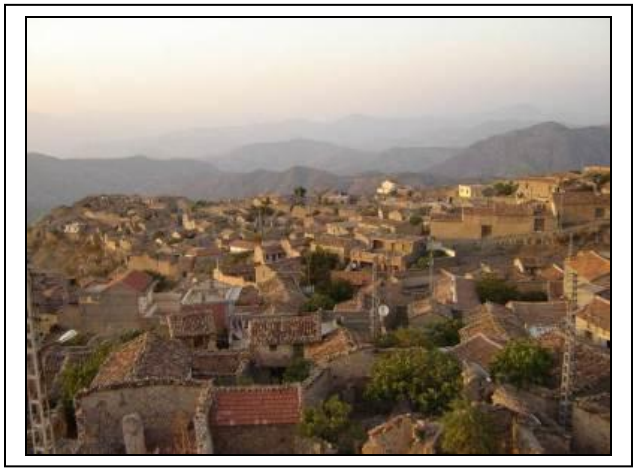

ص.5

ص.6

صورة 1: الواجهة الخارجية لسور القصبة ببجاية - صورة 2: مدخل قصبة بجاية
صورة 3: برج سيدي عبد القادر حاليا صورة - 4: منظر عام لبرج موسى ببجاية
صورة 5: منظر عام لقلعة بني عباس ببجاية صورة 6: أسوار قلعة تمززدكت ببجاية

ص.7

ص.8

ص.9

ص.10

ص.11

صورة 7: حصن قورايا ببجاية
صورة 8: باب البحر ببجاية حاليا
صورة 9: باب البنود ببجاية اثناء العهد الفرنسي
صورة 10: بقايا السور جهة البحر
صورة 11: بقايا السور الحمادي أسفل جبل قورايا

الخِطَاب السِّيَاسِي: الخصائص واستراتيجيات التأثير

الدكتورة: راضية بوبكري
جامعة عنابة – الجزائر

1 – مفهوم الخطاب السياسي:(Discours Politique)

الخطاب السياسي خطاب إقناعي، حجاجي، يتخذ من اللغة، والسياسة فضاء له، تتجلى من خلالهما خصائصه الإقناعية، والحجاجية، والانسانية. فهو كما يعرفه **فيليب بروتون** (Philippe Breton)،...نشاط إنساني يتخذ أوضاعا تواصلية متعددة، ووسائل متنوعة، ويهدف إلى إقناع شخص، أو مستمع، أو جمهور ما، بتبني موقف ما، أو المشاركة في رأي ما...[1]. كما أشار **شايم برلمان** (C Perelman) **ولوسي تيتيكاه** (L Tyteca)، إلى أن موضوع الخطاب السياسي، باعتباره خطابا إقناعيا....هو درس تقنيات الخطاب، التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم، بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم...[2].

فقد عرف هذا المصطلح في تحديد مفهومه العديد من الاختلافات، البائنة بين الباحثين والدارسين، بين قائل إنه خطاب متميز عن الخطابات الأخرى، له خصائصه ومميزاته الأسلوبية التي تجعل منه فضاء واسعا للحجاج، **وممارسة الفعل السياسي**، من خلال التلاعب بالكلمات. وبين من يرى أنه خطاب، كباقي الخطابات، لا يتميز عنها في شيء، إلى درجة اعتبار كل خطاب هو بالضرورة سياسي...[3].

لكننا نعتقد أن أهم ما يميز هذا الخطاب هو **ارتباطه بالسياسة**، ارتباطا وثيقا، علما بأنّ الخطاب عنصر شفاف ومحايد، وهو بحدّ ذاته موضوع الرغبة، فهو ما نصارع من أجله و به، وهو السلطة التي نريد الاستيلاء عليها... [4]، وكما هو معلوم فإن السياسة تتأسس على «...الواقعية،...وعلى الحياة السياسية، وعلى الممارسات السياسية، وعلى التفكير السياسي واللغة السياسية، وعلى التنظير السياسي... »[5]، وربما هذا الارتباط يجعل من الخطاب السياسي تحديدا يخفي أكثر مما يعلن...

فليست كل مناطق الخطاب مفتوحة على مصاريعها بالدرجة نفسها، فمنها ما هو ممنوع علانية (كالرغبة/الجنس، السلطة/السياسة) والبعض الآخر مفتوح تقريبا، من دون إغفال أنّ الخطاب الحقيقي يتعلق بأمرين هما الرغبة/السلطة..[6].

كما أن الخطاب السياسي يختلف عن الخطابات الأخرى، ليس من حيث البناء اللغوي، أو الأسلوبي، بل من حيث طبيعة لغته التواصلية، التي تبحث عن متلق متمرس حتى يفك شفرتها، ما يعني أن اللغة السياسية رغم أنها تواصلية تعتمد الوضوح والمباشرة للإفهام، والإقناع، والتأثير في المتلقي، إلا أنها تحتاج إلى تأمل لما يتسم به الخطاب السياسي من الدلالات الموحية واللجوء إلى الغموض باستعماله للاستعارات خاصة. مما يجعله في حاجة إلى التأمل، والفهم والتأويل، وهي **خاصية براغماتية** يلجأ إليها الخطاب السياسي حتى يكون **أكثر تأثيرا في المتلقي**.

لأن الغموض أو التضمين، ولجوء الخطاب السياسي، إلى الأسلوب غير المباشر، يساعد على تحقيق التواصل، من خلال التأثير في المتلقي، لأن الهدف منه هو الإقناع، الذي تساهم في تحقيقه هذه المعاني الضمنية غير المباشرة، ففي بعض الأحيان الأفكار والمعاني التي يُعمل المتلقي فكره للوصول إليها تبقى راسخة ويكون تأثيرها أشد وقعا، من المعاني الواضحة المباشرة. فالمتلقي في الخطاب السياسي لا يفهم دائما ما يرمي إليه المرسل، ويبقى ذلك وقفا على السياق الذي أُلقي فيه الخطاب.وربما هذه الخصائص هي ما يجعل الخطاب السياسي يتميز عن غيره من الخطابات.

فلقد أشار **المسدي** في كتابه **السياسة وسلطة اللغة**، إلى خصوصية الخطاب السياسي الراهن، الذي اتخذ من الصورة الفنية، وسيلة من وسائل التواصل، فهو كما أشار «... ما انفك يتزين بالصورة اللغوية الوافدة إليه من جماليات الأدب وإلهامات الإبداع، إنّه في وئام متدرّج مستديم مع الصورة الفنّية، التي هي في مجال النثر السياسي قائمة مقام الصورة الشعرية، في النثر الأدبي...»[7]. ولعل ما يميز الخطاب السياسي أيضا، أنه يتعلق بالمضامين على حساب الألفاظ، وهذا لا يعني أنه يهمل الألفاظ ولا يعتني بها، لأن الإقناع والتأثير لا يتحقق إلا بالشكل والمضمون، وإنما هو خطاب مشحون بالمعاني والدلالات، والأفكار، والقضايا[8]التي تشغل بال المتلقي. فهو خطاب... يتعلق مضمونه بقضايا الشعوب، والانسانية جمعاء[9]،«...يتأسس على ترسانة قارة من المفاهيم والاستعمالات الثقافية ذات الانتماء المرجعي المحدد والواضح، ولذلك فهو متعدد ومتباين، لأنه يعكس تفسيرات ووجوه تأويل مختلفة تم إنتاجها في المجتمع تعبر عن مواقف متباينة...»[10]، مما يجعل الخطاب السياسي، **خطابا قصديا** في محاولته للتأثير في المتلقي من جهة، وقصده معالجة أهم قضايا الحياة اليومية، وعرضها في قالب لغوي مثير، يتحول بموجبه الخطاب السياسي إلى منبر لفهم الحياة السياسية، بالنسبة لمختلف الشعوب. كما يراد بالخطاب السياسي في الاستعمال الشائع، السلطة الحاكمة، أي أنه الخطاب الموجه عن **قصد إلى متلق مخصوص**، قصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب، ويتضمن هذا المضمون أفكارا سياسية، أو يكون موضوع هذا الخطاب سياسيا...والخطاب السياسي يهتم بالأفكار أو المضامين، ولهذا نجد المادة اللفظية قليلة في حين يتسع المعنى الدلالي لتلك الألفاظ، فالمرسل يعتني بالفكرة التي هي مقصده، أكثر من عنايته بالألفاظ. فالفكرة في الخطاب السياسي هي الأساس..[11] والفرق بين الخطاب السياسي، وغيره من الخطابات الأخرى، أنه **ليس خطابا عفويا أو تلقائيا، يرسله صاحبه على سجيته ليعبر به عن انفعالاته**، بل هو خطاب **مصنوع** أُعِدَّ إعدادا متقنا، **ليؤثر في الجمهور ويقنعه**، ويمثل نوعا آخر، من تسلط السلطة على الجماهير، فرجال السلطة يفرضونه على الجمهور، ولا يعترفون بما دونه من الخطابات الأخرى التي تُغيبها السلطة، وتهدمها، ولا تجوّز مرورها إلى الجماهير، التي تعيش أسيرة خطابات السلطة، ومن ثم فالخطاب السياسي السلطوي يعد أكثر تعقيدا في مضمونه، وقد يكون خداعا ومراوغا، لسكوته عن أشياء وتجاهله لها، رغم صدقها، وينطق بأشياء، ويفسح لها مجال الانتشار، رغم هشاشتها وبُعدها عن الحقيقة وقد يسكت عن الحقيقة، لأن ذكرها ضد مصالحه وأهدافه...[12]، لأنه نص ذو سمات مركبة من الإيحاءات المعنوية، لها أبعادها، ولها مميزاتها تفرقه عن غيره من الخطب، داخل اللغة الواحدة...[13].

من خلال استعراضنا لبعض المفاهيم المتعلقة، بالخطاب السياسي، وإبراز ما يميزه عن باقي الخطابات، يمكن أن نؤكد على **الطابع الحجاجي** للخطاب السياسي، من حيث اعتماده، فن الإقناع والاستمالة لأنه يتعامل مع العقل والعاطفة معا.

لذلك يجوز لنا أن نشير إلى أن الخطاب السياسي متعدد الأصوات والمستويات، تتداخل فيه مجموعة من الذوات الفاعلة ، قصد خلق جو من التأثير والتأثر، حيث لا يمكن لهذا التأثير، أن يتحقق، إلا إذا كانت هناك مواضعة، بين هذه الذوات المختلفة، في مقامات متنوعة، وإعلان عن وجودها داخل الخطاب، من خلال بعض التعابير والصيغ الأسلوبية، التي يلجأ إليها المرسل خاصة.

وهو ما يجعل منه خطابا، معقد البنية، عميق الأثر في المتلقين، بتبنيه إستراتيجية هادفةإلى درجة الإقناع. وهو يلجأ إلى هذه الإستراتيجية **قصد التأثير في المتلقي**، وعلى هذا الأساس يبني المرسل سلوكه اللغوي وفقا **لثلاث استراتجيات متداخلة**، فالإستراتيجية الهادفة في معناها: -**الأول** هي إعلان المتكلم ...عن حصول درجة من درجات التّأثر لديه، قد تكون صادقة أو لا تكون، في درجات قربها من حقيقة مشاعره. هذا الإعلان لا يكون تأويله ممكنا.- **ثانيا**- إلا في إطار منظومة اجتماعية مشتركة بين المتكلم والمخاطب تقنن المرور عبر طقوس، وشعائر معينة. فنحن مطالبون في سلوكنا الاجتماعي، بإظهار أنماط معينة من التأثر في مقامات اجتماعية محددة. فإظهار الاحترام للمخاطب على سبيل المثال، محكوم في ثقافات مختلفة بضوابط اجتماعية أقرب إلى الطقوس، منها إلى مجرد شفرة لغوية.ولا يكون هذا التحرك في معنييه المذكورين إلا لغرض تأثيري، وهو الفعل في الآخر وتوجيه معتقداته، وسلوكه، وهذا هو **الوجه الثالث** للتأثير... [14]

لكن هذه الأوجه الثلاثة شديدة التداخل، فكل منها يستلزم بالضرورة المعنى الآخر، والتأثير لا يكون إلا عن طريق إعلان علامات التأثّر حسب طقوس اجتماعية معينة، وخلق انطباعات عن الذات، وعن مضمراتنا عن الآخر وعن علاقاته بالأنا...لذلك فالخطاب السياسي، ليس مجرد نص لغوي، بل هو خطاب مفتوح على الآخر، يتميز **بالحوارية، والتفاعلية**، لأنه عملي يتحقق من خلال «...الممارسة الفعلية، في الحياة السياسية والواقع السياسي، وهو أيضا خطاب متحقق في التجربة السياسية، إنه مرتبط بالمؤسسات السياسية، وهو انعكاس لسلوكيتها العقائدية والإيديولوجية والتاريخية والاجتماعية والنفسية والحقوقية والدينية...»[15]، ولقد أشار إلى هذه الخاصية **ج.جيومو** (J.Guilhaumou) ، في مقال له بعنوان" الإيديولوجديا، الخطاب، الظروف الراهنة"، سنة **1973**، «...فبالنسبة إليه تحليل الخطاب السياسي، يهتم بربط العلاقة بين المحتوى اللساني للرسالة مع القوى المرسلة(النخب المهيمنة والنخب المسيرة)، لمجتمع محدد، حيث أن علم الاجتماع التاريخي بلور تحليلا لسانيا من أجل تحديد محتواه وشحونته، ويلاحظ أن تحليل الخطاب السياسي **يمتاز بتموضعه في مفترق طرق بين المقاربة اللسانية وبقية العلوم الأخرى**...»[16]، وهو ما أكده **طه عبد الرحمن** عندما أشار إلى أن «...الخطاب لا يحصل تمام قيمته الفلسفية، إلا من خلال الممارسة السلوكية التي تصاحبه...»[17].

2- عوامل تطور الخطاب السياسي:

2- 1- الحرية، والديمقراطية:

في ظل التطور الاجتماعي، والثقافي، والسياسي، والانفتاح على العالم، عرف الخطاب السياسي عدة تغييرات ساهمت فيها، مجموعة من المعطيات، **فالحرية السياسية** قد سيطرت على كل شيء وحلت في كل نفس، المحل الأول، والخطاب السياسي ينمو تحت ظلّ **الحريّة** ويستمد غذاءه وقوّته منها إذ هو لا يترعرع إلا في جوّ حر طليق...وابرز مثال على ذلك التطور الذي عرفه الخطاب السياسي الغربي، مقابل التحجر، والانغلاق الذي عرفه الخطاب السياسي في مرحلة من المراحل، ولا يزال إلى يومنا هذا يسير بخطى بطيئة، لغياب الديمقراطية الحقيقية، واعتماده على التضليل السياسي...

2 -2- الصراع على السلطة:

ففي ظل **الحرية والتعددية**، والديمقراطية السياسية، يُفتح المجال لمختلف الشرائح، والتوجهات، للصراع على السلطة، ويتجلى هذا الصراع في أبرز صوره في الحملات الانتخابية، ومحاولة كلّ حزب أن يكون مشروعه الانتخابي هو الأغلب، ومبادئه أكثر انتشارا وذيوعا، وأعضاؤه أكثر عددا، وأقوى صوتا...

2- 3- الاختلاف في الرأي، والفكر:

الاختلاف في وجهات النظر، والأفكار من شأنه أن يغذي الخطاب السياسي شكلا ومضمونا، ويفتح مجالا واسعا لتطوره، وتنوّعة...وذلك لن يتحقق إلا في ظل **الديمقراطية، والحرية**...

2 - 4- الاستعمار:

الاستعمار الذي عرفته بعض الشعوب لفترة طويلة من الزمن...استدعى أن يكون من بين أهل البلاغة، والبيان فيها من يوقظ الحمية، ويثير العزائم، ويحيي الآمال، فوُجدت خطب سياسية دافعة إلى **الحياة الحرّة**...

2 -5- الخطاب السياسي أداة للدعاية:

كان الخطاب السياسي، ولازال لسان حال الشعوب، ومرآة عاكسة لهوية الحكم والسلطة، فلقد حرصت..كل دولة على نشر الدعاية عن حكمها، وأنها تسير بالقسطاس المستقيم، وأنّها لا تبغي غير الخير..كل هذا جعل للخطاب السياسي الناشر للمحاسن، النافي للمعايب، مكانا في كل أمة.. [18]

3- المميزات العامة للخطاب السياسي: (خصائص الخطاب السياسي):

أشرنا سابقا إلى تميز الخطاب السياسي عن بقية الخطابات من عدة زوايا، تجعله يملك سلطة أقوى على المتلقي، وتأثيرا أكبر من حيث امتلاكه للوسائل التي تجعله يتبوأ هذه المكانة.

وهي التي تجعل منه خطابا حجاجيا إقناعيا، بشكله ومضمونه، وهي خصائص، ومميزات براغماتية، لذلك سنحاول الحديث عن بعض هذه الخصائص والمميزات فيما يأتي:

3 -1- يعتبر الخطاب السياسي من أهم الخطابات المعاصرة، **وأكثرها تأثيرا** في المتلقي، وانتشارا بين الأوساط الشعبية ومختلف شرائح المجتمع، لأنه يعالج أهم المشاكل والقضايا، على المستوى الداخلي والخارجي، التي يتطلع كل فرد إلى معالجتها، وإيجاد حلول لها، ومما أكسبه هذا النفوذ والسلطة، من حيث التأثير والانتشار في أو ساط المجتمع، ما يتمتع به من سلطة مستمدة من الجهة الصادر عنها...

3 -2- يهتم الخطاب السياسي بأهم القضايا التي تساهم في **صنع القرارات** الفاعلة في المجتمع، وهو ما يبرر ارتباطه الكلي، بالظروف والأحداث، السائدة على مستوى الواقع...

3 - 3- الخطاب السياسي هو خطاب **مضموني** عن جدارة وتميز، نظرا لارتباطه بالسياسة التي تشحنه بأهم المضامين والأفكار والقضايا المصيرية، والمعاني، والدلالات التي تجعل منه أكثر تأثيرا وإقناعا للمتلقي، بعدها تصاغ هذه الأفكار في قوالب لغوية، وصيغ أسلوبية، مما يزيد في قوة الأفكار وتأثيرها، لذلك نشير إلى أن الخطاب السياسي حجاجي شكلا ومضمونا.

3 - 4- يهدف الخطاب السياسي إلى **الإقناع عن قصد ونية**، وهو موجه إلى هذا الغرض تحديدا، أي لتحقيق وجهة نظر صاحبه، وبسطها، ولأجل ذلك يعمد الخطاب السياسي إلى الأسلوب المباشر والسهل البسيط، حتى يصل إلى أكبر قدر من الجمهور والإقناع والتأثير، لكن هذا لا يعني أن الخطاب السياسي، لا يوظف الصور الفنية، والجمالية، بل يلجأ إليها، لا لتحقيق الأغراض الجمالية وإنما لتحقيق التواصل، لذلك فالأساليب الفنية الجمالية التي يلجأ إليها الخطاب السياسي، هي صور تواكب التطورات الحاصلة على مستوى الواقع، حيث تبتعد هذه الصور عن الزخرف اللفظي، والتعقيدات الأسلوبية، وبهدف الإقناع أيضا يقوم الخطيب بتوظيف بعض الأساليب الخطابية الناجحة، والفعالة أثناء محاولته إقناع الجمهور بأفكاره الرئيسية، **كالتكرار** الذي يعتبر أحد الأدوات الرئيسية المهمة في عملية الإقناع، ومن شأن هذا التكرار أن يؤدي إلى إلقاء الضوء على المواضيع والأفكار الرئيسية وجعلها أكثر ثباتا في الذاكرة...[19]

3 -5- لجوء الخطاب السياسي إلى **إبراز الذات المتكلمة**، بصورة موضوعية، يغلب عليها طابع الجماعية، حيث تحاول هذه الذات خلق أرضية مشتركة بينها وبين المتلقي، وهذا ما يجعل الخطاب السياسي يكثر من مصطلحات بعينها مثل: الشعب، والأمة، والوطن، والمصير المشترك،...، ويوظف ضمير المتكلم الجمع، نحن...

3-6- الخطاب السياسي **متغير**، لاحتوائه على قيم غير ثابتة، لأنه كما أشرنا من قبل وليد الظروف والمتغيرات الاجتماعية والسياسية باتجاهاتها المتضاربة، مما يجعل قيمه متغيرة وغير ثابتة، تحتمل عدة مفاهيم، تختلف من جماعة إلى أخرى، أو من فرد إلى آخر، فالديمقراطية والعولمة، والحداثة، قيم غير واضحة المفاهيم...

3 -7- الخطاب السياسي **قصدي**، يحمل نواياه بين سطوره، ومضامينه وأساليبه، التي لا يمكن أن نصفها بالعفوية أبدا. لأن الخطاب السياسي ينظر للأمور بعين السلطة، و يعالج القضايا ويطرحها من وجهة نظر السلطة، وعليه فمصداقية هذا الخطاب رهينة بما تفرضه السلطة، فالصواب أو الحقيقة، في هذا الخطاب تحددهما السلطة...[20]، لذلك يلجأ الخطاب السياسي إلى التراكيب البسيطة والقصيرة غير المعقدة، لأنه خطاب **إقناعي مقصدي**، وليس خطابا **جماليا بلاغيا، والصور البلاغية مباشرة ومقتبسة من الواقع**...كما أن الخطاب السياسي ليس خطابا عفويا، ولا يعبر عن ذات قائله، لأنه خطاب جماعي يمارسه صاحبه عن **تدريب وتوجيه وتلقين**، ومن ثم فهو لا يعبر عن ذاته الفطرية، ويخلو من المشاعر...[21]

3 -8- توظيف الخطاب السياسي **للغة الحياة اليومية**، لما تحمله من إيحائية، وأبعاد براغماتية للتفاعل مع ما يعيشه الفرد في المجتمع، بتوظيفه للغة اجتماعية معاصرة متداولة، في محاولة منه للاقتراب أكثر من الأحداث التي تحكم هذا المجتمع داخليا وخارجيا...مما يجعله أكثر واقعية لاقترابه من الواقع اليومي. فالرسالة التي يحملها الخطاب لا يتم تبليغها إلا من خلال تخصيصها، واستخدام الكلمات التي

لها وقع مؤثر، أي استخدام الخطيب لعدد من الأساليب بغرض تبليغ رسالته. من بين هذه الأساليب استخدامه للغة مستخدمة ومتعارف عليها، وللكلمات المجازية ذات الصور البلاغية، بحيث ترسم كلماته صورا في أذهان المستمع، وتؤثر في عملية التواصل وتساعد الخطيب على تبليغ رؤيته وأفكاره تبليغا رائعا...[22].

3 -9- يرتبط الخطاب السياسي، **بالموقف** الذي صُنع من أجله، والظروف التي ساهمت في وجوده، وبمجرد ما إن تختفي هذه الظروف حتى يضمحل هذا الخطاب، ويفقد قوته.....

ي- يحتمي الخطاب السياسي **وراء رسميته** التي يستمدها من السلطة التي ينتمي إليها، مما يجعله يفرض مصداقية معينة لتحقيق هدفه المنشود...**كما أن** الخطاب السياسي **أحادي النظرة**، والممارسة، يستفرد بالرأي العام من خلال استبعاده للآخر، ولخطابه، بحكم ما يتمتع به من سلطة...

3 -10- يحظى الخطاب السياسي **بأكبر جمهور**، حيث يتعدد المتلقي لهذا الخطاب ويختلف حسب المقامات والمواقف التي تصنعه، من متلقي مباشر، وغير مباشر، ومتلقي مقصود من الخطاب إلى مسترق السمع، إلى المتلقي الداخلي إذا تعلق الأمر بموضوع داخل المجتمع ، ومتلق خارجي إذا تعلق

الأمر بقضايا دولية[23]، وهذا لا يحدث في غيره من الخطابات الأخرى...[24]**كما** يُبنى الخطاب السياسي على مواقف الصراع، والأزمات والخلافات والظروف المحيطة بالمجتمع السياسي، فالموقف هو الذي يتسبب في صنع الخطاب، وليس الخطاب هو الذي يخلق الموقف...[25].

3 -11 -يعمد الخطاب السياسي إلى **البساطة والاختصار**[26]،في معالجة القضايا والأفكار المطروحة، باستخدامه لمصطلحات وألفاظ هي سهام موجهة، ونافذة «...في جعبة السياسي، لكن كلما كانت المصطلحات بسيطة مختصرة، يزيد تأثيرها وانتشارها...فالشعارات مثلا تعدّ من أسهل العبارات حفظا وأعمقها أثرا في نفس المتلقي...»[27].لذلك فالخطاب السياسي من أقوى الخطابات، وأشدها وقعا على المتلقي.

3 -12- التناص: تتعدد النصوص التي تبني الخطاب السياسي، بتعدد الوظائف التي يؤديها، وتعدد انفعالات وأزمنة هذا الخطاب، وهذه الإمكانية التي يتمتع بها الخطاب السياسي، استمدها من خاصية مهمة، هي التناص، الذي استطاع الخطاب من خلاله، أن يجمع بين مشاعر الخوف والتفاؤل، وبين الماضي والمضارع والأمر، وبين التحذير والنهي، والاستفهام...

ومما لا شك فيه أن هذا التناص، هو نتيجة لتعدد المقامات والسياقات التي تساهم في إنتاج الخطاب، وجعله يبدو على ما هو عليه شكلا، ومضمونا، لأن« ...الخطابات السياسية تتداعى وتستلهم من بعضها وتردّ على بعضها البعض. فالتمثلات السياسية، التي تُصور من خلال اللغة الذات، والآخر هي التي يتمكن الناس من خلالها، التعارف والتمايز و توجيه استراتيجياتهم، وسلوكياتهم وهي كلها نتاج تداخل الخطابات، فرجال السياسة يبنون ويهدمون صورا معينة من خلال المناظرات السياسية...» [28]، لذلك يتجاوز الخطاب السياسي مستواه المباشر، ويصبح فضاء تلتقي فيه جملة من النصوص، والأنساق الفكرية، التي تجعله يستحضر، ويعتمد على مجموعة من الثنائيات، لعل أهمها: ثنائية الهدم والبناء، من خلال استحضار صور وهدم أخرى...

4- استراتيجيات التأثير في الخطاب السياسي

يعمد الخطاب السياسي، إلى جملة من الأساليب، والآليات الحجاجية، الإقناعية، قصد التأثير في المتلقي، وحثه على الإمعان في المضامين، والدلالات، الكامنة فيه قصد تأويلها، وفهمها، ما يجعلها ترسخ في ذهن المتلقي، الذي قد يتأثر بها، لتتحول عنده إلى أفعال يمارسها، ويعمل بها. وسنحاول فيما يأتي عرض أهم استراتيجيات التأثير في الخطاب السياسي:

4 -1-الأفعال الكلاميّة (Actes de parole)

الأفعال السياسية هي أفعال كلامية في الغالب، لأن الكلام **لا يحمل فقط رسالة** دلالية، وإنّما هو يشي بالموقع الذي يتّخذه صائغ الكلام من تلك الدّلالة التي يتضمّنها الخطاب...إنّ اللغة تدل بما هي كلام وتدل بما هي علامات، وقرائن وإشارات، لا

يجلوها إلا الميثاق التواصلي بين متكلم ومتلق ...فآلية البدائل...تتيح تأويل اللغة بحرية، ولكنها لا تتيح أي حرية لتغيير الحدث، **فمأزق الفعل السياسي يقابله انعراج واسع في زاوية الفعل الكلامي**، لذلك يلجأ الفكر إلى **سلطة اللغة عسى أن تعيد التوازن بين الفعلين**...[29] فعندما نكون حيال **القول السياسي**، ولا سيما في لحظة مباشرته الأولى أو في لحظة إنشائه والإصداح به، نبحث عن المعنى فنكتشف أنه لا يوجد في البناء النّحوي للكلام، ولا في دلالة الألفاظ المعجمية، ولا يوجد في السياق التركيبي بين الجمل السابقة والجمل اللاحقة، ولا هو موجود في المقام التداولي باعتبار الروابط العالقة بين المتكلم والسامعين، ولكنه يوجد **خارج الحدث اللغوي، التواصلي تماما**...إنّه يوجد مبثوثا بين شاشة الأحداث الجارية وخزانة الوقائع الماضية، فهو مزروع على أرض الذّاكرة السياسية المتحرّكة إنّه يثوي بين حقيقة تاريخية مضت وحقيقة تريد لأن تنشأ...[30].

فالخطابات السياسية «...جزء من الممارسة الإيديولوجية للسلطة من قبل الدولة، وأن كلا من التفاعلات الاجتماعية الحافة بعملية إنتاج الخطاب السياسي الإعلامي وتلك التي تحف بعملية قراءته هي بالأساس **تفاعلات اجتماعية** قبل أن تكون معرفية أو كلامية تأويلية...»[31]. لذلك يرتبط الخطاب السياسي بالإعلام، وقد يتحول إلى إعلامي، والإعلامي يتحول إلى سياسي وهو الذي يُعرّف بباقي الخطابات، وخاصة السياسي الذي يحتاج دائما إلى ترسانة إعلامية، لا سيما أن أهم الآليات الصراعية القوية، في العالم اليوم هي«...آليات الصراع المعلوماتي، فقد باتت المعلومات قوة صراعية هائلة، نتيجة تطور الوسائل والوسائط المعلوماتية، كشبكات الانترنت وتكنولوجيا الاتصالات، وتقنيات وسائل الإعلام، والتلفزة، وهذه الوسائل، والوسائط واحدة من مجموع الأسلحة السياسية الصراعية القوية، التي تديرها العقول والمعارف والمعتقدات والإيديولوجيات... »[32]، وهو ما يجعل من الخطاب السياسي حقلا خصبا للدراسة التداولية، لارتباطه بها من عدة جوانب. فهو **خطاب تداولي** حجاجي، إقناعي، نفعي، يسعى إلى التأثير في المتلقي، من خلال جملة من الأفعال الكلامية التي تشكل هذا الخطاب، الذي قد يتحول إلى فعل كلامي واحد، انطلاقا من سلاسل أفعال كلامية صغيرة داخل الخطاب. وهذه الأفعال تظهر في الخطاب من خلال، بعض الصيغ الإنجازية، كالتوكيد، والوعد، والتقرير، والنفي، والاستفهام، والأمر، والإخبار...

4 -2 –الإيحاء:(لعبة الكلمات)

أو لعبة السياسة التي أضحت ضرورة، ولازمة من لوازم شطرنج الكلام، ومن لم يحسن قواعد هذا أفلتت منه قواعد تلك...[33] حيث **يتحول الخطاب إلى رقعة شطرنج**، تُمارس فيه لعبة من نوع خاص، هي لعبة الكلمات، والمعاني، وتفسيرها، وتأويلها بين المرسل والمتلقي، لذلك يلجأ الخطيب السياسي إلى شحن خطابه برموز ومدلولات، تختبئ وراءها بعض المعاني التي لا يريد البوح بها، إذ لا بد له من بعض الغموض حتى يُقنع المتلقي.

لكن هذا لا يعني أن يُغرق الخطاب السياسي في الغموض، والرمزية، حتى لا يبتعد عن الهدف الأساس الذي يبتغيه المرسل وهو التواصل، والإقناع، والتأثير. وإنما يلجأ السياسي إلى هذا الغموض، لأنه أقوى من حيث التأثير في المتلقي، لأن المعاني الخفية والأفكار غير المعلن عنها تحتاج إلى إعمال للفكر، وهو ما يرسخ الفكرة والمعنى في الذهن.

فمن خلال اللغة، تمارس السياسة صناعة التغييب، ومن خلالها أيضا تمارس، سياسة الإعلان والتصريح، ففي الحالة الأولى، تقدم السياسة من خلال اللغة «...الأحداث بأغلفة من البلاغة والمجاز في ضرب من الإلهاء على أمل أن يتوارى الوعي بحقيقة الأسباب، وشيئا فشيئا تتحول العبارة إلى رمز، يأخذ موقعه ضمن خانات العرف الدبلوماسي...»[34]، فتصبح بعض الكلمات استعارات، متداولة بين الأوساط السياسية، لأن «...اللغة على اختلاف مادتها هي من نسيج قائلها، فالمادة هذه هي التي تحدد نوع الخطاب كما هي التي تحدد متلقيها، فهو يتأثّر بمقدار النصوص الواردة فيه بالمدلولات الرمزية الغامضة المبهمة، فكلما كان هذا الغموض والإبهام فيه، كان هذا الخطيب سياسيا محنّكا مع حفاظه على بلاغة الخطاب...»[35]. لأن قول الحقيقة في الخطاب، نسبي، لا يعول عليه، ولكن يعول على البلاغة، والدقة في اختيار الكلمات المناسبة. ويحيلنا موضوع لعبة الكلمات[36]، الذي يميز الخطاب السياسي عن غيره من الخطابات إلى الحديث عن الاستعارة باعتبارها نتيجة من نتائج التلاعب بالكلام.

4 -3- الاستعارة:

الكلمات التي يستعملها الخطاب السياسي عادة هي تصورات استعارية مثل: المساواة، والحرية، والاستقلال، والسلطة...«...والاستعارات السياسية والاقتصادية، شأنها شأن كل الاستعارات الأخرى، قد تخفي بعض مظاهر الواقع. إلا أنّ للاستعارات في مجال السياسة والاقتصاد أهمية قصوى، فقد تقيد حياتنا. فالاستعارة في النسق السياسي أو الاقتصادي قد تؤدي، بموجب ما تخفيه، إلى الحطّ من قيمة البشر...»[37]. لأنها تعمد إلى إخفاء الحقيقة، وإظهار ما يريد المتكلم إظهاره، مما يفتح المجال أمام المتلقي للتأويلات، والقراءات المتعددة، للمعاني التي يحملها الخطاب، فالاستعارة في الخطاب السياسي، تستعمل لأغراض تواصلية بحتة، لأنها تزيد في إثارة المتلقي، وتجعله يبحث عن المعاني التي تخفيها، مما يجعل عملية التأويل والقراءة للخطاب، أقوى وأعمق وعليه سيكون التأثير أقوى. لذلك فالاستعارات في الخطاب السياسي المعاصر، تتعلق بالاستعمالات غير العادية، التي يسعى من خلالها المتكلم إلى التواصل والتأثير في المتلقي، أي أنها لا تُستحضر في الخطاب السياسي لأغراض جمالية فقط...[38].

فلقد ارتبطت الاستعارة عند العديد من الأشخاص، بالتوظيف اللغوي غير المألوف، والخيال الشعري، وكل ما يتعلق بالزخرف البلاغي، كما يعتقد البعض أيضا أنها خاصية لغوية، تتعلق بالألفاظ، ولا تُعنى بالأفكار، والمعاني، وعليه نستطيع الاستغناء عنها، وهو ما لا يصح، في هذا الحضور المكثف للاستعارة في حياتنا اليومية، ولا تقتصر على اللغة فحسب، فهي جزء من تفكيرنا، وسلوكنا اليومي لأن لغة التواصل التي نستخدمها يوميا، هي في أكثر نواحيها استعارية النزعة... [39]

4 - 5- مراعاة مقتضى الحال[40]

يلجأ المتكلم، أو الخطيب إلى مراعاة مقتضى الحال، ليخاطب **كل طبقة بما يناسبها**، ولتحقيق ذلك يجب أن يكون عارفا بأحوال من يخاطبهم، اجتماعيا وثقافيا، وسياسيا. لأن الكلام يُفسر ويُفهم حسب الموقف الذي يحدث فيه، لذلك يجب أن يجري أيضا، حسب الموقف الذي يحدث فيه، أو الذي يثير الكلام، ويثير اللغة، فإذا أراد المتكلم أن يعبر عن مشكلات وقضايا اجتماعية، أو سياسية، واقتصادية، لا بد أن يعبّر كما يلزم وكما يجب، فيوجّه الخطاب للمعنى السياسي بسياق مفردات وألفاظ سياسية، وتقديم حلول، وقرارات لتجذب الأسماع، لأنه يسعى إلى التأثير وتوصيل أفكاره إلى أكبر عدد ممكن، فالمعاني ليست جامدة، بل هي متحركة[41]. وهذه المعاني تحتاج إلى متلق يفهمها، حتى يتحقق الإقناع، لأن فهم المعنى هو جزء من عملية التأويل التي سيقوم بها المتلقي ، ولكي يكون لهذه المعاني وهذه التأويلات وقع على المتلقي، لا بد من مراعاة مقتضى الحال، فقد «...يعمد الخطيب إلى المنطق، وأقيسته اليقينية ويقتصر على ذلك إذا كان يخاطب أقواما، قد غلب على حياتهم الفكر والعقل، لا يرضيهم إلاّ الحقائق عارية، وقد يعمد إلى الظنّيات، وأقوال من عرفوا بالحكمة، إذا كان من يخاطبهم ممن يقدسون أولئك الذين ينقل عنهم، وقد يضيف إلى الظنّيات صورا كلامية، تثير الخيال، وتفعل في النفس ما يفعله الشعر، ومن الخطب ما تجتمع فيها تلك العناصر الثلاثة، فتبلغ القمة من التأثير والروعة، والجودة...»[42]، وهذا ما يحاول الخطاب السياسي بنزعته التداولية النفعية، أن يحققه، حتى يبلغ أعلى درجات الإقناع والتأثير في المتلقي. فالمعارف المشتركة، سواء أكانت ثقافية، أم معرفية، تتعلق بالقيم، والمبادئ، والمسلمات، وغيرها تساهم في عملية التواصل، حيث يكون الفهم متبادلا، والمعاني جلية أمام كل الأطراف المشاركة في العملية التواصلية، كما أن الفهم يكون ممكنا عندما يعي كل طرف الاختلافات في الخلفيات، والمرجعيات، ويعي أيضا ضرورة احترام هذه الاختلافات، والفروقات، والرؤى، ووجهات النظر. [43]

4 -6- السياق[44]

يشكل السياق عنصرا مهما في عملية بناء الخطاب من جهة، وفي عملية قراءته، وإعادة بنائه من قبل المتلقي من جهة أخرى، لأن المتلقي في تأويله، لمعاني الخطاب يعتمد على سياق الخطاب، بأنواعه المختلفة. فالمتكلم يحرص كل الحرص على أن يكون خطابه، بكل ألفاظه، وأساليبه، ومعانيه، وأفكاره، ملائما للسياق الذي سيقال فيه هذا الخطاب، لذلك فإن للسياق «...دورا فعالا في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس، وما كان ممكنا أن يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه...»[45]. والحديث عن السياق

لا يقتصر على السياق اللغوي، بل هو حديث عن السياقات الأخرى التي لا يمكن للمعنى أن يتحدد بدونها، لأن«...اللغة تدل بألفاظها وتركيبها ولكن دلالاتها كثيرا ما تكون ضيقة محدودة، ما لم تتضافر على بنيتها القرائن السياقية الخارجة عن دلالات القواميس...»[46].والخطاب السياسي بصفة خاصة، **يرتبط أكثر بالسياق نظرا لمنحاه التداولي**، ونزعته النفعية التي ترمي إلى التأثير في المتلقي وإقناعه، ومن ثم محاولة التغيير فيه، من خلال تغيير وجهة نظره حول القضايا المطروحة في الخطاب.

ونحن نعلم أن السياق من أهم المفاهيم التي تأسست عليها التداولية في دراسة اللغة، لأنها أي التداولية تهتم بدراسة استعمال اللغة في سياقات مختلفة، مما يجعل الكلام يحتمل عدة معاني حسب استعماله في السياق، فسياق الخطاب السياسي ليست النشوة الأدبية، ولا يكون الالتزام بشعرية القول هو الغاية، والوظيفة المنشودة، وهذه هي خصوصية هذا السياق، وإنّما هذه الصورة الأدبية تدعّم آلية إيصال الرسالة الدّلالية...[47]وهو ما يساعد في عملية القراءة والتأويل، لمختلف المعاني التي يحتملها الخطاب. وهو ما يجعله أكثر ارتباطا «... بالسياق الذي تحدده ثقافة المجتمع، فبانعدامه يصبح التلقي من الأمور المستحيلة، والخطاب لا يتحدد بجملة أو بمجموعة من الجمل بغض النظر عن كونها مكتوبة أو شفوية (منطوقة) داخل حيز ثقافي...»[48].

4 -7 –التأويل:

وهي خاصية تداولية بحتة، يخضع لها الخطاب السياسي، وتعتمد على المتلقي الذي يحاول أن يتجاوز التلقي المباشر إلى إعادة قراءة الخطاب في ضوء معطيات تداولية متعددة، ينطلق فيها من قصد المرسل والظروف التي أُنتج فيها الخطاب. وكل السياقات التي تحتضن هذا الخطاب لحظة إنتاجه وإلقائه، لأن التأويل يعتمد على مدى فهم المتلقي لمعاني الخطاب ودلالاته، وهذا الفهم قد يختلف من متلق إلى آخر، وعليه ستكون عملية التأويل.

فقراءة الخطاب وتأويله...لا تتوقف عند حدود "التلقي المباشر"، والمعنى الظاهر، بل تتجاوز ذلك إلى إسهام المتلقي عن قصد، وبكل وعي، في إنتاج وجهة النظر التي يحملها، الخطاب، فهذه القراءة الواعية لا تقبل الوقوف عند حد العرض والتشخيص والتحليل...بل تتجاوز ذلك إلى التوغل بين خبايا الخطاب، قصد إعادة بنائه بطريقة تجعله أشد تماسكا، وأكثر تجسيدا وتعبيرا عن وجهات النظر، والمواقف والرؤى التي يحملها صراحة أو ضمنا. مما يجعل من هذه القراءة ورقة ذات حدين، باعتبارها تجسد البعد الذي يتحدث منه المتكلم أو منتج الخطاب، والبعد الذي يتحدث منه القارئ، أو المؤول لهذا الخطاب. ولكي تكون هذه القراءة ناجحة يتوجب عليها توظيف البعدين معا وإخراجهما في شكل واحد منسجم ومتماسك...[49].

4 -8– الصورة الشعرية:

الصورة الشعرية في السياسة بمثابة السهام النافذة التي تشق طريقها نحو المتلقي، بكل عزم وثبات، حيث يتحول الخطاب السياسي، من سياق الإخبار العادي، إلى سياق آخر تكون للعبة الكلمات فيه التأثير القوي على المتلقي، وهو سياق الإبداع، الذي يجعل غير الممكن ممكنا، حيث أصبحت الصورة الشعرية التي استعارتها السياسة من الأدب «...بمثابة القرص المضغوط الحامل لحقيبة كاملة من الرسائل في نسيج اللغة وفي جسور الأعراف القائمة بين اللغة، ومستخدمي اللغة من مرسلين ومتقبلين، أما هنا فالجسور مثلثة الأبعاد فيها قرائن المجاز، وفيها قرائن الحدث السياسي بكل مؤشّراته، وفيها أيضا الطاقة الاستقبالية الجديدة، التي هي "شفرة" إما أن نلم برموزها فنفتح مغاليقها، وإما أن نمسك إمساكا عن تناولها، ونستعصم استعصاما عن كل فضول في قراءة السياسة...»[50].

ومن هنا تطل التداولية من جديد بأبعادها المختلفة، في الصورة الشعرية، التي لا يقل تأثيرها في المتلقي، عن اللغة المباشرة الواضحة، لكن هذا التأثير لن يتأتى إلا إذا توفرت كل الشروط التداولية الضرورية من شفرة، وسياق ملائم ومتلق، يفهم ما يقال ويحاول حسب فهمه فك مغاليق المعاني المشفرة وإعادة قراءة المعاني في سياقاتها المختلفة، وتأويلها من جديد، وبهذا كله يحصل التأثير والإقناع لأن المعاني العابرة سرعان ما تزول وتختفي عكس المعاني الضمنية التي لا يصرح بها الخطاب.

«...وقد يتجه الخطيب إلى **تصوير الحقائق في صورة تثير الخيال**، وتعجب بذاتها ويضع الحقائق في أسلوب شعري ليجتمع التصديق مع إثارة الخيال، ويلتقي الإذعان وإثارة الوجدان...»[51].

الهوامش

1- ينظر: Philippe Breton ; l`argumentation, Dan la communication Editions du Casbah. Alger, Javier1 998, p 03.

2- ينظر: Chain Perelman, et Lucie tytica ; traité de l`argumentation, La nouvelle rhétorique, Editions de l`université de Bruxelles 1992, p 05

3 - منير التريكي، آليات تحليل الخطاب السياسي،الحياة الثقافية، العدد 123،فيفري، 2002،مجلة شهرية تصدرها الحياة الثقافية التونسية، ص 4.

4- ينظر: عيسى عودة برهومة، تمثلات اللغة في الخطاب السياسي، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 36، 1سبتمبر، 2007، ص127.

5- كلود يونان، طرق التضليل السياسي، ط1، مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2009، ص43

6 -ينظر: عيسى عودة برهومة، تمثلات اللغة في الخطاب السياسي،م، س، ص127.

7 - عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007، ص 29.

8- **ثنائية الشكل والمضمون في الخطاب**: كل خطاب، **لاسيما السياسي** تظهر عبره ثنائية **الشكل والمضمون**، أو **الظاهر والباطن**، أو **الدلالة والمغزى** وهي ثنائية **لا بدّ من وجودها داخل الخطاب لأنها جوهر الخطاب**...

9- الخطاب السياسي والمجتمع:يحمل الخطاب السياسي، بين طياته **أبعادا اجتماعية**، فهو **خطاب اجتماعي بامتياز**، يرتبط **بالمجتمع السياسي** الذي يُوَجَّه إليه، ويحمل قيمه، ومبادئه، وكل تطلعاته... وهذه المفردات والمعاني والقيم التي يتضمنها الخطاب في أساسها **ملك المجتمع** الذي نشأ فيه الخطاب **نتيجة التفاعل والاتصال بين أفراده**...

10- بشير ابرير، سمات التداول في الخطاب السياسي، خطاب الرئيس بوتفليقة بمناسبة جائزة البابطين الثقافية نموذجا، م، س، ص38.

11-- ينظر: محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2005. ص 46.

12- ينظر: م، ن، ص 54.

13- ينظر: موريس أبو ناصر، إشارة اللغة ودلالة الكلام، ط1، منشورات مختارات، لبنان، 1990، ص 283.

14 - ينظر: منير التريكي، آليات تحليل الخطاب السياسي، م، س، ص 9.

15 كلود يونان، طرق التضليل السياسي، م، س، ص45.

16Christian Baylon, Sociolinguistique, Société,Langue, Discours, Collection Nathan -Université,1991; p 248,249.

النص باللغة الفرنسية:

quant à lui, s'occupe de mettre en relation le contenu linguistique d'un message avec les forces émettrices (classe dominante et classe dirigeante) d'une société donnée. Une sociologie historique structure une analyse linguistique pour lui donner sa portée. On le voit, l'analyse du discours politique posséde le privilege de situer au point de contact entre la réflexion linguistique et les autres sciences humaines.

17- طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1995، ص 44.

18 - - ينظر: الإمام، محمد أبو زهرة، الخطابة، أصولها، تاريخها، في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، (د- ت)، ص، ص 125، 126.

19- ينظر: : شيل لين، قلها مثل أوباما، قوة التحدث ذات الهدف والرؤية، ط1، مكتبة جرير، السعودية، 2009، ص 31.

20 - ينظر: محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي م، س، ص 348.

21- ينظر: ، م، ن، ص 348.

22 - ينظر شيل لين، ، قلها مثل أوباما، قوة التحدث ذات الهدف والرؤية، م، س، ص 30، 31.

23 - ينظر: محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي م، س، ص 348.

24 - م، ن، ص 349.

25- ينظر: م،ن، ص،347..

26- مثال: وخير دليل على قوة هذه النقطة وفعاليتها في الخطاب السياسي، الخطاب الذي قدّمه **باراك أوباما** في المؤتمر القومي للحزب الديمقراطي فقد أدهش خطابه- الذي لم يتجاوز عشرين دقيقة ولم تتعد كلماته 2300 كلمة- الشعب الأمريكي **وحظي بالمديح والثناء في جميع أنحاء العالم**. لقد **نجح في توصيل رؤيته إلى كل مواطن أمريكي**. لقد كانت كلماته ورؤيته مصدر إلهام للملايين من مشاهديه. وعلى الفور لقبته وسائل الإعلام ب"**النجم الصاعد**"، كما عجلت مهاراته الخطابية النشطة إلى حد كبير بالتقدم في مسار حياته المهنية وحولته بين عشية، وضحاها إلى شخصية سياسية قومية بارزة..ينظر شيل لين قلها مثل أوباما قوة التحدث ذات الهدف والرؤية، م، س، ص 1.

27 - عيسى عودة برهومة، تمثلات اللغة في الخطاب السياسي، م، س، ص 134.

28- ينظر: منير التريكي، آليات تحليل الخطاب السياسي، م، س، ص 8.

29- ينظر: عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، م، س، ص 17.

30 -ينظر: م، ن، ص 20.

31-منير التريكي، آليات تحليل الخطاب السياسي، م، س، ص 6.

32 -كلود يونان، طرق التضليل السياسي، م، س، ص10.

33 - ينظر: عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، م، س، ص 53.

34- م، ن، ص 290.

35- عيسى عودة برهومة، تمثلات اللغة في الخطاب السياسي، م، س، ص 129.

-36 الخطاب السياسي ولعبة الكلمات: يلجأ السياسيون، في خطاباتهم ، إلى **لعبة الكلمات**... فقد تظهر في الخطاب كلمات **تدغدغ مشاعر المواطنين بكلمات رومانسية**، لاستمالة عقولهم إلى مستقبل بعيد المدى في تحقيقها، كما أنّها **لغة ملتبسة، غامضة، مبهمة، ليست باللغة الصريحة**، وهي حافلة بالمعاني المتعددة، والتفسيرات الهادفة إلى استثارة النفوس لخدمة السياسة...ينظر: م، ن، ص 135.

37- جورج لايكوف، ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1996 ص 220.

38- أمثلة عن بعض الاستعارات المستعملة في بعض الخطابات السياسية: (في 2003/12/25، والعالم مشدود إلى الموقف الجريء الذي اتخذه العقيد "**معمر القذافي**" ليطوي صفحة المواجهة الدولية ويفتح صفحة التعاون الكامل صرح **سيف الإسلام** نجل العقيد قائلا:" **ليبيا تعيش شهر العسل مع الولايات المتحدة**".- سئل الرئيس عبد **العزيز بوتفليقة**، في ندوة صحفية يوم 2000/09/10، أثناء حضوره احتفال الأمم المتحدة بمطلع القرن فيما سمي بقمة الألفية في نيويورك، عن الوضع الاقتصادي في= =الجزائر، فرد:" **إن ضرع البقرة الحلوب قد جف**"، كما سئل في نفس الندوة عن موقفه من الإرهاب فقال: "**الإرهاب مثل الكلسترول بعضه سيّء وبعضه حميد**" ...ينظر: عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، م، س، ص 53، 54.

39 - جورج لايكوف، ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، م، س، ص 21.

40 - قال الفارابي: إنّ الخطيب إذا أراد بلوغ غايته، وحسن سياسة نفسه في أموره **فليتوخّ طباع الناس وتلوّن أخلاقهم، وتباين أحوالهم**...**كما قال أفلاطون**: لكل **أمر حقيقة، ولكل زمان طريقة، ولكل إنسان خليقة. فعامل الناس على خلائقهم، والتمس من الأمور حقائقها واجر مع الزّمان على طرائقه**...ينظر: الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة، أصولها، تاريخها، في أزهر عصورها، م، س، ص9.

41- عيسى عودة برهومة، تمثلات اللغة في الخطاب السياسي، م، س، ص 131.

42 - الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة، أصولها، تاريخها، في أزهر عصورها، م، س، ص 16.

43 - ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسن، ترجمة عبد المجيد جحفة، م، س، ص 216.

44 - السياق: نوعان **سياق لغوي** يرتبط ببنية النص الداخلية، **وسياق غير لغوي** ويُعنى بدراسة الخطاب في ضوء **الظروف الخارجية والمؤثرات المباشرة عليه، وظروف إنتاجه، ويدخل في ذلك خصائص السياق الإدراكية، والاجتماعية، والثقافية، والمشاركون في الحدث، وارتباط الخطاب بالمكان، والزمان**... ينظر: محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، م، س، ص7.

45 - محمد خطابي لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1991، ص56.

46 - عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، م، س، ص 129.

47 - محمد خطابي لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، م، س، ص 30.

48- ذهبية الحاج حمو، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، الجزائر، 2005، ص 139.

49 - محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، م، س، ص 12.

50 - عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، م، س، ص 52.

51 - محمد أبو زهرة، الخطابة، أصولها تاريخها، في أزهر عصورها عند العرب، م، س، ص 16.

مقاربة سوسيو- قانونية لواقع التسريح الجماعي للعمال في المؤسسات الإقتصادية العمومية الجزائرية

الدكتور: بوكربوط عزالدين
جامعة الجلفة – الجزائـر

ملخص:

يعبر التقليص من العمال الجزائريين في المؤسسات العمومية االاقتصادية عن منطق اصلاح في نمادج تنظيم العمل ، وبالتالي اصلاح سوق العمل الذي يطورالفاعلية الضرورية للنشاط الاقتصادي و الذي يؤدي بدوره الى انشطار المخاطر الناتجة عنه بفعل اسهامه في بروز حقوق جديدة للمستخدمين وبالاخص الاكثر تضررا. وقد تنتج انعكاساته الآنية ليس في خلق البطالة بل في تغيير ملموس في حياة المؤسسات والمستخدمين.

يمثل محتوى المقال تخمينا سوسيولوجيا ناضجا عن البدائل الممكنة لتقليص المستخدمين، ويسهم في تقديم نظرة بناءة عنه، انطلاقا من كون التقليص ليس معطى مجردا بل بناء مؤسس من تفاعلات داخلية بين الفاعلين.

Résume

La compression des salaries algériens dans les entreprises publiques économiques signifie une logique de réforme des modes de l'organisation du travail, et par là une réforme du marché du travail développe la flexibilité nécessaire à l'activité économique tout en répartissant, plus justement les risques qui lui sont associés en ouvrant de nouveaux droits aux salariés ; notamment les plus fragiles. S'il ne faut pas en attendre des effets immédiats sur le chômage, il changera trés concrètement la vie des entreprises et des salariés.

Cet article porte une réflexion sociologique lucide sur les alternatives de la compression des salariés. Nous rejoignons ainsi une vision plus constructiviste, ou la compression n'est pas une donnée abstraite mais un construit forgé par les interactions entre acteurs.

تمهيد:

الواقع لم يرد صراحة مصطلح تقليص عدد العمال في صلب المراسم التشريعية الجزائرية بقدر الإشارة بوضوح إلى مصطلح التسريح الجماعي للعمال في القطاع العمومي الوطني، مع العلم أن إتخاد قرارات التسريح ذاتها تمت بطرق غير معقلنة وذلك تماشيا مع التسارع المتنامي لإعادة تفكيك النسيج الصناعي العمومي بمختلف فروعه ونشاطاته الإنتاجية. وبالمقابل افتقدت إجراءات التحكم في الشروط العامة التي تساعد على ضمان الحقوق العامة للعمال الذين يفتقدون مناصب عملهم، أو على الأقل ضمان معرفة صدق المبررات التي يقدمها المستخدم أثناء إتخاد التدابير الخاصة بالتقليص من عدد العاملين بعد إجراء التقليص ذاته في المؤسسة.

1: شروط وإجراءات التسريح الجماعي للعمال:

لقد شهدت معظم المؤسسات الاقتصادية العمومية تفاقما في ديونها الداخلية والخارجية وشكلت هده الديون في الواقع عراقيل غالبا ما كبحت تطورها وعمقت من فشلها في دعم إستراتيجية النمو الاجتماعي والاقتصادي المنتظر في كثير من مستويات التدرج المجتمعي الجزائري. ومع ذلك فلا بد من الإشارة على ضعف إيجاد تسوية سواء لإصلاح أو تطوير أو تغيير نموذج التنظيم والتسيير المناسب لوضع المؤسسات الاقتصادية العمومية في اتجاه مشروع تنموي وطني منتج للأقطاب المندمجة والذي يمكن من تحقيق تراكم الثروة المستقلة، وتجاوز أزمة الركود في القدرة الإنتاجية والاستدانة التي حققت عجزها الفعلي.

حاولت الدولة الجزائرية إيجاد دعما ماليا بالتوجه إلى السوق الداخلي، لكن بقي دون جدوى، إذ أعيد توجهها في كل الظروف إلى الدول الأوروبية التي رفضت إعادة تسديد الديون بقروض أخرى وخاصة اللجوء إلى صندوق النقد الدولي والبنك العالمي اللذين قدما قروضا دون شروط أو قيود سياسية أو اجتماعية وسميت بتسهيل التمويل الموّسع♦ سنة 1989 و وضعت الجزائر في 26 مارس 1990 قانون النقد والقرض.

والملاحظ أن على مستوى مسار الإختلالات وسوء التنظيم والتسيير الذي عرفه والتشدد في شروط تسديد الديون ظلت الأوضاع سلبية، ووصل العجز إلى معدل 16.7% مع انخفاض القدرة الاستهلاكية إلى نسبة 05 % ، وبالتالي انخفاض مستوى المعيشة في المدى القريب وتضمن أساسا الضغط على الطلب، كجوهر لسياسة التسوية الهيكلية وذلك على مستويات متعددة نحددها كما يأتي:

- على مستوى النفقات العامة بهدف العجز في الميزانية العامة، وذلك عبر تخفيض النفقات الاجتماعية خاصة نفقات الصحة والتعليم وكذا تخفيض ميزانية التجهيز وتسيير القطاعات الاقتصادية العمومية كالحد من التوظيف المباشر والمساعدات الموجهة للمؤسسات العمومية.
- الإصلاح الجبائي باتجاه الرفع من الضرائب غير المباشرة عن طريق تقليص الاستهلاك.
- الحد من الإصدار النقدي أي الحد من توفير الكتلة النقدية ورفع أسعار الفائدة.
- تخفيض من قيمة الدينار وكذا الحد من السلع المستوردة بالعملة الصعبة وتشجيع الصادرات بغرض الحصول على العملة الصعبة.

بينما تحددت بوضوح الإجراءات الخاصة بالمدى الطويل أساسا على إدماج الاقتصاد للبلدان المختلفة في الاقتصاد العالمي، وذلك بإدماج كافة الهياكل الاجتماعية والاقتصادية للبلدان المدينة بهياكل الإنتاج الجديدة على مستوى اقتصاد السوق (الرأسمالي) المتطور لتسهيل دخول السلع من الدول الرأسمالية المتقدمة، وكذا تسهيل عمليات النقل العكسي لرؤوس الأموال، وعموما تضم هذه الإجراءات تطوير الإنتاج باتجاه الصادرات، وهذا ما تم في الواقع على أساس إلغاء القيود المفروضة على العملات الخارجية والاعتماد أقل على الوسائل الإدارية في هذه المعاملات – تسيير قوانين الاستثمار–

وهدف ذلك هو وضع مزايا ضريبية من أجل حماية وتسهيل نقل الأرباح والفوائد وكذا المشاركة في ملكية المشروعات المحلية مع القطاع الخاص والعمومي وضمان تسديد الديون غير الواردة التي يحصل

عليها البلد من العملة الصعبة، وأخيرا تعمق التقسيم الدولي للعمل لتشجيع التمويل التدريجي لبعض النشاطات الصناعية المكلفة للطاقة والبيئة.

إن سياسة استبدال التخطيط بالسوق والقطاع العمومي بالقطاع الخاص، وهذا طبعا ما اعتبره صندوق النقد الدولي شرطا ضروريا لإعادة تصحيح عملية تخصيص المواد وتوزيع المداخل وبالخصوص تخلي الدولة عن التدخل في المجال الاقتصادي والاجتماعي، ودعمها للقطاع العمومي، وتشجيع المنافسة الحرة، وإعطاء دور واسع للقطاع الخاص في الاقتصاد.

1.1-الشروط العامة الأساسية:

الواقع تستند الشروط الأساسية العامة أثناء التسريح الجماعي للعاملين على شرطين محوريين وهما:

-الشرط الأول خاص باستشارة لجنة المشاركة إذ لا يمكن للهيئة المستخدمة إتخاد أو تنفيذ قرار التسريح الجماعي للعمال بمفردها، لذا أوجب توفر ركنا جوهريا أثناء تقديم برنامجها المحدد للتسريح، والمتمثل في الجانب الاجتماعي المنصوص عليه في المرسوم التشريعي[1] متبوعا بالأسباب الاقتصادية الدافعة إلى إتخاد مثل هذا القرار، مع تقديمه إلى الأجهزة الإدارية المختصة والمتمثلة في لجنة المشاركة طبقا لما يحدده القانون[2] والذي يقر بأن للجنة المشاركة صلاحية في إبداء الرأي قبل تنفيذ المستخدم القرارات المتعلقة بمشاريع إعادة هيكلة الشغل، وإعادة توزيع العمال، وتخفيض عددهم، مع العلم أن هذه اللجنة تبدي موقفها في أجل أقصاه خمسة عشر يوما.

الواقع أن الصلاحيات الموكلة للجنة المشاركة تتسم بدور جوهري في النظر إلى جدية السبب الاقتصادي الذي يتخذه المستخدم لتبرير مواقفه، وفي حالة عدم التبرير تبقى صلاحياته المخولة قانونا في وضع غير قانوني وخاصة إذا تناقضت مع ضرورة احترامه للتشريع الساري المفعول. وفي كل الحالات تبقى لجنة المشاركة تتمتع بصلاحيات هامة، إذ تلقى المعلومات من قبل كل مستخدم كل ثلاثة شهور والمتميزة خاصة (بتطوير إنتاج المواد والخدمات والمبيعات وإنتاجية العمل وتطوير عدد المستخدمين وهيكل الشغل وكذا الإطلاع على الكشوف المالية للهيئة المستخدمة: الحصيلات وحسابات الاستغلال وحسابات الأرباح والخسائر).[3]

وهذا ما يتبث لنا صراحة بأن المشرع الجزائري همه الوحيد لم يكن في البحث عن البدائل الإستراتيجية ربما لإنقاذ المؤسسات العمومية التي تبث تخمينه في تدقيق الحسابات البشرية والمالية والإنتاجية، وبذلك يكون قد مزج بين الوظائف الإنسانية وباقي الوظائف الأخرى التي تؤدى بداخل المؤسسات الاقتصادية.

والمهم أن مجال صلاحية لجنة المشاركة يكفيها الاستعانة بخبراء غير تابعين لأصحاب العمل[4] ناهيك أن الرأي الذي تقترحه أو تتخذه لجنة المشاركة بعيد عن رأي أو اقتراح استشاري، لذا لا يتقيد به المستخدم وقد يرفضه إذا التمس في المضمون، بأنه لا يراعي المصالح والحاجات المرغوب فيها في مستوى تسيير إجراءات التسريح سواء الجزئي أم الكلي.

يقتضي غياب لجنة المشاركة في المؤسسات الاقتصادية العمومية التي اتخذت إجراءات التسريح، التوجه إلى ممثلي النقابة، وفي حال شغور غياب هذه الأخيرة فيعرض الأمر حينها على الممتلكين المنتخبين مباشرة من طرف العمال، وذلك وفقا لما نصت علية الأحكام القانونية السارية المفعول[5].

إن المشرع الجزائري حينما اعتنى بالإجراء الاستشاري، فإن احترامه يعد إلزاميا أي وجوب التزام الهيئة المستخدمة بالعمل به دون تحفظ بغض النظر عن المواقف التي اتخذت أو كيفت أو عدلت، والمهم في هذه المواقف أنها عبرت عن عمل ناتج عن لجنة استشارية محايدة، وعدم احترام تنفيذ الإجراءات يؤدي لا محال إلى بطلان التسريح الجماعي للعمال، وبالتالي يشكل بحسب القانونيين تسريحا تعسفيا.

-بينما يستند الشرط الثاني على أساس التفاوض الجماعي: فبعد الانتهاء من المرحلة السابقة وبالتحديد انتهاء الآجال المحددة لعمل لجنة المشاركة، تتحدد أكثر مرحلة التفاوض بين المستخدم أو صاحب المؤسسة والممثلين النقابيين، والتي تدعم طبعا الاتفاق المراد إبرامه خاصة حول الجانب الاجتماعي وشروط تنفيذه، والمقصود بالجانب الاجتماعي ماهية الإجراءات التي يجب أن يتخذها صاحب المؤسسة لتجاوز إجراء التسريح الجماعي أو على الأقل التخفيف منه، مع تقديم الضمانات المقررة للعمال المسرحين وكذا الحقوق الممنوحة لهم وفي حالة غياب التمثيل النقابي للعمال- وهي حالات نادرة طبعا- فإن مهمة التفاوض تستند إلى الممثلين المنتخبين مباشرة من طرف العمال.

والواقع تعتبر مرحلة التفاوض الجماعي في نظر المشرع الجزائري أهم المراحل التي تتحكم في مصير إجراء التسريح الجماعي في حد ذاته، إذ أقر المشرع وفقط للمقر القانوني[6] خاصة إذا كان تقليص العمال ينبني على إجراء التسريح الجماعي، يتخذ قراره بعد تفاوض جماعي.

وبالإضافة إلى أهمية الشرطين السابقين يجب أن يخضع إجراء التسريح الجماعي للعمال إلى الموافقة الإدارية المبدئية المسبقة، والتي تتجسد في هيئة مفتشية العمل، كون هذه الهيئة في نظرنا هي الحامية أو المؤمنة لإجراء تسريح العمال جراء تعسف سلطة صاحب العمل، إذ يقوم مفتش العمل بالتحقيق الدقيق لجل الأسباب الكامنة والظاهرة التي يحددها ويعلنها صاحب العمل وينقب عن جديتها من أجل تأكيدها أو بطلانها.

ويمكن لمفتش العمل الاستعانة بخبراء مختصين، ويبقى في وضع الالتزام بحتمية استشارة ممثلي العمال، ولا بد أن يدلي برأيه في أجل لا يتعدى خمسة عشر يوما. لكن إذا تمعنا في التشريع الجزائري

الجديد، فإننا نجد بأن المشرع الجزائري قد استبعد تماما إخطار مفتشية العمل بصفة كلية على أساس أن الإجراء شكليا، ولا يتم الاستفادة منه مادامت القضية المطروحة خاضعة لحكم القرار الذي يتم على أساسه التفاوض الجماعي، وهذا ما أفرغ في حقيقة الأمر مهام مفتشية العمل من محتواها، وجعلها مجرد مكتب لتسجيل الشكاوي أو مجرد وسيط بين لجان المصالحة لا غير.

ونعتقد أن إبعاد مفتشية العمل عن دور الرقابة الصارمة في تنفذ الإجراءات التي ينص عليها القانون والخاصة بالتسريح الجماعي للعمال، تجسد في الواقع دور الدولة المنسحب من الحماية الاجتماعية والاقتصادية للعمال لأن تأييد سياسة الدولة للإجراء ذاته لا يعني أنها تفرغ هيئاتها من أداء دورها في الحد من تعسف استعمال السلطات التي يتمتع بها المستخدمون.

2-إجراءات التسريح لسبب اقتصادي وجهة نظر التشريع الفرنسي:

لقد غير إجراء التسريح الاقتصادي تدريجيا بقانون برنامج التضامن الاجتماعي المؤرخ في 18 جانفي 2005. وهذا القانون اختزل بعض تدابير العصرنة الاجتماعية (17 جانفي 2002) والتي تم اختزالها بدورها سنة 2003. وقد تم إدماج في قانون العمل الفرنسي المغاير للقانون الجزائري مختلف التدابير التي تهدف كلها إلى تبسيط إجراء التسريح الاقتصادي، وحماية التسريحات الاقتصادية. وكل الإصلاحات التي نتجت عن هذا القانون لا تطبق إلا ضمن إجراءات التسريح التي اتخذت بعد تطبيق هذا القانون، وبالتحديد منذ 19 جانفي .2005

2-1-إجراء يختلف بحسب عدد التسريحات:

أبدى المشرع الفرنسي صراحة تخوفه لحماية الأجراء المهددين بالتسريح الاقتصادي، بتحديده للسبب الاقتصادي للتسريح ذاته، وبتأسيسه لإجراء صارم حينما يكون عدد المسرحين هائلا.

وبحسب المادة (L. 321-1 ، - Alinéa 1ier) من قانون العمل الفرنسي، المغير بقانون برنامج التضامن الاجتماعي – 18 جانفي 2005- يعتبر التسريح الاقتصادي بكونه (يشرع المؤجر إلى التسريح لسبب أو لأسباب اقتصادية متعددة وغير ملزمة للشخص الأجير، تؤدي إلى اختزال أو تغيير الوظيفة أو تحويلها، التي يرفضها الأجير، كأحد المبادئ الجوهرية في عقد المستثمر، خاصة أثناء الصعوبات الاقتصادية أو التحولات التكنولوجية)

ويمكن من وجهة نظرنا تحديد هذا التعريف القانوني كما يأتي:

- يتحدد التسريح الاقتصادي في نظر المشرع الفرنسي: التسريح هو تسريح لسبب اقتصادي، وليس تسريحا لسبب فردي. لذلك فهو يخضع إلى القواعد الخاصة بالتسريح الاقتصادي، كل تسريح يتميز أساسا أو يتحدد بعامل أجنبي خارج عن الشخص الأجير.
- يجب تبرير التسريح الاقتصادي بعاملين أساسيين:

-فمن جهة، "سبب اقتصادي" الذي يستند "خاصة" للصعوبات الاقتصادية أو التحولات التكنولوجية الشديدة التعقيد والسريعة التطوير.

–ومن جهة أخرى يحدث "أثر على الوظيفة" حينما يختزل أو يحول الوظيفة أو يغير في عقد العمل الذي يرفضه الأجير.

على هذا الأساس فإن تبليغ التسريح يجب أن يستند على هذين المبدأين من التبريرات أثناء تنفيذ التسريح. ويجب على المؤجر (Employeur) مثلا تحديد بأنه نظرا للصعوبات المختلفة التي تواجهها المؤسسة، وجوب مباشرة إجراء اختزال الوظائف.

لكن في كل الحالات، نجد بأن قانون (L.321-1 Alinéa 3) من قانون العمل الفرنسي يحدد لنا بأنه لا يمكن مباشرة التسريح الاقتصادي إلا ضمن الشروط الآتية:

- استنفاذ كل مجهودات التكوين وتكييف الأجير المعني.
- إعادة المعني في وظيفة تنتمي لنفس الصنف الذي ينتمي إليه، أو في وظيفة تعادلها، أو باحتياط – تحفظ– موافقة الأجير، لوظيفة ذات صنف أقل رتبة من تلك التي كان يحتلها الأجير في المؤسسة، أو لنفس مجموعة المؤسسات التي تنتمي إليها المؤسسة.

ولا بد من الإشارة في مثل هذه الوضعيات المعقدة استحالة تصنيف الأجير الذي أخذه بعين الاعتبار المشرع الفرنسي لتحديد إذا كان التسريح يستند على سبب فعلي وجدي.

2–1–1–السبب الاقتصادي:

إن المادة (L.321-1) من قانون العمل تحدد لنا بالفعل الصعوبات الاقتصادية والتحولات التكنولوجية التي تواجهها المؤسسة الفرنسية. لذا فإذا أخذنا بعين الاعتبار المبالغة في سياق كلمة "خاصة" التي وردت في قانون 18 جانفي 2005– فقد حدد القضاء أسباب أخرى للتسريحات الاقتصادية، كإعادة التنظيم الضروري لحماية منافسة المؤسسة، واختزال أنشطة المؤسسة.ويمكننا تحليل الوضعيات المعقدة ضمن السياق الأتي:

–الوضعية الأولى تميزها الصعوبات الاقتصادية: تشكل الصعوبات الاقتصادية التي تواجهها المؤسسة سببا جوهريا للمؤجر الذي يستند عليها التسريح الاقتصادي. فعدم القدرة على مواجهة تكاليف الاستغلال خاصة احترام الآجال المحددة لدفع الأجور، تؤدي بالضرورة إلى التقليص من عدد العاملين، إلى حد تعجيل التصفية القانونية للمؤسسة، وبالتالي التسريح الجماعي للمستخدمين. إذن تكمن كل الصعوبة في جدية المشاكل الاقتصادية التي يبررها المؤجر لاختزال الوظيفة ربما بصفة ظرفية –طبعا في حال تحسين الوضعية الاقتصادية المتأزمة– أو نهائية–في حال استحالة تحسين الوضعية الاقتصادية المتأزمة– و هذه الوضعية تطغى عليها مناطق الشك بحسب تعبير ميشال كروزييه لأن الصعوبات الاقتصادية تقترن بالاختلالات الاجتماعية وبصعوبة القضاء على هشاشة بناءات تراكيب المجتمع المتداخلة مع بعضها البعض.

–الوضعية الثانية تميزها التحولات التكنولوجية: رغم وضوح الافتراض الذي حدده القانون الفرنسي فقلما تبرر اختزال أو تحويل الوظيفة بسبب التحولات التكنولوجية المعقدة والسريعة التطوير. ولكن قد تلجأ المؤسسة إلى غلق مصلحة أو مقر بسبب التحولات التكنولوجية، وحينئذ يمكن للمؤجر أن

يبرر لجوءه إلى تقليص المستخدمين لنفس السبب و هذه الوضعية منطقية الفعل في حال ممارستها بحزم.

فقد أثبت المشرع الفرنسي أن استخدام التكنولوجية المعلوماتية الجديدة تؤثر على الوظيفة، و . يشكل سببا اقتصاديا للتسريح، رغم عدم مواجهة المؤسسة لخطر المنافسة الحادة(7).

وعادة ما يؤدي استعمال التكنولوجيات أو التقنيات الجديدة إلى التحويل في وظائف الأجراء لأن استعمالها ذاته يتطلب مهارات كثيرا ما يفتقدها الأجراء لذلك يلجأ المؤجر إلى تسريحهم، دون التقيد بالتزاماته بمحاولة التكييف أو التصنيف: إذ يجب عليه البحث عن تكييفهم مع تطور وظائفهم، على الأقل في حدود مستوى مهاراتهم و إعادة تصنيفهم في وظائف أخرى وفي حالة استحالة تصنيفهم،يستطيع مباشرة التسريح.

– الوضعية الثالثة تتسم بضرورة إعادة المؤسسة للمحافظة على المنافسة: لقد حددت محكمة الاستئناف الفرنسية(8) بأن إعادة تنظيم المؤسسة (بشرط أن تقرر تحقيق مصالح المؤسسة) يشكل سببا اقتصاديا جوهريا للتسريح(9).

3–الإجراءات الاحتياطية والوقائية للتسريح الجماعي للعمال في الجزائر:

تؤكد تشريعات العمل الجزائري على أن إجراء تسريح العمال الجماعي حقا يلجأ إليه صاحب العمل أو المستخدم وفقا لما يخوله له القانون ويحميه، ولكن في الواقع الأمر لا يلجأ صاحب العمل لمثل هذا الإجراء إلا إذا استنفذت كل الإجراءات الأخرى التي يمكنها أن تقلل من شدة وخطورة إجراء التسريح على المستقبل المهني والاجتماعي للعمال المعنيين به وتتمثل إجراءات ربما تجاوز أو على الأقل التقليل من حدة إجراء التسريح محتوى ما يقره الجانب الاجتماعي الذي يضعه المستخدم، وهو أكثر أهمية وواقعية.

تختلف وجهات النظر الخاصة بمفهوم الجانب الاجتماعي، فبالنسبة للمستخدم أو صاحب العمل يمثل أداة فعالة للتسيير الجيد الذي يمكن من التحكم في تسيير النفقات والميزانية، وتجاوز الخلل الذي يؤثر على مسار المؤسسة ووضعها الصحي الجيد، والأكثر من ذلك فإن تنفيذ الجانب الاجتماعي يتيح إعادة تنظيم وتسيير المؤسسة للتحكم في أوضاعها بعقلنة وجعلها أكثر تنافسية.

بينما تتناقض تصورات العمال المعنيين أكثر بتنفيذ الجانب الاجتماعي عن مواقف صاحب العمل، فهم الذين يتضررون أكثر بإجراءاته الملموسة لكونه يرمي إلى إلغاء مناصب العمل، مما يؤدي إلى التقليص من عدد العمال، وذلك بوضع مجموعة من الإجراءات التي تكون في أحسن الحالات الإحالة على التقاعد المسبق أو الذهاب الإرادي وفي أسوء الحالات أيضا الإحالة على التسريح، وربما إغلاق المؤسسة في وضعية الإفلاس. وبناء على ذلك يجسد الجانب الاجتماعي إجراءا قانونيا ومنطقيا في مضمونه لكونه يعمل في إجراء التسريح الجماعي أو الجزئي للعمال للحفاظ على استمرارية دور حياة المؤسسة وإنقاضها من الزوال أو الاندثار.

لذا لجأ المشرع الجزائري إلى إجبار مستخدمي المؤسسات الاقتصادية العمومية الوطنية على إعادة ترتيب أو تنظيم هذه المؤسسات بوضع الجانب الاجتماعي، بطبيعة الحال إذا كان التنظيم المحدد يسمو إلى تسريح العمال، ولكن بتوفير كل الحماية اللازمة لهم وفقا لما تنص عليه الأحكام القانونية السارية المفعول في هذا الشأن إذ نجد ضرورة لجوء كل هيئة مستخدمة إلى << إعادة ضبط مستويات الشغل والأجور أن تدرج ذلك في إطار ترتيبات الحماية المنصوص عليها في المرسوم التشريعي التي تترجم بجانب اجتماعي.>>(10)

إذن فالمشرع الجزائري يتجه أكثر إلى إجبار المستخدم على وضع الجانب الذي يتضمن الإجراءات الوقائية، والتي تعتبر بمثابة ضمان حماية للأجراء المهددين فعليا بفقدان مناصب عملهم نتيجة التسريح الجماعي أو الجزئي الذي يلتمسهم.

فمن الضروري في نظرنا أن تحلل ماهية الجانب الاجتماعي الذي يكرس مبدأ التسريح الجماعي بحماية العمال الذين سيفقدون مناصب عملهم حيث ينشطر ذلك الجانب الجوهري حينما يتخذه المستخدم إلى مرحلتين اثنين وهما:

-المرحلة الأولى: وهي المرحلة التي تنطوي على إجراءات مختلفة ولكنها متكاملة في جوهرها وتشتمل على مجموعتين وهما:

-المجموعة الأولى : وتتشكل من الإجراءات الآتية:

- تكيف النظام التعويضي ولاسيما العلاوات والتعويضات المرتبطة بنتائج العمل.
- إعادة دراسة أشكال مرتب العمل ومستويات، بما فيه مرتبات الإطارات المسيرة أو تجميد الترقية.
- إدخال تقسيم العمل والعمل بالتوقيت الجزئي.
- إلغاء تدريجي للجوء للساعات الإضافية.

وفي نظرنا تبدو هذه الترتيبات قاسية في مضمونها، ومؤثرة على المسار الوظيفي للعمال لكنها تهدف إلى ضمان الربحية في المؤسسة الاقتصادية العمومية عن طريق التحكم العقلاني في تسيير مواردها المالية وضبط ميزانياتها، بتخفيض التكاليف أو التكاليف الإضافية عن طريق تجميد الترقية وغيرها. و بذلك تصل إلى التقلص من عدد العاملين بما في ذلك تسريحهم، وفي كل الظروف يفتقد العاملون إلى جزء من مداخلهم جراء الصرامة في تطبيق إجراءات المجموعة الأولى، ولكنهم سيحافظون على مورد أجرهم، وكذا على مناصب عملهم، فهي إجراءات تحقق أكبر فعالية ممكنة في ضبط تنظيم وتسيير المؤسسة العمومية الاقتصادية، لكنها تركز على النشاط الاقتصادي المحض بذل النشاط الاجتماعي الهش.

-أما المجموعة الثانية : فهي المجموعة التي تشمل على جميع التدابير الهادفة إلى التقليص من عدد العاملين دون اللجوء إلى التسريح الجماعي، وإحالتهم على البطالة، وتتشكل هذه الإجراءات المختلفة في الشكل والمضمون عن إجراءات المجموعة الأولى عن ما يأتي:

– إحالة الذين بلغوا السن القانونية على التقاعد : ويعد هذا الإجراء من وجهة نظرنا إجراءا عاديا أخذ من الحق العام في قانون العمل الجزائري، فإذا عدنا إلى قانون 12/83 المتعلق بالتقاعد، فنجده يحدد صراحة الشروط العامة الأساسية التي تقضي بأنه لا يجوز إحالة أي عامل على التقاعد إذا توفرت ما يأتي:

- بلوغ ستين سنة كاملة على الأقل للرجال، وخمسة وخمسين سنة بالنسبة للنساء.
- قضاء خمسة عشر سنة في العمل على الأقل. (11)

إذن شروط التقاعد في المؤسسة الاقتصادية العمومية الوطنية بشكل خاص محددة بشروط تتوقف على خاصية أو ميزة السن ومدة العمل الطبيعية أو العادية التي تم قضاؤها في المؤسسة إذ يتعارض المرسوم التشريعي 09/94 في محتواه تماما عما حدد سابقا، وأدخل تعديلات إجرائية هامة في كيفية تحديد إحالة المستخدم للأجراء على التقاعد حتى في ظل عدم توفر أو استيفاء الشروط القانونية كعامل السن ومدة العمل، ناهيك بأن التشريع الجزائري السابق الذكر (12/83) لم يكن يسمح بإحالة أي أجير على التقاعد إلا إذا طلبه بنفسه وبمحض إرادته، أو إذا قرر المستخدم وبإرادته الخاصة ضرورة اللجوء إلى تنفيذ مثل هذا الإجراء لوضع فصل نهائي لعلاقة العمل الفردية.

جاء المرسوم التشريعي 09/94 كبديل مكمل لإعادة تنظيم وتسيير بعض مفاهيم المؤسسة الاقتصادية العمومية الوطنية الخاصة بنظام التقاعد بطرح مفهوم التقاعد المسبق باعتباره إجراء يفعل من التدابير المتخذة في إطار كل عملية تقليص من عدد العمال، وهذا من وجهة نظرنا ما يعتبره مخالفة للحق العام المتعلق بالتقاعد العادي ، ولا يشكل في الأصل إلا حقا من الحقوق الخاصة بالأجراء المهددين بفقدانهم لمناصب عملهم لأسباب اقتصادية محضة.

وبناء على ذلك تفطن المشرع الجزائري لسد فجوة المخالفة بذكاء محدد للشروط الواجب توفرها في إجراء التقاعد المسبق وهي الآتية:

- بلوغ سن الخمسين سنة بالنسبة للذكور و أربعين سنة بالنسبة للإناث.
- أن يجمع الأجير عددا من سنوات العمل أو المماثلة لها، والقابلة للاعتماد في التقاعد المسبق يساوي عشرين سنة على الأقل، وأن يكون قد دفع اشتراكات الضمان الاجتماعي مدة عشر سنوات على الأقل بصفة كاملة، ومنها السنوات الثلاث السابقة لنهاية علاقة العمل التي تثبت الحق في التقاعد المسبق وتخوله.
- أن يرد اسمه في قائمة العمال الذين يلتمسهم إجراء التقليص أو مجردين ضمن قائمة الأجراء لدى المستخدم أو صاحب العمل في وضعية توقف عن العمل.
- أن لا يكون قد استفاد من دخل ناتج عن نشاط مهني آخر.

إذن فهذه الشروط واضحة، وتبقى آلية تحديد القوائم الاسمية لدى المستخدم غير مقننة مما تجعله يتصرف في إعدادها إداريا بحرية تامة، وقد يختار بصفة تلقائية مهارات أو كفاءات مهنية ويدوية عالية

نتيجة رصيد التجربة الطويلة التي قضاها العمال المعيدين مسبقا ضمن إجراء التقاعد المسبق رغم وضوح الكيفيات[12] التي يعتمد فيها على تنفيذ نفس الإجراء إذ:

- تسبق بخمس سنوات للأجراء الذين يستوفون عشرين سنة على الأقل من العمل.
- ست سنوات للأجراء الذين يستوفون اثنان وعشرون سنة من العمل أو يفوقها.
- سبع سنوات للأجراء الذين يستوفون أربعة وعشرون سنة من العمل أو يفوقها.
- ثماني سنوات للأجراء الذين يستوفون ستة وعشرون سنة من العمل أو يفوقها.
- تسع سنوات للأجراء الذين يستوفون ثمانية وعشرون سنة من العمل أو يفوقها.
- عشر سنوات للأجراء الذين يستوفون تسعة وعشرون سنة أو يفوقها.

ويتم حساب معاش التقاعد المسبق بنفس الطريقة التي يحسب بها معاش التقاعد العادي إلا أن مبلغ معاش التقاعد المسبق يخضع لتحقيق بنسبة(01%) من كل سنة تسبيق على أن يعاد تقدير هذا المعاش كل اثني عشر شهرا بدءا من تاريخ سريان مفعول المعاش، وتكون الزيادة مساوية لمبلغ الإنقاض السنوي، مع العلم أن نهاية فترة التنسيق يحال المستفيد من التقاعد المسبق على التقاعد بصفة نهائية ليستفيد بعد ذلك من معاش التقاعد الكامل.

4-التكوين التحويلي في المؤسسة آلية فعالة في إعادة توزيع العمال:

تطلعت المؤسسات الاقتصادية العمومية الوطنية نحو تنظيم عمليات التكوين التحويلي للأجراء من أجل تحقيق أكبر فعالية لإعادة ضبط توزيع محكم وعقلاني، إذ تقوم هذه المؤسسات المعنية بممارسة هذا الشكل من التنظيم عن طريق اتصالاتها بمديرية التشغيل والتكوين المهني على مستوى الولاية التي تتوطن فيها كل مؤسسة معنية، وتقدم حينها طلب المعلومات حول مبررات عملية التكوين التحويلي ومحتواه وأهدافه، وتمكن هذه العملية من إعادة ضبط توزيع مناصب العمل الجديدة داخل المؤسسة المعنية ذاتها، أو في مؤسسة أخرى تنتمي إلى نفس الفرع وتزاول نفس النشاط الإنتاجي.

وبناء على ذلك تدرس مديرية التشغيل ملف التكوين التحويلي ، وتقدر كل الإمكانيات والقدرات التكوينية المؤهلة والمتاحة بالإضافة إلى التكاليف المالية المطلوبة، لتمكن بعدها من الشروع في تنفيذ التكوين التحويلي.

تقوم المؤسسة الاقتصادية العمومية الوطنية ضمن عملية التكوين التحويلي الذي تباشره كإستراتيجية بديلة وآنية، بل وظرفية من وجهة نظرنا، بتجميع كل العمال المعنيين بإجراء التقليص العددي نتيجة إلغاء مناصب عملهم، والذين يحملون نفس المؤهلات والموجهين لشغل نفس مناصب العمل في فئات، ويكمن الهدف من وراء ذلك في تشكيل مجموعات منسجمة لإعطائها تكوينا خاصا يستجيب لمؤهلات العمال المعنيين، وكذا لمناصب العمل المتوفرة.

إن إقدام المؤسسات الاقتصادية العمومية الوطنية على ممارسة تنظيم التكوين التحويلي داخليا عن طريق تخصيص دورات تكوينية مستمرة، يبقى الهدف النهائي كامن في تجاوز أزمة اللافعالية التي وجدت نفسها المؤسسات الاقتصادية العمومية الوطنية في طريق مسدود، وبالتالي التمهيد لتجاوز في نفس الوقت التهديد بالتسريح العمالي بالمحافظة على مناصب عملهم وإعادة الاستفادة من طاقاتهم في العملية الإنتاجية.

كما أن إقدام المؤسسات الاقتصادية العمومية الوطنية على ممارسة تنظيم التكوين التحويلي داخليا لا يتم سوى باللجوء إلى أحدى هذه العمليتين أو إحداهما معا وهما كما يأتي:

- تنظيم المستخدم لعمليات إعادة التوزيع للأجراء المعنيين، وذلك بالاتصال مع الفرع أو قطاع النشاط التابع له والمصالح العمومية للشغل و العمل والتكوين المهني والإدارات القطاعية المختصة.
- إنشاء أنشطة تدعمها الدولة إذا اقتضى الأمر ذلك لصالح الأجراء المعنيين بإعادة التوزيع.

ويجب الإشارة في هذا المستوى بالذات على دعم الدولة المطلق بتوفير الإمكانيات المستعجلة واللازمة للمؤسسات الاقتصادية العمومية الوطنية التي باشرت إعادة نمط توزيع العمال عن طريق تنظيم التكوين التحويلي الداخلي لهم. وهنا كمن التناقض المزدوج للخطاب الرسمي للدولة وصناع القرار الاقتصادي الوطني في تشجيع وربما إجبار ذات المؤسسات الاقتصادية العمومية الوطنية على تبني التسريح الجزئي أو الكلي للعمال لأسباب سبق لنا تحليلها في مواطن مختلفة من هذه الدراسة من ناحية، وبالموازاة دعمت نفس المؤسسات التي اتخذت في تصميم تنظيمها وتسييرها لإستراتيجية التكوين التحويلي بهدف الحفاظ على مناصب الشغل.

وهذا التناقض في تصريحات محتوى التصورات الرسمية يجسد التيارات الإيديولوجية في السلطة بين المؤيدين للمحافظة على بقاء المؤسسات الاقتصادية العمومية الوطنية كملكية جماعية والتساوي في تقسيم الريع الوطني الناتج عن تراكم رؤوس الأموال الناتجة عن مداخلات قطاعية صناعية مختلفة، والمعارضين الذين يفضلون نقل ملكية المؤسسات الاقتصادية العمومية الوطنية إلى القطاع الخاص الوطني أو الأجنبي، لكون القطاع الذي أثبت فعالياته في تحقيق النمو المتفاوت بين مختلف القطاعات المختلفة.

الواقع إن تنفيذ المؤسسات الاقتصادية العمومية الوطنية لإجراءات التقاعد المسبق والذهاب الإداري وفقا للبحث عن فعالياتها بفعل التقليص العددي يعتبر تنفيذا للجانب الاجتماعي الذي لا يراعي الجانب الاجتماعي المألوف، بل الجانب الاقتصادي للتسيير و النجاعة، لذا فمن وجهة نظرنا، يمكننا استدراج بعض الملاحظات الآتية:

- إن التدابير التي يتضمنها الجانب الاجتماعي بمرحلتيه، لا تلزم في مضمونها على سلطة المستخدم تنفيذها بحذافيرها، إذ يحق له إتخاد بعضها ورفضها وفقا لما يراه مناسبا ووضعية مؤسسته وآفاقها، كما يحق للمستخدم أن لا يراعي ترتيب التدابير التي سنها المشرع الجزائري.
- إن استدراج مصطلح المرحلة ضمن سياق مضمون الجانب الاجتماعي توحي على تواجد عدة مراحل متتالية لعملية شاملة، فإذا رجعنا إلى المجموعة الثانية الخاصة بإجراءات التقاعد

المسبق فلا يمكن أن تنفذ إلا بعد إتمام إجراءات المجموعة الأولى (كإلغاء التدريجي للجوء إلى الساعات الإضافية... وغيرها.) التي تم تحليلها سابقا، لذا فإن التمييز بين المجموعتين باعتبارهما مرحلتين من مراحل تنفيذ الجانب الاجتماعي يبقى تمييزا غير واقعيا وعمليا، بسبب أن المستخدم قد يتخذ قرارا بتنفيذ المجموعتين في مرحلة زمنية واحدة وبصفة آلية للتعجيل في التقليص من عدد العاملين أو تسريحهم كليا من المؤسسة.

- إن التدقيق في مضمون إجراءات التقليص من عدد العاملين في المؤسسات الاقتصادية العمومية الوطنية تؤكد لنا على الأقل عن الحالة التي يكون فيها الأجراء مهددين بفقدان مناصب عملهم ولا يتوفر فيهم أي شرط للاستفادة من تدابير الحماية الاجتماعية المنصوص عليها في المراسيم التشريعية سواء الخاصة بالتقاعد المسبق أم التأمين على البطالة.

إن الأجراء الذين تتوفر فيهم شروط الإحالة على التقاعد المسبق المحددة بسن الخمسين وبمدة عمل تعادل عشرين سنة على الأقل، هم الذين يجب أن يحالون على صندوق التأمين على البطالة إلا أن في مثل هذه الوضعية المتناقضة لا بد أن تتوفر فيهم بالموازاة شروط إضافية تثقل التعجيل في توفيرها بيروقراطيا، وهذا ما يدل أن المشرع الجزائري مشرعا مغتربا عن هموم والواقع اليومي المعاش للأجير، أو أنه لا يعبر إلا عن هموم السلطة وأحكامها التي تسعى بكل إمكانياتها من التخلص الشامل من المؤسسات الاقتصادية العمومية.

ففي كل الحالات إذا لم تتوفر في الأجراء المهددين بفقدانهم لمناصب عملهم كل الشروط اللازمة والضرورية للاستفادة من الحماية الاجتماعية أين تتجه هذه الفئة العاملة التي بحوزتها مهارات نتيجة الميراث المهني الذي اكتسبته من أقدميتها في المؤسسات الاقتصادية العمومية
الوطنية ؟ وما هو مصيرها المهني المكتسب ؟ ربما نجد الإجابة عن اهتمامنا في صلب نصوص المشرع الجزائري الذي لم يبال صراحة بتحديد المقاييس أو الظروف الاستثنائية التي يمكن أن يلجأ إليها هؤلاء الأجراء لحمايتهم وتوفير أدنى شروط راحتهم ورفاهيتهم باستقرارهم في المحيط الاجتماعي الجزائري المعقد، خاصة بعد تخلصه من أزمته الأمنية ...الخ. ولم يمنع في نفس الوقت المستخدم من تسريحهم إذا أتاح للأجراء باعتبارهم مسرحين، ضرورة الاستفادة فقط من تعويض يساوي أجر ثلاثة أشهر كاملة.

وإذا كانت رؤى المشرع الجزائري واضحة كل الوضوح فيما يخص كل الإجراءات الوقائية التي يجب أن تلجأ إليها الهيئة المستخدمة، بهدف محاولة الحفاظ على مناصب الشغل والتقليل من إمكانية اللجوء إلى إجراء التسريح الجماعي للعمال. لكن وبالموازاة نجد تموقع دور الدولة المشجع أيضا لكل مبادرة تتخذها المؤسسات الاقتصادية العمومية الوطنية وتدعمها دون تحفظ وفقا للامتيازات الآتية:

–منح الصندوق الوطني لترقية الشغل الضمانات الضرورية للحصول على قروض لتمويل الاستثمارات لدفع طاقات الإنتاج أو لإنشاء نشاطات جديدة.

–إعانات مالية لدورات التكوين التحويلي.

–تخفيض أو إعفاء جبائي للمؤسسة.

الخاتمة:

إن الدولة كجهاز رقابة ينفذ ما تقرره مؤسساته الدستورية وضمنها الهيئة التشريعية من قوانين ومراسيم خاصة تلك المتعلقة بتصحيح مسار تسيير المؤسسات الاقتصادية العمومية الوطنية والتوجه نحو خوصصتها، لذا فجميع القوانين التي تمت المصادقة عليها لا يمكن أن تتناقض أو تتعارض مع توجهات الدولة الجزائرية في مستوى القناعات والممارسات السلطوية المتزعمة للمشروع التنموي الوطني الليبرالي، هذا المشروع الذي نلتمسه فعليا وإجرائيا عن طريق تسريح العمال الجزئي بالتقليص من عددهم أو التسريح الكلي عن طريق حل أو إغلاق المؤسسات الاقتصادية العمومية الوطنية منذ التسعينيات.

مراجع التهميش:

♦Facilité de financement élargi.

(1) أنظر المرسوم التشريعي 94-09.

(2) أنظر المادة 94 من القانون 11/90.

(3) نفس القانون.

(4) أنظر المادة 110 من نفس القانون السابق.

(5) يمكن الإطلاع في هذا الشأن أحكام قانون ممارسة الحق النقابي المتمم والمعدل بمقتضى قانون 14/90 المؤرخ في 2 جوان 1990.

(6) أنظر المادة 69 من القانون 11/90.

(7) Cass. Soc, 9 oct. 2002, RJS, 12/02, n°1373

)Arrêt du 1ier
(8février 1992

(9) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى:

Flichy Laurent (H.), Indemnités. Licenciement. Procédure. Contentieux ,10ième Edition, Delmas- Editions Dalloz, Paris, 2005.

(10) الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، مرسوم تشريعي 09/94 في الجريدة الرسمية، العدد 34، ص 4.

(11) يمكن الإطلاع على الجريدة الرسمية عدد 26 الصادر بتاريخ 5 جويلية 1983 من القانون رقم 12/83 المؤرخ في 2 جويلية 1983 الخاص بالتقاعد، ص6 .

(12) يمكن الإطلاع في هذا الشأن على المادة 6 من قانون 10/90 ،ص9.

المعايير والصفات المفضلة لدى طلبة الجامعة الأردنية في شريك/شريكة الحياة والعوامل المؤثرة فيها (دراسة استطلاعية)

الدكتورة: أمل محمد علي الخاروف
مركز دراسات المرأة – الأردن

ملخص

هدفت الدراسة التعرف: إلى المعايير التي يعتمدها الطالب/ الطالبة في اختيار شريك/ شريكة الحياة، وإلى أسس اختيار الطالب/ الطالبة لشريك الحياة، وإلى الأساليب المفضلة في اختيار شريك/ شريكة الحياة والعوامل المؤثرة في ذلك. وأخيرا التعرّف إلى صفات شريك/ شريكة الحياة من وجهة نظر الطلاب والطالبات.

وقد تم استخدام المنهج الوصفي المتسق وأهداف الدراسة، واستخدم الاستبيان كأداة لجمع المعلومات، حيث طبق على عيّنة ممثلة من الطلاب والطالبات الملتحقين في الجامعة الأردنية لعام 2010، وبلغ حجم العينة 500 طالبا وطالبة موزعين على الكليات العلمية والإنسانية بنسب تتناسب وأعدادهن فيها.

وأظهرت نتائج الدراسة أن أهم المعايير التي يعتمدها الذكور في اختيار شريكة الحياة هي الأخلاق بصورة كبيرة، يلي ذلك مستوى التديّن، ثم طبيعة الشخصية، فالمستوى التعليمي ثم يأتي بعد ذلك معيار الجنسية فالحب والإعجاب... وفي المقابل كان أهم معيار لدى الإناث هو الأخلاق، ثم طبيعة الشخصية، فالمستوى التعليمي، ثم يلي ذلك معيار جنسية شريك الحياة..

كما اتضح أن أهم الأسس التي يعتبرها الطلاب والطالبات عند اختيارهم لشريك/ شريكة الحياة هو أن لا يتعدى فارق العمر مع الشريك عشر سنوات، وأنهم يختاروا من يكملهم، كما أنهم يفضلون الزواج من خارج دائرة الأقارب، ويرفضون الزواج من شريك سبق له الزواج، وأيضا يتزوجون ممن يشبههم، ويرفضون الزواج بطريقة تقليدية. أما بالنسبة للأنماط المفضلة في اختيار شريك/ شريكة الحياة أظهرت النتائج أن معظم الذكور والإناث يفضلن نمط التعارف بالدرجة الأولى، ثم عن طريق الأهل، يلي ذلك عن طريق الأصدقاء. وقد عزوا اختيارهم لهذا النمط إلى مستوى تعليمهم بالدرجة الأولى، يلي ذلك تأثير الأصدقاء، والعولمة، والتلفزيون، والسفر إلى الخارج... ثم الانترنت.

أما بالنسبة للصفات التي يرغبون أن يتحلى بها شريك/ شريكة الحياة، فكانت أهم هذه الصفات هي الوسامة والجاذبية، ثم قوة الشخصية والثقة بالنفس، فالصدق والصراحة، والاستقلالية، وتحمل المسؤولية، وتقبل الحوار والمشاركة....

Abstract

The study aimed to identify: the standards adopted by the male/ female student to choose his/her life partner, the basis for the selection of the male/ female student to his/ her future life partner, the preferred methods in the selection of the male/ female life partner and factors affecting it and finally to identify the qualities of the male/ female life partner from the perspective of male/ female students.

The descriptive approach is used in this study and it is consistent with the objectives of the study. A questionnaire is used to conduct this as a tool to gather information where it has been implemented to a representative sample of male and female students enrolled at the University of Jordan in 2010 and the sample size was 500 male and female students distributed to the scientific and humanitarian faculties.

The study results showed that the most important criteria adopted by the males in the selection of a life partner are the ethics, following the level of religiosity, then the nature of the person, the education, the nationality of partner, and finally love and admiration but for females are morality in the first place, the nature of person, the education, and finally the nationality of partner.

They focus on some basic points that when choosing partner the difference of age between both partners should not exceed the ten years and to choose his/ her partner on a basis of characters integration. Moreover, students prefer to marry outside the circle of relatives and they refuse to marry a previously married partner or to marry in a traditional way.

As for choosing life partner patterns the results showed that most males and females prefer the pattern of dating the first place, then by parents, followed by friends. And they attribute their choice to the patterns above to their level of education the first place, followed by the influence of friends, globalization, television, travel abroad…and then the internet. As for the qualities they want to be displayed by life partner are handsome, attraction, the strength of character, self-confidence, honesty, openness, independence, responsibility and accept the dialogue and participation.

مقدمة

يعرف الزواج بأنه ميثاق تراض وترابط شرعي بين رجل وامرأة على وجه الدوام، غايته الإحصان والعفاف وإنشاء أسرة مستقرة برعاية الزوجين، ويعتبر الزواج مؤسسة اجتماعية مهمة وأساسية في المجتمع، وهي النواة الأولى لتكوين الأسرة التي تعد الخلية الأولى في المجتمع، ولكي تتكون هذه المؤسسة بشكل صحيح وصحي ومفيد، هناك شروط أساسية تقوم عليها هذه المؤسسة المقدسة، أهمها الاختيار الصحيح لشريك/شريكة الحياة.

وتختلف المجتمعات البشرية في النظم التي تتبعها في اختيار كل من الزوج والزوجة، باختلاف ثقافة المجتمع، فما يرضى به مجتمع كنظام للاختيار قد يرفضه مجتمع آخر. إلا أن كل المجتمعات تتفق على أن الاختيار في الزواج هو الخطوة الأولى والأساسية التي ترسي عليها قواعده.

ولكل مجتمع قواعد تنظم تدخل أناس آخرين غير الذين يعنيهما الأمر بصورة مباشرة في عملية اختيار شريك الحياة، وهذا التدخل يختلف ويتفاوت من مجتمع إلى آخر من حيث درجته ومدى الالتزام به. ففي بعض الأحيان قد يكون التدخل كليا حيث يكون للأهل (وخاصة الوالدين) الكلمة العليا أو الكلمة الفصل في عملية اختيار الشريك. وأحيانا أخرى يكون التدخل جزئيا بحيث يسمح بأخذ رأي الاثنين (زوجي المستقبل) اللذين يعنيهما الأمر. وفي بعض مجتمعات أخرى قد لا يكون هناك تدخل بالمعنى الحقيق للتدخل في عملية اختيار الشريك، وفيه يكون رأي الأسرة أو الوالدين استشاريا فقط وليس من المهم التقيّد أو الالتزام به. (بيري، 1998: 344-345).

ويعد الاختيار الزواجي الخطوة الأكثر أهمية لتكوين الأسرة؛ إذ يعد بحق نصف المعركة، ومحددا مهما لسعادة الأسرة واستمرار كيانها الاجتماعي (فرجاني، 1989: 35)؛ فهو يعكس تأثر الشخص الذي يختار بكل جوانب السياق المحيط به.

ومن ناحية أخرى يعد اختيار شريك الحياة غير الموفق المسؤول الأول عن التفكك الأسري، وما ينتج عنه من إصابة الأبناء بالاكتئاب والتأخر الدراسي وانحرافهم وتورطهم في أفعال مضادة للمجتمع أو في تعاطي المخدرات؛ فالعلاقة الزوجية التي تقوم أساسا على الاختيار الجيد والتوافق بين الزوجين تؤدي إلى التماسك الأسري والسعادة الزوجية. والحق أن الحياة الزوجية الصحيحة إنما تقوم على شعور كل من الطرفين بأنه مع الآخر. (إبراهيم، 1087: 95)

وقد وجد (عبد السلام، 2001) علاقة ارتباطية بين التوافق الزواجي واستمرار العلاقة الزواجية الناجحة والاختيار الجيد للقرين. ويشير كثير من الباحثين إلى أن هناك اختلافا واضحا بين استراتيجيات الذكور والإناث بخصوص اختيار شريك الحياة عبر فترات زمنية مختلفة، وباستخدام طرائق بحثية متباينة، وداخل كثير من الثقافات والمجتمعات. (Shacklford, etl, 2000: 1262)

ومن هنا تأتي **أهمية هذه الدراسة** في التعرف على معايير اختيار الطلبة في الجامعة الأردنية لشريك حياتهم والعوامل المؤثرة فيها، مما تساعد صانعي القرار في وضع استراتيجياتهم وسياساتهم الهادفة إلى توجيه الطلبة الذين هم على عتبة الزواج في اختيار شريك الحياة المناسب على أساس عاطفي وعقلاني في نفس الوقت.

أهداف الدراسة

1. التعرف إلى المعايير التي يعتمدها الطالب/الطالبة في اختيار شريك/شريكة الحياة.
2. التعرف إلى الأسس التي يعتمدها الطلاب والطالبات عند اختيارهم شريك/ شريكة الحياة.
3. التعرف إلى الأساليب المفضلة في اختيار شريك/شريكة الحياة والعوامل المؤثرة في ذلك.
4. التعرف إلى الصفات المقترحة لدى شريك/ شريكة الحياة من وجهة نظر الطلاب والطالبات.

أسئلة الدراسة

1. ما المعايير التي يعتمدها الطلاب والطالبات في اختيار شريك/شريكة الحياة؟
2. ما هي الأسس التي يعتمدها الطلاب والطالبات عند اختيارهم شريك/ شريكة الحياة؟
3. ما الأساليب المفضلة لدى الطلاب والطالبات في اختيار شريك/شريكة الحياة؟
4. ما العوامل المؤثرة على الطلاب والطالبات في اختيار النمط المفضل من الزواج؟
5. ما هي الصفات المقترحة لشريك/ شريكة الحياة من وجهة نظر الطلاب والطالبات؟

الإطار النظري

هناك عدد من النظريات تعزى إلى كيفية اختيار الفرد لشريك الحياة، وفيما يلي أهم النظريات الاجتماعية التي تطرقت إلى موضوع المزاوجة.

يعتقد أصحاب **نظرية التبادل الاجتماعي** (ثايبوت وكيلي 1959، بلاو 1964، ببيشيد ووالستير 1978) أن العلاقات الرومانسية تنشأ في الغالب بين الأفراد القادرين على إثابة بعضهم البعض بدرجة مماثلة، ويعتقد أصحاب هذه النظرية أيضا أن الوضع المثالي للواحد منا يتحقق بالحصول على الشريك المثالي، ونظرا

لاستحالة تحقيق الهدف فإننا نرضى ببعض الحلول الوسط، ولعل أفضل الحلول المتاحة هو العثور على الشخص الذي يحقق لنا أقصى إثابة ممكنة فيمثل لنا أفضل شريك ممكن. (عمر، 1997؛ غروس، 2001)

يوجد عدد من الباحثين الذين يؤيدون أن أفضل أساس لاختيار الشريك هو الأساس المبني على نظرية التبادل الاجتماعي، ذلك أن الناس يأخذون بعين الاعتبار النوعية التي يريدون أن تكون موجودة في شريك الحياة والمكافآت التي يحصلون عليها في المقابل، وقد تكون النوعية شخصية أو مادية مثل المظهر الخارجي، السلوك، الذكاء، الخدمات التي يعرضها الشريك وغير ذلك، وبناء على هذه النظرية يقوم الفرد باختيار من يقدم له أفضل عرضا من المكافآت العملية والعاطفية. مثلا نجد رجل الأعمال يختار زوجة تستطيع أن تنظم أمور عمله ومواعيده أو تستطيع أن تنظم أمور البيت على أكمل وجه. (Sasse, :540 1997)

وقد يكون التبادل بين مركز اقتصادي عال وجنس معين أو عمر مرغوب أو خصائص جسمية مطلوبة، كأن يختار رجل كبير السن وكثير المال فتاة صغيرة السن مقارنة بعمره، وهنا تكون الفتاة الصغيرة السن قد بدّلت عمرها الصغير بالمركز المالي للرجل كبير السن. والفكرة الأساسية في هذه النظرية هي أن الاختيار عبارة عن صفقة تجارية، أو نوعا من المقايضة والمساومة التي يحتمل فيها الربح والخسارة. (بيري، 1998: 353-354)

وتركز **نظرية الحاجة المكمّلة** إلى فكرة أن الأضداد تنجذب لبعضها، بمعنى أن الشخص يجذبه الشخص الذي يختلف عنه في الخصائص. وهذا ما عبّر عنه (روبرت ونش) بنظرية الحاجة المكملة في دراسته لعملية الاختيار في الزواج، حيث حدد مفهوم الحاجة بأنها قوة تنظم الإدراك الحسي، ووعي الذات والناحية العقلية والرغبة والإرادة. وأوضح أن كلمة مكمّلة ترادف كلمة إشباع الحاجة، وهي حالة يحدث فيها أن حاجات تشبع عن طريق التفاعل مع شخص آخر. فالإنسان حسب ونش ينجذب إلى إنسا آخر (رجل إلى امرأة والعكس) في حالة أن الشخص قد يظهر وعدا أو ميلا في أن يشبع له حاجته النفسية، فكل فرد يسعى إلى اختيار الشريك المناسب الذي يمده بأكبر قدر من حالة الاشباع أو الرضا. ويتم إشباع الحاجات النفسية أو الاجتماعية عن طريق اختيار شريك للحياة تكون خصائصه الشخصية عكس، ولكنها مكمّلة لخصائصه هو. (موسى، 1998: 44-45) فعلى سبيل المثال: الشخص الذي يتمتع بشخصية منطلقة وحماسية يمكن أن ينجذب إلى شخص يتمتع بشخصية هادئة ورصين، أو يمكن للشخص الذي يتمتع بشخصية قيادية أن يختار شريكا تابعا وليس منافسا له. (Sasse, 1997:539)

هناك أدلة قليلة على بعض العلاقات تبنى على التكامل بدلا من التشابه، ولكن هل يتجاذب النقيضان؟؟؟ لقد لاحظ ونش 1958 ميلا لدى الأزواج لأن يمتلك أحدهما حاجة أو سمة يفتقر إليها الزوج الآخر، وقد أطلق على هذه الظاهرة مصطلح تكامل الحاجات، فوجد مثلا أن النساء اللواتي يرغبن في رعاية الآخرين يتزوجن من أشخاص لديهم حاجة يعتنى بهم، إلا أن السمات المتناقضة تعزز بعضها البعض بحيث يستفيد الطرفان من التناقض القائم في خصائصهما. (غروس، 2001)

وتركز **نظرية التجانس** على فكرة أن الشبيه يتزوج بشبيهه، وأن التجانس لا الاختلاف هو الذي يفسّر اختيار الناس بعضهم لبعض كشركاء في الزواج، وتذهب هذه النظرية إلى أن الاختيار في الزواج يرتكز في المحل الأول على أساس من التشابه والتجانس في الخصائص الاجتماعية العامة، وأيضا في الخصائص أو السمات الجسمية، أي أن يكون هناك تشابه بين الشريكين في الدين والجنس والمستوى الاجتماعي الاقتصادي وفي السن، والتعليم، والحالة الزواجية، والاتجاهات والميول، والمهنة، إلى جانب وجود تشابه أو تجانس في الطول، ولون البشرة، والوزن، ولون العيون، ولون الشعر، والصحة العامة. (الساعاتي، 1981: 136)

وترى **نظرية القرب** (التجاور المكاني): أن عملية الاختيار للزواج تتم في نطاق جغرافي محدد يكون بمثابة مجال مكاني يستطيع الفرد أن يختار منه، وهذا ما نطلق عليه الفرصة الأيكولوجية للاختيار، وهذه الفرصة تتفاوت من فرد إلى آخر، فهي ليست متكافئة بالنسبة لجميع الأفراد. فالناس يحبون ويختارون فقط ممن تسمح الفرصة بالتواصل معهم والاختلاط بهم، أي بمن يعيشون بالقرب منهم، بحيث يلتقون ويتفاعلون ويكونون علاقات اجتماعية، فقد يدرسون معا في نفس المدرسة أو الكلية، أو يعملون في نفس المكان، أو قد يلعبون في ناد واحد، فقرار الزواج يتخذ بعد فترة من التفاعل الاجتماعي بين الشخصين. وكلما كانت فرصة اللقاء والتفاعل كبيرة كلما كان الاختيار للزواج أكثر احتمالا. وبهذا المعنى فإن هذه النظرية تقرر بأن الزواج يتم بين أولئك الذين تتاح لهم فرصة مقابلة بعضهم بعضا ويسكنون بالقرب منهم وليس مع أشخاص يسكنون في أماكن بعيدة عنهم. (بيري، 1998: 348-349)

وترى **نظرية القيم**، أن الارتباط والانجذاب بين الأفراد يكون أكثر سهولة عندما يشترك أولئك الأفراد أو يعتقدون بأنهم يشتركون في اتجاهات قيمية واحدة. فالقيم التي تعد شديدة الأهمية بالنسبة لفرد معيّن، نجدها تحتل مركز الصدارة والأولوية لديه، كما أنها تتجلى في صورة رد عاطفي واضح إذا قوبلت بأي نوع من التحدي. ونتيجة لهذا الجذب العاطفي، فمن المنطقي أن الفرد سيختار رفاقه بما فيهم شريكة حياته من بين أولئك الذين يشاركونه أو يقبلون قيمه الأساسية، لأن الأمان العاطفي يكمن في ذلك. والمشاركة في القيم لا تسهل الرضا العاطفي للشريكين عن بعضهما فحسب، بل تجعل اتصالهم الاجتماعي وتفاعلهم مع بعضهم

يتم بسهولة أكبر. وهذا يفسر الاتجاه نحو الاختيار للزواج من بين أفراد يؤمنون بنفس القيم الاجتماعية. وباختصار، فإن النظرية تفترض ما يلي:

1. الأشخاص الذين يشتركون في نفس الخلفيات الاجتماعية يتعلمون ويحافظون على نفس القيم.
2. إن الأفراد ذوي القيم المتشابهة ذوي القيم يتم بينهم اتصال وتفاعل اجتماعي فعّال، وينشأ بينهم القليل من الاختلاف والتصادم والمشاكل.
3. إن هذا التفاعل الفعّال الخالي من المشاكل يجعل كل فرد يشعر بالرضا عن نتائج علاقته بالفرد الآخر، وبالتالي الرغبة في الاستمرار في هذه العلاقة وتوطيدها، والتي قد تكون علاقة صداقة، قد ينجم عنها اختيار للزواج. (بيري، 1998: 352-353)

وقد اقترح بعض العلماء أن هناك ثلاث مستويات من التشابه يرغب الناس وجودها في شريك الحياة وهي: الصفات الخارجية، والأهداف والقيم، والأفكار والأدوار.

الدراسات السابقة

تطرق العديد من الدراسات إلى موضوع اختيار الشباب لشريك الحياة ويمكن أن نبرز أهمها بما يلي:

ففي دراسة قام بها صالح (2006)، بعنوان: **"الجندر في حياة الشباب"**، طبقت على عينة من الشباب والمتزوجين في دمشق، والتي هدفت التعرف إلى أسس اختيار شريك الحياة عند الجيل القديم (المتزوجين) مقارنة بأسس اختيار شريك الحياة لدى الجيل الحالي، وكان من أهم ما توصلت إليه نتائج الدراسة، أنه كانت رؤية الجيل القديم للزواج رؤية نمطية متمثلة بالسيطرة المادية للزوج في اتخاذ القرارات، وأن دور الأم يتمحور كونها ربة منزل؛ في حين كانت رؤية الشباب الحالي للزواج أن علاقة الزوجين تعتمد على اتخاذ القرارات بطريقة مشتركة.

وجاءت دراسة محمد (2005) بعنوان: **"الجوانب والتأثيرات البيولوجية والاجتماعية للزواج الداخلي والتعددي في مجتمع تقليدي"** طبقت على عينة من مجتمع جزيرة المنصورية بمحافظة أسوان، هدفت التعرف إلى أسباب النتائج السلبية لزواج الأقارب أو ما يسمى بالزواج الداخلي أو التعددي، ومعرفة مدى ارتباط الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والصحية في هذا الزواج، وكان من أهم ما توصلت إليه الدراسة أنه كان لهذه الجوانب تأثير كبير على قرارات الزواج خاصة الجانب الاجتماعي من العادات والتقاليد، فلم يكن هناك للنساء أي رأي في زواج الأقارب، كما أظهرت الدراسة مدى سلطة الذكور في اتخاذ القرارات الحياتية والذي هو مرتبط بالعادات والتقاليد القوية.

وفي دراسة لوطفة والأنصاري (2004)، بعنوان: "اتجاهات طلاب جامعة الكويت نحو عادات الزواج ومظاهره الاجتماعية"، والتي طبقت على عينة من طلاب جامعة الكويت، حيث هدفت معرفة اتجاهات الطلاب نحو عادات الزواج ومعرفة اتجاهاتهم نحو المظاهر التقليدية والحديثة في الزواج، وكان من أهم

نتائج الدراسة رفض الطلاب بعض مظاهر الزواج التقليدي القائم على المقايضة وغلاء المهور، كما كان هناك تشجيع من قبل الطلاب للزواج القائم على الحب والصداقة.

وأجرى الخضر دراسة (2002)، بعنوان: **"أزواج يبحثون عن التكافؤ العلمي والثقافي في الزواج"**، هدفت معرفة مدى نجاح أو فشل الزواج من شريك الحياة من نفس المستوى التعليمي، وطبقت على عينة من أصحاب المستويات التعليمية العالية، وكان من أهم النتائج، أنه من يتزوج من شريك الحياة عنده نفس المستوى التعليمي والثقافي يكون نسبة نجاح زواجهم أعلى من الذين يختارون شريك حياة ليس من نفس المستوى التعليمي والثقافي.

وفي دراسة (جرادات، 1996) بعنوان: "مؤشرات التغيّر الاجتماعي في قرية أردنية: دراسة أنثروبولوجية ميدانية في قرية سمر الكفارات"، حيث أشارت النتائج فيما يخص الاختيار إلى تناقص فاعلية وتأثير الأسرة في اختيار شريك الحياة، وظهرت محددات جديدة بدأت تؤثر في عملية الاختيار تمثلت بوظيفة شريك الحياة وتحصيله العلمي، فأصبح الناس يفضلون الفتاة المتعلمة والموظفة زوجة لأبنائهم.

وجاءت دراسة (الدليمي، 1997) بعنوان: "الأسرة والقرابة ووضع المرأة في مجتمع متغيّر: دراسة اجتماعية لمدينة تعز القديمة في اليمن". حيث أشارت النتائج فيما يخص موضوع الاختيار إلى أنه لم تعد عملية اختيار الزوجة محصورة في الأسرة بل أصبح الفرد يسعى لاختيار شريك حياته، كما أصبحت مسألة زواج الفتاة مسألة خاصة بالأسرة بعيدا عن تأثير المجموعات القرابية.

وتتميز هذه الدراسة عن سابقتها بأنها تركز التعرف إلى وجهة نظر الشباب مقارنة بوجهة نظر الشابات في المعايير والأسس التي يتخذونها في اختيار شريك/شريكة الحياة، وصفات شريك/ شريكة الحياة من وجهة نظرهم/ نظرهن، وأخيرا التعرف إلى إلى أكثر الأساليب المفضلة لديهم عند اختيارهم لشريك/شريكة الحياة، والعوامل المؤثرة في ذلك.

منهجية الدراسة

منهج الدراسة: تم استخدام المنهج المسح الاجتماعي بالعينة المتسق مع أهداف الدراسة، حيث يقوم هذا المنهج على وصف وتحليل دقيق كمي أو نوعي لموضوع الدراسة، وهو من شأنه أن يخدم غايات الدراسة.

مجتمع الدراسة: اشتمل مجتمع الدراسة على جميع الطلاب والطالبات المسجلين في الجامعة للعام الدراسي 2011/ 2012.

عينة الدراسة: تم استخدام العينة الطبقية العشوائية من طلاب وطالبات الجامعة الأردنية للإجابة على أسئلة الاستبيان. وبلغ مجموع عينة الدراسة 500 طالبا وطالبة، حيث وزعت على الطلبة في الكليات العلمية والإنسانية بنسب تساوي نسبة الطلبة المسجلين في الكليات العلمية والإنسانية للعام الدراسي 2011/ 2012، بحيث شكلت نسبة الإناث فيها 65.2% موزعين على الكليات العلمية والإنسانية (43.6%، 56.4%)،

بينما شكلت الذكور حوالي 34.8% موزعين على الكليات العلمية والإنسانية بنسبة (61.0%، 39.0%). ويوضح الجدول التالي خصائص العينة:

جدول رقم (1): توزيع أفراد العينة حسب الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية والجنس

المتغير	الفقرة	ذكور		إناث	
		العدد	%	العدد	%
العمر	أقل أو يساوي 20	43	24.7	185	56.7
	22-21	75	43.1	112	34.4
	أكبر من 22 سنة	56	32.2	29	8.9
	المجموع	**174**	**100.0**	**326**	**100.0**
السنة الدراسية	أولى	27	15.5	82	25.2
	ثانية	20	11.5	53	16.3
	ثالثة	34	19.5	108	33.1
	رابعة	40	23.0	41	12.6
	خامسة	35	20.1	40	12.3
	سادسة	18	10.3	2	0.6
	المجموع	**174**	**100.0**	**326**	**100.0**
الكلية	إنسانية	67	38.5	184	56.4
	علمية	107	61.5	142	43.6
	المجموع	**174**	**100.0**	**326**	**100.0**
الوالدان	موجودان	141	81.0	294	90.2
	أحدهما غير موجود	18	10.3	30	9.2
	كلاهما غير موجودين	11	6.3	1	0.3
	لا إجابة	4	2.3	1	0.3
	المجموع	**174**	**100.0**	**326**	**100.0**
المستوى التعليمي للأب	أقل أو يساوي ثانوي	39	22.4	92	28.2
	دبلوم متوسط	19	10.9	54	16.6
	بكالوريوس	82	47.1	116	35.6
	أعلى من بكالوريوس	34	19.5	61	18.7
	لا إجابة			3	0.9
	المجموع	**174**	**100.0**	**326**	**100.0**
المستوى التعليمي للأم	أقل أو يساوي ثانوي	65	37.4	137	42.0
	دبلوم متوسط	33	19.0	85	26.1
	بكالوريوس	57	32.8	85	26.1
	أعلى من بكالوريوس	19	10.9	19	5.8
	المجموع	**174**	**100.0**	**326**	**100.0**
متوسط الدخل الشهري	أقل من 400 دينار	25	14.4	87	26.7
	600-401	33	19.0	61	18.7
	800-601	31	17.8	62	19.0
	دينار فأكثر 801	82	47.1	107	32.8
	لا إجابة	3	1.7	9	2.8
	المجموع	**174**	**100.0**	**326**	**100.0**
مكان الإقامة	قرية	22	12.7	37	11.3
	مدينة	149	86.1	283	86.8
	مخيّم	1	0.6	3	0.9
	بادية	1	0.6	3	0.9
	المجموع	**173**	**100.0**	**326**	**100.0**
عدد أفراد الأسرة	أقل من 5 أفراد	27	15.5	36	11.0
	9-5	133	76.4	253	77.6
	أكثر من 9 أفراد	14	8.0	37	11.3
	المجموع	**174**	**100.0**	**326**	**100.0**

متوسط أعمار الذكور والإناث (21.6، 20.3) سنة على التوالي. متوسط عدد أفراد الأسرة للذكور والإناث (6.6، 7.0) على التوالي.

أداة الدراسة: بعد الرجوع إلى الأدبيات المختلفة تم تصميم استبيان متسق وأهداف الدراسة بحيث اشتمل على (26) سؤال مقسمة إلى خمسة أجزاء تضمن الجزء الأول: أسئلة متعلقة بالبيانات الشخصية (11 سؤال)، والجزء الثاني: أسئلة متعلقة بالمعايير التي يعتمدها الطلاب والطالبات في اختيار شريك/شريكة الحياة (9 سؤال)، والجزء الثالث: أسئلة متعلقة بأسس اختيار الطلاب/ الطالبات لشريك/ لشريكة الحياة (سؤال من 17 فقرة)، والجزء الرابع: أسئلة متعلقة بالأساليب المفضلة في اختيار شريك/شريكة الحياة والعوامل المؤثرة في ذلك (سؤالين). وأخيرا الجزء الخامس اشتمل على سؤال متعلق بالصفات المقترحة لشريك/ لشريكة الحياة من قبل الطلاب والطالبات (سؤال مكوّن من 10 فقرات).

هذا وقد درجت الإجابات في بعض الأسئلة ذات العلاقة في أجزاء الأداة إلى أبعاد هي: موافق ولها ثلاث درجات، محايد ولها درجتان، غير موافق ولها درجة واحدة. وطلب من المبحوثين والمبحوثات وضع إشارة X إلى جانب كل فقرة بما يتفق مع رأيهم/ رأيهن.

وفي مجال تحديد أهم المعايير التي يعتمدها الشباب في اختيار شريك/ شريكة الحياة فقد تم الطلب من المبحوثين أن يرتبوا أهم خمسة معايير حسب الأهمية بحيث يكون رقم 1 العيار الأهم ورقم 5 الأقل أهمية. وكذلك بالنسبة للصفات المقترحة لشريك/ لشريكة الحياة من وجهة نظرهم.

صدق الأداة: للتحقق من صدق الأداة تم عرض الاستبيان على خمسة من المختصين في العلوم الاجتماعية والتربوية والإحصاء العاملين في الجامعات الأردنية، وتم أخذ ملاحظات الجميع بعين الاعتبار وأجريت التعديلات المناسبة، وخرجت بشكلها النهائي، وقد اعتبرت هذه الإجراءات دلالة على صدق ظاهري للأداة.

التحليل الإحصائي: تم استخدام برنامج التحليل الإحصائي SPSS للحصول على الإحصاءات الوصفية المختلفة، مثل التوزيع التكراري والمتوسطات الحسابية والنسب المئوية للمتوسط واختبار ت.

نتائج الدراسة

أولا: المعايير التي يعتمدها الطلاب والطالبات في اختيار شريك/شريكة الحياة

جدول رقم (2): توزيع أفراد العينة حسب الجنس ومعايير اختيار شريك الحياة

معايير اختيار شريك الحياة	ذكور		إناث		المجموع	الدلالة الاحصائية
	المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	
الأخلاق	2.4	1.4	2.1	1.2	2.2	0.008
مستوى التدين	2.7	1.4	3.4	1.4	2.6	0.592
طبيعة الشخصية	2.8	1.3	2.7	1.4	2.7	0.723
التعليم	3.5	1.3	2.9	1.3	3.0	0.000
الجنسية	3.4	1.5	3.1	1.5	3.2	0.499
الحب والإعجاب	3.0	1.4	3.5	1.3	3.3	0.011
العائلة	3.4	1.3	3.4	1.3	3.4	0.938
المظهر الخارجي	3.2	1.3	3.9	1.1	3.5	0.000
العمر	3.6	1.4	3.4	1.3	3.5	0.499
الحالة الاقتصادية	3.1	1.6	3.7	1.3	3.6	0.004

يشير جدول رقم (2) إلى المعايير التي يراها الطالبات والطلاب مناسبة عند التفكير في الزواج، حيث يتضح أن أهم معيار اتفق عليها كل من الطالبات والطلاب هو أخلاق كل من شريك/وشريكة الحياة بمتوسط حسابي 2.2 (2.4 للذكور، 2.1 للإناث)، يلي ذلك مستوى التدين بمتوسط حسابي 2.6 (2.7 للذكور، 3.4 للإناث)، ثم طبيعة الشخصية بمتوسط حسابي 2.7 (2.8 للذكور، 2.7 للإناث). وشكلت الحالة الاقتصادية والعمر والمظهر الخارجي أدنى المعايير لدى الطلاب والطالبات بشكل عام عند اختيارهم لشريك/ شريكة الحياة حيث بلغت المتوسطات الحسابية (3.6، 3.5، 3.5) على التوالي. مما يشير إلى وعي الطلاب والطالبات في المعايير المناسبة عند اختيارهم لشريك/ شريكة الحياة.

ولمعرفة ما إذا كان هناك فروق في المتوسطات باختلاف الجنس فقد تم حساب اختبار ت حيث تبين أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في كل من المعايير التالية: الحالة الاقتصادية، المظهر الخارجي، الحب والإعجاب، التعليم، والأخلاق، حيث بلغت قيمة ألفا (0.004، 0.000، 0.011، 0.000، 0.008) على التوالي. مما يستدعي الوقوف عند هذه المعايير ومحاولة التعرف على الأسباب وإيجاد الحلول السريعة لذلك.

جدول رقم (3): توزيع أفراد العينة حسب الجنس ورفض شريك الحياة في حالة عدم توفر أحد المعايير

الفقرة	ذكور		إناث	
	العدد	%	العدد	%
الرفض	85	48.9	175	53.7
عدم الرفض	86	49.4	147	45.1
لا إجابة	3	1.7	4	1.2
المجموع	**174**	**100.0**	**326**	**100.0**

وتؤكد نتيجة الجدول الثالث إصرار الطلاب والطالبات على هذه المعايير حيث تبين أن (48.9%، 53.7%) من الطلاب والطالبات سوف يرفضوا شريك الحياة في حال عدم توفر أحد المعايير التي يتمنوها في شريك حياتهم.

ثانيا: أسس اختيار الطلاب/ الطالبات لشريك/ لشريكة الحياة

جدول رقم (4): توزيع أفراد العينة حسب أسس اختيار شريك/ شريكة الحياة والجنس

أسس اختيار شريك/ شريكة الحياة	ذكور		إناث		المجموع	الدلالة الإحصائية
	المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	
أفضل أن لا يتعدى فارق العمر مع الشريك عشر سنوات	2.8	0.5	2.9	0.4	2.9	0.009
أنا أختار من يكملني	2.6	0.7	2.8	0.6	2.7	0.001
أفضل الزواج من خارج دائرة الأقارب	2.4	0.7	2.7	0.6	2.6	0.000
أرفض الزواج من شريك سبق له الزواج	2.1	0.8	2.4	0.8	2.3	0.001
نحن نتزوج من يشبهنا	2.2	0.8	2.4	0.8	2.3	0.014
أقبل الزواج بطريقة تقليدية	2.0	0.8	2.1	0.8	2.1	0.089
أفضل الزواج من زميلي في العمل	2.0	0.7	2.2	0.7	2.1	0.001

أفضل الزواج من زميلي في الدراسة	2.0	0.7	1.9	0.7	1.9	0.034
أرفض الزواج للبعد المكاني (من خارج بلدي)	1.8	0.8	1.9	0.8	1.9	0.237
الزواج من جنسيات الأخرى نعمة وليست نقمة	2.1	0.7	1.8	0.7	1.9	0.000
أفكر بشريك من خارج طبقتي	1.8	0.7	1.8	0.7	1.8	0.891
أفضل الزواج من جاري بالسكن	1.7	0.7	1.6	0.6	1.6	0.199
السكن مع أهل الشريك ليست فكرة مرفوضة	1.6	0.8	1.5	0.8	1.6	0.232
لا أمانع الزواج من غير المتعلم إذا كان غنيا	1.6	0.7	1.5	0.7	1.5	0.324
لا أمانع الزواج أثناء فترة الدراسة	1.6	0.7	1.5	0.8	1.5	0.585
أفضل الزواج من الأقارب	1.5	0.7	1.4	0.7	1.4	0.014
لا أمانع من اختيار الشريك عبر الإنترنت	1.4	0.6	1.3	0.6	1.3	0.749

ولكن ما هي الأسس التي يعتمدها كل من الطلاب والطالبات عند اختيارهم لشريك/ شريكة الحياة، يبين نتائج الدراسة (جدول رقم 4) أن فارق عمر بين شريك/ شريكة الحياة يأتي في مقدمة هذه الأسس بحيث لا يتجاوز العمر عشر سنوات حيث بلغ المتوسط الحسابي 2.9 (2.8 للذكور، 2.9 للإناث)، يلي ذلك اختيارهم لمن يكملهم بمتوسط 2.7 (2.6 للذكور، 2.8 للإناث)، فالزواج من خارج دائرة الأقارب بمتوسط 2.6 (2.4 للذكور، 2.7 للإناث)، ثم رفضهم للزواج من شريك سبق له الزواج بمتوسط 2.3 (2.1 للذكور، 2.4 للإناث)، ثم يأتي بعد ذلك زواجهم بمن يشابههم بمتوسط 2.1 (2.2 للذكور، 2.4 للإناث)....الخ.

ولمعرفة ما إذا كان هناك فروق في المتوسطات باختلاف الجنس فقد تم حساب اختبار ت حيث تبين أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في كل من الأسس التالية: أفضل أن لا يتعدى فارق العمر مع الشريك عشر سنوات؛ أنا أختار من يكملني؛ أفضل الزواج من خارج دائرة الأقارب؛ أرفض الزواج من شريك سبق له الزواج؛ نحن نتزوج من يشبهنا؛ أفضل الزواج من زميلي في العمل؛ أفضل الزواج من زميلي في الدراسة؛ الزواج من جنسيات أخرى نعمة وليست نقمة؛ وأخيرا أفضل الزواج من الأقارب. حيث بلغت قيمة ألفا (0.009، 0.001، 0.000، 0.001، 0.014، 0.001، 0.034، 0.000، 0.014) على التوالي.

ثالثا: الأساليب المفضلة في اختيار شريك/شريكة الحياة والعوامل المؤثرة في ذلك

جدول رقم (5): توزيع أفراد العينة حسب الجنس والأسلوب المفضل عند اختيار شريك الحياة

الأسلوب المفضل عند الزواج	ذكور		إناث	
	العدد	%	العدد	%
تعارف شخصي لا يمكن أن يتدخل فيه أحد	97	55.7	113	34.7
بمساعدة الأصدقاء (الأخذ برأي الأصدقاء كعامل أساسي)	14	8.0	13	4.0
الأخذ برأي الأهل كعامل أساسي	52	29.9	187	57.4
عن طريق الإنترنت	3	1.7	2	0.6
لا إجابة	8	4.6	11	3.4
المجموع	**89**	**100.0**	**86**	**100.0**

تظهر نتائج الدراسة فيما يتعلق بالأسلوب المفضل لدى الأغلبية من الطلاب في اختيار شريكة/شريك الحياة هو أسلوب التعارف الشخصي بحيث لا يمكن لأحد أن يتدخل به بنسبة (55.7%). بينما كان أسلوب الأخذ برأي الأهل كعامل أساسي لدى الإناث بنسبة (57.4%)، في حين أن ما نسبته (29.9%) من الذكور

يفضلوا أسلوب الأخذ برأي الأهل كعامل أساسي. مما يشير إلى استقلالية الذكور في الاختيار بشكل أكبر من الإناث.

جدول رقم (6): توزيع أفراد العينة حسب العوامل المؤثرة عند اختيار شريك الحياة والجنس

العوامل المؤثرة عند اختيار شريك/ شريكة الحياة	ذكور		إناث	
	العدد	%	العدد	%
زيادة مستوى تعليمك	100	57.5	194	59.5
التأثر بآراء الأهل والأصدقاء	76	43.7	165	50.6
السفر إلى الخارج	41	23.6	53	16.3
متابعة القنوات الفضائية	11	6.3	16	4.9
الإطلاع على مواقع الانترنت	12	6.9	14	4.3

أما بالنسبة للعوامل المؤثرة في اختيارهم من وجهة نظرهم تعود بشكل رئيسي إلى مستوى تعليمهم بنسبة (57.5%، 59.5%) للذكور والإناث على التوالي، يأتي بعد ذلك تأثرهم بآراء الأهل والأصدقاء بنسبة (43.7%، 50.6%) للذكور والإناث على التوالي. (جدول رقم 6)

رابعا: الصفات المقترحة لشريك/ لشريكة الحياة

جدول رقم (7): توزيع أفراد العينة حسب رأيهم بصفات شريك/ شريكة الحياة والجنس

صفات المقترحة لشريك/ة الحياة	ذكور		إناث		المجموع	الدلالة الإحصائية
	المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	
الوسامة والجاذبية	2.9	1.4	3.8	1.3	2.2	0.000
قوة الشخصية والثقة بالنفس	2.4	1.4	2.4	1.3	2.4	0.877
الصدق والصراحة	2.8	1.4	2.7	1.4	2.7	0.316
الاستقلالية وتحمل المسؤولية	2.2	1.4	2.6	1.3	2.8	0.000
تقبل الحوار والمشاركة	2.7	1.6	3.1	1.5	2.9	0.053
العقلانية والواقعية	2.9	1.3	3.1	1.4	3.0	0.354
الكرم والعطاء	3.0	1.2	3.3	1.3	3.2	0.204
الطموح والذكاء	3.6	1.3	3.3	1.4	3.3	0.980
الحنان والطيبة	3.1	1.3	3.2	1.4	3.3	0.098
الرومانسية والعاطفية	3.5	1.4	3.6	1.4	3.6	0.542

وفيما يتعلق برأيهم في الصفات التي يرغبون أن يتحلى بها شريك/شريكة الحياة، فتبين أن أهم صفة لديهم بشكل عام هي الوسامة والجاذبية بمتوسط 2.2 (2.9 للذكور، 3.8 للإناث)، ثم قوة الشخصية والثقة بالنفس بمتوسط 2.4 (2.4 للذكور والإناث)، فالصدق والصراحة بمتوسط 2.7 (2.8 للذكور، 2.7 للإناث)، ثم يأتي بعد ذلك الاستقلالية وتحمل المسؤولية بمتوسط 2.8 (2.2 للذكور، 2.6 للإناث)، ثم تقبل الحوار والمشاركة بمتوسط 2.9 (2.7 للذكور، 3.1 للإناث). ويجدر الإشارة أن صفة الرومانسية والعاطفية كانت غير ذات أهمية عالية لدى الذكور والإناث بمتوسط 3.6 (3.5 للذكور، 3.6 للإناث).

مناقشة النتائج

يعتبر تعزيز المساواة بين الجنسين، وذلك بتأكيد حقوق ومكانة المرأة في المجتمع أحد أهم التدخلات في الوصول إلى علاقات متكافئة سليمة بين الجنسين، في الوقت الذي يتطلب فيه بذل الكثير من الجهود على المستويات الاقتصادية والاجتماعية داخل المجتمعات لدفع مكانة المرأة إلى الأمام، فإن هذا يتطلب ترويجا فكريا وتربية حياتية وممارسات حقيقية لإزالة التمييز والقهر الواقع ضد المرأة.

وتبين نتائج الدراسة المسحية التي طبقت على عينة من طلاب وطالبات الجامعة الأردنية صورة عن **المعايير التي يعتمدها كل منهم عند اختيار شريك/شريكة الحياة** حيث اتضح أن أهم هذه المعايير لدى الذكور تمثلت في الأخلاق بصورة كبيرة، يلي ذلك مستوى التدين، وتتفق هذه النتيجة مع نظية القيم، في أن الارتباط والانجذاب بين الأفراد يكون أكثر سهولة عندما يشترك أولئك الأفراد أ يعتقدون بأنهم يشتركون في اتجاهات فيمية واحدة، متمثلة هنا بالأخلاق والتدين. ثم طبيعة الشخصية، فالمستوى التعليمي وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (الخضر 2002)، ثم يأتي بعد ذلك معيار الجنسية فالحب والإعجاب.....وفي المقابل كان أهم معيار لدى الإناث هو الأخلاق، ثم طبيعة الشخصية، فالمستوى التعليمي، ثم يلي ذلك معيار جنسية شريك الحياة... ويلاحظ أن الذكور والإناث قد اتفقوا في أهم المعايير وعلى رأسها الأخلاق، وتتفق هذه النتيجة مع ما جاء في نظرية التبادل الاجتماعي في أن الوضع المثالي للواحد منا يتحقق بالحصول على الشريك المثالي، وحيث من الصعب توفره فيبحثون على الشخص الذي يحقق أقصى إثابة ممكنة. (معن خليل، 1997)، كما تؤكد هذه النظرية أن الناس يأخذون بعين الاعتبار النوعية التي يريدون أن تكون موجودة في شريك الحياة (التعليم، طبيعة الشخصية..الخ) والمكافآت التي يحصلون عليها في المقابل. ألا وهي مستقبل حياة زاهر. (Sasses, 1997)

أما بالنسبة للأسس التي يعتبرها الطلاب والطالبات عند اختيارهم لشريك/ شريكة الحياة فكان أهمها هو أن لا يتعدى فارق العمر مع الشريك عشر سنوات، وأنهم يختاروا من يكملهم، وهذه النتيجة تتفق مع نظرية الحاجة المكمّلة في أن الأفراد يقومون باختيار الآخرين بناء على التكامل وتسديد الحاجات الشخصية (Sasses, 1997، وموسى، 1998) ويفضلون الزواج من خارج دائرة الأقارب، ويرفضون الزواج من شريك سبق له الزواج، وأيضا يتزوجون ممن يشبههم، وتتفق هذه النتيجة مع مع ما جاء في نظرية التجانس على فكرة أن الشبيه يتزوّج بشبيهه، حيث تذهب هذه النظرية إلى أن الاختيار في الزواج يرتكز في الحل الأول على أساس من التشابه والتجانس في الخصائص الاجتماعية العامة. (الساعاتي، 1981) ويرفضون الزواج بطريقة تقليدية. وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (وطفة والأنصاري، 2005)، وتتعارض مع نتائج دراسة محمد (2005).

وفيما يتعلق **بالأنماط المفضلة في اختيار شريك/شريكة الحياة**، أظهرت النتائج أن معظم الذكور والإناث يفضلن نمط التعارف بالدرجة الأولى، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة وطفة والأنصاري (2004) في أن نجاح الزواج القائم على الحب والصداقة. ثم عن طريق الأهل، يلي ذلك عن طريق الأصدقاء. وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة محمد (2005) في تأثير الأهل على أبنائهم خصوصا في قرارات اختيار الزوج/ الزوجة.

أما بالنسبة **للعوامل التي أثرت في اختيارهم النمط** المفضل فتعود إلى التعليم بالدرجة الأولى، وكان للعوامل الأخرى مثل تأثير الأصدقاء، والعولمة، والتلفزيون، والسفر إلى الخارج...ثم الانترنت الذي كان له تأثير بسيط على اختيارهم لشريك/شريكة الحياة. وتتعارض نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة النهار (2003) فيما يتعلق بوسيلة الانترنت كوسيلة أساسية في التعارف، وربما يعود السبب إلى عدم انتشار مثل هذه الوسيلة في المجتمع الأردني.

أما بالنسبة للصفات التي يرغبون أن يتحلى بها شريك/ شريكة الحياة، فتبين أن الطلاب والطالبات على وعي في الصفات التي يجب أن يتحلى بها شريك/شريكة الحياة حيث كان أهم هذه الصفات هي الوسامة والجاذبية، ثم قوة الشخصية والثقة بالنفس، فالصدق والصراحة، والاستقلالية وتحمل المسؤولية وتقبل الحوار والمشاركة ... وتختلف درجة أهميتها باختلاف الجنس. وتتفق هذه النتيجة مع نظرية التجانس أو التشابه والتي تركز على أن الأفراد الذين يختارون بعضهم كشركاء زواج هم في أغلب الأحيان متشابهون أكثر منهم مختلفون عن بعضهم البعض. (غروس ومكفلين، 2001)

التوصيات

بناء على ما جاء في نتائج الدراسة، توصي الدراسة ما يلي:

1. توعية الطلاب والطالبات في أهمية التأني في اختيار شريك/شريكة الحياة الذي يناسبهم.
2. العمل في أخذ رأي الأهل عند الاختيار، ذلك لأنهم ذو خبرة أكبر، وأنهم دائما يرغبون لأولادهم وبناتهم الأفضل في حياتهم.
3. أن يتم الاختيار على أساس القناعة الشخصية، بالنسبة للذكور والإناث على السواء.
4. غرس المفاهيم الصحيحة لأهمية الزواج من خلال وسائل الإعلام والمؤسسات الاجتماعية الأردنية والعربية، وعدم التسرّع في الاختيار وأخذ الوقت اللازم لتكوين الصورة الصحيحة عن بعضهما.
5. تنظيم الدورات الخاصة للمقبلين على الزواج من الشباب والفتيات، وضرورة نشر التوعية من خلال المطبوعات وعدم إغفال دور الأهل والوالدين في إنجاح الزواج أو فشله.
6. تركيز وسائل الإعلام على نشر حالات الزواج الناجحة وإبرازها لتكون قدوة حسنة للآخرين.

المراجع

ابراهيم، زكريا، (1987) **الزواج والاستقرار النفسي**، القاهرة، مكتبة مصر.

بيري، الوحيشي، (1998) **الأسرة والزواج، مقدمة في علم الاجتماع العائلي**، الجامعة المفتوحة، طرابلس.

جرادات، عطاف، (1996)، **مؤشرات التغيّر الاجتماعي في قرية أردنية: دراسة أنثروبولوجية ميدانية في قرية سمر الكفارات**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك.

الدليمي، عبد الواحد، (1997) **الأسرة والقرابة ووضع المرأة في مجتمع متغيّر: دراسة اجتماعية لمدينة تعز القديمة في اليمن**، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة النيلين.

الخضر، ساجت، (2002) أزواج يبحثون عن التكافؤ العلمي والثقافي في الزواج، جريدة الصبح، جريدة سياسية يومية عامة، شبكة الإعلام العراقي. 2009/5/31.

http://www.alsabah.vom/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=17596.

الخولي، سناء، (1984) **الأسرة والحياة العائلية**، دار النهضة العربية، بيروت.

صالح، علا (2006) **الجندر في حياة الشباب، دراسة مقارنة ما بين رؤية الشباب لأسرة المستقبل، ورؤية متزوجين**، مركز دراسات أمان، المركز العربي للمصادر والمعلومات حول العنف ضد المرأة، الأردن.

http://www.amanjordan.org/aman_studies/wmview.php?ArtD=1109, 19/9/2006.

فرجاني، هاله، (1989) **الإدراك المتبادل بين الزوجين وعلاقة بفارق السن بينهما: دراسة استطلاعية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس.

عبد السلام، علي، (2001) **المساندة الاجتماعية واتخاذ قرار الزواج واختيار القرين وعلاقتهما بالتوافق الزواجي**، مجلة دراسات نفسية، الجزء 11، العدد 1.

عمر، معن خليل، (1997) **نظريات معاصرة في علم الاجتماع**، جامعة اليرموك، دار الشروق، الأردن.

غروس ريتشارد، ومكفلين روبرت، (2001) مدخل إلى علم النفس الاجتماعي، ترجمة ياسمين حداد وآخرون، عمّان، دار وائل للنشر.

الساعاتي، سامية، (1981)، **الاختيار للزواج والتغيّر الاجتماعي**، بيروت.

محمد، عبد السلام، (2005) الجوانب والتأثيرات البيولوجية والاجتماعية للزواج الداخلي والتعددي في مجتمع تقليدي، دراسة في مجتمع المنصورية بكوم أمبو بمحافظة أسوان، **المجلة الاجتماعية القومية**، المركز القومي للبحوث الاجتماعية بالقاهرة، المجلد 42، العدد 2.

موسى، عبد الفتاح، (1998)، البناء الاجتماعي للأسرة، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، ج. م. ع.

وطفة، علي أسعد؛ والأنصاري، محمد (2005) اتجاهات طلاب جامعة الكويت نحو عادات الزواج ومظاهره، **مجلة العلوم الاجتماعية**، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، المجلد 33، العدد 3.

Sasses, Connie, (1997) **Family Today**, Second Edition, Glencoe Mc Graw-Hill, Peoria, IL, P: 539-540.

Shackelford, T, Schmitt, D, & Buss, D. (2005) **Mate preferences of married persons in the newlywed year and four years later**. Cognition and Emotion, 1262-1270.

ترتيب المقاصد الضرورية بين المتقدّمين والمعاصرين وأهميتها للمفتي

الدكتور : لحرش أسعد المحاسن
جامعة الجلفة – الجزائـر

ملخص البحث

إنّ العلم بمقاصد الشريعة ضروري لكل عالم ومفتي لا يصح الاجتهاد بدونه،وقد اختلفت مناهج المتقدمين من العلماء والمعاصرين حول حصر وترتيب الضروريات.

فعندما ثبت معظم المتقدمين على عدها خمسة مع بعض الاختلاف في ترتيبها منذ زمن العامري والجويني حتى عهد الشاطبي ومن بعده،نجد بعض محاولات التجديد عندهم مثل محاولة العز بن عبد السلام عندما حاول الرجوع إلى ترتيب المصالح مع بعضها دون الالتزام بمصطلح الضروريات ومثله الطوفي الذي استلهم شيخه ابن تيمية وابن عقيل وفهم من كلامه تجاوز النّص إلى المصلحة فترك جانبا . لكن هذه المحاولات مع أهمّيتها لم تتابع.

فضّل المعاصرون تفصيلها والتوسّع في عدها لتواكب معظم جوانب الحياة المعاصرة فأضاف ابن عاشور المقاصد الاجتماعية فذكر على الخصوص الحرية والعدل والمساواة وركّز الشيخ القرضاوي على أهمية تكوين الأسرة الصالحة وجعلها جمال الدين عطية أربع وعشرين مقصدا تغطي كل جوانب الحياة مما يؤكّد صلاحية الشريعة لكلّ زمان ومكان.

المفتي هو الفقيه المجتهد الذي يجيب على السؤال المستفتي،والأصل في الفتوى أنّها خاصة بالشخص الذي يسأل،ويشترط في الفقيه شروط الاجتهاد فلا يحق لمن ليس بمجتهد أن يفتي.

وقد اشترط العلماء ثمانية شروط يجب توفرها في المفتي أو المجتهد ومنها العلم بمقاصد الشريعة.

بل قد جمعها الشاطبي في شرطين اثنين،فقال:"إنّما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين:

أحدهما:فهم مقاصد الشريعة على كمالها.

والثاني:التمكّن من الاستنباط بناء على فهمه فيها.

فالمجتهد لا يحق له الفتوى حتى يكون له من الممارسة والتتبع لمقاصد الشريعة ما يكسبه قوة يفهم منها مراد الشارع من ذلك وما يناسب أن يكون حكما له في ذلك المحل وإن لم يصرح به.

ويقول إمام الحرمين[1]:"ومن لم يتفطن لمواقع المقاصد في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة في وضع الشريعة "

فالشريعة مبناها على مقاصد وأصول لا بد للمفتي من مراعاتها واعتبارها حالا ومآلا قبل أن يصدر فتواه.

قال ابن قيم الجوزية:"إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والميعاد،وهي عدل كلّها،ورحمة كلّها،ومصالح كلّها،وحكمة كلّها،فكلّ مسألة خرجت عن العدل إلى الجور،وعن الرحمة إلى ضدّها وعن المصلحة إلى المفسدة،وعن الحكمة إلى العبث فليست **مـن** الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل[2] ..."

---

[1] انظر البرهان للجويني 295/1

[2] إعلام الموقعين ج3 ص 12

فقتاوى السلف الصالح تدلّ على أنّهم كانوا يعملون المقاصد،اكتسبوها من النصوص القرآنية والسنيّة،ومن مشاهدتهم لنزول القرآن الكريم،ووقوفهم على أسباب وُرود السّنة المطهرة،فأكسبهم ذلك ملكة بها يحكمون،وإليها يتحاكمون.

ولا يعني الأخذ بالمقاصد إهمال النصوص والتخلّي عنها، فالنصوص هي الأصل الأصيل والركن الركين.وكلّ من حاد عنها زاغ عن الصراط المستقيم صراط الذين أنعَم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين.

فالفقيه يكيّف المسألة مثلا على أنّها من باب المعاملات وأنّها من باب العقود أو أنّها من قسم المرابحة أو غير ذلك.والتكييف يحتاج إلى نظر دقيق لأنّ الخطأ فيه يترتب عليه الخطأ في الفتوى.

وهو عمل قد يختلف العلماء فيه مما يؤدي إلى اختلاف الفتوى فنحتاج إلى الترجيح بين المختلفين بقوة الدليل الذي يرجع إلى عمق فهم الواقع ويرجع إلى تحقيق المقاصد والمصالح الدقيقة والتفاوت فيها.

وقد أجمل ابن عاشور فوائد معرفة المقاصد في خمسة جوانب وهي:

1ـ فهم النصوص وتفسيرها ومعرفة دلالتها.

2 ـ الترجيح بين الأدلة المتعارضة والتوفيق بينها.

3 ـ معرفة أحكام الوقائع التي لم يُنص عليها بالخصوص.

4 ـ تنزيل الأحكام الشرعية على الظروف المكانية والزمانية:أي فقه الواقع وتحقيق المناط.

5 ـ تحقيق التوازن والاعتدال في الأحكام وعدم الاضرار.

وذكر القرافي في فروقه في الفرق الثامن والسبعين بعد المائة من شروط المفتي:"ومعرفة رتب تلك العلل ونسبتها إلى المصالح الشرعية،وهل هي من باب المصالح الضرورية أو الحاجية أو التتميمية[3]".

فمعرفة مراتب المقاصد أساسي للمفتي،وأهم المقاصد:المقاصد الضرورية فيجب على المفتي أن يكون على بيّنة من ذلك،فلا يقدّم مقصد ولا يؤخّر إلّا بدليل،ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث الذي يتناول الاختلاف في المقاصد الضرورية عند المتقدّمين والمعاصرين ويعرض على جوانب التجديد في هذا المجال.فيجب على المفتي أن يكون متحصّلا متمكّنا في هذا الباب،فجعلناها ضمن التكوين العلمي للمفتي.

تمهيد

لا خلاف بين معظم علماء الفقه والأصول أنّ أحكام الشريعة الإسلامية معلّلة،وقد اتفقوا على أنّ أحكامها تهدف إلى تحقيق مصلحة العباد في العاجل والآجل قال الحكيم الترمذي(318ه) :(تيقّن أنّ الله تعالى لم ينه عن شيء ولا أمر بشيء إلّا بالحكمة)،وقال الشاطبي(ت 790ه):(والمعتمد أنّا استقرينا من الشريعة أنّها وضعت لمصالح العباد)[4] والنّصوص التي تدل على التعليل كثيرة جدا منها قوله تعالى في بعثة الرسل ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾[5] وفي بعثته ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[6] وفي الصلاة {**إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**[7]}وفي الصيام قال ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

[3] الفروق 2/107-110

[4] الموافقات 2/322

[5] سورة النساء الآية ١٦٥

[6] سورة الأنبياء الآية ١٠٧

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[8] وفي الزكاة قال ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[9] وفي الحج﴿**لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾**[10] وفي موضع آخر قال تعالى ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾**[11] وقال﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾**[12] وقال﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**[13] وقال﴿**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[14].

فالشريعة تهدف إلى تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل والمقصود بالآجل مستقبل حياتهم في الدنيا.

وقد قسّم العلماء المصالح المعتبرة شرعا وصنفوها ورتبوها بغية اللجوء إليها عند الاختلاف.

وقد اهتم الصحابة بالمقاصد وبنو عليها الكثير من فتاويهم،ومن أشهرهم في ذلك عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ومن أمثلة ذلك جمع القرآن الكريم في المصحف في عهد أبي بكر وتضمين الصناع الخ.

قال ابن القيم"وقد كانت الصحابة أفهم الأمّة لمراد نبيه واتبع له.وإنما كانوا يدندنون حول معرفة مراده ومقصوده"[15]

كما اهتم التابعون والعلماء بدراسة المقاصد منذ القرون الأولى ومنهم الأئمة الأربعة.

وأوّل من استعمل لفظ المقاصد إمام الحرمين الجوّيني (ت 478 ه) في البرهان[16] ولعل أوّل من صنف في مجال المقاصد الحكيم الترمذي(ت318ه) في كتبه (الصلاة ومقاصدها) و(الحج وأسراره) و(علل الشريعة)،وكذلك القفال الشاشي (ت365ه)في كتابه (محاسن الشريعة)،وأبوبكر الأبهري(ت375ه) في كتابه (الجواب والدلائل

---

[7] سورة العنكبوت الآية 45

[8] سورة البقرة 183

[9] سورة التوبة الآية 103

[10] سورة الحج 27

[11] سورة المائدة الآية 6

[12] سورة النساء الآية ٢٨

[13] سورة البقرة الآية 189

[14] سورة الأنبياء الآية 35

[15] – أعلام الموقعين63/2

[16] انظر البرهان 624/2 ونظرية المقاصد للريسوني ص16

والعلل)،وإمام الحرمين الجوّيني في كتابيه البرهان في أصول الفقه وغياث الأمم،كما تابعه وسار على نهجه حجة الإسلام أبو حامد الغزالي(ت 505 ه) في المستصفى وفي شفاء العليل.

وتتابع التأليف في مجال المقاصد،فكتب العز بن عبد السلام (ت585 ه) قواعد الأحكام في مصالح الأنام والفوائد في اختصار المقاصد،ثمّ أفرد الشاطبي (ت790ه) قسما من كتابه الموافقات للمقاصد سماه كتاب المقاصد وجعل العلم بمقاصد الشريعة أحد شرطي للاجتهاد.

وألّف المعاصرون مؤلفات جيدة في المقاصد وكلّهم يهدف إلى الوصول إلى قواعد تكون الفيصل والمرجع عند الاختلاف[17].

ولم يعرف العلماء المتقدّمون مصطلح المقاصد تعريفا دقيقا رغم استعماله وعرّفه حجة الإسلام الغزالي في قوله:(لكننا نعني بالمصلحة المحافظة على مفصود الشرع)[18] أما المعاصرون فكانوا أكثر دقّة فعرفها الطاهر بن عاشور(ت1379ه) بقوله:(هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها[19]) وعرّفها الدكتور أحمد الريسوني بقوله:(إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد[20]).

إنّ المقاصد التي جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيقها ، أوالمصالح والغايات التي تهدف إليها من خلال أوامر الشارع ونواهيه ليست علي درجة واحدة من حيث اعتبار الشرع لها ومن حيث أهميتها للناس وحاجتهم إليها،إذ منها المقاصد الضرورية ومنها المقاصد الحاجّية ومنها المقاصد التحسينية،ولعل أوّل من أشار إلى ذلك الجوّيني في برهانه[21] فقسمها خمسة أقسام وهي تعود إلى الثلاثة المذكورة،وتابعه الغزالي والعلماء بعد ذلك واعتبر هذا التقسيم من أسس علم المقاصد.

فأمّا المصالح الضرورية: ما يُعتبر ضروريا بالنّسبة لهم،بحيث لو اختل أو لم يكن موجودا لحدث الخلل في حياتهم واضطربت أحوالهم،وعمّ الفساد وانتشرت الفوضى فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدّين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة،وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين[22].

والمصالح الحاجّية وهي أدني من ذلك و تمثل حاجة بالنّسبة للناس ، وبدونه تصبح الحياة شاقة،واختلالها أو انعدامها يوقعهم في الحرج وهي مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج[23].

---

[17] مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور ص5

[18] المستصفى للغزالي 482/2

[19] مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور ص51

[20] نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي لأحمد الريسوني ص 19

[21] انظر البرهان من 923/2 إلى ص 958

[22] انظر الموافقات للشاطبي 324/2

[23] المرجع نفسه 326/2

أمّا التّحسينيات فهي ما لا يعتبر أمراً ضروريا أو حاجيا بالنّسبة للناس،ولا يترتب على عدمها مشقة لهم أو وقوع في الحرج،لأنّ ما تحقّقه لهم لا يعدو من أن يكون مصلحة تكميلية تحسينية وتدخل ضمن الأخذ بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق[24].

المقاصد الشرعية مترابطة وتكمل بعضها بعضا وتعتبر المقاصد الضرورية أساس كل مباحث المقاصد في مجال أصول الفقه. فالمصالح الحاجّية خادمة للضرورية، والتحسينية خادمة للحاجية فهي خادمة بالواسطة للمصالح الضرورية. فالضروريات هي أساس كل التشريع وهي المقصودة بالاعتبار والحفظ بالدرجة الأولى،وبقية المصالح خادمة لها. فالمصالح الضرورية هي أصل المصالح الحاجّية والتحسينية.

قال الشاطبي:(فلو فرض اختلال الضروري بإطلاق لاختلا باختلاله بإطلاق،ولا يلزم من اختلالهما اختلال الضروري بإطلاق،نعم قد يلزم من اختلال التحسيني بإطلاق اختلال الحاجي بوجه ما،وقد يلزم من اختلال الحاجي بإطلاق اختلال الضروري بوجه ما...فإن الضروري هو المطلوب)[25].

كما قسمت المقاصد من حيث الوضع إلى مقاصد الشارع ومقاصد المكلف.

ومن حيث العموم والخصوص إلى مقاصد عامة ومقاصد كليّة ومقاصد خاصة ومقاصد جزئية.

ومن حيث اعتبار حظ المكلف وعدمه إلى مقاصد أصلية ومقاصد تابعة.

ومن حيث القطع والظن إلى مقاصد قطعية ومقاصد ظنية ومقاصد وهمية.

ومن حيث الحاجة والأهمية إلى مقاصد ضرورية وحاجية وتحسينية.

ودراستنا تنصب على المقاصد الضرورية خاصة باعتبارها أصل المقاصد الشرعية.

وجدير بالذكر هنا استعمال مصطلحات المصالح الضرورية والضروريات والمقاصد الضرورية عند العلماء لنفس المعنى.

فما هي مذاهب العلماء في تقسيم وترتيب المقاصد الضرورية؟ وهل حقق العلماء هدفهم في التقليل من الخلاف الفقهي باستنجادهم بمقاصد الشريعة؟

يمكن أن نصنّف ترتيب الضروريات إلى منهجين منهج المتقدّمين ومنهج المتأخرين ذلك أنّ طريقة كلّ واحد تختلف عن الأخرى فالمتقدّمين حصروها في خمسة ولم يتوسعوا فيه إلّا قليلا أما المعاصرين فلهم اجتهادات أخرى.

إذا سنتناول دراسة الموضوع حسب الترتيب الزمني فبدأت بطريقة المتقدّمين ثمّ أتناول طريقة المتأخرين والمعاصرين محاولا المقارنة بين الطريقتين والاستفادة من ذلك.

وقسّمت الدراسة إلى مطلبين رئيسيين :

الأوّل فيه ذكر الضروريات عند المتقدّمين وترتيبها.

---

[24] المرجع نفسه 327/2

[25] انظر الموافقات 331/2

والثاني فيه نظرة المعاصرين إلى حصر الضروريات وتوسّعهم فيها.

ثمّ ختمت بأهم النتائج المتوصل إليها.

واعتمدت على مناهج الوصف والتحليل والمقارنة ومناهج أهل الحديث في التخريج وتوخيت الإيجاز والتبسيط قدر الإمكان.

المطلب الأوّل : مذاهب المتقدّمين في تقسيم الضروريات وترتيبها

قسّم العلماء المتقدّمون الضروريات إلى تقسيمات متقاربة اتفق جلّهم على التقسيم الخماسي للغزالي وغيره وأضاف البعض الآخر بعض المصالح الضرورية دون اتفاق بينهم.

قال الغزالي: (ومقصود الشارع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم؛ فكلّ ما يتضمّن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكلّ ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة،ورفعها مصلحة.وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات، فهي أقوى المراتب في المصالح)[26].

وهو ما ذهب إليه الفخر الرازي(ت 606هـ)في محصوله والآمدي(ت631هـ) والقرافي (ت684هـ) وابن الحاجب(646 هـ) والبيضاوي (ت772هـ) والطوفي (ت 716هـ) وغيرهم من المتقدّمين.

قال الطوفي في شرح الروضة:(الضروريات الخمس وهي: حفظ الدّين وحفظ العقل وحفظ النفس وحفظ النّسب وحفظ العرض وحفظ المال[27])

وقال الشاطبي:(ومجموع الضروريات خمس، وهي: حفظ الدّين والنفس والنسل والمال والعقل[28]).

ويوجد اختلاف عند المتقدّمين في ضروري **النّسب**، فبعضهم سماه النّسب، وبعضهم سماه **الفروج** كما فعل الجوّيني والشاطبي وبعضهم سماه **الأبضاع** كما فعل القرافي في الفروق وميّز الطوفي بينهما فجعل من المقاصد الضرورية حفظ النّسب وحفظ العرض وهي تسميات متقاربة لمعنى واحد عند غالب العلماء.

وقالوا أنّ هذه الضروريات الخمس مراعاة في كلّ ملّة[29].

كما يوجد خلاف لفظي أو شكلي في اعتبار **العرض** مقصدا سادسا . وأضاف الإمام **ابن تيمية** مقصد **العدل** واعتبره ضروريا مراعى في كل جوانب التشريع،والنصوص الدالّة على ذلك كثيرة[30].وقد اكتفينا بالغالب في منهج المتقدّمين وهو التقسيم الخماسي للمقاصد الضرورية حفاظا على خطة البحث.

1)الأدلة على مراعاة وحصر الضروريّات الخمس

---

[26] المستصفى482/2

[27] انظر شرح مختصر روضة الناظر 209/3

[28] الشاطبي الموافقات 324/2.

[29] انظر نفس المرجع ص 326

[30] انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية 159/17.

وليس هناك دليل واحد على تحديد هذه الضروريات ولكن يستدل عليها باستقراء نصوص القرآن والسّنة.

1-1 الاستقراء كدليل على حصر الضروريات

الأدلة على حصر المقاصد في خمس كثيرة لا تكاد تحصى وهي متنوعة من آيات وأحاديث وغيرها.هذا ما يجعلها تفيد القطع بمجموعها وتضافرها بخلاف إذا أخذناها منفردة فإذا كثرت الأدلة وتنوعت من آيات وأحاديث وعمل صحابة واتفقت كلّها على حكم واحد علمنا بقطعيته،وهو ما يسمى عند المحدّثين بالتواتر المعنوي بخلاف الدليل الواحد فقد يتسرّب إليه الظن فيضعف الاستدلال به.

قال الشاطبي:(قد اتفقت الأمّة بل سائر الأمم على أنّ أحكام الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي :الدّين والنفس والنسل والعقل والمال. وعلمها عند الأمّة كالضروري ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد[31])

وقال: (وعلم هذه الضروريات صار مقطوعاً به، ولم يثبت ذلك بدليل معيّن بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد . فكما لا يتعيّن في التواتر المعنوي أن يكون المفيد للعلم خبراً واحداً من الأخبار دون سائر الأخبار كذلك لا يتعيّن هنا؛لاستواء جميع الأدلّة في إفادة الظن على انفرادها[32]).

كما قال الإمام الشاطبي: "إن مصالح الدّين والدنيا مبنية على المحافظة على الأمور الخمسة... فإذا اعتبر قيام هذا الوجود الدنيوي مَبْنِيًّاً عليها حتى إذا انخرمت لم يبق للدنيا وجود -أعني ما هو خاص بالمكلفين والتكليف- وكذلك الأمور الأخروية لا قيام لها إلا بذلك، فلو عدم الدّين عدم ترتب الجزاءِ المرتجى، ولو عُدِمَ المكلف لعدم من يتديَّن، ولو عدم العقلُ لارتفعَ التَّدين، ولو عُدِمَ النَّسْلُ لم يكنْ في العادة بقاء، ولو عدم المال لم يبقَ عيش...، وهذا كله معلوم لا يرتاب فيه من عرف ترتُّب أحوال الدنيا وأنها زاد الآخرة[33]"

قال ابن أمير الحاج:(وحصر المقاصد في هذه ثابت بالنظر إلى الواقع وعادات الملل والشرائع بالاستقراء[34]).

ومن أمثلة الأدلة الفردية على اعتبار الضروريات الخمس

1-2) من الكتاب:

قال تعالى: **{قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِٱلْوٰلِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلَـٰدَكُمْ مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلْفَوٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ**

---

[31] نفس المرجع والصفحة.

[32] انظر الموافقات 326/2

[33] الموافقات 271/2

[34] التقرير والتحبير 144/3

ٱللَّهُ إِلاَّ بِٱلْحَقّ ذٰلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلاَّ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لاَ نُكَلّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ}[35].

وتظهر فيها العناية بحفظ هذه الضرورات الخمسة.

والآيات التي تشير صراحة إلى وجوب الحفاظ على الضروريات الخمسة كثيرة جدا،وإنما اكتفينا بالآية المذكورة لاشتمالها على المقاصد الخمسة في موضع واحد.

1-3) من السّنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {**اجتنبوا السبع الموبقات**} قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: {**الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**[36]}.

وقد اعتبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعتداء على هذه الأمور موبقاً أي مهلكاً، فالحفاظ عليها إذن هو من ضروريات الحياة. ونصوص السّنة النبوية كثيرة في هذا الباب.

وسبب حصر الضروريات في الخمس عند معظم العلماء هي ربطها بالحدود، فحفظ الدّين بالجهاد ومقاتلة المرتدين، وحفظ النفس بالقصاص، وحفظ العقل بحد السكر،وحفظ النسل بحدي الزنا والقذف، وحفظ المال بحد السرقة.

وقد حذر الشارع وزجر في كثير من النصوص عن خطورة تجاوز حدود الله ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه.وقد سبق إلى ذلك أبو الحسن العامري[37] كما ذكر الريسوني[38] في كتابه (الفكر المقاصدي)، وكذلك فعل الجوّيني[39] في (البرهان) وربطها بالحدود.

وفصّل الشاطبي فلاحظ أنّ هذه الضروريات الخمس محافظ عليها من جانبين **جانب الوجود ومن جانب العدم** فلم يكتفي بجانب العدم كما فعل العامري والجوّيني.

قال الشاطبي: (والحفظ لها يكون بأمرين:

أحدهما:ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها،وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود.

والثاني:ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها،وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم.

فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدّين من جانب الوجود كالإيمان والنطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج وما أشبه ذلك،والعادات راجعة إلى حفظ النسل والمال من جانب الوجود،وإلى حفظ النفس والعقل

---

[35] سورة الأنعام الآيتين 151، 152

[36] أخرجه البخاري في كتاب الوصايا رقم 2615 ومسلم في كتاب الإيمان رقم 89

[37] هو أبو الحسن محمد بن يوسف النيسابوري ت381 هـ انظر الأعلام148/7

[38] الفكر المقاصدي للريسوني ص31

[39] البرهان للجويني 1150/2

أيضا لكن بواسطة العادات والجنايات ـ ويجمعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ترجع إلى حفظ الجميع من جانب العدم[40])

2) ترتيب الضروريات عند المتقدّمين

لم يتفق المتقدّمون على ترتيب واحد للضروريات وإن اتفق جلهم على حصرها في خمس مصالح الدّين والنفس والنسل والعقل والمال.

وكانت أقوالهم في ترتيبها كثيرة جدا فبعضهم قدّم الدّين على النفس وهم الأغلب وخالف آخرون فقدّموا النفس على الدّين وهكذا في كلّ المقاصد الضرورية خلاف كبير في ترتيبها عند المتقدّمين.

قال ابن أمير الحاج: (ويقدّم حفظ الدّين من الضروريات على ما عداه عند المعارضة لأنه المقصود الأعظم، قال تعالى: {**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**[41]} وغيره مقصود من أجله، ولأنّ ثمرته أكمل الثمرات وهي نيل السعادة الأبدية في جوار ربّ العالمين،ثمّ يقدّم حفظ النفس على حفظ النّسب والعقل والمال لتضمنه المصالح الدّينية لأنها إنما تحصل بالعبادات، وحصولها موقوف على بقاء النفس ثم يقدّم حفظ النّسب لأنّه لبقاء نفس الولد إذ بتحريم الزنا لا يحصل اختلاط النّسب فينسب إلى شخص واحد فيهتم بتربيته وحفظ نفسه، وإلا أهمل فتفوت نفسه لعدم قدرته على حفظها، ثم يقدّم حفظ العقل على حفظ المال لفوات النفس بفواته حتى إنّ الإنسان بفواته يلتحق بالحيوانات ويسقط عنه التكليف،ومن ثمّة وجب بتفويته ما وجب بتفويت النفس وهي الديّة الكاملة،ثمّ حفظ المال[42]).

وهو صحيح في الجملة لكن في الواقع تتضارب المصالح في القضية الواحدة كثيرة.

وسبب اختلافهم يعود إلى أهمية كلّ مقصد في حدّ ذاته من ناحية وأهميته بالمقارنة مع المقاصد الضرورية الأخرى.

فهل يقدّم الدّين على النفس أم تقدّم هي عليه وهذا موضع له أهميته الكبرى حيث أنّه ينظّم أهم عنصرين في الوجود.

كما اختلفوا في تقديم النسل والعقل أحدهما على الآخر.

واختلفوا في تقديم النسل والمال أحدهما على الآخر.

واختلفوا في تقديم المصالح الدنيوية على الأخروية.

و نتناول هذا الاختلاف ببعض التفصيل حتى نتصوّر بوضوح عمق الإشكالية المطروحة في ترتيب الضروريات.

---

[40] الموافقات 325/2

[41] سورة الذاريات الآية56

[42] التقرير شرح التحبير 144/3

2-1 الاختلاف في ترتيب الدّين والنفس

أهمية الدّين وكذا أهمية النفس بالنّسبة للضروريات كبيرة وقد اختلفوا في ترتيبهما اختلافا بينا له أثره الكبير على الفروع الفقهية.

2-1-1 ترتيب الدّين أولا

رتب معظم العلماء الدّين في الرتبة الأولى من الضروريات لأنّ الدّين هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة الدنيا مطية الآخرة،ولأنّ الجهاد هو بذل النفس من أجل إعلاء كلمة الدّين فثبت أنّ الدّين مقدّم على النفس. وهو مذهب الغزالي والآمدي وابن الحاجب والإسنوي وابن السبكي(ت771هـ) والشاطبي وابن فرحون(ت799هـ) والسيوطي وغيرهم[43].

2-1-2 ترتيب النفس أولا

وقد ذهب بعض الأئمة إلى تقديم النفس لتأكيد حرمتها في كثير من النصوص الشرعية مما جعلها قطعية ولأنّ النفس هي محل ورود الأحكام فانعدامها انعدام من يتدين،وممن فعل ذلك الإمام الرازي في محصوله ،وقد جعل الدّين في المرتبة الثالثة بعد النفس والعقل،وكذلك فعل القرافي في نفائس الأصول و البيضاوي وابن تيمية[44].

2-2 الخلاف في ترتيب النسل والعقل

اختلفوا كذلك في العقل والنسل في ترتيبهما مع بعضهما ومع الآخرين ولا شك في الأثر الهائل الذي يتركه هذا الخلاف في مجال الفروع الفقهية.

2-2-1 ترتيب النسل أولا

وقد قدّم النسل على العقل لأهميته الكثير من العلماء منهم : الإمام الرازي في محصوله وأحيانا يجعل بينهما الدّين و المال، وكذلك قدّم النسل على العقل الآمدي في إحكام الأصول وابن الحاجب والبيضاوي والشاطبي والزركشي وابن فرحون.

2-2-2 ترتيب العقل أولا

قدّم بعض العلماء العقل على الدّين لأنّ العقل أساس التكليف وممن فعل ذلك حجة الإسلام الغزالي في المستصفى والبيضاوي وابن السبكي والشاطبي وابن عبد الشكور في فواتح الرحموت والسيوطي في الكوكب المنير.

2-3 الخلاف في ترتيب النسل والمال

لم يكن الخلاف في ترتيب الضروريين كبير بين العلماء فمعظمهم قدّم النسل على المال فحرمة الأبضاع مقدّمة على الأموال عند معظمهم لكن بعضهم أخّرها على المال فالمال عصب الحياة.

و ممن قدّم المال على النسل الرازي والبيضاوي والإسناوي والقرافي[45].

---

[43] انظر المستصفى للغزالي 482/2 المحصول للرازي 160/5 والموافقات للشاطبي 325/2 الكوكب الساطع للسيوطي 246/2 وضوابط المصلحة للبوطي ص 111.

[44] انظر المراجع السابقة نفس الصفحة والجزء

2-4 الخلاف في المصالح الدنيوية والأخروية

اصطلح العلماء على تقسيم المصالح إلى دنيوية وأخروية وخالف البوطي من العلماء المعاصرين فقال:(جميع ما في الشريعة الإسلامية من عقائد وعبادات ومعاملات متكفل بتحقيق مصالح العباد بتقسيميها الدنيوي والأخروي[46]).

وهو كلام له وجاهته فالتفريق بين الدنيوي والأخروي ليس له مجال عمل فالدنيا مطيّة للآخرة وقد قال النبي صلّى الله عليه وسلّم لعمر : { **ألا تحب أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة** [47]} مما يدل على تفضيل المصالح الأخروية على الدنيوية وقد قال تعالى ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[48].

ورغم ذلك قدّم بعض الأصوليين الضروريات الدنيوية وهي النفس والنسل والعقل والمال على المصالح الأخروية، أي ضروري الدّين، وعلّلوا كلامهم من الناحية الفقهية والعقلية فقالوا : (حق الآدمي مبني على المشاحة، بخلاف حق الرب سبحانه وتعالى فإنه مبني على المسامحة لذلك قدّم حق القصاص على الردّة عند تزاحمهما[49])

وقد ردّ الإمام السبكي على هؤلاء بقوله (صلى الله عليه وسلّم):(**فدين الله أحق بالقضاء[50]**).

وردّ على احتجاجهم بقوله :(أمّا تقديم القصاص على الردة فمقصده دعوة الخلق إليه وإرشادهم،فإن حصل فهو الغاية وإلاّ تعيّن حسم الفساد بإراقة دم من لا فائدة في بقائه. فإذا زاحمه قتل القصاص،وكان ولي الدم لا قصد له إلاّ التشفي باستيفاء ثأر مواليه،سلمناها إليه فإنه حصل فيه القصدان جميعا:تطهير الأرض من المفسدين بإراقة دم هذا الكافر وتشفي ولي الدم.

وليس كذلك لو قتله الإمام من الردّة،فإنّه يبطل مقصد ولي الدم بالأصالة **والجمع بين الحقين أولى،والحاصل أن تسليمه إلى ولي الدم ليس تقديما لحق الآدمي بل جمع بين الحقين)**[51] وهو تعليل جيد من الشيخ السبكي مع ما فيه من حدّة أحيانا كقوله(**بإراقة دم من لا فائدة في بقائه**).

ولنا التنويه أنّ معظم العلماء ذكر ترتيبه للمقاصد دون تبرير إلاّ قليلا منهم فقالوا عن تقديم النفس عن الدّين بأنّ النفس حق الآدمي وهو متضرر،والدّين حق الله وهو تعالى لا يتضرر،لذلك قدّم القصاص على الردّة عند التزاحم كما ذكرنا،ورخّص في ترك الجمعة والجماعة حفاظا على مصلحة المال عند البعض.

---

[45] انظر المستصفى للغزالي 451/1 المحصول للرازي 3256/7 والموافقات للشاطبي 325/2 الكوكب الساطع للسيوطي 246/2 وضوابط المصلحة للبوطي ص 112.

[46] انظر ضوابط المصلحة للبوطي ص 79

[47] اخرجه في الأدب المفرد للبخاري رقم 1145

[48] الآية 56 من سورة الذاريات

[49] نظر رفح الحاجب عن مختصر ابن الحاجب 642/4

[50] حديث صحيح رواه البخاري في كتاب الصوم رقم 1953 الجزء 4 الصفحة 227

[51] انظر كتابه رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب 642/4 و643.

3 – ترتيب المصالح عند الشاطبي

وإنما اخترنا الشاطبي لكونه أوّل من فّصل في ترتيب المقاصد تفصيلا دقيقا بحيث أصبح كتابه نظرية متكاملة في المقاصد عند الكثير من العلماء.

ويرى الشاطبي أن الضروريات مترابطة بعضها ببعض (فلو عدم الدّين لعدم الجزاء الأخروي ولو عدم المكلف لعدم من يتدين ولو عدم العقل لعدم من يتدين ولو عدم النسل لم يكن في العادة بقاء ولو عدم المال لم يبق عيش)[52].

وأهمية الترتيب بين المصالح بأنواعها تظهر عندما تكون الواقعة يتجاذبها مقصدان متعارضان فيجب الترجيح بينهما.

فقرّر الشاطبي وغيره أن المصالح الضرورية مقدّمة على الحاجّية وهي مقدّمة على التحسينية. كما أنّ الضروريات مرتّبة عنده ترتيبا تنازليا وهو :الدّين ثم النفس والنسل أو العقل أحيانا ثم المال[53].

كما ذكر أن لكل مرتبة من المصالح تكملة تنضم إليها.

وأخيراً فإن كل مصلحة مكملة لها ـ من حيث هي تكملة ـ شرط، وهو ألا تعود على ـ الأصل بالإبطال،فإذا كان اعتبار المصلحة المكتملة يؤدي إلى فوات أصلها فإنّ هذه التكلمة يسقط اعتبارها[54].

وهذا يطبّق على المصالح الحاجّية مع الضرورية،والتحسينية مع الحاجّية،ويضرب الشاطبي مثلاً لذلك بقوله:

إنّ حفظ المهجة (النفس) مهم كلّي (ضروري) وحفظ المروءات مستحسن فحرّمت النجاسات حفظاً للمروءات،وإجراء لأصلها على محاسن العادات،فإن دعت الضرورة إلى إحياء المهجة بتناول النجس كان تناوله أولى.

وكذلك أصل البيع ضروري، ومنع الضرر والجهالة مكمل، فلو اشترط نفي الضرر جملة (دائماً وبصيغة مطلقة) لا نحسم باب البيع (ولم نجد بيعاً لا ضرر فيه مطلقاً).

وفرض الشارع علي المكلفين عبادات وتكاليف فيها نوع من المشقة المحتملة من الإنسان العادي كالصيام والحج والجهاد من أجل إقامة الدّين وحمايته والمحافظة عليه ولم يراع الشارع في ذلك دفع المشقة لأنه ـ أي دفع المشقة ـ مقصد حاجي أو تحسيني،وإقامة الدّين والمحافظة عليه مقصد ضروري،والضروري مقدّم علي الحاجي والتحسيني.

كذلك أباح الشارع أكل الميتة ونحوها من المحرمات عند ضرورة لإنقاذ النفس أو دفع الهلاك عنها ومع أن الشارع نهي في الأصل عن تناول الميتة ونحوها لأنّ النهي عن تناولها أمر حاجي وإنقاذ النفس ودفع الهلاك عنها أمر ضروري والضروري مقدّم علي الحاجي.

---

[52] انظر موافقات الشاطبي 32/2.

[53] انظر الموافقات 236/2

[54] انظر الموافقات 329/2

كما أباح الشارع ترك الوضوء أو الغسل إلي التيمم إذا ترتب علي استعمال الماء حدوث مرض أو زيادته ، لأنّ المحافظة علي النفس ودفع المرض عنها أمر ضروري والوضوء أو الغسل أمر تحسيني والضروري مقدّم علي التحسيني.

كما بيّن الشاطبي في موافقاته كلّ العلاقات بين الضروري و الحاجي والتحسيني وتأثير اختلال أحدهم على الآخرين[55] في نظرية شاملة متكاملة لم يسبق إليها،فأصبح كتابه بذلك مرجعا أساسيا في المقاصد لا غنى عنه.

3-1 مناقشة

إنّ نظرية الشاطبي تبدو من أوّل نظرة متكاملة لا ينقصها شيء لكن عند التطبيق تظهر بعض الصعوبات منها:تداخل المصالح بالمفاسد غالبا فهي غالبا ممزوجة ولا تكاد تجد مصلحة محضة البتة[56] .

وقد تجاوز الشاطبي هذه العقبة باعتماده معيار الغالب من المصلحة أو المفسدة،قال في الموافقات:(فالمصالح والمفاسد الراجعة إلى الدنيا إنما تفهم على مقتضى ما غلب فإذا كان الغالب جهة المصلحة فهي المصلحة المفهومة عرفا[57])

والصعوبة الثانية تكمن في ظنّية المقاصد أحيانا كثيرة فلا تسعف المجتهد في ترتيب المقاصد وبالتالي الأحكام،فانتقلنا من ظنية الأحكام إلى ظنية المقاصد والتي كان يجب أن تكون قطعية حسما للخلاف كما ذكر الشاطبي وابن عاشور.

كما أنّ النصوص الشرعية ليست قطعية في ترتيب الضروريات مع بعضها فالدّين عند الشاطبي مقدّم على النفس بوجه عام والنصوص الدالة عليه كثيرة، لكن توجد نصوص أخرى تخالف ذلك منه قوله تعالى﴿ **مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[58] فأجازت النطق بالكفر حفاظا على النفس.

كما يستدل على تقديم النفس أنّ كل ما في الكون مسخر للإنسان قال تعالى ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [59].

فالحياة هي الأصل بنص الدّين ودلالة العقل وفطرة الوجدان،وإنما سائر المصالح جاءت من أجل الإنسان،بل قد تقدّم مصلحة الدّين باعتباره يحتوي على جملة المصالح الإنسانية وذلك من باب المعايير المرعية.

كذلك بين العقل والنسل،ثمّ بين النسل والمال،ليس هناك شاهد من عقل أو شرع،بتقديم العقل على النسل،والنسل على المال بصورة مطلقة،بل يرجع الأمر إلى كل نازلة على حالها.

---

[55] انظر الموافقات 332/2 إلى339 ونظرية المقاصد للريسوني ص 148

[56] انظر الموافقات 339/2

[57] الموافقات 340/2

[58] الآية 106من سورة النحل

[59] الآية 13 من سورة الجاثية

فإذا كان الإنسان يصاب بعاهة دائمة في عقله أو في سائر قواه الأساسية بسبب الزواج منعنا عنه الزواج،وقدّمنا سلامته على إنجابه،ولكن هذا بسبب أصالة حفظ النفس وليس بسبب تقدّم العقل على النسل.

فإن تقديم العقل وسائر الأعضاء والقوى،كما تقديم المال على النسل،قائم على أساس معيار تقديم النفس على الغير،وهو لا يعارض سائر المعايير،مثلاً لو أن النوع البشري في منطقة،تعرضّ لخطر الانقراض،فإن كل شيء يضحى من أجل بقاءه.

ورأي في المسألة أنّ ترتيب الشاطبي في مجمله صواب وإنما قد يدخل الخلل في بعض المسائل الجزئية ليس بسبب خلل في الترتيب وإنما بسبب عوارض خاصة بالنازلة تجعل الحكم يتغير.

فمثلا الدّين مقدّم على النفس لقوله تعالى﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[60] وهي لا تناقض قوله تعالى﴿ **مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[61].

إذ يجوز النطق بكلمة الكفر حفاظا على النفس ليس لأهمية النفس على الدّين بل لأنّ القلب مطمئن بالإيمان فالنطق بالكفر في هذه الحالة لا يضر أصل الدّين.

وهكذا قد يختلف العلماء في ترتيب الضروريات ظاهرا لكنهم في واقع الأمر عند الحكم على النوازل يتفقون في ترتيبها غالبا مما يجعل **اللجوء إلى المقاصد ضروريا في الفقه ويسهم فعليا في التقليل من الخلاف**.

وليس تقسيم الضروريات إلى خمس هو المعيار الوحيد للترتيب عند المتقدّمين فقد نستعين بمعايير أخرى تساهم في تمييز الأحكام وترتيبها .

ومن ذلك تقسيم الغزالي المقاصد إلى **مقاصد عامّة ومقاصد خاصّة** فالعامّة هي التي تعم الناس كلهم والخاصة تخص فردا أو عددا قليلا من المجتمع كما أنّ هناك المصلحة الغالبة التي تنزل منزلة العامة .

فإذا تعارضت المصلحتان قدّمت العامة على الخاصة ومن أمثلة ذلك جواز أخذ المال الخاص مع حرمته للصالح العام،كبناء طريق أو جسر أو مرفق عام ضروري للمجتمع. مثال ذلك : تحريم الاحتكار،وإخراج الطعام من يد محتكره قهرا،فإن فيه تقديما لمصلحة عامة هي مصلحة الجماعة في توفير الأقوات اللازمة لمعاشهم وإن أدى إلى تفويت مصلحة خاصة،لكن دائما مع المحافظة على حق الفرد والمصلحة الخاصة في الحالات الأخرى.

الملاحظ أنّ هناك اختلافا كبيرا بين العلماء المتقدّمين في ترتيب الضروريات فالمرتبة الأولى للدين أو النفس ومعظمهم جعل المرتبة الأخيرة للمال،وهذا الخلاف الواضح له أثر كبير على الفروع الفقهية لم يتناول بالدراسة منفردا فيما أحسب. ويجب على الدارسين المهتمين بالمقاصد تسليط الضوء أكثر على هذا الخلاف.

---

[60] سورة الذاريات الآية 56

[61] سورة النحل الآية 106

4 ـ موقف بعض العلماء المتقدمين ومحاولة الإضافة

حاول بعض العلماء التجديد في مجال المقاصد فأضاف **القرافي** مقصد **العرض** وجعله من الضروريات ووافقه السبكي (ت771هـ) و الشوكاني(ت1250هـ) وهناك من عبّر عن النسب بالعرض فجعله بدلا منه كالرازي و الإسناوي والبيضاوي.

والتحقيق عند بعض العلماء مثل ابن عاشور والريسوني وغيرهم أنه مقصد حاجي وليس ضروريا ورأي في العرض أنه ضروري مثله مثل النسل لأنّ الانسان يقدم نفسه فداء لعرضه ولا يبالي.

ولابن تيمية فتاوى كثيرة أساسها مقاصد الشريعة وله اجتهادات في هذا المجال منها اعتراضه على التقسيم الخماسي للضروريات وقال أنه داخل في قسم واحد هو دفع المضار والشريعة مبناها على جلب المصالح ودفع المضار .

وهو اعتراض صحيح في ظاهر الأمر بناء على نظرة العامري في بناء المقاصد على الحدود،وكذلك الجويني فكان عند العامري " **مزجرة هتك الستر**" وعند الجويني "**عصمة الفروج**"وعبر عنه الغزالي "**بحفظ النسل**".وهي كلها تدخل في قسم **دفع المضار**.

لكن الشاطبي استدرك الأمر فقرر في الموافقات أنّ حفظ المقاصد يكون من جانبين **جانب العدم** وهو دفع المضار **وجانب الوجود** وهو جلب المنافع.

قال الشاطبي:" والحفظ لها يكون بأمرين

ـ أحدهما ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها.وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود

ـ والثاني ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم"[62].

كما اعترض ابن تيمية على الأصوليين اعراضهم عن العبادات الباطنة والظاهرة من أنواع المعارف بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وأحوال القلوب وأعمالها كمحبة الله وخشيته وإخلاص الدين له.

قال شيخ الإسلام "وقوم من الخائضين في أصول الفقه وتعليل الأحكام الشرعية بالأوصاف المناسبة إذا تكلموا في المناسبة،وأن ترتيب الشارع للأحكام على الأوصاف المناسبة يتضمن تحصيل مصالح العباد ودفع مضارهم،ورأوا أن المصلحة نوعان أخروية ودنيوية،جعلوا الأخروية ما في سياسة النفس وتهذيب الأخلاق من الحكم،وجعلوا الدنيوية ما تضمن حفظ الدماء والأموال والفروج والعقول والدّين الظاهر،وأعرضوا عما في العبادات الباطنة والظاهرة من أنواع المعارف بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وأحوال القلوب وأعمالها كمحبة الله وخشيته وإخلاص الدّين له والتوكل عليه والرجاء لرحمته ودعائه، وغير ذلك من أنواع المصالح في الدنيا والآخرة وكذلك فيما شرعه الشارع من الوفاء بالعهود وصلة الأرحام، وحقوق المماليك والجيران، وحقوق المسلمين بعضهم على بعض،

[62] الموافقات 325/2

وغير ذلك من أنواع ما أمر به ونهى عنه، حفظًا للأحوال السنية، وتهذيب الأخلاق ويتبين أنّ هذا جزء من أجزاء ما جاءت به الشريعة من المصالح "[63].

كيف يمكن لأجيال متعاقبة من العلماء الإعراض عن محبة الله وخشيته والإخلاص له بإسقاطها من الضروريات،والجواب في ما قاله الشاطبي"فإن حفظ الدين حاصله في ثلاث معان الإسلام الإيمان الإحسان أما ما شرعه الله من الوفاء بالعقود وصلة الارحام وحقوق الجيران فهي من المقاصد الحاجية"[64]وهو ما انتهى إليه الأستاذ البدوي "وعلى هذا فلا خلاف بين ابن تيمية وغيره في حصر المقاصد الضرورية الخمس"[65].

كما أضاف ابن تيمية مقصد العدل وجعله أساسيا في كل أحكام الشريعة .لكن مقصد العدل ليس جديدا فهو جزء من مقصد الدين الضروري وينبغي التنبيه عليه لتغيّر الزمان والحاجة الضرورية إليه،ليس لكونه جديدا.

فإضافات ابن تيمية لا تخرج عن المقاصد الضرورية الخمس وإنما هو تفصيل لها وإدراج بعض المصالح الحاجية والتحسينية معها.

يرى **الطوفي** أنّ تقسيم المصالح إلى المعتبرة ملغاة مرسلة ضرورية وغير ضرورية تعسّف وتكلّف والطريق إلى معرفة حكم المصالح أعم من هذا واقرب[66].

فلا حاجة لنا إلى تقسيم المصالح ولا فائدة وهو يؤدي إلى الخلاف والتفرقة والاكتفاء بالمصالح والمفاسد وترتيبها والاعتماد على قاعدة دفع المضار أولى من جلب المنافع و قاعدة العمل بالراجح من المصالح متعيّن.

وهو نفس رأي **العز بن عبد السلام** من قبله إذ لم يعرج على المصالح الضرورية الخمس ولم يشعر بضرورة ترتيبها واكتفى بمطلق المصلحة وله مؤلفات كثيرة في مجال المقاصد.

والملاحظ أن هذه الاجتهادات لم تتابع وتحتاج إلى دراسة مستقلّة مستفيظة.

الخلاصة

إنّ السلم الترتيبي الذي اهتدى إليه الشاطبي وغيره من ترتيب الضروريات مع بعضها غالبا وترتيب الضروريات العامة قبل الخاصة والكليّة قبل الجزئية و القطعية قبل الظنية كلها ساهمت في تشكيل هرم البناء المقاصدي للأحكام الفقهية مما يساعد كثيرا الفقيه في بناء فتواه وتأصيلها .

---

[63] مقاصد الشريعة عند ابن تيمية للبدوي ص222

[64] الموافقات 436/2

[65] مقاصد الشريعة عند ابن تيمية للبدوي ص285

[66] انظر شرح ابن قدامة 226/1

المطلب الثاني : منهج المعاصرين في ترتيب الضروريات

بسبب غلق باب الاجتهاد والظروف السياسية التي مرت بالعالم الإسلامي ضلّ علم المقاصد يراوح مكانه بعد الشاطبي فلم يدوّن فيه إلّا القليل . رغم استعمال الفقهاء للمقاصد في تخريجهم للأحكام . حتى العصر الحديث،حيث بدأت نهضة المسلمين بالرجوع إلى تراثهم والاستفادة منه للخروج من سباتهم ومواكبة الحضارة الحديثة.

فما هو موقف العلماء المعاصرين من ترتيب المقاصد الضرورية وحصرها ؟

لم يلتزم المعاصرون منهجا واحدا في معالجة إشكالية ترتيب المقاصد الضرورية للخروج من الجمود الفكري الذي درج عليه الفقه الإسلامي أثناء عصر التقليد فبعضهم حاول التجديد بإضافة مقاصد ضرورية أخرى وبعضهم أتى بتشكيلة أخرى للمقاصد الضرورية رأى أنها المخرج،والبعض الآخر سار على نهج المتقدّمين.

1 الالتزام بنهج المتقدّمين

ذكر الشيخ سعيد رمضان البوطي الإجماع على حصر وترتيب المقاصد الضرورية الخمس على طريقة الشاطبي بتقديم الدّين ثمّ النفس ثم العقل ثمّ النسل ثمّ المال[67].

وقد رأينا أنّ الخلاف ثابت حتّى في كلام الشاطبي نفسه فمرّة يقدّم النسل على العقل ومرّة أخرى يقدّم العقل على النسل وأحيانا يقدّم المال على العقل،وقد رأينا نماذج من خلاف المتقدّمين في المقاصد الضرورية .

وقد اقترح الشيخ علي جمعة ترتيبا آخرا يسير مع مقتضيات العصر؛فالترتيب يكون عنده كالتالي:النفس عنده أوّلا ثمّ العقل ثمّ الدّين ثمّ النسل وأخيرا المال[68]. والملاحظ أنّ هذا الترتيب ليس جديدا فقد سبق إليه الرازي في محصوله والقرافي في ذخيرته[69].

والملاحظ أنّ هذا الاجتهاد سار على نفس نهج المتقدّمين بل هو نفس رأي القرافي والرازي كما سبق قلا جديد فيه وقد بقي الخلاف نفسه مع ما اعترض عليه كما اعترض على نفس الترتيب قبله من جواز ترك الجمعة والجماعة حفاظا على المال عند البعض وعدم الترك عند البعض الآخر[70].

والجدير بالذكر أن هذا الرأي أي الالتزام بالمقاصد الخمس كما هو رأي معظم السلف موجود عند الكثير من علماء الفقه والأصول المعاصرين .

2 إضافة مصالح أخرى

وهي محاولة قديمة جديدة لإخراج المقاصد من المراوحة وقد فعل ذلك قديما القرافي كما سبق ذكره بإضافة العرض واعتبره مقصدا سادسا في رأي بعض الدارسين منهم الشيخ القرضاوي قال الشيخ حفظه الله" هناك مقاصد لم

---

[67] انظر ضوابط المصلحة للبوطي ص 218

[68] المدخل إلى الفقه الإسلامي لعلي جمعة ص 316و317

[69] انظر الذخيرة ج1 ص90

[70] انظر مقال للمؤلف في مجلة الحقوق بجامعة الجلفة عدد1ص78 و79

يستوعبها هذه الخمس منها ما يتعلق بالقيم الاجتماعية مثل الحرية والمساواة والإخاء والتكافل وحقوق الانسان.."[71].

وحاول المعاصرون التجديد في المقاصد بإضافة مقاصد أخرى ضرورية في رأيهم بناء على تغير الظروف والبيئة والتطور الاجتماعي والسياسي والتكنولوجي مما أثر على الحياة. فتوسّعت دائرة المقاصد عند بعضهم كثيرا لتوائم تطوّر الحياة،سنرى ذلك بالتفصيل في الفقرات التالية التي تبيّن اجتهادات المعاصرين في مجال المقاصد:

1 – السيد رشيد رضا

فقد ركز جل اهتمامه في هذا المجال على المقاصد الأساسية للقرآن حسب دراسته وهي تتمثل في :

إصلاح أركان الدّين.

بيان ما جهل البشر من أمر النبوة.

بيان أن الإسلام دين الفطرة والعقل والعلم والحكمة والبرهان والحرية والاستقلال.

الإصلاح الاجتماعي الإنساني السياسي.

التكاليف الشخصية من العبادات والمحظورات.

العلاقات الدولية في الإسلام.

الإصلاح المالي والاقتصادي.

دفع مفاسد الحرب.

إعطاء النساء حقوقهن.

تحرير الرقاب من الرق.

ويجدر بنا الذكر أنّ هذه المقاصد تتجاوز في ظاهر الامر الضروريات الخمس المتعارف عليها سابقا.

ولم يسمها السيد رشيد ضرورية بل مقاصد أساسية،وهي تجمع بين الضرورات والحاجيات العامة فتحرير الرقاب من الرق مقصد شرعي وقد وجد الرق في عهد النبوة والخلافة الراشدة وبعد ذلك وهو موجود في بعض الأماكن حاليا فلا يمكن اعتباره ضروريا كالضروريات الخمس.

ولا يفوتنا أن ننوه باهتمام السيد رشيد رضا بمؤلفات الشاطبي وتأثره بها ودعوته لجعل كتاب الموافقات مرجعا أساسيا لجامع الأزهر في مناهجه التدريسية.

2 . شيخ الإسلام الطاهر بن عاشور

لاحظ شيخ الزيتونة الطاهر بن عاشور أنّ "**المقاصد الاجتماعية** " لها قيمة كبيرة في العصر الحالي وجعل المقصد الكلي من التشريع هو **حفظ نظام الأمّة**،واعتبر معه مجموعة من المعاني التي سماها بالمقاصد العالية كالسماحة والمساواة والحرية والعالمية ومراعاة الفطرة وغيرها وقسَّم كلًا من هذه المقاصد إلى جانب خاص بالفرد وآخر خاص بالأمّة وجعل ما هو خاص بالأمّة في مستوى أعلى من ما هو خاص بالأفراد.

---

[71] انظر دراسة في فقه مقاصد الشريعة للقرضاوي ص 28 و29 ط2006

ويرى الدكتور عز الدّين بن زغيبة أن الشيخ الطاهر ابن عاشور هو صاحب الفضل في التنبيه على أهمية الحرية في الدّين الإسلامي وأنها تعتبر من الضروريات قال الدكتور عزالدّين بن زغيبة : (والذي أراه هو إضافة عنصر الحرية التي حاز ابن عاشور فضل التنبيه إليها[72]).

والأدلة على اعتبار ذلك كثيرة فالآيات والأحاديث كثيرة في هذا الباب مما يؤكّد كلام ابن عاشور في سياق آخر أنّ عدد الضروريات قد يزيد بسبب التغيرات الاجتماعية[73].وهو كلام له أهميته إذ يفتح باب الاجتهاد في المقاصد الضرورية .

لكن ينبغي التنبيه إلى أنّ المقصود بالحرية هنا هي في إطار الشرع فلا مجال لتجاوزه كما أنّ حرية التعبير واختيار الحكام قد لا ترتقى إلى مرتبة الضروريات الخمس مع شديد الحاجة إليها في مجتمعاتنا.

2 . علال الفاسي ومقاصد الحكم

أضاف علال الفاسي في مقاصده المتعلقة بالحكم وحدة الأمّة الإسلامية وإزالة الفوارق بين أفرادها وحق الكرامة وحقوق المرأة والحريات بأنواعها واستقلال القضاء عن السياسة[74].ولاشك في كونها مصالح مهمّة للأمّة،وهي تتجه في سياق واحد مع اجتهاد الطاهر ابن عاشور.لكن ليست كلها في مرتبة واحدة .

3 . الشيخ النبهاني

اعتبر النبهاني أنّ أهم المقاصد الضرورية التي يراعيها الإسلام حاليا هي حفظ الدولة وحفظ الأمن وحفظ الكرامة الإنسانية بالإضافة إلى المقاصد الخمس الأخرى.

يقول[75]: "فمثلاً المقاصد الخمسة التي يقولون إنها لم تخلُ من رعايتها ملة من الملل، ولا شريعة من الشرائع وهي حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، ليست كل ما هو ضروري للمجتمع من حيث هو مجتمع، فإن حفظ الدولة وحفظ الأمن وحفظ الكرامة الإنسانية هي أيضاً من ضرورات المجتمع، فالضرورات إذن في واقعها ليس خمسة وإنما هي ثمانية".

ولا شك أنّ اعتبار هذه المقاصد الأساسية جزء من الدّين وهي أساسية للحفاظ على كيان الأمّة.فحفظ الدولة أساس الاستقرار وبضياع الدولة يكثر الهرج وفيه ضياع للنفوس والأموال ولا شك أنّ الأمن ضروري لكل أمّة،وقد قرنه الله تعالى مع الإطعام الذي هو ضروري في الآية﴿ **الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾[76] أمّا حفظ الكرامة الإنسانية فلا شك في أهميتها وقد كرم الله بني آدم قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾[77]

---

[72] انظر مقاصد الشريعة العامة عز الدّين بن زغيبة ص 153

[73] مقاصد الشريعة عند ابن عاشور إسماعيل الحسيني ص299

[74] انظر مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها لعلال الفاسي ص 82

[75] الشخصية الإسلامية،لتقي الدين النبهاني ج3، ص 382

[76] سورة قريش الآية 4.

[77] سورة الاسراء الآية 70

ولا شك ولا خلاف في اعتبار هذه المقاصد شرعا لكن الإشكالية المطروحة هي هل تعتبر هذه المقاصد ضرورية تضاف إلى الضروريات الخمس أم لا؟والتحقيق أنها جزء منها ومتضمنة فيها.س

4 . طه جابر العلواني

يرى جابر العلواني أنّ هناك مقاصد ضرورية حاكمة في كل المقاصد الأخرى وهي قطعية وتؤدي إلى غربلة الفقه الإسلامي وهي : التوحيد والتزكية والعمران[78].

ولا شك في أنها مقاصد ضرورية فالتوحيد هو الغاية العظمى من بعثة الرسل والأنبياء،والتزكية خاصية ديننا الحنيف وقد قال صلّى الله عليه وسلّم:(**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**)[79] أما العمران فهو هدف أساسي لكل دولة وهو الغاية من إنزال الإنسان إلى الأرض فجعله خليفة الله في الأرض ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾[80] .

لكن اعترض على هذا التقسيم بأن التوحيد جزء من الدين و التزكية ثمرة التدين والعمران متضمن في المصالح الأخرى كذلك فليس هناك جديد بل هو نظرة من زاوية أخرى تفيد في فهم الشريعة وترتيب الأحكام.

5 . جمال الدّين عطية[81]

يرى الدكتور جمال الدّين عطية أن نتناول المقاصد متدرجة بحسب مجالات ودوائر أربع،تستوعب المقاصد العامة والخاصة والجزئية،وتقدّم بديلا عن تقسيم الضروريات إلى الخمس المعروفة،لأنها تندرج وتتوزع على المجالات الأربعة المقترحة.

يقسم الدكتور مقاصد الشريعة الى ما يتعلق بالفرد وما يتعلق بالمجتمع والأمّة والعالم وهي المجالات الأربعة.

وكأنّه تابع ابن عاشور في تقسيمه للضروريات إلى مقاصد الفرد ومقاصد الأمّة وزاد عليه المقاصد الاخرى المتعلقة بالأسرة والإنسانية. أما عن فكرة المجالات والدوائر المعنية بمقاصد الشريعة فقد سبق أنّ المتقدّمين ركزوا على المجال الفردي والدوائر الفردية ؛ فالمقاصد عندهم تقاس وتعرف وتقسم وترتب بالنظر إلى احتياجات الفرد ومصالحه.

جاء ابن عاشور فأعطى اعتبارا أكبر لإبراز المقاصد بالنّسبة لعموم الأمّة. فهذا مجال وذاك مجال: الفرد والجماعة. وهكذا جرت التقسيمات بحسب نطاق المقاصد ومجالها إلى: العامة والخاصة، الأمّة والفرد، فروض الكفاية وفروض الأعيان. فالفروض العينية خطاب فردي، ومقاصدها فردية. والفروض الكفائية خطاب جماعي ومقاصدها جماعية عامة. فانحصر الخطاب بين الفرد والجماعة.

---

[78] التوحيد والتزكية والعمران ص 114

[79] حديث رواه أحمد في مسنده رقم 8729 ومالك في الموطأ بلاغا رقم 3357

[80] سورة هود الآية 61

[81] جمال الدّين عطية، وهبة الزحيلي: تجديد الفقه الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 61 سنة 2000، ص 16 .

وسّع جمال الدّين عطية من دائرة الضروريات فجعلها أربعة وعشرين ضروريا قسمها على أربع مجالات هي الفرد الأسرة الأمّة والإنسانية. وأنكر حصر المقاصد في خمس وقال أنه لا دليل على ذلك بل الواقع المعرفي يدل على وجود أكثر من ذلك بكثير[82].

ففيما يتعلق بالفرد يذكر حفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ الدّين ، وحفظ العرض، وحفظ المال وهي المقاصد الخمس المعروفة.

وفيما يتعلق بالأسرة،هناك العلاقة بين الجنسين،وحفظ النوع،وتحقيق السكن والمودة والرحمة،وحفظ النّسب،وحفظ الدّين في الأسرة،وتنظيم الجانب المؤسسي للأسرة،وتنظيم الجانب المالي للأسرة.

ومقاصد الشريعة فيما يخص الأمّة : التنظيم المؤسسي للأمة وحفظ الأمن وإقامة العدل وحفظ الدّين والأخلاق والتعاون والتضامن والتكافل ونشر العلم وحفظ عقل الأمّة وعمارة الأرض وحفظ ثروة الأمّة.

ومقاصد الشريعة فيما يخص الإنسانية:التعارف والتعاون والتكامل وتحقيق الخلافة العامة للإنسان في الأرض وتحقيق السلام العالمي والحماية الدولية لحقوق الإنسان ونشر دعوة الإسلام.

ويرد بعض الدارسين على هذه الإضافات كما فعل الباحث مسعودي بأنها إضافات مهمة وهي مكمّلة للضروريات لكنها ليست منها[83].

والحق أنّ هذه المقاصد ترقى إلى درجة الضروريات فالمال ضروري بلا خلاف، وهل المال أفضل أم الكرامة الإنسانية؟ أو العرض وهل المال أفضل أم الأمن الذي تحفظ به النفوس والبلاد وقد قرنه الله تعالى في الآية مع الإطعام بل سبّقه عليه لأهميته ﴿ **الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾[84].

وهل النفس أفضل أم الدولة التي تحفظ الأديان والنفوس والأموال والأعراض؟ بل يضحى بالنفس حفاظا على الدولة الإسلامية،ولا شك أنّ الإسلام يقدس الحرية وقد قال الصحابي ربعي بن عامر في معركة القادسية موضحا ذلك (جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام).

6 ـ الشيخ القرضاوي

ومثله اجتهاد الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله فقد ذكر في كتابِه (كيفَ نتعامل مع القرآن الكريم) **سبعةَ مقاصد للقرآن** وهي :

تصحيح العقائد.

تقرير كرامة الإنسان وحقوقه.

الدعوة إلى عبادة الله.

---

[82] انظر نحو تفعيل المقاصد ص 142 وما بعدها

[83] انظر رسالة مسعودي في ترتيب الضروريات ص 73.

[84] سورة قريش الآية 4.

تزكية النفس البشرية وتقويم الأخلاق.

تكوين الأسرة الصالحة وإنصاف المرأة.

بناء الأمّة الشهيدة على البشرية.

الدعوة إلى عالم إنساني متعاون[85].

وهو يتفق مع اجتهاد جمال الدين عطية والسيد رشيد رضا وابن عاشور وعلال الفاسي.

ولا تخفى أهمية الأسرة في تكوين الفرد والمجتمع وبناء الدولة وقد أدرجها بحق الشيخ القرضاوي ضمن الضروريات ولا شك أن ضياع الأسر ضياع للمجتمع وهذا التجديد يساير ما أسسه الشيخ الطاهر ابن عاشور في لفت الانظار إلى مقاصد الأمّة والفرد معا بدل التركيز على مصالح الفرد خاصة .

ومفهوم الكرامة البشرية أو حقوق الإنسان الذي ذكرهُ أيضًا كثير من المعاصرين في تجديدهم لمصطلح المقاصد ضروري،وهو تجديد يحاول أن يفعّل المقاصد بما يمسّ مشاكل الناس ويتعامل مع واقعهم.

والملاحظ أن المنكرين للتجديد في مجال المقاصد يعترفون بضرورة بعض المقاصد مثل الحرية والأمن والعدل وقالوا هي من ضمن مقاصد حفظ النفس وتفصيل،لها فليس بينهم خلاف في واقع الأمر.

7 ـ سليم العوا

قال العوا: "إنّ مقصد الحرية كان يطلق ويقصد به مواجهة العبودية،ولكن بيّن العلماء أنّ الحرية في مواجهة الرق مفهوم مقصدي قديم، إلا أنّ المفهوم الأعم لمقصد الحرية الآن هو حرية الإنسان في التفكير ثمّ في التعبير ثمّ في التنقل ثمّ في الاختيار السياسي ثمّ في تولي المناصب ثمّ في ممارسة المهن التي يريدها،خاصّة أنّ هناك العديد من القوانين تنظم ممارسة المهن وفي التجارة ولا يستطيع أي إنسان أن يتاجر فيما يشاء[86]"

والملاحظ أنّ هذه المقاصد على أهميتما ليست كلّها ضرورية فالحرية في تولي المناصب وممارسة المهن أقصى ما تكون حاجية.

وأشار الدكتور العوا إلى فهم ابن عاشور للمقاصد وتقسيمها على الفرد والمجتمع ومثّل لمقصد العدالة فهي بالنسبة للفرد اجتناب الكبائر والبعد عن الصغائر وهو المعنى الشائع وأشار إلى أن هذا المقصد يشمل أيضا الآن عدالة المجتمع بأن توزع الثروة بشكل عادل،وأن يتم تداول الحكم بانتخابات نزيهة.

فانتقلنا بمقصد العدالة من عدالة الفرد إلى عدالة المجتمع ومع أنّ هذا المقصد لم ينص عليه الفقهاء السابقون لعدم وجود الحاجة إليه فإنّه وجب التنصيص عليه في الوقت المعاصر[87] لشدّة الحاجة إليه.

---

[85] كيف نتعامل مع القرآن الكريم ليوسف القرضاوي ص 74

[86] محاضرة للدكتور سليم العوا بجامعة القاهرة في 2007/04/11 انظر web.dahsha.com

[87] انظرمحاضرة سليم العوا على الشبكة العنكبوتية موقع www.islamonline.com

فليس هناك اختلاف في عدد المقاصد الضرورية بين المتقدمين والمعاصرين إنما الخلاف في تفصيلها كما هو شأن المعاصرين أو إجمالها كما فعل المتقدّمون . وينبغي الحرص على ذكر المقاصد المعاصرة والتأكيد عليها لتنبيه الفقيه والمفتي إلى أهميتها.

التجديد الذي بدأ منذ السيد رشيد رضا وابن عاشور الذي يعتبر من المؤسسين الكبار لعلم مقاصد الشريعة كما قال الريسوني ينتقل بنا من مقاصد الفرد إلى مقاصد الفرد والجماعة ثم ينتقل بنا إلى مقاصد الفرد والأسرة والمجتمع والإنسانية،وهي مقاصد تواكب الحياة المعاصرة ومستجدّاتها وتؤكّد بحق صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان.

الخاتمة

وخلاصة القول في ترتيب الضروريات أنّه لم يتفق على ترتيبها عند القدامى ومحاولات المعاصرين بتقسيمات جديدة للضروريات خطوة إيجابية لا بد من تثمينها لكنها ما زالت في بدايتها وهي تحتاج إلى الكثير من التطبيقات الفقهية لتظهر ثمرتها في إزالة الخلاف أو تقليله في الفقه الإسلامي.

إنّ ما أشار إليه الشاطبي وأتمّه الباقون من المجدّدين من تقسيم الواجبات والمصالح إلى كفائية وعينية وأنّ العيني لا يقوم إلا بالكفائي فتعيّن الحفاظ على الكفائي من أجل العيني وما في ذلك من دلالات غزيرة أفادت ابن عاشور ومن جاء بعده في تقسيم المصالح إلى مصالح الفرد والجماعة والأسرة والإنسانية.

معظم الضروريات التي أضيفت هي من قبيل الحاجيات العامة للأمة وهي تنزل منزلة الضروري

فمن مقاصد الشريعة عند ابن عاشور أن تكون الأمّة قوية مرهوبة الجانب و الحفاظ على النظام العام فالأمة الضعيفة تستعمر وتنهب خيراتها وقد تؤخذ أرضها كالأندلس وما فعل التتار بالعالم الإسلامي دليل آخر على ضرورة مقصد وحدة الأمّة وكذلك واقع فلسطين فالعالم الآن تتحكم في علاقاته قوانين الغاب.

إنّ تقسيم الضروريات على الفرد والجماعة والأسرة والإنسانية يساهم في إزالة الخلاف حول اعتبار بعض المقاصد ضرورية فقد لا تكون مصلحة ضرورية للفرد وهي ضرورية للجماعة وما كان كذلك فهو ضروري للفرد.

فينبغي اعتبار المقاصد الضرورية للأمة في نفس مرتبة ضروريات الفرد وكذلك في مجال الاسرة و الإنسانية وهكذا يزول الخلاف ويرتفع اللبس ونفهم اجتهاد الدكتور جمال الدين والسيد رشيد رضا و القرضاوي وغيرهم من العلماء.

والملاحظ أنّ هذه المقاصد على أهمّيتما ليست كلّها ضرورية فالحرية في تولي المناصب وممارسة المهن أقصى ما تكون حاجّية.

والملاحظ أنّ المنكرين للتجديد في مجال المقاصد يعترفون بضرورة بعض المقاصد مثل الحرية والأمن وقالوا هو من مقاصد حفظ النفس وتفصيل لها فليس بينهم خلاف في واقع الأمر.

فليس هناك اختلاف في عدد المقاصد الضرورية بين المتقدمين والمعاصرين إنّما الخلاف في تفصيلها كما هو شأن المعاصرين أو إجمالها كما فعل المتقدمون.وينبغي الحرص على ذكر المقاصد المعاصرة والتأكيد عليها لتنبيه الفقيه والمفتي إلى أهميتها.

وقد يتساءل البعض هل هذه إضافات حقيقية؟ هل غفل الأولون عن الحرية والأهمية الاجتماعية وأهمية الأسرة .

والجواب أنّها ليست إضافات حقيقية بل هي تقسيم وتفصيل للمقاصد الضرورية الخمس المتفق عليه، بسبب تغيّر شؤون المجتمعات وجب التنبيه عليها وذلك لمزيد من التحكم في ترتيبها مما يساعد الفقيه على غربلة الفقه وتمحيص أحكامه.

كما يمكن إرجاع المقاصد الضرورية كلّها إلى مصلحتي الدّين والنفس مع الاختلاف في ترتيبهما وما المقاصد الأخرى المتبقية من عقل ونسل ومال وعرض وحرية وعلم ووحدة أمة وأمنها الخ ما هي إلى تقسيم وتكميل للمصالح الأساسية وهي الدّين والنفس.

و في باب التجديد قد يضاف أيضا مقصد حفظ البيئة فاهتمام المجتمعات الدولية بالبيئة مؤخرا يزداد، وإغفال البيئة مدة من الزمان أدى إلى التجني عليها وعلى الإنسان مما أضر بالكون فنتج الاحتباس الحراري وتغير المناخ مما أدى إلى كوارث طبيعية كثيرة أغرقت الآلاف من الناس وتدمير للبيوت والأموال وانقراض عدد من المخلوقات،ألا يعد تجنب ذلك ضروريا واعتبار حماية البيئة ضروريا في هذا الزمان .

كما يمكن إضافة مقصد التحكم في العلوم الكونية إلى زمرة الضروريات وقد أصبحت الأمّة الإسلامية في ذيل الترتيب تحكما في العلوم وإنتاجا واهتماما. فالأمم تبذل الجزء الكبير من ميزانياتهم للبحث العلمي ولا نبذل إلا النزر القليل،وبدون العلم لن نواكب الأمم وتصبح لدينا قابلية الاستعمار والحفاظ على أمن المجتمع والأمّة ضروري كالحفاظ على الفرد فيه.

كما يجب التنبيه إلى أنّ الإضافات في مجال المقاصد ليست كلّها على درجة واحدة فليست كلها ضرورية فمنها الضروري بالنسبة للأمة كالحرية والعدل وحقوق العباد ومنها دون ذلك فليست كل الحريات مثلا ضرورية للفرد أو ضياعها يؤدي إلى الهلاك وقد عاشت البلاد الإسلامية زمنا طويلا في ضل الاستبداد وفي ضل الظلم والقهر من حكامها ولحقها من العنت ما لحقها بسبب ذلك لكن لم يؤدي ذلك إلى فنائها.

والتحقيق أن ترتيب الضروريات ليس له قانون واضح يعوّل عليه بل تتفاوت باعتبارات عدة ،وكلما ازداد المفتي علما بمقاصد الشريعة كبيرها ودقيقها وازداد إحاطة بأحوال المستفتي وظروفه وبيئته زاد ذلك في جلاء حكم افعاله.

وقد لاحظ الدكتور جاسر عودة[88] تطوّر مفهوم المصطلح المقاصدي من مقصد مزجرة"هتك الستر" إلى مقصد "عصمة الفروج" إلى مقصد حفظ النسل في زمن الغزالي والشاطبي إلى مقصد تكوين الأسرة الصالحة[89] عند الشيخ القرضاوي والدكتور جمال الدين عطية.

---

[88] انظر مقال للمؤلف جاسر عودة على الشبكة العنكبوتية

[89] انظر مدخل لمعرفة الإسلام للقرضاوي ص 191 وما بعدها مكتبة وهبة.

وكذا من مقصد أخذ المال إلى مقصد عصمة الأموال إلى مقصد حفظ المال إلى مقصد يلائم عصرنا الحالي أكثر وهو مقصد التنمية الاقتصادية.

وكذلك مقصد عرض الآن حفظ الكرامة البشرية وحقوق الإنسان مع ما في اللفظ من توسع فينبغي الاكتفاء بما هو ضروري من حقوق الإنسان حسب نظر الشريعة.

وحفظ الدين أصبح الآن حرية الاعتقاد عند ابن عاشور والحريات الدينية حاليا مع مراعاة الضوابط الشرعية للمصطلحات.

وقد يؤدي بنا إلى استخلاص مصطلح **ومقياس التنمية البشرية** يعتبر من مقاصد الشريعة الإسلامية ويتوافق معها.

قائمة المصادر والمراجع

. القرآن الكريم

. محمد بن إسماعيل البخاري **صحيح البخاري** ، درا صادر بيروت ط1 ، 1425.

. ابن عبد الشكور **فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت** دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 ، 2001.

. أبو إسحاق الشاطبي **الموافقات** دارالمعرفة لبنان.1999

. أبو حامد الغزالي **المستصفى** .

. أبو المعالي الجوّيني **البرهان في أصول الفقه** دار المعرفة سنة 2001.

. سيف الدّين الآمدي **الإحكام في أصول الأحكام** دار الفكر بيروت ط1 ، 1997.

. تاج الدّين السبكي **شرح المحلى على جمع الجوامع** دار الفكر.

. التقرير والتحبير في شرح التحبير **لابن أمير الحاج** دار الكتب العلمية بيروت

. فخر الدّين الرازي **المحصول في أصول الفقه**،مؤسسة الرسالة.

. بدر الدّين الزركشي **البحر المحيط** دار الصفوة ط1988،1.

. العز بن عبد السلام **قواعد الأحكام في مصالح الأنام** دار الكتب العلمية، بيروت ط1 سنة 1999.

. نجم الدّين الطوفي **شرح مختصر الروضة**،مؤسسة الرسالة بيروت،ط1،1990.

. جلال الدّين السيوطي **شرح الكوكب الساطع** مكتبة الإيمان القاهرة،2000.

. أحمد بن إدريس القرافي **نفائس الأصول شرح المحصول** مكتبة نزار الباز ط1 سنة 1995.

. أحمد بن إدريس القرافي **الذخيرة** دار الغرب الإسلامي ط1 سنة 1994.

. أحمد بن إدريس القرافي **الفروق**

. أحمد الريسوني **نظرية المقاصد عند الشاطبي**،دار العالمية للكتاب الإسلامي،ط1 1981.

. إسماعيل الحسيني **مقاصد الشريعة عند ابن عاشور** المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط1سنة 1995.

. جمال الدّين عطية **نحو تفعيل مقاصد الشريعة**، دار الفكر دمشق ،2003.

. جمال الدّين عطية، وهبة الزحيلي: **تجديد الفقه الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 61 سنة2000** .

. تقي الدين ابن تيمية **مجموع الفتاوي** مجمع الملك فهد سنة 1995.

. سعيد رمضان البوطي **ضوابط المصلحة**،مؤسسة الرسالة ط6،سنة2000.

. عز الدّين بن زغيبة **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية** دار الصفوة القاهرة ط1 سنة 1996.

. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية **إعلام الموقعين عن رب العالمين** دار ابن القيم

. محمد شحات الجندي **التجديد في المقاصد** أبحاث المؤتمر الثاني والعشرين.

. محمد الطاهر ابن عاشور مقاصد الشريعة دار النفائس الأردن 1421 ط2 .

ـ محمد كمال الدين إمام **الدليل الإرشادي إلى مقاصد الشريعة** مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي 2007 ط1 طبع بالقاهرة
. رسالة ماجستير **أثر الخلاف في ترتيب الضروريات على الفقه الإسلامي** لمسعودي عبد القادر جامعة أدرار الجزائر.
. رسالة ماجستير : **مقاصد الشريعة العامة عند الإمامين العز بن عبد السلام والشاطبي** دراسة مقارنة لمحمد شيخ أحمد محمد الجامعة الإفريقية العالمية.
. مجلة القانون والعلوم الاجتماعية جامعة زيان عاشور بالجلفة الجزائر العدد01 سنة 2008.
. مجلة القراءة والمعرفة كليّة التربية جامعة عين الشمس مصر العدد 51 سنة 2006.
ـ المكتبة الشاملة على شكل قرص مضغوط.

عرض لواقع القراءة من خلال المكتبات في ولاية عنابة
دراسة ميدانية للمكتبات البلدية و المكتبات الجامعية و المراكز الثقافية و دور الشباب و الورقات

الدكتورة: الهذبة مناجلية
جامعة عنابة – الجزائر

الإشكالية

إن الحديث عن القراءة يستوجب علينا عدم إغفال مجالات التربية و التعليم و إستراتيجية الدولة في ذلك ، حيث تعتبر – الرقم الواحد – في الاعداد لمستقبل الأجيال ، و بالتالي فإن نظم التربية تعتبر آداة اقتصادية و اجتماعية مهمة لاعادة بناء الإستراتيجيات التربوية للوصول لما تصبوا إليه و هو أمر ضروري لا يمكن الاستغناء عنه في حياة المجتمعات من خلال أدوارها في تسريع النمو الاقتصادي ، و تعجيل حركة التقدم الاجتماعي بالبناء المعرفي " فالمعرفة المتجددة و المضافة من خلال القراءة و ما يتبعها من ابتكارات فكرية و اختراعات تكنولوجية هي العامل الرئيسي في الربط بين التربية و الاقتصاد " (1)

و هذه المعرفة لا تأتي هكذا بل من خلال القراءة و البحث و التنقيب و الدراسة في الكتب و المجلات ، و عن طريق استخدام شبكة الأنترنت و أساليب إتاحة كل ذلك و جعلها في متناول أفراد المجتمع من حيث الثمن و وفرتها في سوق الكتاب و المكتبات العمومية ، و هذا ما سنعرفه من خلال الدراسة الميدانية .

لقد كانت المشاكل المتعلقة بالقراءة من اختصاص أسرة التربية ، فهم الذين يعلمون الأطفال كيف يهجون الحروف و كيف يقرأون ، و بالرغم من التقدم النسبي الذي أحرزته القضايا التربوية اليوم ، فإنه لم يتم بعد الاهتداء إلى طريقة ناجعة في القراءة ، إلا أن الإهتمام بمشكلة القراءة خرج في السنوات الأخيرة من نطاق المدرسة ، منذ أن أصبحت المطالعة عنصرا فعالا من عناصر التقدم العلمي ، و ارتبطت ارتباطا وثيقا بمشكلة المردود و الانتاج ، و لم يعد لزاما على الانسان أن يطالع فحسب بل لا بد أن يستفيد مما يطالع ، و أن يضع في حسابه بأن الجهود المصروفة في القراءة ينبغي أن يقابلها مردود معين ، و هكذا ، فإن علوما كثيرة أخذت اليوم تنظر في مسألة القراءة ، و في مقدمتها سيكولوجية اللغة (2) .

و نظرا لأهمية هذا الموضوع فإن هاته المداخلة نريد من خلالها ترجمة رغبة صادقة في معرفة أهمية القراءة في خضم التحول الثقافي و المعرفي الذي تشهده ولاية عنابة من خلال هاته الدراسة الميدانية .

و لا شك أن للقراءة دور حيوي تؤدي إلى تقدم الأمم و ابراز حضارتها و عليه حاولنا من خلال هذه الدراسة الميدانية التقرب من مسؤولي المكتبات و أمنائها و المتواجدة بولاية عنابة حتى يتسنى لنا معرفة و إدراك ما للقراءة و الكتاب بصفة أدق من تأثير على الفئات العمرية المختلفة التي تم تحديدها في الاستمارة بصفة خاصة و لمجتمعنا المحلي بصفة عامة ، على الرغم من إنتشار التكنولوجيا المعلوماتية و وسائل الاتصال الحديثة على كثرتها و آخرها شبكة الأنترنت .

كما حاولنا الكشف عن نسبة المقرئية في عنابة و هل هي موجودة بدرجة كافية ، أم أن هناك عزوفا عنها ، و ما هي أهم فئات المجتمع الممارسة لعملية القراءة ؟ و ما هي أهم الإختصاصات التي يقرأ فيها ؟ أم أن المجال مفتوح و متنوع ؟ .

تعريف القراءة :

لقد إهتم العلماء بدراسة ابعاد القراءة دراسة علمية ، و أبرزوا جوانب النجاح و الإخفاق فيها ، فالقراءة لها قدرات و مهارات، إن أتقن توصيلها إلى المتعلم كان نصيبه التفوق . . . و إن أخفق في عملية الاتقان و الإجادة كان نصيبه الفشل .

و القراءة من أهم المهارات التي يمكن أتن يملكها الفرد في المجتمع الحديث ، لأنها وسيلة التفاهم و الإتصال ، و السبيل إلى توسيع آفاق الفرد العقلية ، و مضاعفة الخبرة الإنسانية ، و وسيلة من وسائل التذوق و الاستمتاع ، فهي عامل من عوامل النمو العقلي ، و الإنفعال للفرد ، كما أن لها قيمتها الاجتماعية ، فترات الإنسان الثقافي و الاجتماعي ينتقل من جيل إلى جيل و من فرد إلى فرد عن طريق ما يدون ، و ما يكتب ، أو يطبع من كتب تكون في متناول كل فرد من خلال القراءة .(3)

فالقراءة في رأي كثير من المفكرين هي : " عملية عقلية تشمل تفسير الرموز التي يتلقاها القارئ عن طريق عينه ، و تتطلب الربط بين الخبرة الشخصية و معاني الرموز " (4)

و عرفت أيضا على أنها : " نشاط عقلي فكري يستند إلى مهارات آلية واسعة تقوم على الاستبصار و الفهم ، و تفاعل القارئ مع النص المقروء " (5)

و بذلك نجد أن القراءة تشمل كل من التعرف على الكلمات و ما تدل عليه ، كما تشمل التفكير النقدي الخلاق ، و لذا ينبغي أن يربط القارئ ما يقرؤه بخبرته السابقة ، و ينبغي أن يفسر المادة و يقومها ، و يستخدم في ذلك التفكير و التخيل ، و يمزج الأفكار الجديدة و يقارنها بما تعلمه من قبل.

و قد كان (لثورنديك) الفضل في تغير مفهوم القراءة ، حيث التعرف على الرموز و نطقها ، و ترجمة هذه الرموز إلى ما تدل عليه من معان و أفكار أي أن القراءة أصبحت عملية فكرية ترمي إلى الفهم .

و أضيف إلى هذا المفهوم – نتيجة للتغيرات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية بعد الحرب العالمية الأولى – عنصر آخر هو تفاعل القارئ مع النص المقروء ، تفاعلا يجعله يفرح أو يحزن ، يعجب أو يسخط ، نتيجة نقد المادة المقروءة . (6)

و يرى الباحثون و التربويون المعاصرون أن " مفهوم القراءة هو استخلاص ما يقرأه القارئ ، و توظيفه على شكل خبرات لمواجهة مشكلات الحياة و الإنتفاع بها في المواقف الحياتية" (7)

أهمية القراءة :

للقراءة فوائد عديدة تعود منافعها على الفرد و المجتمع ، و المنزل هو المثير الأول لميل الطفل نحو القراءة ، و الوالدان لهما دور فعال في تكوين الميل القرائي و تنميته بطرق واعية ، فالطفل يميل إلى التقليد فيجب

إعطاؤه القدرة الحسنة بالإكثار من القراءة أمامه و توفير البيئة المشجعة على القراءة بتوفير الكتب و القصص الجذابة المناسبة ، و تشجيعه على الإطلاع عليها ، و بذلك يصبحون قراء مستدمين عند بلوغهم مرحلة الشباب عن طريقة إثارة اهتمامهم بالقراءة و استمرارهم في استخدام المكتبة و الكتاب (8) .

و قد نحصر أهدافها في ما يلي :

1 – أنها نسهم في بناء شخصية الفرد باكتساب المعرفة و تثقيف العقل .

2 – تعد القراءة وسيلة إتصال الفرد بغيره مهما تباعدت المسافات الزمانية و المكانية و الانفتاح على الثقافات العالمية .

3 – الإرتقاء بمستوى التعبير على الأفكار و إثراء حصيلة الفرد اللغوية .

4 – تهدف إلى صقل وجدان القارئ و تفجير طاقاته الإبداعية (9) .

5 – تعلم الأساليب السلوكية السليمة في المأكل و المشرب و الملبس و النوم و اللعب (10) .

الجانب الميداني للدراسة

I – الجانب المكـاني

II – الجانب الزمانـي

I – الجانب المكاني : توجد ولاية عنابة في شرق البلاد يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسـط و من الجنوب ولاية قالمة و من الشرق ولاية الطارف و من الغرب ولاية سكيكدة . و تتربع على مساحة تقدر بـ 1.412 كم^2 ، و هذه المساحة متنوعة و تتمثل في الجبال و الهضاب و السهول ، و بها ست (6) دوائر و إثنتا عشر (12) بلدية و منها خمسة حضرية و هي : عنابة ، البوني ، سيدي عمار ، الحجار ، و برحال و هـذه البلديات وحدها تضم 596.000 ساكـن (11) .
و توجد بها جامعة باجي مختار و تم إنشاؤها سنة 1977 و عدد الطلبة بها يفوق 40.000 طالبا ، و بها سبع كليات .
1 – كلية العلوم .
2 – كلية العلوم الهندسية .
3 – كلية الآداب و العلوم الإنسانية .
4 – كلية الحقوق .
5 – كلية العلوم الإقتصادية و علوم التسيير .
6 – كلية الطب .
7 – كلية علوم الأرض و العلوم الزراعية .
8 – بالإضافة إلى السبع كليات يوجد نظام الجذع المشترك و الذي يضم 03 أقسام ملحقة بمديريـة الجامعة سيدي عمار و هي :
(2) علوم الطبيعة و الحياة – العلوم التقنية و الإعلام الآلي – الجذع المشترك سنتين .

و كل هذه الكليات بأقسامها توجد بها مكتبات للطلبة و للأساتذة و بما أن مداخلتنا هذه تقتصر على الجانب الثقافي فيها و بالأخص على القراءة و المكتبات في ولاية عنابة أو "عرض لواقع القراءة من خلال المكتبات في ولاية عنابة " من خلال دراسة ميدانية لمعظم المكتبات بها و المراكز الثقافية و الورقات الخاصة و دور الشباب .

فإننا نريد هنا أن نذكر و لو بشيئ من الإيجاز الهياكل الثقافية للولاية :

1 – موقع الآثار الرومانية و يحتوي على المتحف و المسرح القديم و مساحته 25 هكتار .

2 – مسرح جهوي عدد مقاعده يقدر بـ 1540 مقعد .

3 – دار الثقافة و الفنون و بها قاعة كبرى للنشاطات الثقافية عدد مقاعدها يزيد عن 500 مقعد ، و قاعـة للمحاضرات يقارب عدد مقاعدها 200 مقعد ، كما تحتوي على مكتبة مجهزة بأحدث الكتب باللغتين العربيـة و الفرنسية .

4 – سينماتاك و عدد مقاعدها يصل إلى 350 مقعد و كذلك يوجد بالولاية 10 قاعات للعرض السينمائي يصل عدد مقاعدها إلى 8500 مقعد .

5 – مسرح الهواء الطلق و يحتوي على 1000 مقعد .

6 – مسرح للأطفال و يحتوي على 350 مقعد .

7 – و يوجد بالولاية 05 مكتبات بلدية موجودة كلها في بلدية عنابة هي :

أ – المكتبة المركزية "حسن دردور"

ب – المركز الثقافي قوته السبتي

جـ – المركز الثقافي المحافر

د – المركز الثقافي الهاشمي اسماعيل

هـ – مكتبة حسان الحسني

و حاليا أي مع بداية 2006 تم ترميم الكنيسة القديمة ببلدية عين الباردة لتصبح مكتبة للبلدية .

– المدرسة الموسيقية للرقص و الفنون الدرامية حسان العنابي (بالمسرح الجهوي)

– مدرسة الفنون الجميلة و مقرها (جامعة باجي مختار)

و تنشط بالولاية 86 جمعية ذات طابع ثقافي .

و للولاية عدة نشاطات ثقافية ، تنظمها سنويا و بعضها ذات طابع وطني مثل :

– الملتقى الوطني للمدينة و الإبداع .

– المهرجان الوطني للباس التقليدي و الفنون الشعبية .

– المهرجان الوطني "هيبون" .

– مهرجان أغنية المالوف "حسان العنابي" .

– مهرجان الأغنية الأندلسية .

– المهرجان الوطني لمسرح الأطفال .

*** و بالولاية أيضا 15 دور للشباب تابعة لمديرية الشباب و الرياضة .**

*** و بها أيضا 397 وراقة خاصة بالبيع لخواص + 7 مؤسسات منها دارين للنشر و أخرى تـزود الطلاب و المكتبات بالكتب .**

*** 173 قاعة للأنترنت + 16 مؤسسة .**

III – منهجية البحث

إن تناولنا بالدراسة و التحليل لموضوع "واقع القراءة من خلال المكتبات في ولاية عنابة" بطريقة علمية أكاديمية في مجتمعنا المحلي"ولاية عنابة" في ظل ما تعرفه بلادنا من انفتاح على الخارج ، و في ظل المتغيرات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية الجديدة المحيطة بها استوجب علينا استعمال المنهـج الوصفي ، و ذلك بقيامنا بمعاينة ميدانية عن طريق استعمال الملاحظة و المقابلة و الاستمارة .

مجتمع البحث : إن عينة بحثنا تتمثل في اجرا دراستنا لما يقارب 90 % فهي عملية مسح شامل تقريبا من المكتبات الموجودة بالولاية (مكتبات بلدية عنابة الخمسة (05) و التي سبق ذكرها) و كذا معظم مكتبات جامعة باجي مختار نذكر منها :

- مكتبة علم النفس .
- مكتبة العلوم القانونية .
- المكتبة الجامعية سيدي عمار .
- مكتبة قسم اللغة العربية .
- مكتبة العلوم الاقتصادية .
- مكتبة اللغات سيدي عاشور .

و كذا المكتبات الخاصة بأساتذة الجامعة

و كذا مكتبة دار الثقافة محمد بوضياف .

و مكتبة دار الشباب صاولي عبد القادر .

الجانب الزماني : و قد دامت مدة جمع المعلومات شهرين (أي أول شهر ديسمبر 2005 إلى نهاية شهر جانفي 2006) و لقد أجرينا حوارنا ، و تم ملئ الإستمارة مع مديري المكتبات و كذا أمناء المكتبات (أي المكلفين بالإعارة) ، و كذا 09 من أصحاب الورقات الخاصة الأكثر شهرة في ولاية عنابة لمعرفة أنواع الكتب التي يطلبها القراء و فئاتهم و عدد المترددين على المكتبات يوميا . . . إلخ .

و قد إحتوت الإستمارة على 25 سؤالا .

و كانت النتائج بالنسبة لكل مكتبة كالتالي :

<u>تحليل خاص بمكتبة دار الثقافة محمد بوضياف</u>

جدول (1) : تاريخ أنشاؤها 08 جويلية 1987

جدول (2) : عدد المنخرطين 440 منخرط

جدول (3) : خاص بالفئة العمرية للمنخرطين

الفئة العمرية	التكرار	النسب
] 06 – 15 [	53	% 12,04
] 16 – 19 [	70	% 15,90
] 20 – 24 [	150	% 34,09
] 25 – 30 [	70	% 15,90
] 31 – 35 [	35	% 7,75
] 36 – 40 [	20	% 4,54
] 41 – 45 [	20	% 4,54
] 46 – 50 [	14	% 3,18
] 51 – 55 [	8	% 1,81
] 56 – 60 [	0	0
61 فأكثر	0	0
المجموع	440	% 100

تحليل جدول 1 – 2 – 3

تاريخ إنشاء هذه المكتبة كان مع افتتاح دار الثقافة في 08 جويلية 1987 عدد محتوياتها من الكتب (48591) منها 28952 نسخة بالعربية لـ 7321 عنوان و 19639 نسخة بالفرنسية لـ 7408 عنوان و هي مكتبة بها خدمات لا بأس بها و راقية من حيث التنظيم و النظافة و الاتساع ، بحيث يوجد بها مكتبة خاصة بالأطفـال و مجهزة بالكتب و بها قاعـة أخرى مخصصة للكبار بحيث تمثل أكبر نسبة من المنخرطين للفئــة العمرية [20 –24 [بنسبة 34,09 % تأتي بعدهـا مباشرة فئة[25 –30 [و فئة [16 –19 [بنسبـة 15,90 % فالفئة الأولى و الثانية هي فئة الجامعيين و الثالثة هي فئة الثانويين تليها مباشرة فئة [06 –15 [بنسبـة 12,04 % و هي تمثل المرحلة الإبتدائية و المتوسطة ثم تكون الفئة العمرية [31 –35 [و هي تمثل نسبة 7,95 %

و هؤلاء بالطبع فئة طلبة الماجستير و الدكتوراه إلى آخر ما جاء في الجدول على أن آخر فئة عمرية هي ما بيــن [51 –55 [بنسبة 1,81 % .

جدول (4) : جدول خاص بالمستوى التعليمي للمنخرطين .

المستوى الدراسي	التكرار	النسب
إبتدائي	53	% 12,04
متوسط	70	% 15,90
جامعي	220	% 50
موظف	97	% 22,04
عاطل	0	0
المجموع	440	% 100

تحليل الجدول (4) : من خلال ملاحظتنا للجول نجد أن 50 % من المشاركين في هذه المكتبة هم فئة الجامعيين ثم تليها فئة الموظفين ففئة الثانويين بنسبة 15,90 % ثم فئة الابتدائي بنسبة 12,04 % و بالتالي نجد أن مكتبة دار الثقافة تلـم بجميع المستويات الدارسة و ذلك يرجع لشساعة المكتبة و قدرتها على استيعاب الوافدين لجميع المستويات .

جدول (5) : خاص بعدد الوافدين لشهر أكتوبر و نوفمبر حسب الجنس

/	الجنس		المجموع
	ذكر	أنثى	
التكرار	50	100	150
النسب	% 33,33	% 66,66	% 100

تحليل الجدول (5) : يتحدث عن نسبة المترددين على المكتبة لشهري أكتوبر و نوفمبر من الإناث و الذكـور فقد تبين أن الإناث أكبر من الذكور بنسبة 66,66 % و ذلك يرجع إلى الإهتمام و الإستعداد بالنسبة للإناث أكثر من الذكور .

جدول (6) : يوضح نسبة الكتب المستعملة بكثرة حسب الاختصال .

نوعية الكتب	تكرار	النسب
علمي	60	% 54,54
تقني	30	% 27,27
أدبي	15	% 13,63
ثقافة عامة	5	% 4,54
المجموع	110	% 100

تحليل جدول (6) : إن نسبة الكتاب العلمي هي أكثر طلبا بنسبة 54,54 % تليها الكتب التقنية 27,27 % ثم الكتاب الأدبي بنسبة 13,63 % و النسبة الأقل هي كتب الثقافة العامة بنسبة 4,54 % و هذا يرجـع إلى أن الكتب المطلوبة أكثر هي من طرف الطلبة المتخصصين في الأقسام العلمية .

جدول (7) : يوضح نوعية لغة الكتب المستعارة .

عناوين الكتب	تكرار	النسب
عربية	70	% 70
فرنسية	30	% 30
انجليزية	0	% 0
المجموع	100	% 100

تحليل جدول (7) : من خلال الجدول يتضح أن الكتب المطلوبة باللغة العربية من طرف المنخرطين بنسبة 70 % و نسبة 30 % يطلبون كتب باللغة الفرنسية و هذا يدل على ما وصل إليه التعريب في الجزائر خاصة الأدب و العلوم الإنسانيـة و حتى أن الطلبة يتفادون المطالعة باللغة الفرنسية نظرا لعدم إجادتهم لهـا و لأن الترجمة تتطلب وقت طويلا .

جدول (8) : يمثل مدى مواكبة المكتبة للتجديد و ذكر مسؤول المكتبة أن هذه المكتبة تواكب ما يصدر من كتب و مجالات في السنوات الأخيرة بمستوى المتوسط .

جدول (9) : يمثل الإقبال على المكتبة حسب الأيام

الأيام	تكرار	النسب
أيام العطلة	100	% 33,33
أيام عادية	50	% 16,66
أيام الامتحانات	150	% 50
المجموع	300	% 100

تحليل جدول (9) : من خلال الجدول يتضح أن الطلبة يفضلون المراجعة الجماعية خلال الامتحانات بنسبة 50 % أما الأيام العادية فالنسبة تقل عن ذلك أي بنسبة 16,66 % .

جدول (10) : يمثل عدد عناوين الكتب باللغتين

عناوين الكتب	تكرار	النسب
عربية	7321	% 49,70
فرنسية	7408	% 50,29
المجموع	14729	% 100

تحليل الجدول (10) : من خلال الجدول يتضح لنا أن الكتب باللغة الفرنسية تفوقها الكتب العربية قليلا جدا بنسبة 50,29 % و 49,70 % عربية .

<u>تحليل خاص بالمكتبة المركزية</u>

جدول (1) : تاريخ إنشاؤها : 01 نوفمبر 1987

جدول (2) : 821 منخرط

جدول (3) : يمثل سن المنخرطين

الفئة العمرية	التكرار	النسب
] 16 – 19 [	287	% 34,95
] 20 – 24 [	310	% 37,75
] 25 – 30 [	180	% 21,92
] 36 – 40 [	44	% 5,35
المجموع	821	% 100

تحليل جدول 1 – 2 – 3

نشأت المكتبة المركزية 01 نوفمبر 1987 توجد بها قاعتين واحدة مخصصة للذكور و أخرى للإناث عدد محتوياتها من الكتب (16484) منها 7215 نسخة بالعربية لـ 3048 عنوان و 9269 نسخة بالفرنسة لـ 3805 عنوان يوجد بها حوالي

821 منخرط و من خلال الجدول رقم 03 يتضح لنا أن سن النخراط يبدأ من 16 سنة و ينتهي بها 44 سنة و أكبر نسبة في المنخرطين تحملها الفئة العمرية]20-24[سنة بنسبة 37,75 % ثم تليها الفئة]16-24 [سنة بنسبة 34,95 % و تأتي بعدها]25-30[سنة بنسبة 21,92 % و تنتهي بنسبة 5,35 % بالنسبة للفئة]36-40[

جدول (4) : يمثل المستوى التعليمي للمنخرطين

المستوى الدراسي	التكرار	النسب
إبتدائي	-	-
متوسط	-	-
ثانوي	287	% 34,95
جامعي	490	% 59,68
موظف	40	% 4,87
عاطل	0	% 0,48
المجموع	821	% 100

تحليل جدول (4) : يبين لنا المستوى التعليمي للمنخرطين فنجد المستوى الثانوي بنسبة 34,95 % و الجامعي أكبر نسبة تقدر 59,68 % ثم الموظفين بنسبة 4,87 % فالعاطلين عن العمل 0,48 % و من خلال ذلك نجد المستوى الجامعي يحمل أكبر نسبة و السبب في ذلك يرجع إلى توفير المكتبة لحاجيات هذه الفئة من كتب و جو مناسب و تنظيم جيد إضافة إلى مستوى الخدمات المقدمة .

جدول (5) : يمثل عدد الوافدين للمكتبة حسب الجنس خلال شهري أكتوبر و نوفمبر

	الجنس		المجموع
/	ذكر	أنثى	
التكرار	200	300	500
النسب	% 40	% 66	% 100

تحليل جدول (5) : يمثل عدد الوافدين إلى المكتبة حسب الجنس خلال شهري أكتوبر و نوفمبر و من خلال الجدول نجد أن نسبة الإناث تحتل الصدارة بنسبة 60 % و الذكور بنسبة 40 % و يرجع ذلك إلى أن الإناث لهم القابلية للدراسة أكثر من الذكور .

جدول (6) : يمثل نوعية الكتب المستعملة بكثرة من قبل المنخرطين

نوعية الكتب	تكرار	النسب
علمي	60	% 48
تقني	40	% 32
أداب (لغة عربية)	20	% 16
ثقافة عامة	5	% 4
المجموع	125	% 100

تحليل الجدول (6) : يمثل نوعية الكتب المستعملة بكثرة من قبل المنخرطين فنجد الكتب العلميـة 48 % و التقنية 32 % و الأدبية 16 % أما الثقافة العامة 4 % و نجد الكتب العلمية تحمل أكبر نسبة و هذا يرجع إلى استعمال المنخرطين لهذا النوع من الكتب .

جدول (7) : يمثل نوعية الكتب المتداولة في الاستعارة .

عناوين الكتب	تكرار	النسب
عربية	70	% 51,47
فرنسية	0	0
انجليزية	66	% 40,52
أخرى	0	0
المجموع	136	% 100

تحليل الجدول (7) : يوضح لنـــا نوعية الكتب المتداولة في الاستعارة فنجد ان كتب اللغة العربية أكثر تداولا من قبل المنخرطين بنسبة تقدر بـ 51,47 % و هذا يرجع إلى جمهور المنخرطين يحتاجون إلى المراجع باللغة العربية أكثر من غيرها .

جدول (8) : يمثل عدد العناوين باللغتين التي تحتويها المكتبة

نوعية لغة الكتاب	تكرار	النسب
العربية	3048	% 44,47
الفرنسية	3805	% 55,52
المجموع	6853	% 100

تحليل جدول (8) : يمثل عدد عناوين الكتب باللغتين العربية و الفرنسية و نجد من خلال الجدول أن بالمكتبـة كتب باللغة الفرنسية أكثر منى العربية بنسبة 55,52 % أما اللغة العربية فهي تقدر بنسبة 44,47 % و هذا يرجع إلى أن المكتبـة تواكب الكتب الصادرة بالفرنسية أكثر منها العربية .

جدول (9) : المكتبة تواكب بمستوى متوسط لما يصدر في السنوات الأخيرة .

جدول (10) : يمثل نسبة الإقبال على المكتبة

الأيام	تكرار	النسب
أيام العطلة	85	% 30,90
أيام عادية	50	% 18,18
أيام الامتحانات	140	% 50,90
المجموع	275	% 100

تحليل جدول (10) : من خلال الجدول يتضح لنا أن نسبة الاقبال على المكتبة في أيام العطلة 30,90 % اما العادية 18,18 % و ترتفع في ايام الامتحانات بنسبة 50,90 % و ذلك لحاجة الطالب إلى المكتبة خلال أيام الإمتحانات .

جدول (11) : يمثل نسبة المنخرطين في النوادي العلمية حسب السنوات
(المقصود بالنوادي العلمية) اللغات : فرنسية ، انجليزية ، ايطالية ، اسبانية و نادي الاعلام الآلي)

السنة	تكرار	النسب
2003-2002	576	% 28,90
2004-2003	670	% 33,61
2005-2004	747	% 37,48
المجموع	1993	% 100

تحليل جدول (11) : فهو يمثل نسبة المنخرطين في النوادي العلمية حسب السنوات فنجد نسبة الانخراط في تزايد مستمر منذ 2002 إلى غاية 2005 بنسبة 28,90 % إلى 33,61 % إلى 37,48 % و هذا يرجع إلى حسن تسيير النادي إضافة إلى وجود أساتذة مؤهلون لذلك .

جدول (12) : يمثل مدى الإقبال على الأنترنت خلال الشهرين (أكتوبر و نوفمبر)

السنة	تكرار	النسب
2003-2002	4008	% 36,09
2004-2003	2941	% 26,48
2005-2004	4155	% 37,41
المجموع	11104	% 100

تحليل الجدول (12) : يمثل مدى الإقبال على الأنترنت فنجد النسبة مرتفعة منذ افتتاحه 2003 و تقل في 2004 و تزداد في سنة 2005 و هذا يرجع إلى حاجة المنخرطين للأنترنت و ثقافتهم و انفتاحهم الثقافي .

جدول (13) : يمثل نسبة المنخرطين لتعليم الإعلام الآلي

السنة	تكرار	النسب
2003-2002	33	% 16,75
2004-2003	54	% 27,41
2005-2004	110	% 55,83
المجموع	197	% 100

تحليل الجدول (13) : من خلال الجدول يتضح لنا أن نسبة المنخرطين في الإعلام الآلي في تزايد مستمر منذ 2003 نجد 16,75 % ، 2004 نسبة 27,4116,75 % ، 2005 نسبة 85,83 % و يرجع السبب في ذلك إلى سمعة النادي التي جعلت الجمهور يتوافد على الإنخراط .

تحليل خاص بالمكتبة المركز الثقافي حسان الحسني

جدول (1) : تاريخ إنشائها : 01 جوان 1988

جدول (2) : عدد المنخرطين : 70 منخرط

جدول (3) : يبين سن المنخرطين

الفئة العمرية	التكرار	النسب
] 12 – 15 [	20	% 28,57
] 16 – 19 [	40	% 57,14
] 25 – 30 [	10	% 14,28
المجموع	70	% 100

جدول 1 – 2 – 3

تم إنشاء المكتبة داخل المركز بتاريخ 01 جوان 1988 عدد محتوياتها من الكتب (4709) منها 2771 نسخة بالعربية لـ 966 عنوان و 1939 نسخة بالفرنسية منها 1008 عنوان يوجد بها حوالي 70 منخرط ، و من خلال الجدول رقم 3 يتضح لنا أن سن الانخراط يحدد بـ 12 سنة حيث نجد الفئة العمرية [12–15[تقدر بـ 28,57 % [16–19[تقدر بـ 57,14 % و هي أكبر نسبة ثم تأتي بعدها الفئة العمرية [25–30[بـ 14,28 % .

جدول (4) : يمثل المستوى التعليمي

المستوى الدراسي	التكرار	النسب
إبتدائي	–	–
متوسط	–	–
ثانوي	60	% 85,71
جامعي	10	% 14,28
موظف	–	–
عاطل	–	–
المجموع	70	% 100

تحليل الجدول (4) : من خلال الجدول نجد ان المستوى الثانوي يحتل أكبر نسبة تقدر 85,71 % ثم تأتي بعدها المستوى الجامعي بـ 14,28 % ذلك يرجع إلى أن المكتبة توفر الجو المناسب لهذا المستوى من توفير المراجع .

جدول (5) : يمثل عدد الوافدين في شهري أكتوبر و نوفمبر حسب الجنس

/	الجنس		المجموع
	ذكر	أنثى	
التكرار	18	23	41
النسب	% 43,90	% 56,09	% 100

تحليل جدول (5) : من خلال الجدول يتضح لنا أن نسبة الإناث تقدر بـ 56,09 % أما الذكور فتقدر بـ 43,39 % و فالإناث أسرع انخراط من الذكور إضافة إلى القابلية للدراسة .

جدول (6) : يمثل نوعية الكتب المستعملة بكثرة

نوعية الكتب	تكرار	النسب
علمي	50	% 45,65
تقني	30	% 27,27
أدابي	20	% 18,18
ثقافة عامة	10	% 9,09
المجموع	110	% 100

تحليل الجدول (6) : من خلال الجدل يتضح لنا أن الكتب التقنية تحتل الريادة في الاستعارة بنسبة 27,27 % بينما الكتب الأدبية تقدر بـ 18,18 % فكتب الثقافة العامة 9,09 % و هذا يرجع إلى حاجة المنخرطين لهذه النوعية من الكتب .

جدول (7) : يمثل نوعية اللغة المستعملة أكثر في الإستعارة

عناوين الكتب	تكرار	النسب
عربية	63	% 46,66
فرنسية	44	% 32,59
انجليزية	18	% 13,33
المجموع	135	% 100

تحليل الجدول (7) : من خلال الجدول يتضح لنا أن اللغة العربية تحتل الصدارة في الإستعمال بنسبـــة 46,66 % و الفرنسية 32,59 % و تأتي الانجليزية بـ 13,33 % .

جدول (8) : بمستوى متأخر جدا .

جدول (9) : يمثل نسبة الإقبال على المكتبة

الأيام	تكرار	النسب
أيام العطلة	38	% 43,18
أيام عادية	0	0
أيام الامتحانات	50	% 56,81
المجموع	78	% 100

تحليل جدول (9) : من خلال الجدول نجد أن نسبة الإقبال على المكتبة متقاربة بين أيام العطلة و ايام الامتحانات تقدر بـ 43,18 % لأيام العطل و 56,81 % و أيام الامتحانات و ذلك لحاجة المنخرطين لمكتبة .

جدول (10) : يمثل نسبة نوعية الكتب باللغتين

نوعية اللغة	تكرار	النسب
العربية	2771	% 46,66
الفرنسية	1938	% 32,59
المجموع	4709	% 100

تحليل جدول (10) : من خلال الجدول نجد أن نوع الكتب باللغة العربية أكثر من الفرنسية بنسبة 46,66 % و الفرنسية 32,59 % .

جدول (11) : يمثل نسبة عدد المنخرطين في النوادي العلمية .

السنة	تكرار	النسب
2003-2002	20	% 33,33
2004-2003	25	% 41,66
2005-2004	15	% 25
المجموع	30	% 100

تحليل جدول (11) : من خلال الجدول يتضح أن نسبة المنخرطين في النوادي العلمية للسنوات الأولى 2003-2004 عالية بنسب متزايدة 33,33 % - 41,66 % و تبدأ في التناقص في سنة 2005 بنسبة 25 % و هذا يرجع إلى توفر نوادي علمية في أماكن أخرى .

جدول (12) : يمثل نسبة المنخرطين في الإعلام الآلي

السنة	تكرار	النسب
2003-2002	50	% 40
2004-2003	50	% 40
2005-2004	25	% 25
المجموع	125	% 100

تحليل جدول (12) : من خلال الجدول يتضح أن نسبة في الإعلام الألي في تناقص 2002-2003 بنسبة 40 % و في السنة الموالية بنفس النسبة أما في السنة الأخيرة فهي ضعيفة بنسبة 20 % و ذلك يرجع إلى انتشار مراكز الإعلام الآلي في جهات أخرى و بمستوى جيد .

تحليل خاص بالمركز الثقافي الهاشمي اسماعيل

جدول (1) : تاريخ انشائها : 17 ماي 1984

جدول (2) : عدد المنخرطين : 224 منخرط

جدول (3) : يمثل نسبة الفئة العمرية

الفئة العمرية	التكرار	النسب
] 12 – 15 [	30	% 13,39
] 16 – 19 [	150	% 33,96
] 20 – 24 [	30	% 13,39
] 31 – 35 [	14	% 6,25
المجموع	224	% 100

تحليل جدول 1 – 2 – 3

أنشات مكتبة الهاشمي اسماعيل داخل المركز الثقافي بتاريخ 17 ماي 1984 عدد محتوياتها من الكتب (7591) منها 4635 نسخة بالعربية لـ 2076 عنوان و 2956 نسخة بالفرنسية لـ 1891 عنوان .

يوجد بها 224 منخرط اما سن الانخراط فقد حدد بـ 12 سنة إلى غاية 35 سنة و من خلال الجدول رقم 3 يتضح لنا ان المكتبة تحمل فئات عمرية ما بين [12–35[سنة و اكبر نسبة انخراط تحملها الفئة من [16–19[بنسبة 33,96 % تم الفئات الاخرى بنسب متفاوتة و يرجع السبب في ذلك الى أن المكتبة تهتم بالثانويين و نوفر لهم مختلف حاجياتهم من المراجع .

جدول (4) : يمثل نسبة المستوى الدراسي لكل منخرط

المستوى الدراسي	التكرار	النسب
متوسط	30	% 13,39
ثانوي	150	% 66,96
جامعي	30	% 13,39
موظف	10	% 4,46
عاطل	4	% 1,78
المجموع	224	% 100

تحليل الجدول (4) : يمثل المستوى التعليمي للمنخرطين من الإكمالي فالثانوي و الجامعي إلى الموظفين و نجد المستوى الثانوي يحمل الصدارة بنسبة 66,96 % ثم الجامعي 13,39 % فالإكمالي بنفس النسبة و تنتهي بالموظفين بنسبة 4,46 % و السبب في ذلك يرجع إلى أن مستوى الخدمات التي تقدمها المكتبة للثانويين من توفير المراجع لجميع الشعب إلى غاية التسهيلات التي تقدمها المكتبة لهذه الفئة من إقامة دروس خصوصية .

جدول (5) : يمثل نسبة الوافدين على المكتبة خلال شهري أكتوبر و نوفمبر حسب الجنس

/	الجنس		المجموع
	ذكر	أنثى	
التكرار	30	40	75
النسب	% 40	% 60	% 100

تحليل جدول (5) : يمثل نسبة الوافدين خلال شهري اكتوبر و نوفمبر حيث نجد فئة الإناث تحتل الصدارة بنسبة 60 % ثم الذكور 40 % و السبب في ذلك يرجع إلى دافع الدراسة لدى الإناث أكثر منه لدى الذكور .

الجدول (6) : يمثل نسبة نوعية الكتب المستعملة من قبل المنخرطين

نوعية الكتب	تكرار	النسب
علمي	40	% 42,10
تقني	30	% 31,57
أدابي	20	% 21,05
ثقافة عامة	5	% 5,26
المجموع	95	% 100

تحليل الجدول (6) : من خلال الجدول نجد ان الكتب العلمية هي الأكثر استعمالا بنسبة 42,10 % ثم تأتـي بعدها الكتب التقنية 31,57 % و يليها الأدبية 21,05 % أما الثقافية فتستعمل بنسبة 5,26 % و هذا يرجع إلى حاجة المنخرطين إلى هذه النوعية من الكتب عن غيرها .

تحليل خاص بمكتبة قوتة السبتي

جدول (1) : تاريخ إنشائها : خلال 1983

جدول (2) : عدد المنخرطين : 400 منخرط

جدول (3) : يمثل نسبة سن المنخرطين

الفئة العمرية	التكرار	النسب
] 16 – 19 [	200	% 50
] 20 – 24 [	150	% 37,50
] 36 – 40 [	40	% 10
] 56 – 60 [	10	% 2,50
المجموع	400	% 100

تحليل جدول 1 – 2 – 3

من خلال الجدول (1) (2) (3) يتضح أن نشأة المكتبة كان من خلال سنة 1983 عدد محتوياتهـا من الكتـب (6497) منها 3901 نسخة بالعربية لـ 2266 عنوان و 25969 نسخة بالفرنسية لـ 19895 عنوان و يوجد بها حوالـي 400 منخرط و يمثل الجدول رقم (3) الفئة العمرية للمنخرطين ما بين 16 سنة إلى غاية 30 سنـة و أكبر فئة للمنخرطين تحملها الفئة العمرية [16–19[بنسبة 50 % بعدها تأتي [20–24[بنسبة 37,50 %

أما [36–40[تقدر بـ 10 % و آخر فئة عمرية [56–60[سنة تقدر بـ 2,50 %

جدول (4) : يمثل نسبة المستوى الدراسي للمنخرطين .

المستوى الدراسي	التكرار	النسب
ثانوي	200	% 50
جامعي	150	% 37,50
موظف	40	% 10
عاطل	10	% 2,50
المجموع	400	% 100

تحليل الجدول (4) : يشمل المستوى الدراسي للمنخرطين حيث نجد المستوى الثانوي يحمل أكبر نسبة من المنخرطين بنسبة 50 % من مجموع 400 منخرط و السبب في ذلك يرجع إلى أن المكتبة توفر الكتاب المدرسي أكثر من الجامعي .

جدول(5) : يمثل نسبة عدد الوافدين على المكتبة خلال شهري أكتوبر و نوفمبر حسب الجنس

	الجنس		المجموع
/	ذكر	أنثى	
التكرار	30	60	90
النسب	% 33,33	% 66,66	% 100

تحليل جدول (5) : عدد الوافدين من المنخرطين نساء و رجال خلال شهري أكتوبر و نوفمبر بحيث نجد نسبة النساء أكبر من الرجال بنسبة تقدر بـ 66,66 % نساء و 33,33 % رجال و هذا يرجع إلى الإهتمام السنوي بالدراسة .

جدول (6) : يمثل نسبة نوعية الكتب المستعملة بكثرة من طرف المنخرطين

نوعية الكتب	تكرار	النسب
علمي	60	% 41,37
تقني	50	% 34,48
أدابي	30	% 20,68
ثقافة عامة	5	% 3,44
المجموع	145	% 100

تحليل جدول (6) : يوضح لنا أكبر نسبة من نوعية الكتب المستعملة من طرف المنخرطين حسب الاختصاص ، فنجد الكتب العلمية تحتل الصدارة بنسبة 41,37 % و تأتي بعدها مباشرة الكتب التقنية و الأدبية 34,48 % و 20 %

جدول (7) : يمثل نوعية لغة الكتب المتداولة بكثرة

عناوين الكتب	تكرار	النسب
عربية	87	% 66,41
فرنسية	44	% 33,58
انجليزية	0	0
المجموع	131	% 100

تحليل جدول (7) : يمثل أكبر نسبة الكتب حسب اللغة و نجد الكتب باللغة العربية تحتل المرتبة الأعلى بنسبة 66,41 % أما الفرنسية بنسبة 33,58 % و ذلك يرجع إلى مواكبة المكتبة لما يصدر بالعربية من المراجع .

جدول (8) : المواكبة بمستوى متوسط .

جدول (9) : يمثل نسبة مدى الإقبال على المكتبة

الأيام	تكرار	النسب
أيام العطلة	25	% 19,37
أيام عادية	19	% 14,72
أيام الامتحانات	85	% 65,89
المجموع	189	% 100

تحليل جدول (9) : يمثل مدى الإقبال على المكتبة فنجد من خلال الجدول أن أيام الامتحانات يكثر بها الاقبال على المكتبة بنسبة 65,89 % و تقل بالنسبة للأيام العادية 19,37 % و العطل بـ 14,72 % هذا يرجع إلى حاجة الطلاب للمكتبة أيام الإمتحانات خاصة طلاب السنة النهائية .

جدول (10) : يمثل نوعية عناوين الكتب و نوعهم

نوعية اللغة	تكرار	النسب
العربية	2266	% 54,45
الفرنسية	1895	% 45,54
المجموع	4161	% 100

تحليل جدول (10) : يمثل نسبة عناوين الكتب باللغتين العربية و الفرنسية و نجد أن عدد الكتب باللغة العربية تحتل الصدارة بنسبة 54,45 % أما الفرنسية بنسبة 45,54 % .

تحليل خاص بالمركز الثقافي بني محافر

جدول (1) : تاريخ إنشاء المكتبة 26 سبتمبر 1986

جدول (2) : عدد المنخرطين 26

جدول (3) : يمثل سن المنخرطين

الفئة العمرية	التكرار	النسب
] 12 – 15 [	5	% 19,23
] 16 – 19 [	13	% 50
] 20 – 24 [	8	% 30,76
المجموع	26	% 100

تحليل جدول 1 – 2 – 3

نشأت مكتبة المركز الثقافي بني محافر 26 سبتمبر 1986 عدد محتوياتها من الكتب (3456) منها 2128 عنوان بالعربية و 1328 عنوان بالفرنسية يوجد بها 26 منخرط و هي نسبة ضعيفة جدا لضيق المكـان و أسباب أخرى ، تحتوي على الفئات العمرية ما بين [12–24[و من خلال الجدول رقم 03 يتضح لنا : ان أكبر نسبة من الإنخراط تحملها الفئة العمرية [16–19[بنسبة 50 % ثم تأتي الفئات الأخرى بنسب متفاوتـة بـ 19,23 % ، 30,76 % و هذا يرجع إلى مستوى الخدمات المقدمة لهذه الفئة .

جدول (4) : يمثل نسبة المستوى التعليمي

المستوى الدراسي	التكرار	النسب
متوسط	5	% 19,23
ثانوي	13	% 50
جامعي	8	% 30,76
المجموع	26	% 100

تحليل الجدول (4) : يمثل المستوى التعليمي للمنخرطين و نجد المستوى الثانوي هو المسيطر بنسبة 50 % و ذلك لتوفر المراجع لهذه الفئة و بعدها يأتي المستوى الجامعي بـ 30,76 % و أخيرا المتوسط بنسبـة 19,23 % .

جدول (5) : يمثل نسبة الوافدين من النساء و الرجال خلال شهري أكتوبر و نوفمبر

/	الجنس		المجموع
	ذكر	أنثى	
التكرار	2	8	10
النسب	% 20	% 80	% 100

تحليل الجدول (5) : يمثل نسبة الوافدين على المكتبة خلال شهري أكتوبر و نوفمبر حسب الجنس فنجد العنصر الأنثوي هو الذي يحمل أكبر نسبة تقدر بـ 80 % ثم العنصر الذكري 20 % و هذا يرجع دائما إلى ظاهرة أن الإناث لهـم إستعداد و قابلية للدراسة اكثر من الذكور .

جدول (6) : يمثل نسبة نوعية الكتب المستعملة من طرف المنخرطين

نوعية الكتب	تكرار	النسب
علمي	5	% 29,41
تقني	4	% 23,52
أدابي	8	% 47,05
ثقافة عامة	0	0
المجموع	17	% 100

تحليل الجدول (6) : يمثل نوعية الكتب المستعملة من طرف المنخرطين فنجد الكتب الأدبية و العلميـة أكثر إستعمـالا بنسبة 47,05 % ، 29,41 % و ذلك لحاجة المنخرطين لهذه النوعية من الكتـب في إختصاصاتهم العلمية .

جدول (7) : يمثل نسبة اللغة المستعملة في إستعارة الكتب

عناوين الكتب	تكرار	النسب
عربية	40	% 66,66
فرنسية	20	% 33,33
انجليزية	0	0
المجموع	60	% 100

تحليل الجدول (7) : يبين نوعية لغة الكتب المستعملة أكثر بالعربية بنسبة 66,66 % و يرجع السبب في ذلك إلى أن فئة المنخرطين يستعملون هذه اللغة أكثر من اللغات الأخرى و لتفادي الترجمة كسبا للوقت .

جدول رقم (8) : يمثل نسبة عناوين الكتب باللغتين

نوعية اللغة	تكرار	النسب
العربية	2.128	% 61,57
الفرنسية	1328	% 38,42
المجموع	3.456	% 100

تحليل جدول (8): يمثل نسبة عناوين الكتب باللغتين العربية و الفرنسية و نجد الكتب باللغة العربية تحمل أكبر نسبـة بـ 61,27 % أما الفرنسية بنسبة 38,42 % و هذا يرجع إلى أن المكتبة تواكب المراجع باللغة العربية أكثر منهـا الفرنسية.

تحليل خاص بمكتبة دار الشباب صاولي عبد القادر

جدول (1) : تاريخ إنشائها سنة 1972

جدول (2) : عدد المنخرطين : 94 منخرط

جدول (3) : يمثل نسبة الفئة العمرية للمنخرطين

الفئة العمرية	التكرار	النسب
] 12 – 15 [	14	% 14,89
] 16 – 19 [	50	% 53,14
] 20 – 24 [	30	% 3,91
المجموع	94	% 100

تحليل جدول 1 – 2 – 3

نشات مكتبة صاولي عبد القادر سنة 1972 عدد محتوياتها من الكتب (1400) منها 1000 نسخة بالعربية و 400 باللغة الفرنسية و هي واحدة من أصل 15 دار الشباب بالولاية يوجد بها حوالي 94 منخرط و يحدد سن الإنخراط بـ 12 سنة و

نجد من خلال الجدول ان اكبر نسبة هي الفئة العمرية [16-19[بأكبر نسبة تقدر بـ 53,14 % و هذا يرجع إلى توفير المكتبة لحاجيات هذه الفئة في الدراسة .

جدول (4) : يمثل نسبة المستوى الدراسي

المستوى الدراسي	التكرار	النسب
ثانوي	64	% 68,08
جامعي	30	% 31,91
موظف	-	-
عاطل	-	-
المجموع	94	% 100

تحليل جدول (4) : يمثل لنا المستوى الدراسي للمنخرطين و نجد المستوى الثانوي يحتل الريادة بنسبـــة 68,06 % و هذا يبين لنا أن المكتبة توفر لهذا المستوى الجو المناسب للنجاح من خلال توفير المراجع لجميع الشعب و كذلك إقامـة الدروس الخصوصية لهذه الفئة إضافة إلى ذلك الموقع الجغرافي للمكتبة من خلال قربها للأوساط الثانوية .

جدول (5) : يمثل نسبة عدد الوافدين حسب شهري أكتوبر و نوفمبر للجنسين

/	الجنس		المجموع
	ذكر	أنثى	
التكرار	15	65	80
النسب	% 18,75	% 81,25	% 100

تحليل جدول (5) : يمثل نسبة عدد الوافدين على المكتبة من الذكور و الإناث خلال شهري أكتوبر و نوفمبـر و نلاحظ من خلال ذلك أن نسبة الإناث وحدها تحمل 81,25 % على غرارها الذكور بنسبـة 18,75 % و السبب في ذلك يرجع إلى أن الإناث لهم استعداد وقابلية للدراسة أكثر من الذكور .

جدول (6) : يمثل نوعية الكتب المستعملة بكثرة .

نوعية الكتب	تكرار	النسب
علمي	30	% 44,77
تقني	20	% 29,85
أدابي	15	% 22,38
ثقافة عامة	2	% 2,98
المجموع	67	% 100

تحليل جدول (6) : يمثل نوعية الكتب المستعملة بكثرة و من خلال الجدول يتضح أن الكتب العلمية تحتـل الصدارة بنسبة 44,77 % و هذا يرجع إلى أن المنخرطين تلبي هذه الكتب لحاجياتهم العلمية .

جدول (7) : يمثل نسبة الكتب حسب اللغات المستعملة بكثرة

عناوين الكتب	تكرار	النسب
عربية	40	%80
فرنسية	10	% 20
انجليزية	–	–
أخرى	–	–
المجموع	50	% 100

تحليل جدول (7) : يمثل لنا نسبة الكتب المستعملة بكثرة حسب اللغات و نجد ان الكتب باللغة العربية تحمل أكبر نسبة بـ 80 % و هذا يرجع إلى توفر المراجع بهذه اللغة .

تحليل الجدول (8) : فهو يمثل مدى مواكبة المكتبة للتجديد فهي تواكب بمستوى ضعيف .

جدول (9) : يمثل الإقبال على المكتبة .

الأيام	تكرار	النسب
أيام العطلة	24	% 30
أيام عادية	8	% 10
أيام الامتحانات	48	% 60
المجموع	80	% 100

تحليل جدول (9) : يمثل نسبة الإقبال على المكتبة حيث نجد أيام الامتحانات ترتفع نسبة الإقبال بـ 71,42 %و هذا يرجع إلى حاجة المنخرطين إلى المكتبة خلال هذه الأيام .

جدول (10) : يمثل نسبة الكتب حسب اللغة الفرنسية و العربية .

نوعية اللغة	تكرار	النسب
العربية	1000	% 71,42
الفرنسية	400	% 28,57
المجموع	1400	% 100

تحليل جدول (10): يمثل نسبة الكتب حسب اللغات الفرنسية و العربية و نجد الكتب باللغة العربيــة تحتل الصدارة بنسبة 60 % و هذا يرجع إلى أن المكتبة تشتري دائما الكتب الصادرة لهذه اللغة أكثر من غيرها إضافة إلى مستوى المكتبة ليس بالمستوى العالي حتى تهتم بالمراجع باللغات الأخرى .

جدول (11) : يمثل نسبة عدد المنخرطين في الإعلام الآلي حسب السنوات .

السنة	تكرار	النسب
2003-2002	0	–
2004-2003	80	% 66,66
2005-2004	40	% 33,33
المجموع	120	% 100

تحليل جدول (11) : يمثل لنا نسبة المنخرطين في الإعلام الآلي منذ 2002 إلى 2005 و نجد نسبة الإنخراط يكثر في السنة 2003-2004 بينما ضعفت في السنوات الأخيرة 2004-2005 و السبب يرجع إلى إنتشار مراكز الإعلام الآلي بكثرة في الولاية .

تحليل خاص بالمركز الثقافي الفرنسي

جدول (1) : تاريخ إنشائها : خلال 1960

جدول (2) : عدد المنخرطين : 2320 منخرط

جدول (3) : يمثل نسبة المنخرطين

الفئة العمرية	التكرار	النسب
] 12 – 15 [	0	–
] 16 – 19 [	429	% 18,49
] 20 – 24 [	1187	% 51,16
] 25 – 30 [	427	% 18,40
] 31 – 35 [	116	% 5
] 36 – 40 [	65	% 2,80
] 41 – 45 [	29	% 1,25
] 46 – 50 [	23	% 0,99
] 51 – 55 [	21	% 0,90
] 56 – 60 [	09	% 0,38
61 فأكثر	14	% 0,60
المجموع	2320	% 100

تحليل الجدول 1 -2 – 3 :

من خلال الجدول يتضح أن المركز الثقافي الفرنسي هو عريق النشأة فلقد أنشأ خلال فترة الستينات أي بعد رحيل الاستعمار الفرنسي من الجزائر مباشرة و ذلك قصد تعليم فئة و الجالية الفرنسية التي بقيت في الجزائر بعد الاستقلال . و حاليا يوجد لهذا النركز 2320 منخرط من جميع الفئات العمرية حيث نجد من خلال الجدول 3 أن الحد الأدنى للإنخراط يقدر بـ 16 سنة و الحد الأعلى بـ 61 سنة و أكبر نسبة انخراط تحملها الفئة العمرية [20-24[بنسبة 51,16 % و هي فئة الطلبة الجامعيين ثم تأتي بعدها مباشرة فئة [16-19[بنسبة 18,49 % فالفئة [25-30[تقدر 18,40 % و بعدها تأتي الفئات العمرية الأخرى بنسب متفاوتة جدا من [31 إلى 61 [5 % ، 2 % ، 1 % ، 0,99 % . . . إلخ .

جدول (4) : يمثل المستوى الدراسي للمنخرطين

المستوى الدراسي	التكرار	النسب
ابتدائي	–	–
متوسط	–	–
ثانوي	429	% 18,49
جامعي	1614	% 69,56
موظف	233	% 10,04
عاطل	44	% 1,89
المجموع	2320	% 100

تحليل الجدول رقم (04) : من خلال الجدول يتضح لنا أن المركز الثقافي يحدد مستوى الإنخراط بالمرحلة الثانوية بنسبة 18,49 % ثم يأتي بعدها الطلبة الجامعيين بنسبة 69,56 % و هي تحمل أكبر نسبة من المنخرطين لأن الطالب الجامعي هو الأكثر احتياجا لهذا المركز لما يوفره المركز للطالب الجامعي من كتب علمية بالدرجة الأولى واستعمالا للغة الفرنسية ثم تأتي بعدها فئة الموظفين بنسبة 10,04 % فالعاطلين عن العمل أو المتقاعدين بنسبة 1,89 % .

جدول (5) : نوعية الكتب المستعملة في الإستعارة

نوعية الكتب	تكرار	النسب
علمي	65	% 41,66
تقني	44	% 28,20
أدابي	27	% 17,30
ثقافة عامة	20	% 12,82
المجموع	156	% 100

تحليل جدول (5) : من خلال الجدول يتضح لنا أن الكتب العلمية هي الأكثر استعمالا بنسبة تقدر بـ 41,66 % فالتقنية بنسبة 28,20 % فالأدبية بـ 17,30 % و في المرتبة الأخيرة الكتب الثقافية بنسبة 12,82 % و ذلك يرجع إلى أن المنخرطين يستعملون الكتب العلمية و التقنية أكثر من غيرها من الأنواع الأخرى لتلبية إحتياجاتهم الدراسية .

جدول (6) : نوعية اللغة المستعملة في إستعارة الكتب

عناوين الكتب	تكرار	النسب
عربية	–	–
فرنسية	100	% 100
انجليزية	–	–
أخرى	–	–
المجموع	100	% 100

تحليل جدول (6) : من خلال الجدول يتضح لنا أن نوعية اللغة المستعملة في الإستعارة هي اللغة الفرنسية بنسبة 100 % و ذلك لطبيعة المركز .

تحليل جدول (7) : المواكبة بمستوى جيد

جدول (8) : يمثل مدى الإقبال على المكتبة خلال الأيام

الأيام	تكرار	النسب
أيام العطلة	400	% 42,10
أيام عادية	–	–
أيام الامتحانات	580	% 57,89
المجموع	950	% 100

تحليل جدول (8) : من خلال الجدول يتضح لنا أن نسبة الإقبال على المركز عالية جدا خاصة في فترة العطل و الإمتحانات بنسبة 42,10 % و 57,89 % و ذلك يرجع إلى حاجة المنخرطين للمراجعة في ذلك المركـز و مستوى الخدمات التي يقدمها المركز للجمهور المنخرط .

تحليل خاص بالمكتبات الجامعية

(مكتبة سيدي عمار فيها مختلف الإختصاصات ، علم النفس ، العلوم القانونية و الإدارية ، اللغات ، علوم إقتصادية و اللغة العربية)

جدول (1) : يمثل الفئة العمرية للمنخرطين في المكتبات الجامعية

الفئة العمرية	التكرار	النسب
] 20 – 24 [	8085	% 60
] 25 – 30 [	3155	% 23,42
] 31 – 35 [	969	% 7,19
] 36 – 40 [	706	% 5,24
] 41 – 45 [	333	% 2,47
] 46 – 50 [	124	% 0,92
] 51 – 55 [	85	% 0,63
] 56 – 60 [	12	% 0,08
المجموع	13469	% 100

تحليل الجدول (1) : من خلال الجدول نجد أن سن الإنخراط في المكتبات الجامعية يحدد بـ 20 سنة و ينتهي عند سن 60 سنة و اكبر نسبة الإنخراط تحملها الفئة العمرية [20–24[بنسبة تقدر بـ 60 % تم تأتيها مباشـرة [25–30[بـ 7,19 % ثم [36–40[بنسبة 5,24 % و تبدأ النسب في الإنخفاض بنسبـة للسنوات العمرية الأخرى فنجد [41–60[بنسب متفاوتة 2,47 % إلى 0,92 % و 0,63 % و 0,08 % .

و من خلال الجدول نجد ان المكتبات الجامعية لولاية عنابة تستقطب جميع الفئات الجامعية ابتداءا من 20 سنة إلى غاية سن التقاعد بالنسبة للموظفين أو الأساتذة الذين يحضرون الدكتوراه .

جدول (2) : يمثل المستوى التعليمي للمنخرطين في المكتبات الجامعية

المستوى الدراسي	التكرار	النسب
جامعي	12515	% 93,08
موظفين	929	% 6,91
المجموع	13444	% 100

تحليل جدول (2) : من خلال الجدول نجد ان أكبر نسبة تقدر بـ 93,08 % و هي فئة الطلبة الجامعيين من السنوات الأولى إلى السنة النهائية فطلبة الماجستير . . . إلخ .

أما نسبة الإنخراط لدى الموظفين تحمل 6,91 % .

جدول (3) : يمثل عدد الوافدين يوميا على المكاتب الجامعية حسب الجنس

/	الجنس		المجموع
	ذكر	أنثى	
التكرار	570	1830	2400
النسب	% 23,75	% 76,25	% 100

تحليل جدول (3) : من خلال الجدول يتضح لنا أن نسبة الإناث الوافدين على المكتبة الجامعية تحمل أكبر نسبة تقدر بـ 76,25 % أما الذكور فتقدر بـ 23,75 % و السبب في ذلك يرجع إلى أن للإناث ميل للدراسة أكثر من الذكور (ظاهرة عامة) .

جدول (4) : يمثل نوعية الكتب المستعملة في الإستعارة

نوعية الكتب	تكرار	النسب
علمي	349	% 56,38
تقني	45	% 7,26
أدابي	175	% 28,27
ثقافة عامة	50	% 8,07
المجموع	619	% 100

تحليل جدول (4) : من خلال الجدول أن أكبر نسبة من نوعية الكتب المستعملةة في الإستعارة هي الكتب العلمية بنسبة 56,38 % ثم تأتي بعدها الكتب الأدبية بنسبة 28,27 % و تاليها الكتب التقنية بنسبة 7,26 % و أخيرا كتب الثقافة العامة بنسبة 8,07 % و يرجع السبب في ذلك أن إستعارة الكتب مرتبط أساسا بالإختصاص .

جدول (5) : يمثل نوعية اللغة المستعملة في إستعارة الكتب

نوعية اللغة	تكرار	النسب
لغة عربية	612	% 66,23
فرنسية	82	% 8,87
انجليزية	220	% 23,80
ايطالية	10	% 1,08
المجموع	924	% 100

تحليل جدول (5) : من خلال الجدول يتضح ان اللغة المستعملة في إستعارة الكتب هي الكتب باللغة العربية بالدرجة الأولى بنسبة عالية تقدر بـ 66,23 % ثم تأتي بعدها مباشرة الفرنسية بـ 23,80 % فالانجليزية بـ 8,87 % فاللغة الايطالية بـ 1,08 % و يرجع السبب في ذلك إلى أن جمهور المنخرطين يتفادون إستعمال الكتب باللغات الأجنبية تجنبا للترجمة و كسبا للوقت .

جدول (6) : يمثل عدد الوافدين على المكتبات الجامعية خلال الأيام

الأيام	تكرار	النسب
أيام العطلة	–	–
أيام عادية	625	% 37,76
أيام الامتحانات	1030	% 62,23
المجموع	1655	% 100

تحليل جدول (6) : من خلال الجدول يتضح أن أيام الامتحانات جميع المكتبات الجامعية تستقبل نسب كبيرة من المنخرطين بنسب عالية جدا تقدر بـ 62,23 % أما الأيام العادية فتقل النسبة و تقدر بـ 37,76 % و السبب في ذلك يرجع إلى أن الجامعيين بصفة خاصة يحتاجون إلى المكتبة أيام الامتحانات و ذلك لتوفر الجو المناسب للمراجعة و حاجة الطلبة الجامعيين إلى المراجعة الجماعية .

جدول (7) : يمثل عدد عناوين الكتب باللغتين

نوعية الكتب	تكرار	النسب
العربية	6504	% 58,14
الفرنسية	4681	% 41,85
المجموع	11185	% 100

تحليل جدول (7) : من خلال الجدول نجد أن عناوين الكتب باللغة العربية تحتل الصدارة بنسبة 58,14 % بينما الفرنسية تقدر بـ 41,85 % و نلاحظ أن هناك تقارب بين عدد العناوين باللغة العربية و الفرنسية .

تحليل خاص بالورقات الخاصة

تعتبر الورقات الخاصة و عددها في عنابة (404) و هي تهتم أساسا بالإنتاج الفكري في موضوع أو عدة مواضيع ، و لهذا فهي تختلف فيما يخص المجال الموضوعي الذي تغطيه ، و تساعد في الحصول على عدة عناوين من كتب و الدوريات و المطبوعات الأخرى في موضوع التخصص ، و في مدينة عنابة العديد من الورقات ، قمنا بجولة لأشهرها و طرحنا على أصحابها مسألة هل هي مزودة بأحدث القواميس و الكتب العلمية و الموسوعات في مختلف الإختصاصات إضافة إلى قضية الأسعار فكانت الإجابات المهمة كالتالي :

– بالنسبة لوراقة الزهراء و وراقة المغرب : صرح صاحبها السيد بدوره أن أحدث الكتب متوفرة عنده لأن دور النشر و الموزعين بعملان على اقتناء الجديد ، لأن الكتب الجديدة أصبحت مطلوبة من طرف جمهور القراء ، و هناك أجانب يترددون عندهم و يشترون الكتب التي هي باهضة الثمن مقارنة بوطنهم الأصلي .
أما عن الثمن فيقول أن سعر الكتب و القواميس مقبولة مقارنة بالسعر في بلاد النشر و باهضة أيضا مقارنة بالدخل الفردي و القدرة الشرائية .

– وراقة هيبون : يرى صاحبها أن مكتبات مدينة عنابة غير مزودة بأحدث الكتب لنقص أولا في التزويد و ثانيا السعر الباهض لبعض الموسوعات خاصة المستوردة منها في دول المشرق خاصة في مجال (الفكر و الفلسفة).

– وراقة النهضة : يقول صاحبها السيد قاسمي سليم أن عامل المنافسة هو الذي يلزم على المكتبة الخاصة ان تكون مزودة بأحدث الكتب و القواميس لأن في هذا محافظة على الزبون .
أما فيما يخص الثمن إن الكتب المحلية مقبولة الثمن بينما الكتب المستوردة فهي باهضة .

– وراقة ساحة الثورة : أدلى صاحبها السيد حجار محمد الشريف أن عراقة المكتبة أي السمعة و معادلة العرض و الطلب هي التي تدفعه إلى مواكبة كل جديد إضافة إلى ان مجتمع القراء أصبح متطور جدا ، فنجد بعض من الفئة المثقفة تقتصد في سبيل إقتناء الجديد من الكتب .

– وراقة بن صالح : و هي أقدم مكتبة بمدينة عنابة فصاحبها أدلى أن إختصاص المكتبة هو الكتب و القواميس القديمة النادرة و الغير موجودة في الأسواق بينما السعر فهو مقبول جدا لأن الكتب مستعملة .

الخلاصة

و خلاصة القول في هذه الدراسة الميدانية نستنتج من خلال إطلاعنا على الواقع :

1 – أن أغلب المكتبات بولاية عنابة تم إنشائها في نهاية السبعينات و بداية الثمانينات من القرن الماضي .

2 – أن المقروئية ضعيفة بالمكتبات على اختلافها مقارنة بالحجم السكاني العام لولاية عنابة .

3 – أن أغلب المنخرطين الذين يقرؤون و يترددون على المكتبات على اختلافها بالولاية أو يشترون من الورقات هم في الأصل تلاميذ أو طلاب جامعيين أي بحكم الضرورة العلمية أو المهنية .

4 – أن المكتبات تعرف تزايد مستمر في فترات الامتحانات من المنخرطين ، و هذا من أجل المراجعة الجماعية ، و لما توفره المكتبات من جو ملائم للمراجعة .

5 – أن الموظفين هم أقل الفئات طلبا للكتب حيث يمثلون أدنى نسبة 4 % من الذين يترددون على المكتبات بالولاية على اختلافها ، و هذا في رأينا نرجعه إلى عدة أسباب منها :

أ – إنشغال الموظفين بالحياة العملية .

ب – ضعف القدرة الشرائية التي تدفع بهم الى استغلال أوقات فراغهم في القيام بأعمال أخرى .

جـ – وجود قاعات الانترنت التي يقدر عددها بـ 189 كما سبق و أن ذكرنا ، و ما توفره للمترددين من مغريات و تسهيلات دون تعب المعاناة على الرغم من عدم تركيز المواضيع تتناولها على الموضوعية .

6 – ان نسبة الطلب على الكتب العلمية و التقنية في مجال التخصص يقدر بـ 72 % و في المجال الأدبي تقدر النسبة بـ 21 % ، أما في مجال الثقافة العامة فنسبة الطلب ضئيلة جدا و تقدر بـ 6 % .

7 – ان الطلب على الكتب باللغة العربية يفوق الطلب على الكتب باللغة الفرنسية و هذا بنسبة 60 % .

8 – أن أكبر نسبة من الوافدين على المكتبات هم من الإناث و هذا بـ 73 % و هذا في رأينا راجع إلى أنهن يعملن على فرض وجودهن لإكتساب أو لإفتكاك مكانة إجتماعية .

9 – أن نسبة الإشتراك في الأنترنت في تزايد مستمر ، باعتباره وسيلة سريعة و سهلة كما أنها لغة العصر .

10 – أن نسبة الإقبال على النوادي العلمية هي في تزايد ، و هذا يدل على ما لتعلم اللغات من أهمية في عصر الأنترنت و العولمة .

المراجـــع

(1) – الدكتور عبد السلام الخرجي و الدكتورة رضية حسين الخرجي – السياسة التربوية في الوطن العربي – الواقع و المستقبل – بتصرف – دار الشروق للنشر و التوزيع . سنة 2000 . ص 11

(2) – حنفي بن عيسى – محاضرات في علم النفس الاجتماعي – الطبعة الخامسة ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 2003 . ص239 .

(3) – الدكتورة كريمان بدير و الدكتورة اميلي صادق – تنمية المهارات اللغوية للطفل – عالم الكتب . ص 89 . بتصرف .

(4) – احمد عبد الله و فهيم مصطفى – الطفل و مشكلات القراءة . الدار المصرية و اللبنانية .1988. ص 29 .

(5) – الدكتورة كريمان بدير و الدكتورة اميلي صادق. مرجع سابق .ص 89 .

(6) – نفس المرجع السابق و نفس الصفحة و بتصرف .

(7) – نفس المرجع السابق . ص 90 .

(8) – الدكتور حسن شحاته . قراءات الاطفال – الدار المصرية اللبنانية . 1989 . ص 30 و 37 بتصرف .

(9) – الدكتورة كريمان بدير. مرجع سابق .ص 92 .

(10) – د . حسن سحاته . مرجع سابق . ص 26 .

(11) – République Algérienne Démocratique et Populaire Wilaya de Annaba .
« Monographie de la Wilaya » Janvier 2003 . P 03 .

اختبار نموذج مقترح للتطبيق الناجح لإدارة المعرفة في الجامعات السعودية: نحو إستراتيجية فعالة لإدارة المعرفة

الدكتور: معاذ يوسف الذنيبات
جامعة الطائف – المملكة العربية السعودية

المستخلص

في هذه الدراسة تم اختبار صحة نموذج للتطبيق الناجح لإدارة المعرفة في الجامعات السعودية ، بُني النموذج على العلاقة التأثيرية بين مضامين البنية التحتية لإدارة المعرفة وعمليات إدارة المعرفة ، أجريت الدراسة على عينة عشوائية طبقية من أعضاء هيئة التدريس في 15 جامعة سعودية بلغ حجمها (338) فرداً .

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان من أهمها: وجود أثر ذو دلالة إحصائية للعوامل (تحفيز المعرفة ،تهيئة تكنولوجيا المعرفة، و إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة ، خلق ثقافة المعرفة ، تهيئة قيادة المعرفة) في المتغير التابع (الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة في الجامعات السعودية) حيث أكددت النتائج على صحة النموذج الفرضي للدراسة.

Abstract

In this study was test the validity of a model for the successful application of knowledge management in Saudi universities, the model was built on the influential relationship between the contents of the infrastructure for knowledge management and knowledge management processes.

The study was conducted on a stratified random sample from faculty members at 15 universities this sample consist of (338) persons.

The study concludes The Following: There is a statistically significant effect of the factors (motivate knowledge, create knowledge technology, and management of trends of individuals towards knowledge, create a culture of knowledge, create knowledge leadership) in the dependent variable (effective practice of knowledge management processes in Saudi universities), and confirm the validity of the study assumed model.

المقدمة:

ظهرت إدارة المعرفة في ضل التطور الهائل في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وظهور تيار العولمة حيث واكب ذلك ظهور العديد من المداخل التي تسعى لتحسين وتطوير الأداء الإداري من بينها إدارة المعرفة، فقد برزت الحاجة إلى إيجاد أساليب جديدة ووسائل تمكن من تخزين المعرفة الموجودة في عقول العاملين والاحتفاظ بها لإعادة استخدامها في المستقبل.

حديثا امتد تطبيق مبادرات إدارة المعرفة إلى الجامعات والمؤسسات الأكاديمية الأخرى بعد أن كان في البدايات مقتصرا على منظمات الأعمال الهادفة إلى الربح وتركزت في المنظمات الكبيرة منها، ومن أهم التطبيقات الشائعة لها في الجامعات بناء مستودعات المعرفة وقواعد البيانات التي يتم فيها تخزين معظم الوثائق المتعلقة بها .((Cheng M.Y, Ho J, S. Y, and Lau P. M.,2009))

لذلك فإن تطبيق إدارة المعرفة في الجامعات يعد أحد السبل التي يمكن أن تلجأ إليها حتى تكون منظمة فاعلة في المجتمع مما يساعدها على تحقيق التميز كما هو الحال في منظمات الأعمال.

أن إيجاد المعرفة وتخزينها في مستودعات المعرفة ليس جديدا في الجامعات ولكن الجديد هو المشاركة في المعرفة المتوفرة والسماح للأعضاء الانتفاع منها بشكل جماعي الأمر الذي يفيد الطلبة والباحثين لدفع دورة المعرفة نحو الأمام ويفيدهم في التمييز بين المؤسسات الأكاديمية المتواجدة في السوق الأكاديمي. (Basu and Sengupta, 2007)

تقترح هذه الدراسة نموذجاً للتطبيق الناجح لإدارة المعرفة في الجامعات السعودية بعد أن تم اختبار صحة هذا النموذج.

مشكلة الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من النتائج التي توصلت إليها دراسة سابقة حول العوامل المؤثرة في المشاركة بالمعرفة حيث خلصت إلى وضع تصور عام للتطبيقات الناجحة لإدارة المعرفة على شكل إطار عمل للبنى التحتية لإدارة المعرفة يتكون من المضامين التالية: تحفيز المعرفة ،تهيئة تكنولوجيا المعرفة، و إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة ، خلق ثقافة المعرفة ، تهيئة قيادة المعرفة.(الذنيبات،2011)

تختبر الدراسة الحالية أثر توفر هذه العوامل في تحقيق تطبيقات ناجحة لإدارة المعرفة في الجامعات السعودية، ليتسنى لمتخذي القرار في الجامعات تعزيز العوامل الايجابية وتذليل المعوقات لتهيئة البنى التحتية لإدارة المعرفة.

وفي ضوء ما تقدم يمكن إدراك عناصر المشكلة من خلال الأسئلة التالية :

1. هل يتوفر لدى الجامعات السعودية مستوى مقبول من البنى التحتية (عوامل النجاح) لإدارة المعرفة في ضوء المضامين المقترحة؟
2. هل هنالك ممارسة فعَالة لعمليات إدارة المعرفة في الجامعات السعودية؟

3. هل تؤثر البنى التحتية(عوامل النجاح) لإدارة المعرفة في ضوء المضامين المقترحة في الممارسة الفعَالة لإدارة المعرفة في الجامعات السعودية؟

أهمية الدراسة

تبرز أهمية الدراسة من ما يلي:

1. أنها تناولت واحدة من القضايا التي أصبحت تمس جوهر المنظمات بشكل وثيق فهي تعمل في بيئة أصبح التطوير والتجديد والابتكار سمتها الأساسية، والاستجابة لهذا التطور والتغيير ضرورة ملحة.
2. كما تبرز أهمية هذه الدراسة من كونها تحاول اختبار نموذج للتطبيق الناجح لإدارة المعرفة في الجامعات السعودية.
3. كما تعد هذه الدراسة مفيدة لمتخذي القرار في تلك الجامعات حيث توفر لهم إطاراً لتطوير إدارة المعرفة يقوم على توظيف العوامل المعززة للممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة في الجامعة.
4. كما وتعد هذه الدراسة مفيدة للباحثين والدارسين في مجال إدارة المعرفة وتقترح دراسات مستقبلية ذات أهمية، وكذلك سوف تقدم إطار فكري يساهم في إثراء المكتبة العربية بالأدبيات المتعلقة بإدارة المعرفة.

أهداف الدراسة:

يمكن إجمال الأهداف الرئيسية التي تسعى الدراسة إلى تحقيقها بما يلي:

1. تشخيص وتقييم الوضع الراهن لمستوى البنى التحتية لإدارة المعرفة في الجامعات السعودية في ضوء المضامين المقترحة.
2. تشخيص وتقييم الممارسة الفعَالة لعمليات إدارة المعرفة في الجامعات السعودية.
3. التعرف على أثر (تحفيز المعرفة ،تهيئة تكنولوجيا المعرفة، و إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة ، خلق ثقافة المعرفة ، تهيئة قيادة المعرفة) في الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة في الجامعات السعودية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس.
4. اختبار صحة نموذج الدراسة.

فرضيات الدراسة:

سوف تقوم الدراسة على اختبار الفرضيات التالية:

1. **الفرضية الرئيسية الأولى:** يقدر أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية مستوى البنى التحتية لإدارة المعرفة في جامعاتهم في ضوء المضامين المقترحة(تحفيز المعرفة ،تهيئة تكنولوجيا المعرفة، و إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة ، خلق ثقافة المعرفة ، تهيئة قيادة المعرفة) بمستوى غير مقبول .

2. **الفرضية الرئيسية الثانية:** يقدر أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية مستوى الممارسة الفعَالة لعمليات إدارة المعرفة في جامعاتهم بمستوى غير مقبول.
3. **الفرضية الرئيسية الثالثة :** لا يوجد تأثير ذو معنوية إحصائية لمتغيرات النموذج المقترح البنى التحتية لإدارة المعرفة في الجامعات السعودية (تحفيز المعرفة ،تهيئة تكنولوجيا المعرفة، و إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة ، خلق ثقافة المعرفة ، تهيئة قيادة المعرفة) في مستوى الممارسة الفعَالة لعمليات إدارة المعرفة في الجامعات السعودية من وجهة نظر المبحوثين.

ثانياً: الإطار النظري والدراسات السابقة:

ماهية المعرفة:

إن مفهوم " المعرفة " هو مصطلح قديم وليس بالأمر الجديد، فالمعرفة رافقت الإنسان منذ تفتح وعيه وتطورت معه من مستوياتها البدائية مرافقة لعمق واتساع مداركه حتى وصلت إلى ما عليه الآن، إلا أن الجديد في هذا المفهوم هو حجم تأثيرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية وعلى نمو الإنسان، ومن المؤكد أن التقدم والتطور الهائل في تقنية المعلومات الذي يشهده القرن الحالي والذي يعتبر أكبر تغيير في الحياة البشرية جعل من المعرفة مؤثراً كبيراً في المجتمع الإنساني، بحيث أصبح عامل التطور في مجال المعرفة أكثر تأثيرا في الحياة من بين العوامل الأخرى المادية.

ورغم تزايد الاهتمام بمفهوم المعرفة إلا أنه لا يوجد تعريف محدد لها حيث توصف بأنها الناتج المباشر لفهم محتوى المعلومات مما يضيف لها قيمة يمكن أن تسهم في زيادة فعالية صنع القرارات. (Wen, 2009).

وهنالك اتجاهاً أخر في تعريف المعرفة من منظور اجتماعي ينظر إلى المعرفة على أنها ترتبط بالموقع والشخص والمحيط الذي يتعلم فيه لذا يزداد فهمها بوصفها بنية اجتماعية وليست نسخة مطابقة لشئ واقعي لذا تركز على أهمية المجتمع والقيم والآراء المشتركة واللغة والحوار (Wick, 2000: 252).

وهناك من يرى بأن المعرفة مزيج من المفاهيم والأفكار والقواعد والإجراءات التي تهدي الأفعال والقرارات .أي بمعنى آخر هي عبارة عن معلومات ممتزجة بالتجربة، والحقائق والأحكام والقيم التي يعمل بعضها مع بعض كتركيب فريد يسمح للأفراد والمنظمات بخلق أوضاع جديدة وإدارة التغيير (ياسين،2007 : ٢٥)

وأخيرا وبعد استعراض التعريفات السابقة لمفهوم المعرفة فإن الدراسة تنظر إلى مفهوم المعرفة على أنه رصيد متراكم من ثقافات الفرد من تفاعله من الأشياء من حوله والتي تتكون من كافة الاتجاهات والأفكار والخبرات والمعلومات والبيانات التي يحصل عليها من تلك الثقافات.

المفهوم الحديث لإدارة المعرفة :

تعد إدارة المعرفة توجها حديثا في علم الإدارة، بدأ الاهتمام به وتطويره في أواسط التسعينيات وقد اشتملت الأدبيات الواردة بشأنها العديد من التعريفات منها أنها أنظمة تكنولوجيا المعلومات التي تهتم بقواعد البيانات والمعلومات. (Bukowits , 2000 : 140)

كما أنها " إدارة نظامية Systematic وصريحة Explicit وواضحة للأنشطة والممارسات والسياسات والبرامج داخل المنظمة والتي ترتبط وتتعلق بالمعرفة (Allee,2000:1)

كما تعرف إدارة المعرفة على أنها تخطيط وتنظيم ورقابة وتنسيق وتوليف المعرفة، وكافة الأمور المتعلقة برأس المال الفكري والعمليات والقدرات والإمكانات الشخصية والتنظيمية؛ لتحقيق أكبر ما يمكن من التأثير الإيجابي في الميزة التنافسية التي تسعى إليها المنظمة، بالإضافة إلى العمل على إدامة المعرفة واستغلالها ونشرها واستثمارها، وتوفير التسهيلات اللازمة لها مثل أفراد المعرفة والحاسبات والشبكات وغيرها. (Wiig, 2002: 10).

كما يمكن تعريف إدارة المعرفة في المؤسسات التعليمية بأنها: "إطار أو طريقة تمكن الأفراد العاملين في المؤسسة التعليمية من تطوير مجموعة من الممارسات لجمع المعلومات ومشاركة ما يعرفونه؛ مما ينتج عنه سلوكيات أو تصرفات تؤدي إلى تحسين مستوى الخدمات والمنتجات التي تقدمها المؤسسة التعليمية"، ومن خلال هذا التعريف يتضح أن إدارة المعرفة تعمل على الربط بين ثلاثة مصادر(موارد) أساسية في المنظمة وهي: الأفراد، العمليات، والتقنيات، لتمكين المنظمة من استثمار ومشاركة المعلومات والمعرفة المتوافرة لديها بطريقة أكثر فعالية (Petrides& Nodine, 2003, 10).

ولغايات هذه الدراسة يمكن تعريف إدارة المعرفة على أنها مجموعة من العمليات والأنشطة التي تهدف إلى استثمار المعرفة بعد توليدها و تجميعها وتخزينها وتوزيعها وإتاحتها للمستفيدين.

عمليات إدارة المعرفة

إن عمليات إدارة المعرفة تعمل بشكل تتابعي وتتكامل فيما بينها، إذ تعتمد كل عملية على الأخرى وتتكامل معها وتدعمها، وقد ورد في الأدب النظري مجموعة من العمليات لإدارة المعرفة، وهذه العمليات هي:

1. عملية تشخيص المعرفة: يعد التشخيص من الأمور المهمة في برنامج إدارة المعرفة، وفي ضوء التشخيص يتم وضع سياسات وبرامج العمليات الأخرى. ويشير (الكبيسي ،2005) إلى أن عملية التشخيص أمر حتمي لأن الهدف منها هو اكتشاف معرفة المنظمة وتحديد الأشخاص الحاملين لها ومواقعهم، كذلك تحدد مكان هذه المعرفة في القواعد.
2. عملية تخطيط المعرفة: تتعلق برسم الخطط المختلفة ذات الارتباط بإدارة المعرفة، ودعم أهداف إدارة المعرفة والأنشطة الفردية وأنشطة المنظمة، والسعي إلى توفير القدرات والإمكانيات اللازمة لسير الأعمال بكفاءة وفاعلية، وتوفير الطاقم الخبيرة المتخصصة، وتحديد التسهيلات التكنولوجية اللازمة

3. عملية نشر المعرفة: عرفت الجمعية الأمريكية لعلم المعلومات نشر المعرفة بتعريفها الواسع بأنها تشمل العمليات الضرورية لإيصال المعلومات إلى مستخدميها (العلي وقنديلجي والعمري، 2006) ومصطلح نشر المعرفة هو مرادف لمصطلح نقل المعرفة ، كما أن عملية نقل المعرفة هي الخطوة الأولى في عملية التشارك في المعرفة، وتعني عملية نقل المعرفة إيصال المعرفة المناسبة إلى الشخص المناسب في الوقت المناسب وضمن الشكل المناسب وبالتكلفة المناسبة.
4. عملية توليد واكتساب المعرفة: يمكن توليد المعرفة من خلال عدد من العمليات التي تمتد بين تحدي الإبداع وبين البحث الجاد، كما أن الأفراد فقط هم الذين يولدون المعرفة ولا تستطيع المنظمة توليد المعرفة بدون الأفراد. (حجازي ،2005) وتركز عملية توليد المعرفة الضمنية على توسيع المعرفة التي يتم توليدها على يد الأفراد ومن ثم بلورتها على مستوى الجماعة من خلال الحوار، والمحادثة، والتشارك في الخبرة أو مجتمع الممارسة. ولتحقيق فاعلية توليد واكتساب المعرفة
5. عملية تخزين المعرفة: تشير عملية تخزين المعرفة إلى أهمية الذاكرة التنظيمية، فالمنظمات تواجه خطرا كبيرا نتيجة لفقدانها للكثير من المعرفة التي يحملها الأفراد الذين يغادرونها لسبب أو لآخر، وبات خزن المعرفة والاحتفاظ بها مهما جدا لا سيما للمنظمات التي تعاني من معدلات عالية لدوران العمل، والتي تعتمد على التوظيف والاستخدام بصيغة العقود المؤقتة والاستشارية لتوليد المعرفة فيها، لأن هؤلاء الأشخاص يأخذون معرفتهم الضمنية غير الموثقة معهم عندما يتركون المنظمة، أما الموثقة فتبقى مخزونة في قواعدها (الكبيسي،2005). ويتم خزن المعرفة من خلال أنواع متعددة من وحدات الخزن.
6. عملية توزيع المعرفة: إن توزيع المعرفة يشير إلى ضمان وصول المعرفة الملائمة للشخص الباحث عنها في الوقت الملائم، ووصولها إلى أكبر عدد ممكن من الأشخاص العاملين في المنظمة. وهناك عدة شروط لتوزيع المعرفة منها: وجود وسيلة لنقل المعرفة، وهذه الوسيلة قد تكون شخصا، وقد تكون شيئا آخر، وأن تكون هذه الوسيلة مدركة ومتفهمة تماما لهذه المعرفة وفحواها وقادرة أيضا على نقلها (توزيعها)، وأن يكون لدى هذه الوسيلة الحافز الكافي للقيام بذلك، إضافة إلى عدم وجود معوقات تحول دون هذا النقل المعرفي.
7. عملية تطبيق المعرفة:إن تطبيق المعرفة يعبر عن تحويل المعرفة إلى عمليات تنفيذية، ويجب توجيه المساهمة المعرفية مباشرة نحو تحسين أداء المنظمة في حالات صنع القرار والأداء الوظيفي، إذ أنه من الطبيعي أن تكون عملية تطبيق المعرفة مستندة إلى المعرفة المتاحة.
8. عملية استرجاع المعرفة :يشير استرجاع المعرفة إلى تلك العمليات التي تهدف إلى البحث والوصول إلى المعرفة بكل يسر وسهولة وبأقصر وقت بقصد استعادتها وتطبيقها في حل مشكلات العمل واستخدامها في تغيير أو تحسين عمليات الأعمال (الكبيسي،2005).

إن مدى الاستفادة من المعرفة الذي هو جوهر إدارة المعرفة يرتكز على القدرة على استرجاع ما هو معروف وما جرى تعلمه ووضعه في القواعد المعرفية.

9. المشاركة بالمعرفة: المشاركة بالمعرفة هي تلك العملية التي يجري من خلالها توصيل كل من المعرفة الضمنية والمعرفة الصريحة إلى الآخرين عن طريق الاتصالات (العلي وقنديلجي والعمري،2006). وتعني المشاركة بالمعرفة التحويل الفعال للمعرفة، أي أن باستطاعة مستلم المعرفة أن يفهمها بشكل كاف ويصبح قادرا على القيام بالفعل بموجبها، والمشاركة بالمعرفة من الممكن أن تأخذ مكانها من خلال الأفراد والمجموعات على حد سواء والوحدات الإدارية داخل المنظمات.
10. عملية متابعة المعرفة والرقابة عليها: تتعلق هذه العملية بالأنشطة ذات العلاقة بالسيطرة والرقابة على الجهود المرتبطة بإدارة المعرفة ودعم هذه الجهود وتوجيهها بالاتجاه الذي يعظم دور إدارة المعرفة وتأثيره في الأداء، وتتحدد أنشطة هذا المحور في ضوء رؤية المنظمة وأهدافها، وحتى تحقق المنظمة النجاح المطلوب فإنه ينبغي أن تتبنى مدخلا شاملا متكاملا في إدارة المعرفة (أبو فارة،2006).

العوامل المساعدة في تطبيق إدارة المعرفة:

تناولت العديد من الدراسات البحث في العوامل المساعدة في تطبيقات إدارة المعرفة في المنظمات على اختلاف أنواعها وكان من أولى هذه الدراسات دراسة (pentland , 1995) حيث اعتبر أن التفاعل الاجتماعي من أكثر العوامل الممكنة لإدارة المعرفة فقد بينت الدراسة أن المعرفة عبارة عن مجموعة من الممارسات المستمرة ضمن الهياكل الاجتماعية والمادية للمنظمة.

وبينت دراسة (Anderson and Apqc, 1996) أن الثقافة التنظيمية ، تكنولوجيا المعلومات ، الإستراتيجية، عمليات إدارة المعرفة ، والقيادة، والتعليم من العوامل المساعدة في تطبيقات إدارة المعرفة.

ومن الدراسات الحديثة التي تناولت العوامل المساعدة في تطبيق إدارة المعرفة دراسة (Lee and Lee,2007) حيث أشارت إلى أن طريقة عمل الأفراد في مكان العمل، اللامركزية في الهيكل التنظيمي، الثقافة والتعلم، وتكنولوجيا المعلومات هي من أهم العوامل المحفزة لتطبيقات إدارة المعرفة.

وأخيراً توصلت دراسة (Nixon et al ,2008) أن العوامل التالية من العوامل المؤثرة في نجاح تطبيقات إدارة المعرفة : الثقافة، التعلم، التدريب، دعم الإدارة العليا، إستراتيجية الأعمال، تكنولوجيا المعلومات.

العوامل المؤثرة في عمليات إدارة المعرفة:

من المفترض أن نجد الكثير من العوامل المؤثرة في تطبيق عمليات إدارة المعرفة حيث تناولت العديد من الدراسات البحث في العلاقة بين العوامل الممكنة لإدارة المعرفة وعمليات إدارة المعرفة وتوصلت إلى نتائج في هذا المجال وسوف نتناول هنا أهم هذه الدراسات:

في دراسة (Szulanski ,1996) تم التوصل إلى وجود علاقة معنوية بين خصائص المعرفة المنقولة، وخصائص المصدر، خصائص المتلقي، والسياق الذي تنقل فيه المعرفة وبين عملية نقل المعرفة وتبادلها داخل المنظمة .

في دراسة (Duffy,2000) تم التوصل إلى تأثير العوامل التالية : الإستراتيجية ، الأفراد، العملية أو المهمة، التقنية في عمليات إدارة المعرفة : خلق المعرفة ، اكتساب المعرفة ، توليد المعرفة ، تطبيق المعرفة، توزيع المعرفة ، تقاسم المعرفة.

توصلت دراسة (Lee and Kim, 2001) إلى وجود علاقة معنوية بين عوامل المناخ التنظيمي،المكافئات، جودة خدمات تكنولوجيا المعلومات ، الدعم الإداري وبين عملية المشاركة بالمعرفة في المنظمات.

وفي حال غير متوقع توصلت دراسة (Bock and Kim, 2002) من خلال دراسة العوامل المؤثرة في سلوك الأفراد نحو المشاركة في المعرفة بالاعتماد على نظرية الحدث المسبب (reasoned action) إلى أن المكافئات المتوقعة ودعم تكنولوجيا المعلومات تقلل من اتجاهات الأفراد نحو المشاركة بالمعرفة بينما توصلت إلى تأثير معنوي للترابط المتوقع والمساهمة المتوقعة في المشاركة بالمعرفة في سلوك الأفراد نحو المشاركة بالمعرفة

وحديثا توصلت دراسة (Lee and Lee,2007) إلى وجود أثر ايجابي للعوامل : الأفراد،الهيكل التنظيمي،الثقافة والتعليم، تكنولوجيا المعلومات ، في عمليات إدارة المعرفة : خلق، اكتساب، توليد، خزن، تطبيق، توزيع، وتقاسم المعرفة .

وكذلك في البيئة العربية توصلت دراسة (دروزة، 2008) إلى وجود علاقة قوية بين متطلبات إدارة المعرفة : الاحتياجات المعرفية،الوعي ، الالتزام المعرفي، الاتصالات الداخلية والخارجية، وبين عمليات إدارة المعرفة : تشخيص المعرفة ، توليد المعرفة، خزن المعرفة،توزيع المعرفة، تطبيق المعرفة.

الدراسات السابقة:

دراسة (الوذيناني، 2007) هدفت الدراسة إلى التعرف على عمليات إدارة المعرفة التي تساهم في تحقيق نموذج الجامعة المنتجة في الجامعات السعودية، بالإضافة إلى إلقاء الضوء على المعوقات التي تحول دون تطبيق إدارة المعرفة في الجامعات السعودية.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان من أهمها أن عمليات إدارة المعرفة تسهم وبدرجة كبيرة جدا في تحقيق نموذج الجامعة المنتجة في الجامعات السعودية، كما توصلت الدراسة إلى وجود بعض المعوقات التي تحول دون تطبيق إدارة المعرفة في الجامعات السعودية وبدرجة كبيرة وعلى رأسا المعوقات المتعلقة بتكنولوجيا المعلومات.

دراسة (Cheng M. Y, HO, J.S.Y and Lau P.M ,2009) هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على سلوك الأكاديميين في الجامعات الخاصة في ماليزيا في تبادل المعرفة والعوامل التي يمكن أن تؤثر فيها ، حيث تم فحص تأثير العوامل التنظيمية والفردية والتكنولوجية على المشاركة في المعرفة .

وانطلقت الدراسة من فكرة أن المشاركة في المعرفة من المفترض أن تكون النشاط الطبيعي للمؤسسات الأكاديمية وترى الدراسة أن تبادل المعرفة هو احد السبل الرئيسية لاكتساب المعرفة وتطبيقها

بسرعة، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أهمها أن نظم الحوافز والفوائد المتوقعة من تبادل المعرفة من العوامل الرئيسية المؤثرة في تبادل المعرفة بين الأكاديميين.

دراسة (Aidemark, J,2009) هدفت الدراسة إلى التعرف على الفجوة بين النظرية والتطبيق في إدارة المعرفة ، وصياغة إطار متكامل لحل المشاكل التي أدت إلى هذه الفجوة وذلك من خلال دراسة عدد من النظريات الأساسية المتعلقة في إدارة المعرفة والتي تكشف عن الطبيعة المعقدة لإدارة المعرفة في المنظمات .

وقد تم دراسة تلك النظريات والكشف عن التناقضات التي تكمن فيها مما يعني أن الفجوة بين النظرية والتطبيق هي فجوة ذاتية تعود إلى التناقض بين النظريات الأساسية لإدارة المعرفة، وقد ركزت الدراسة على بعض الجوانب الأساسية لإدارة المعرفة وهي: المعرفة بوصفها المورد الرئيسي للأعمال، المعرفة كقوة تنافسية ومصدر للنمو، طبيعة إدارة المعرفة والموارد، وعمال إدارة المعرفة

تم دراسة التناقضات بين هذه الجوانب الرئيسية ومحاولة وضع إطار استراتيجي لإدارة المعرفة من خلال التركيز على تكنولوجيا المعلومات لتحقيق مختلف الخيارات الإستراتيجية الممكنة وإزالة كافة التناقضات في نظريات إدارة المعرفة.

دراسة (Cranfield , D, J, and Taylor , J, 2008) هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على ممارسات وتصورات مؤسسات التعليم العالي في المملكة المتحدة لإدارة المعرفة والتعرف على التحديات التي تواجهها، حيث تم دراسة حالة سبع من مؤسسات التعليم العالي داخل المملكة المتحدة وتم استخدام عدد من الركائز الأساسية للتعليم في المؤسسات وهي القيادة والتنظيم، والتكنولوجيا، والتعليم.

وتوصلت الدراسة إلى أن مؤسسات التعليم العالي في المملكة المتحدة معقدة جدا وذات تاريخ وثقافة وخلفيات مختلفة ومتنوعة فمنها ما يهدف إلى دخول اقتصاد المعرفة من خلال توفير جودة التدريب والنشاط والبحث ، وكذلك ضمان إدارة فعالة وكفؤة في ظل التنافسية المتزايدة في السوق على الرغم من أنها منظمات لا تهدف إلى الربح ، وحيث أن البيئة الخارجية لمؤسسات التعليم العالي تعيش مرحلة تغيير متسارعة مما دفع تلك المؤسسات إلى التكيف مع التغيرات المتسارعة في البيئة المحيطة والتي تؤثر عليها.

وتوصلت الدراسة إلى ضرورة التركيز على إدارة المعرفة والعوامل المؤثرة فيها ومن أهمها التركيز على خصائص الجامعات والأكاديميين والتي تؤثر في تطور إدارة المعرفة فقد تعرقل نشاطاتها أو تعززها، وكذلك تصورات الإدارة نحو إدارة المعرفة وتنفيذها ضمن قطاع التعليم العالي.

دراسة (Kharabsheh, R. A,2007) هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على تأثير بعض العوامل التي تسبق عملية المشاركة بالمعرفة ، واعتمد الباحث في تحديد هذه العوامل على الدراسات السابقة في هذا المجال فقد تم فحص تأثير الأبعاد الاجتماعية والتنظيمية والتكنولوجية في المنظمة على عملية المشاركة بالمعرفة وتبادلها بين أعضاء التنظيم.

وتوصلت الدراسة إلى أن أهم العوامل المؤثرة هي:

1- قيمة المعرفة التي بحوزة أعضاء التنظيم وأهمية التعليم بالنسبة لهم .

2- التوجه نحو السوق من خلال التركيز على العملاء وتعزيز المنافسة .

3- استعداد المنظمة للتعرف وأهمية المعلومات الخارجية وقيمتها بالنسبة للمنظمة واستيعابها وتطبيقها لأغراض تجارية .

4- التركيز على البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات.

5- التركيز على نظام الحوافز الذي يعزز تبادل المعرفة والمشاركة فيها بين أعضاء التنظيم.

6- التفاعل الاجتماعي بين الأعضاء والذي يعزز الثقة بينهم ويدعم عملية المشاركة في المعرفة.

دراسة (Basu ,B, and Sengupta ,K , 2007) هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على عوامل النجاح في تطبيق إدارة المعرفة في كلية إدارة الأعمال ، وتتبع أهمية هذه الدراسة من أهمية التركيز على نجاح مبادرات إدارة المعرفة نتيجة لتكلفتها العالية وأنها محفوفة بالمخاطر، كما أنها احد الاستراتيجيات الرئيسية التي تحقق الاستدامة للمنظمات على المدى الطويل، لذلك سعت هذه الدراسة إلى وضع إطار للعوامل التي تجعل المؤسسات التعليمية من المنظمات القائمة على المعرفة.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها أهمية العوامل التالية في نجاح تطبيقات إدارة المعرفة في الكلية: البنية التحتية، الثقافة التنظيمية، الدوافع والحوافز، موقف الإدارة العليا.

بالإضافة إلى دور إدارة المعرفة في تحقيق النجاح للمنظمة حيث تم قياس النجاح من خلال بعض المؤشرات وهي: عدد الطلبة المنتسبين، معدل الاستنزاف في أعضاء هيئة التدريس، عدد المنشورات التي تصدر باسم الكلية، وقد كشفت الدراسة عن فعالية متطلبات إدارة المعرفة في تعزيز هذه المؤشرات.

ثالثاً : المنهجية والإجراءات:

لغايات تحقيق الأهداف المرجوة من الدراسة تبنت الدراسة منهجية البحث الوصفي، والميداني التحليلي، فعلى صعيد البحث الوصفي، تمّ إجراء المسح المكتبي والإطلاع على الدراسات والبحوث النظرية والميدانية في مجال إدارة المعرفة، لأجل بلورة الأسس والمنطلقات التي يقوم عليها الإطار النظري حيث تم توضيح مفهوم المعرفة ومفهوم إدارة المعرفة وماهيتها وأهمية توظيف إدارة المعرفة في المنظمات. وكذلك توضيح أهم عمليات إدارة المعرفة والممارسات التي تؤدي إلى تفعليها، والوقوف عند أهم الدراسات السابقة، التي تشكّل رافداً حيوياً في الدراسة وما تتضمنه من محاور معرفية. أما على صعيد البحث الميداني التحليلي، فقد تم إجراء المسح الاستطلاعي لعينة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية والطلب منهم الإجابة على فقرات الاستبانة المصممة لهذه الدراسة ومن ثم تحليل البيانات المتجمعة من خلال الاستبيانات بالطرق الإحصائية المناسبة باستخدام برمجية الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS).

وبعد تحليل البيانات واستخلاص النتائج الأولية تم اختبار فرضيات الدراسة بالطرق الإحصائية المناسبة واستخلاص النتائج.

مجتمع الدراسة وعينتها:

يتكون مجتمع الدراسة من كافة أعضاء هيئة التدريس العاملين في الجامعات السعودية الحكومية المنتشرة في المناطق الرئيسية للمملكة والتي مضى على إنشائها أكثر من 5 سنوات حيث تم تحديد هذه الفترة لاعتبارات تتعلق بمنح الجامعة فرصة لتطبيق إدارة المعرفة وهي (جامعة الملك سعود، جامعة الامام محمد بن سعود ، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، جامعة الملك فيصل، جامعة طيبة، الجامعة الإسلامية، جامعة تبوك، جامعة الملك عبدالعزيز، جامعة أم القرى، جامعة الطائف، جامعة الباحة، جامعة نجران، جامعة أبها، جامعة جيزان، جامعة الملك خالد).

أما عينة الدراسة فقد تم اختيار عينة عشوائية طبقية تشمل كافة الجامعات ثم الكليات ثم التخصصات التي تحويها حيث تم إرسال الاستبانه الإحصائية لأعضاء هيئة التدريس المتوفرة بياناتهم على الموقع الإلكتروني للجامعة من خلال البريد الإلكتروني وبلغ عدد الاستبيانات المرسلة (820) استبانه، استرجع منها (338) استبانه وكانت جميعها صالحة للتحليل.

خصائص عينة الدراسة :

الجدول التالي يبين توزيع أفراد العينة حسب المتغيرات الشخصية والوظيفية، حيث تشير النتائج إلى أن غالبية العينة من الكليات الانسانية بنسبة 53,3% ، كما أن متغير الخبرة دلّ على أن معظم أفراد العينة هم من ذوي الخبرة التي تتراوح ما بين (6–10) سنوات وهي الشريحة التي تكثر بين أعضاء هيئة التدريس في الجامعات ومعظمهم مازالوا ضمن فئة أستاذ مساعد.

جدول رقم (1)

التكرارات والنسب المئوية لعينة الدراسة حسب المتغيرات الشخصية والوظيفية

الرقم	المتغير	الفئات	التكرار	النسبة المئوية%
.1	الكلية	الكليات الإنسانية	180	53.3
		الكليات العلمية	158	46.7
.2	الخبرة الأكاديمية	5 سنوات فأقل	56	16.6
		6–10	168	49.7
		11–15	69	20.4
		أكثر من 15 سنة	45	13.3
.3	الرتبة الأكاديمية	محاضر	41	12.1
		أستاذ مساعد	196	58.0
		أستاذ مشارك	80	23.7
		أستاذ	21	6.2
.4	المقدرة على استخدام	عالية	171	50.6

الرقم	المتغير	الفئات	التكرار	النسبة المئوية%
	الإنترنت	متوسطة	58	17.2
		منخفضة	100	29.6
		منعدمة	9	2.7

أداة الدراسة :-

اعتمدت الدراسة على الاستبيان بهدف جمع البيانات حيث تم تصميم استبانه لخدمة أغراض الدراسة تتكون من أربعة أجزاء على النحو التالي:

الجزء الأول: يتضمن البيانات التعريفية لأفراد العينة ويتضمن هذا الجزء الخصائص الشخصية والوظيفية للمبحوثين.

الجزء الثاني: يتكون من مجموعة من الفقرات التي تقيس البنى التحتية لإدارة المعرفة في ضوء النموذج المقترح (المتغيرات المستقلة) وذلك على مقياس ليكرت الخماسي المتدرج من (5-1). على النحو التالي:

1- تحفيز المعرفة: تم قياسهما بالفقرات (1-5).

2- تهيئة تكنولوجيا المعرفة: تم قياسها بالفقرات (6-10).

3- إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة: تم قياسها بالفقرات (11-15)

4- خلق ثقافة المعرفة: تم قياسها بالفقرات (16-20)

5- تهيئة قيادة المعرفة: تم قياسها بالفقرات (21-25)

الجزء الثالث: يتضمن مجموعة من الفقرات التي تقيس مستوى الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة في الجامعات(المتغير التابع) من وجهة نظر المبحوثين وذلك على مقياس ليكرت الخماسي المتدرج من (5-1) .حيث تم قياسه بالفقرات (26-31)

وقد تم تحديد أوزان فقرات الاستبانة ضمن مقياس ليكرت للخيارات المتعددة الذي يحتسب أوزان تلك الفقرات بطريقة خماسية على النحو التالي:الخيار (ينطبق دائماً) يمثل (5) درجات، الخيار (ينطبق غالباً) يمثل (4) درجات، الخيار (ينطبق أحياناً) يمثل (3) درجات، الخيار (ينطبق نادراً) يمثل (2) درجة، والخيار (لا ينطبق إطلاقا) يمثل (1) درجة.

صدق أداة الدراسة وثباتها:

تم إجراء صدق تحكيمي للاستبانة (الصدق الظاهري) (Face Validity) للتأكد من أن فقرات الاستبانة تقيس بالفعل متغيرات الدراسة التي حددت لقياسها في أثناء مراحل بناء الاستبانة حيث تم عرض الاستبانة على عدد من الأساتذة المحكمين لإبداء رأيهم فيها، بالإضافة إلى توزيع الاستبانة على عينة

تجريبية من أعضاء هيئة التدريس بلغ حجمها (25) فردا للتعرف على مدى وضوح وسهولة الألفاظ المستخدمة ومدى فهمهم للمفاهيم الواردة في هذه الاستبانة ومن ثم القيام بالتعديلات الضرورية .

كما تم استخدام معامل الاتساق الداخلي كرومباخ ألفا (Cronbach Alpha) بهدف التأكد من مدى اتساق أداة القياس وكانت النتائج المعالجة بالحاسوب كما في الجدول رقم (2)، حيث تشير النتائج إلى أن معامل الثبات لجميع الأبعاد لا يقل عن (0.60)، كما أن معامل الثبات لجميع فقرات الاستبانة بلغ (0.75) وهذا يعني أن أداة الدراسة تتسم بالثبات وصالحة لأغراض التحليل الإحصائي والبحث العلمي (Sekran,2006).

جدول رقم(2)

نتائج كرومباخ –ألفا لمتغيرات الدراسة

التسلسل	المتغير	عدد الفقرات	قيمة ألفا
1	تحفيز المعرفة	5	0.765
2	تهيئة تكنولوجيا المعرفة	5	0.66
3	إدارة الاتجاهات الفردية	5	0.75
4	خلق ثقافة المعرفة	5	0.867
5	تهيئة قيادة المعرفة	5	0.82
6	عمليات إدارة المعرفة	6	0.75
7	الاستبانة ككل	31	0.75

متغيرات الدراسة والتعريفات الإجرائية:

تقوم الدراسة باختيار صحة نموذج مقترح لتفعيل التطبيقات الناجحة لإدارة المعرفة من خلال المزج بين عدد من المتغيرات واختبار العلاقة بينها وتقسم هذه المتغيرات الى متغيرات مستقلة ومتغيرات تابعة على النحو التالي:

- **المتغيرات المستقلة:**

1- **تحفيز المعرفة** : إيجاد نظام حوافز يدعم صنّاع المعرفة ويستقطبهم نحو الجامعة ويعزز من ممارسة نشاط التشارك المعرفي بين الأعضاء بالإضافة إلى دعم عملية التعلم التعاوني داخل الجامعة.

2- **تهيئة تكنولوجيا المعرفة** : توفير أدوات تكنولوجيا المعلومات الداعمة للمعرفة مثل الشبكات المحلية (LAN)، الانترنت والبريد الالكتروني ،نظم معلومات المعرفة مثل النظم الخبيرة ونظم الاجتماعات الإلكترونية ، قواعد البيانات العلمية والاستفادة منها في دعم القرارات وتنمية المعرفة وإنتاجها وتوزيعها.

3- **إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة :** بحيث يتم وبشكل منظم قياس اتجاهات الأعضاء نحو المعرفة وعملياتها المختلفة وإدارة هذه الاتجاهات بالشكل الذي يمكن من التأثير عليها ايجابياً وتوجيهها نحو دعم عمليات إدارة المعرفة.

4- **خلق ثقافة المعرفة:** السعي الجاد من قبل الجامعة نحو بناء الاستعداد نحو اكتساب المعرفة واستثمارها في الجامعة من قبل أعضاء هيئة التدريس .

5- **تهيئة قيادة المعرفة :** إنشاء إدارة مختصة تتولى عملية الإشراف على نشاط المعرفة في الجامعة وتسهيل الاتصال بين الأعضاء لتحقيق التشارك بالمعرفة فيما بينهم ، بالإضافة إلى امتلاك رؤى واضحة وأهداف محددة تعكس حاجة الجامعة للمعرفة والسعي لامتلاك ثقافة المعرفة ونشرها داخل الجامعة.

- **المتغير التابع:**

التطبيق الناجح لعمليات إدارة المعرفة: اتخاذ كافة الإجراءات التي من شأنها توليد المعرفة الجديدة واكتسابها من مصادر متعددة وتوزيعها وتبادلها بين الأفراد واستثمارها بالشكل الذي ينعكس إيجابا على الأداء المؤسسي.

الدراسة الميدانية

تعتمد الدراسة الميدانية على تحليل البيانات التي تم جمعها من عينة الدراسة بواسطة الاستبانة المعدة لهذه الغاية حيث تم توزيع (820) استبانه على أفراد عينة الدراسة بلغ ما أعيد للباحث منها (338) استبانه وجميعها صالحة للتحليل الإحصائي، وتشمل الدراسة الميدانية تحليل بيانات إجابات الأفراد حول فقرات الدراسة، اختبار الفرضيات.

نتائج التحليل الإحصائي للبيانات

فيما يلي عرض لنتائج التحليل الإحصائي الوصفي للبيانات ، وهي قيمة المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية الترتيبية لجميع متغيرات الدراسة، والفقرات المكونة لكل متغير ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن تدرج المقياس المستخدم في الدراسة كان (لا ينطبق إطلاقا) أعطيت درجة واحدة (1)، (ينطبق نادرا) أعطيت درجتان (2) ،(ينطبق أحيانا) أعطيت (3) درجات ، (ينطبق غالبا) أعطيت (4) درجات ، و(ينطبق دائما) أعطيت (5) درجات.

واستناداً إلى ذلك فإن قيم المتوسطات الحسابية التي وصلت إليها الدراسة، سيتم التعامل معها لتفسير البيانات على النحو التالي : 3.5 فما فوق يمثل مستوى مرتفعاً، 2.5-3.49 يمثل مستوى متوسطاً ، أقل من 2.5 يمثل مستوى منخفضاً.

وكانت نتائج التحليل على النحو التالي:

1- تقدير أفراد العينة لمتغير تحفيز المعرفة:

جدول رقم(3)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقدير أفراد العينة لمتغير تحفيز المعرفة

تحفيز المعرفة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى التقدير
توفر الجامعة مناخاً تنظيميا ملائما يدعم المواصلة المعرفية لدى الأعضاء	3.21	1.23	متوسط
تشجع الجامعة ماديا ومعنويا على التميز والإبداع والابتكار.	3.34	1.19	متوسط
تهتم الجامعة باقتراحات الأعضاء بخصوص إنتاج المعرفة وتقاسمها	3.28	1.26	متوسط
تدعم الجامعة مشاركة الأعضاء في المؤتمرات والندوات العلمية.	3.50	1.24	مرتفع
تقدم الجامعة الحوافز المادية والمعنوية بهدف دعم نشاطات التشارك المعرفي.	3.31	1.23	متوسط
الفقرات مجتمعة	3.33	.88	متوسط

يتبين من الجدول رقم (3) أن المتوسط العام لتقدير أفراد العينة لمتغير تحفيز المعرفة كان متوسطاً ، فقد كانت معظم إجابات المبحوثين حول الفقرات المتعلقة بهذا البعد ضمن الموافقة أي أن الجامعات توفر نظام حوافز يدعم عمليات إدارة المعرفة لدى الأعضاء.

وهذا يعود إلى الاهتمام الكبير الذي توليه الجامعات السعودية للمعرفة وصناع المعرفة والتركيز على الاستثمار بالمعرفة خاصة في الآونة الأخيرة حيث تم إنشاء وكالة تعنى بالبحث العلمي والنشر المعرفي في معظم الجامعات السعودية .

2- تقدير أفراد العينة لمتغير تهيئة تكنولوجيا المعرفة:

جدول رقم(4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقدير أفراد العينة لمتغير تهيئة تكنولوجيا المعرفة

تهيئة تكنولوجيا المعرفة	**المتوسط الحسابي**	**الانحراف المعياري**	**مستوى التقدير**
تقدم تكنولوجيا المعلومات المتوفرة مثل (أجهزة الحاسوب ،الشبكات المحلية، الانترنت، قواعد البيانات العلمية،تقنية الاجتماعات الإلكترونية ...الخ) الدعم لتوليد المعرفة الجديدة.	3.38	1.34	متوسط
تقدم تكنولوجيا المعلومات المتوفرة مثل (أجهزة الحاسوب ،الشبكات المحلية،	3.66	1.10	مرتفع

الانترنت، قواعد البيانات العلمية،تقنية الاجتماعات الإلكترونية ...الخ) الدعم لتحقيق التشارك بالمعرفة.			
تقدم تكنولوجيا المعلومات المتوفرة مثل (أجهزة الحاسوب ،الشبكات المحلية، الانترنت، قواعد البيانات العلمية،تقنية الاجتماعات الإلكترونية ...الخ) الدعم للوصول إلى مصادر المعرفة وتوزيعها.	3.44	1.13	متوسط
تقدم تكنولوجيا المعلومات المتوفرة مثل (أجهزة الحاسوب ،الشبكات المحلية، الانترنت، قواعد البيانات العلمية،تقنية الاجتماعات الإلكترونية ...الخ) الدعم لاكتساب المعرفة واستثمارها .	3.28	1.32	متوسط
تقدم تكنولوجيا المعلومات المتوفرة مثل (أجهزة الحاسوب ،الشبكات المحلية، الانترنت، قواعد البيانات العلمية،تقنية الاجتماعات الإلكترونية ...الخ) الدعم للوصول إلى مصادر المعرفة وتوزيعها.	3.51	1.19	مرتفع
الفقرات مجتمعة	3.45	.80	متوسط

يتبين من الجدول رقم (4) أن المتوسط العام لتقدير أفراد العينة لمتغير تهيئة تكنولوجيا المعرفة كان متوسطاً فقد كانت معظم إجابات المبحوثين حول الفقرات المتعلقة بهذا البعد ضمن الموافقة أي أنه يتوفر مستوى معقول من التكنولوجيا الداعمة لعمليات إدارة المعرفة في الجامعات.

3- تقدير أفراد العينة لمتغير إدارة الاتجاهات الفردية نحو إدارة المعرفة:

جدول رقم(5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقدير أفراد العينة لمتغير إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة

إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة	**المتوسط الحسابي**	**الانحراف المعياري**	**مستوى التقدير**
يتم إجراء الدراسات للكشف عن اتجاهات الأعضاء نحو إدارة المعرفة	3.03	1.28	متوسط
يتم عقد الندوات وورش العمل لتعريف الأعضاء بكيفية الاستفادة من مصادر المعرفة وتوزيعها	3.17	1.19	متوسط
يتم تطبيق إستراتيجية للتأثير في سلوك الأعضاء نحو التشارك بالمعرفة	3.09	1.31	متوسط
يتم قياس اتجاهات الأفراد نحو توليد المعرفة واكتسابها	3.65	1.17	مرتفع
يتم دراسة رغبات الأفراد وتفضيلاتهم بخصوص التفاعل مع المعرفة المكتسبة واستثمارها.	3.53	1.03	مرتفع
الفقرات مجتمعة	3.29	.85	متوسط

يتبين من الجدول رقم (5) أن المتوسط العام لتقدير أفراد العينة لمتغير إدارة الاتجاهات الفردية نحو إدارة المعرفة كان متوسطاً حيث كانت إجابات المبحوثين حول الفقرات المتعلقة بهذا البعد ضمن الموافقة.

4- تقدير أفراد العينة لمتغير خلق ثقافة المعرفة:

جدول رقم(6)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقدير أفراد العينة لمتغير خلق ثقافة المعرفة

خلق ثقافة المعرفة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى التقدير
تعمل الجامعة على تقليل حالات المنافسة بين الأعضاء التي تحول دون التشارك بالمعرفة فيما بينهم.	3.74	1.17	مرتفع
تعمل الجامعة على الحد من مقاومة الأعضاء لاستخدام معرفة غيرهم من الزملاء	3.43	1.32	متوسط
تهتم الجامعة بإقناع الأعضاء باستغلال أوقاتهم في إدارة المعرفة	3.73	1.26	مرتفع
تهتم الجامعة بإقناع الأعضاء بفوائد الاستثمار في إدارة المعرفة	4.20	1.11	مرتفع
تهتم الجامعة بتدريب الأعضاء ومنحهم فرص التعلم لإنتاج المعرفة واستثمارها	4.00	1.26	مرتفع
الفقرات مجتمعة	3.82	.99	مرتفع

وبالنظر إلى النتائج الواردة في الجدول رقم(6) نجد أن الأفراد يقدرون سعي الجامعات نحو خلق ثقافة المعرفة لدى أعضائها بمستوى مرتفع ، حيث أن جميع الفقرات جاءت ضمن الموافقة ، وهذا يعود إلى تبني إستراتيجية الجامعات السعودية التي تضمنت بعداً رئيسيا نحو خلق ثقافة المعرفة لدى الأعضاء.

5- تقدير أفراد العينة لمتغير تهيئة قيادة المعرفة:

جدول رقم(7)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقدير أفراد العينة لمتغير تهيئة قيادة المعرفة

تهيئة قيادة المعرفة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى التقدير
يتوفر لدى الجامعة إدارة متخصصة تعنى بنشاطات إدارة المعرفة من تخطيط وتنظيم ورقابة وتوجيه واتخاذ قرارات	3.31	1.193	متوسط
تستعين الجامعة بمستشارين متخصصين في إدارة المعرفة	3.47	1.168	متوسط
يتوفر لدى الجامعة خبراء معرفة مؤهلون ينشئون قاعدة المعرفة ويشرفون عليها	3.60	1.266	مرتفع
تهتم إدارة المعرفة في الجامعة بتطوير نفسها وتطوير طاقمها	3.62	1.284	مرتفع
يعمل مختصو المعرفة في الجامعة على تحديث المعلومات باستمرار	3.10	1.371	متوسط

الفقرات مجتمعة	3.42	.9619	متوسط

بالنظر إلى النتائج الواردة في الجدول رقم(7) نجد أن إجابات المبحوثين حول الفقرات المتعلقة بمتغير تهيئة قيادة المعرفة في الجامعة جاءت ضمن الموافقة المتوسطة مما يشير إلى توفر قيادة للمعرفة تمارس نشاطات المعرفة في الجامعات المبحوثة.

المتغير التابع (عمليات إدارة المعرفة) :

جدول رقم(8)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقدير أفراد العينة لمتغير عمليات إدارة المعرفة

عمليات إدارة المعرفة	**المتوسط الحسابي**	**الانحراف المعياري**	**مستوى التقدير**
تؤكد الجامعة على اكتساب المعرفة و توليد المعرفة الجديدة	2.99	1.27	متوسط
تؤكد الجامعة على الوصول إلى المعرفة المفيدة من المصادر الخارجية والداخلية	3.00	1.21	متوسط
تعمل الجامعة على تسهيل نمو المعرفة من خلال الثقافة والحوافز	3.07	1.35	متوسط
تعمل الجامعة على إعادة تقديم المعرفة (توزيع) في الوثائق والندوات وقواعد البيانات والبرمجيات.	3.39	1.34	متوسط
يتم استخدام المعرفة وتطبيقها في عمليات صنع القرار	3.28	1.38	متوسط
يتم نقل المعرفة الموجودة في الأقسام والكليات والإدارات الأخرى في الجامعة	3.47	1.16	متوسط
الفقرات مجتمعة	3.20	.85	متوسط

وبالنظر إلى النتائج الواردة في الجدول رقم(8) نجد أنه يتوفر مستوى متوسط من عمليات إدارة المعرفة كما يرى المبحوثين .

نلاحظ من النتائج السابقة أن جميع تقديرات أفراد العينة لمتغيرات الدراسة المستقلة والمتغير التابع جاءت ضمن الموافقة وبالتقدير بين المرتفع والمتوسط وهذا يعني أن الجامعات السعودية المبحوثة تمتلك إستراتيجية لتطبيق إدارة المعرفة الفعالة ولكنها مازالت في بداياتها حيث لم تكتمل الصورة حول إمكانية تطبيق إدارة المعرفة الناجحة بشكل مرتفع التقدير.

اختبار الفرضيات:

الفرضية الرئيسية الأولى :

يقدر أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية مستوى البنى التحتية لإدارة المعرفة في جامعاتهم في ضوء المضامين المقترحة(تحفيز المعرفة ،تهيئة تكنولوجيا المعرفة، و إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة ، خلق ثقافة المعرفة ، تهيئة قيادة المعرفة) بمستوى غير مقبول.

لاختبار هذه الفرضية فإننا سوف نستخرج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لتقدير الأفراد للمتغيرات السابقة ثم نقوم باستخدام اختبار (T) للعينة الواحدة وذلك لاختبار مدى معنوية الفرق بين المتوسط الحقيقي للمتغير والمتوسط الفرضي (3) والجدول التالي يبين النتائج:

جدول رقم (9)

الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبار (ت) لعينة واحدة لتقدير الأفراد للبنية التحتية لإدارة المعرفة في الجامعات السعودية

المتغير	Test Value = 3					
	t	df	Sig. (2-tailed)	Mean Difference	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
تحفيز المعرفة	6.802	337	.000	.32840	3.33	.88
تهيئة تكنولوجيا المعرفة	10.493	337	.000	.45444	3.45	.79
إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة	6.281	337	.000	.29231	3.29	.85
خلق ثقافة المعرفة	15.18	337	.000	.82130	3.82	.99
تهيئة قيادة المعرفة	8.052	337	.000	.42130	3.42	.96

نلاحظ من النتائج الواردة في الجدول السابق وجود فرقاً معنوياً بين المتوسط الحقيقي لمتغيرات البنية التحتية لإدارة المعرفة والمتوسط الافتراضي (3) ، حيث أن قيمة (sig) أقل من (0.05) وأن هذا الفرق ايجابيا أي أن الأفراد يقدرون متغيرات البنية التحتية لإدارة المعرفة بمستوى مقبول، وهذا يعني رفض الفرضية العدمية وقبول الفرضية البديلة التي تفترض أن الأفراد يقدرون متغيرات البنية التحتية لإدارة المعرفة بمستوى مقبول .

الفرضية الرئيسية الثانية:

يقدر أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية مستوى الممارسة الفعَالة لعمليات إدارة المعرفة في جامعاتهم بمستوى غير مقبول.

لاختبار هذه الفرضية فإننا سوف نستخرج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لتقدير الأفراد للمتغير التابع (الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة) ثم نقوم باستخدام اختبار (T) للعينة الواحدة وذلك لاختبار مدى معنوية الفرق بين المتوسط الحقيقي للمتغير والمتوسط الفرضي (3) والجدول التالي يبين النتائج:

جدول رقم (10)

الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبار (ت) لعينة واحدة لتقدير الأفراد لمستوى الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة في الجامعات السعودية

المتغير	Test Value = 3					
	t	df	Sig. (2-tailed)	Mean Difference	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
عمليات إدارة المعرفة	4.352	337	.000	.20316	3.20	.85

نلاحظ من النتائج الواردة في الجدول السابق وجود فرقاً معنوياً بين المتوسط الحقيقي لمتغير الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة والمتوسط الافتراضي (3) ، حيث أن قيمة (sig) أقل من (0.05) وأن هذا الفرق ايجابيا أي أن الأفراد يقدرون متغير الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة بمستوى مقبول، وهذا يعني رفض الفرضية العدمية وقبول الفرضية البديلة التي تفترض أن الأفراد يقدرون متغير الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة بمستوى مقبول .

الفرضية الرئيسية الثالثة:

لا يوجد تأثير ذو معنوية إحصائية لتقدير المبحوثين لمتغيرات النموذج المقترح البنى التحتية لإدارة المعرفة في الجامعات السعودية (تحفيز المعرفة ،تهيئة تكنولوجيا المعرفة، و إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة ، خلق ثقافة المعرفة ، تهيئة قيادة المعرفة) في تقدير مستوى الممارسة الفعَالة لعمليات إدارة المعرفة في الجامعات السعودية.

قبل تطبيق تحليل الانحدار المتعدد لاختبار هذه الفرضية ، لابد من التحقق من افتراضات نموذج الانحدار المتعدد وذلك من أجل ضمان ملائمة البيانات لافتراضات هذا النموذج: (Jason and Elaine ,2002)

الافتراض الأول: أن المتغيرات تتبع التوزيع الطبيعي.

يعد التحقق من هذا الفرض مهماً في حالة العينات الصغيرة التي تقل فيها عدد المشاهدات عن(30)، أما في حالة العينات الكبيرة فيمكن التخلي عن هذا الشرط وذلك لأنه ووفقاً لنظرية الحد المركزية نجد أن التوزيعات الاحتمالية تؤول إلى التوزيع الطبيعي في حالة العينات التي يزيد حجمها عن (30) مشاهدة (Palta,2003).

الافتراض الثاني: عدم وجود ارتباط عالٍ بين المتغيرات المستقلة " Multicollinearity"

أو عدم وجود ازدواج خطي بين المتغيرات المستقلة [1] ومن بين أكثر الطرق استخداماً للتحقق من توفر هذا الشرط استخراج معامل تضخم التباين "Variance Inflation Factor- VIF "،الذي يعكس قوة النموذج المستخدم ويتحقق من شرط عدم الازدواج الخطي حيث أنه إذا كان معامل تضخم التباين(VIF) لمتغيرات الدراسة يتجاوز(5) فإنه يمكن القول أن هذه المتغيرات لها ارتباط عالٍ مع متغيرات مستقلة أخرى (وجود ازدواج خطي)وبالتالي سيؤدي إلى حدوث مشكلة في تحليل الانحدار (Kutner,2004) .

وقد تم الاعتماد على هذه القاعدة لاختبار شرط عدم الازدواج الخطي بين المتغيرات المستقلة، والجدول التالي يبين قيمة التباين المسموح (**Tolerance**) ومعامل تضخم التباين(VIF) للمتغيرات المستقلة:

جدول رقم (11)

المتغيرات المستقلة	معامل تضخم التباين	
	Tolerance= 1-(R^2)	VIF= 1/ Tolerance
تحفيز المعرفة	.946	1.057
تهيئة تكنولوجيا المعرفة	.912	1.097

[1] يقصد بالازدواج الخطي: وجود علاقة ارتباط قوية ومعنوية بين أثنين أو أكثر من المتغيرات المستقلة (التفسيرية)،مما يؤثر على استقرار معاملات الانحدار بالإضافة إلى عدم توفر صفة الاعتمادية لهذه المعاملات. (Makridakis,1998)

إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة	.952	1.050
خلق ثقافة المعرفة	.895	1.118
تهيئة قيادة المعرفة	.945	1.058

نلاحظ أن قيمة(VIF) كانت أقل من(5) ولذلك يمكن القول أنه لا توجد مشكلة حقيقية تتعلق بوجود ارتباط عالٍ بين المتغيرات المستقلة .وأن النموذج المطبق يتميز بالقوة ، أي أن النتائج أشارت إلى قبول الفرضية العدمية للازدواج الخطي بين المتغيرات حيث أنه لا يوجد ارتباط عالي بين المتغيرات المستقلة .

تطبيق نموذج الانحدار لاختبار الفرضية :

جدول رقم (12)

الانحدار المتعدد لأثر المتغيرات المستقلة على مستوى الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة في الجامعات السعودية

المتغيرات المستقلة	B	T	Sig
تحفيز المعرفة	.113	2.738	*.007
تهيئة تكنولوجيا المعرفة	.181	3.854	*.000
إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة	.258	6.045	*.000
خلق ثقافة المعرفة	.115	3.045	*.003
تهيئة قيادة المعرفة	.462	12.119	*.000
Adj R^2 =0.419 R^2 = 0.428 F= 49.695 Sig = 0.000			

*ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$

- القوة التفسيرية للنموذج:

بلغت قيمة معامل التفسير (R^2) (0.428) معامل التفسير المعدل (Adjust R^2) (0.419) ، وهذا يعني أن المتغيرات المستقلة مجتمعة مسئولة عن (42,8%) من التغير الحاصل في المتغير التابع(الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة) والباقي يرجع إلى عوامل أخرى منها الخطأ العشوائي.

- المعنوية الكلية للنموذج:

أشارت النتائج الواردة في الجدول رقم (12) إلى أن العوامل المستقلة في النموذج تؤثر معنويا في مستوى الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة حيث بلغت قيمة P-Value للإحصائي (F) (0.000) مما

يشير إلى وجود أثر ذو دلالة إحصائية للمتغيرات المستقلة(ككل) في المتغير التابع وأن النموذج صالح للاختبار، وهذا يعني أن واحداً على الأقل من معاملات الانحدار تختلف عن الصفر.

- المعنوية الجزئية للنموذج:

للتعرف على معاملات الانحدار المعنوية سوف نستخدم قيمة P-Value للإحصائي (T) حيث تشير البيانات الواردة في الجدول أعلاه إلى أن متغيرات النموذج (تحفيز المعرفة ،تهيئة تكنولوجيا المعرفة، و إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة ، خلق ثقافة المعرفة ، تهيئة قيادة المعرفة) تؤثر بشكل معنوي في المتغير التابع(الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة) بالاستناد إلى قيمة (T) ومستوى دلالتها الذي كان اقل من المستوى المعنوي المعتمد (0.05) ، كما بلغت درجة تأثيرهما على التوالي (0.113، 0.181 ،0.258، 0.115، 0.462).

- القرار :

ومما سبق فانه يتم رفض الفرضية العدمية للنموذج وقبول الفرضية البديلة التي تفترض أن النموذج معنوي أي وجود تأثير معنوي للمتغيرات المستقلة في النموذج (تحفيز المعرفة ،تهيئة تكنولوجيا المعرفة، و إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة ، خلق ثقافة المعرفة ، تهيئة قيادة المعرفة) في المتغير التابع الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة في الجامعات السعودية.

- ترتيب دخول المتغيرات في نموذج الانحدار

للتعرف على أكثر المتغيرات المستقلة تأثيراً في مستوى المشاركة بالمعرفة في الجامعة تم استخدام تحليل الانحدار التدريجي (Stepwise Regression) وكانت النتائج على النحو التالي:

جدول رقم (12)

نتائج تحليل الانحدار التدريجي

المتغيرات المستقلة	R^2	F	Sig
تهيئة قيادة المعرفة	.262	119.274	.000
إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة	.351	90.439	.000
تهيئة تكنولوجيا المعرفة	.399	73.845	.000
خلق ثقافة المعرفة	.415	59.092	.000
تحفيز المعرفة	.428	49.695	.000

*ذات دلالة إحصائية

نلاحظ من النتائج الواردة في الجدول أعلاه أن متغير تهيئة قيادة المعرفة من أكثر المتغيرات تأثيراً في متغير الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة حيث التغير بمقدار واحد في متغير تهيئة قيادة المعرفة يؤثر بنسبة (0.262) في التغير في متغير الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة.

كما أن متغيري تهيئة قيادة المعرفة وإدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة مجتمعين يساهمان في (0.351) من التغير في المتغير التابع (الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة).

وكذلك إن متغيرات تهيئة قيادة المعرفة وإدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة وتهيئة تكنولوجيا المعرفة مجتمعة تساهم في (0.399) من التغير في المتغير التابع (الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة).

وكذلك إن متغيرات تهيئة قيادة المعرفة وإدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة وتهيئة تكنولوجيا المعرفة وخلق ثقافة المعرفة مجتمعة تساهم في (0.415) من التغير في المتغير التابع (الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة).

وبعد إضافة المتغير الأخير (تحفيز المعرفة) أصبح التغير بمقدار واحد في المتغيرات المستقلة في النموذج مجتمعة يؤدي إلى تغير بمقدار (0.428) في المتغير التابع (الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة).

مناقشة النتائج:

1. أظهرت الدراسة أن مستوى توفر البنية التحتية لإدارة المعرفة في ضوء المضامين المقترحة (تحفيز المعرفة ،تهيئة تكنولوجيا المعرفة، و إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة ، خلق ثقافة المعرفة ، تهيئة قيادة المعرفة) كان بين المرتفع والمتوسط، وكان أكثر العوامل تقديراً سعي الجامعات السعودية إلى خلق ثقافة المعرفة لدى أعضاء هيئة التدريس حيث جاء بتقدير مرتفع،ثم كانت جميع المتغيرات الأخرى بمستوى متوسط. وهذا يعني أن الجامعات السعودية المبحوثة تمتلك إستراتيجية لتطبيق إدارة المعرفة الفعالة ولكنها مازالت في بداياتها حيث لم تكتمل الصورة حول إمكانية تطبيق إدارة المعرفة الناجحة بشكل مرتفع التقدير.

   وانطلاقاً من هذه النتيجة فإنه لابد من التفكير الجاد بمضاعفة الجهود وتكاتفها لتحقيق أعلى مستوى من البنية التحتية اللازمة لإدارة المعرفة في ضوء المضامين المقترحة.

2. أظهرت نتائج الدراسة أن مستوى الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة في الجامعات السعودية كان متوسطاً وفقاً لتقدير أعضاء هيئة التدريس فيها ومن بين أكثر العوامل التي ساقت لهذا التقدير سعي

الجامعات للتأكيد على عملية تبادل المعرفة بين الكليات والأقسام الأكاديمية والإدارات المساندة بالإضافة إلى سعيها نحو إعادة توزيع المعرفة من خلال الندوات والوثائق والبرمجيات.

3. أشارت النتائج إلى وجود تأثير إيجابي للمتغيرات المستقلة : (تحفيز المعرفة ،تهيئة تكنولوجيا المعرفة، و إدارة الاتجاهات الفردية نحو المعرفة ، خلق ثقافة المعرفة ، تهيئة قيادة المعرفة) في المتغير التابع (الممارسة الفعالة لعمليات إدارة المعرفة في الجامعات السعودية) وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة **(Cranfield , D, J, and Taylor , J, 2008)** التي أشارت إلى تأثير اتجاهات الأكاديميين في تطور إدارة المعرفة وعملياتها المختلفة، و دراسة **(Kharabsheh, R. A, 2007)** التي أشارت إلى أهمية البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات في دعم عملية المشاركة بالمعرفة ، وكذلك دراسة **(Basu, B, and Sengupta, K, 2007) التي** أشارت أيضا إلى أهمية البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات في تحقيق النجاح لعمليات إدارة المعرفة.

يمكن الاعتماد على هذه النتيجة لتكوين الأبعاد الرئيسية لإستراتيجية ناجحة لتفعيل التطبيق الناجح لإدارة المعرفة في المؤسسات الأكاديمية ،فالمتغيرات المستقلة ثبت تأثيرها الايجابي وبالاتفاق مع كثير من الدراسات التي تناولتها، فهي تشكل أساسا لهذه الإستراتيجية ومنطلقاً مهما لتحديد معالمها.

التوصيات :

استنادا إلى ما سبق تقدم الدراسة التوصيات التالية:

1. توفير المزيد من وتهيئة البنى التحتية لإدارة المعرفة في ضوء المضامين المقترحة في نموذج الدراسة لما لها من دور في تحقيق تطبيقات ناجحة لإدارة المعرفة، فقد أشارت نتائج الدراسات أنه لا يمكن البدء في مشاريع تتعلق بإدارة المعرفة ما لم يتم توفير بنية إدارية وتنظيمية وتقنية عالية الجودة، وتهيئة العاملين ومجتمع المنظمة ككل ثقافيا ومهارياً، للتحول إلى منظمة معرفية؛ تقوم على المعرفة، وتنتج المعرفة، وتستثمر في المعرفة.
2. التأكيد على إيجاد إدارة متخصصة تعنى بقيادة المعرفة وتطويرها وتنفيذ عملياتها المختلفة وقياسها ،وتوفير كافة أشكال الدعم المادي والمعنوي لهذه الإدارة لتتمكن من القيام بالدور المناط بها على أكمل وجه ومن ذلك التخطيط ووضع الإستراتيجيات واقتراح السياسات التي تدعم عمليات صناعة المعرفة واكتسابها وتطويرها وتوزيعها والتشارك بها داخل الجامعات ، بالإضافة إلى تطبيق المعرفة وقياس نتائجها وتلمس الفوائد الناجمة عنها وتعميمها داخل الجامعة.
3. التأكيد على ضرورة العمل المستمر في قياس اتجاهات الأفراد نحو الاستثمار في المعرفة وتبادلها مع الآخرين ، والعمل على التأثير في تلك الاتجاهات وتوجيهها نحو تحقيق المصالح المعرفية للجامعات والأعضاء.

4. التأكيد على ضرورة إيجاد نظم حوافز تدعم التطبيق الناجح لإدارة المعرفة .
5. التأكيد على ضرورة تفعيل استخدام القاعات الذكية وقاعات الاجتماعات الالكترونية المتوفرة في الأقسام والكليات بالشكل الذي يحقق الفائدة لجميع أعضاء هيئة التدريس كأن يتم عقد لقاءات علمية بين الأعضاء بشكل دوري لمناقشة أفكارهم البحثية أو عقد ورش عمل على مستوى الكلية أو القسم لتطوير المناهج والمساقات الدراسية ومحتوياتها .
6. التأكيد على ضرورة العمل المستمر في خلق ثقافة المعرفة داخل مجتمع الجامعة حيث أنه من المهم أن نبني قناعات لدى الأفراد بضرورة الاستثمار في المعرفة وأهمية التشارك فيها مع الآخرين وأهمية الاستفادة من معارف الزملاء الآخرين واستثمارها.
7. كما توصي الدراسة بضرورة اختبار النموذج في مؤسسات أكاديمية أخرى بحيث يتم دراسة حالة كل مؤسسة على حذا ، ومن ناحية أخرى توصي الدراسة بإجراء دراسات مستقبلية لاختبار النموذج وتطبيقه في منظمات الأعمال والمنظمات الحكومية للتأكد من مناسبته لهذه المنظمات.
8. كما توصي الدراسة بضرورة إجراء دراسات مستقبلية للتوصل إلى عوامل أخرى أو نماذج أخرى يمكن أن تسهم في تفعيل التطبيق الناجح لإدارة المعرفة في المنظمات.
9. أخيرا توصي الدراسة بتطبيق نموذج الدراسة من خلال اعتماد إستراتيجية لإدارة المعرفة في الجامعات تركز على توفير البنى التحتية التي توصلت إليها الدراسة.

المراجع

أبو فارة، يوسف. (2006): واقع استخدام مدخل ادارة المعرفة في المصارف العاملة في فلسطين، مؤتمر جامعة العلوم التطبيقية، عمان، الأردن.

حجازي، هيثم (2005) إدارة المعرفة: مدخل نظري ، مطبع الأهلية للنشر والتوزيع، ط (1) عمان : الأردن .

دروزة ، سوزان صالح (2008) العلاقة بين متطلبات إدارة المعرفة وعملياتها وأثرها على تميز الأداء المصرفي، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الشرق الأوسط ، عمان.

الذنيبات، معاذ يوسف، وآخرون (2011) المشاركة بالمعرفة في جامعة الطائف: إطار مقترح لتطوير إدارة المعرفة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، مجلة كلية التجارة جامعة أسيوط ، العدد الثاني، 2011.

العلي ، عبد الستار؛ وآخرون (2006) المدخل إلى إدارة المعرفة .دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة . عمان .الأردن.

الكبيسي، عامر (2005) إدارة المعرفة وتطوير المنظمات، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

الوذيناني، جواهر بنت عواض (2007) إدارة المعرفة مدخل لتحقيق نموذج الجامعة المنتجة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة ، المملكة العربية والسعودية.

ياسين، سعد غالب (2007) إدارة المعرفة :المفاهيم، النظم ، التقنيات، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

Aidemark, J.(2009) “Knowledge Management Paradoxes.” The Electronic Journal of Knowledge Management Volume 7 Issue 1 2009, pp. 1 - 10, available online at www.ejkm.com

Allee, V., (2000)The Value Evolution : Addressing Larger Implications of Intellectual Capital and Intangibles Perspective , Journal of Intellectual Capital , VOL . 1 . No .1 ,

Arthur Anderson and The APQC. The Knowledge Management Assessment Tool. Arthur Anderson and The American Productivity & Quality Center, 1996.

Basu B and Sengupta K(2007) “Assessing Success Factors of Knowledge Management Initiatives of Academic Institutions – a Case of an Indian Business School” The Electronic Journal of Knowledge Management Volume 5 Issue 3, pp 273 - 282, available online at www.ejkm.com

Bock, G., and Kim, Y.G. Breaking the myths of rewards: an exploratory study of attitudes about knowledge sharing. Information Resource Management Journal, 15, 2 (2002), 14-21.

Bukowits , W.R, & R,L.Williams ,(2000) The Knowledge Management Field Book , London UK : Pearson Education Ltd,.

Cheng M.Y, Ho J, S. Y, and Lau P (2009)“Knowledge Sharing in Academic Institutions: a Study of Multimedia University Malaysia”. M. Electronic Journal of Knowledge Management Volume 7 Issue 3, (pp313 - 324), available online at www.ejkm com.

Cranfield, D. J. and Taylor, J. “Knowledge Management and Higher Education: a UK Case Study.” The Electronic Journal of Knowledge Management Volume 6 Issue 2 2008, pp. 85 - 100, available online at www.ejkm.com

Duffy, Jan (2000) Knowledge Management : To Be Or Not To Be , Information Management Journal ,January 2000,67.

Jason W. Osborne and Elaine Waters(2002) Four Assumptions Of Multiple Regression That Researchers Should Always Test, Practical Assessment, Research, and Evaluation, 8(2). [Available online at http://ericae.net/pare/getvn.asp?v=8&n=2]

Kharabsheh, R. A.(2009) “A Model of Antecedents of Knowledge Sharing.” The Electronic Journal of Knowledge Management Volume 5 Issue 4, pp. 419 - 426, available online at www.ejkm.com

Kutner, Nachtsheim, Neter,(2004) Applied Linear Regression Models, 4th edition, McGraw-Hill Irwin,

Lee, J.H and Kim, Y.G. Effects of managerial drivers and climate maturity on knowledge management performance: empirical validation. Proceedings of Pacific Asia Conference on Information Systems 2001, June 2001b, pp. 1097-1111.

Makridakis, Spyros, (1998), " Forecasting: methods & applications", 3 rd Edition, John Wiley & sons Inc., p 288.

Nixon Muganda,(2008) Assessing the Application of the Knowledge Management Success Paradigm in South Africa , Communications of the IBIMA Volume 3, 2008

Palta, Mari, (2003)," Quantitative Methods in population health: Extensions of ordinary regression", Wiley – IEEE, p 6.

Pentland, B.T. Information systems and organizational learning: the social epistemology of organizational knowledge systems. Accounting, Management and Information Technology, 5, 1 (1995), 1-21.

Petrides, Lisa A. & Nodine Thad R.(2003). Knowledge Management In Education: Defining The landscape, The Institute Of Knowledge Management In Education, CA, USA.

Sekaran, U, (2006) "Research Methods for Business : A Skill Building Approach ,4th ed , john Wiley and Sons , (Asia) pte Ltd . Singapore.

Szulanski, G. Exploring internal stickiness: impediments to the transfer of best practice within the firm. Strategic Management Journal, 17 (Winter 1996), 27-43.

Wen, Y. (2009) An effectiveness measurement model for knowledge management. Knowledge-Based systems, 22: 363-367.

Wick, C. (2000) knowledge management and leadership opportunities fortechnical communicators. Technical Communication, 47:515-529

Wiig, Karl M. (2002) Knowledge Management Foundation: thinking about thinking Arlington, Schima Press.

Young-Chan Lee , Sun-Kyu Lee, (2007) Capabilities, Processes, and Performance of Knowledge Management: A Structural Approach, Human Factors and Ergonomics in Manufacturing, Vol. 17 (1) 21–41 (2007), © 2007 Wiley Periodicals, Inc. Published online in Wiley InterScience (www.interscience.wiley.com). DOI: 10.1002/hfm.20065

إصلاح جامعة الدول العربية

الدكتور: نجيب بن عمر عوينات
جامعة المجمعة – المملكة العربية السعودية

"الجامعة العربية هي "بيت العرب الكبير وهذا يتطلب حماية البيت وصيانته وتعزيز أركانه وتوطيد أسسه بالتضامن ووحدة العمل العربي المشترك"

الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية عصمت عبد المجيد

ملخص باللغة العربية

إن جامعة الدول العربية تتعرض للكثير من النقد سواء من حيث أداؤها أو من حيث آلياتها أو درجة الإلتزام بما تصدره من قرارات،ولا شك في أن هناك جوانب قصور أساسية في الجامعة لعل من أهمها ميثاقها الحالي وعدم قدرتها على تسوية النزاعات العربية العربية، بالإضافة إلى عديد من المشاكل الإضافية مثل الخلافات المتصاعدة وغياب المصداقية وعدم القدرة على الاتفاق.

إن الأزمة التي تواجه جامعة الدول العربية هي بالتأكيد أزمة أداء..لا أزمة وجود لأن أسباب وجودها لا تزال قائمة و الاحتياج العربي إلى دورها لا يزال باقيا، وهنا على الدول العربية أن ترتب أوضاعها بحال يختلف عما كان عليه وليس ثمة شك في أن تطوير جامعة الدول العربية وإصلاحها بات أمرا لازما لا غنى عنه إن أريد لها أن تواصل بقائها وتدافع عن مصالح أعضائها. وفي هذا السياق، تقدمت عدة دول عربية بعدد من المبادرات والمقترحات تحت شعار تفعيل الجامعة وتطوير الأمانة العامة وتعديل الميثاق خصوصا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 حين تتكاثر التحديات الخارجية و تتزايد المتغيرات الدولية في ضوء إعلان الولايات المتحدة الأمريكية عزمها تغيير الخارطة السياسية للمنطقة العربية وفق المعايير والمصالح الأمريكية تحت مظلة محاربة الإرهاب و إحترام حقوق الإنسان .لذلك فإن الحديث عن إصلاح جامعة الدول العربية والمبادرات المطروحة في هذه المرحلة لا يمكن فصلها عن هذه التطورات الإقليمية والعالمية وتداعياتها.

ملخص باللغة الأنقليزية

Been subject to a great deal of criticism, both regarding its performance and mechanisms as well as the degree of compliance with its resolutions. Undoubtedly, there are essential shortcomings with the league, most notably its current charter and its inability to settle inter-Arab disputes, in addition to many of its extra problems such as escalating disagreements, lack of credibility, and failure of reaching a consensus.

As a matter of fact, the crisis facing the Arab League is certainly one of performance and not of legitimacy, because its raison d'être is still valid and the Arabs' need for its role is still vivid. Therefore, Arab states have to settle their internal situations in a way that is different from the past, as there is little doubt that reforming the Arab League has become so indispensable that it cannot do without it if its survival to continue to defend the interests of its members is still of interest for them.

In this context, several Arab countries have made a number of initiatives and proposals seeking to reform the league, improve the Secretariat, and amend its Charter, especially after the events of 11 September 2001. Since then, external challenges and growing international realignments in light of America's expressed vow to change the political map of the Arab world according to the perception and interests of the United States under the pretext of fighting terrorism and observing human rights. Therefore, the talk about reforming the Arab League and the proposed initiatives at this stage cannot be separated from these regional and global developments and their implications.

تعرضت جامعة الدول العربية منذ نشأتها في عام1945 للانتقاد نظرا لمحدودية الدور الذي قامت وتقوم به في تفاعلات النظام الإقليمي العربي،فسجل إنجازات الجامعة في تعميق التعاون العربي وتدعيم الروابط بين الدول العربية[1] يبدو محدودا للغاية مقارنة بما كان متوقعا أو مطلوبا منها أن تفعل، ورصيدها في تسوية الخلافات العربية يبدو متواضعا للغاية خاصة إذا تمت مقارنته بالإتحاد الأوروبي على سبيل المثال.

إن المشكلة الأساسية في قضية تطوير الجامعة هي أنها تبدأ ربما من الطريق الذي لن يؤدي على الأرجح إلى أية نتائج ملموسة في هذا السياق،إذ تزايدات الدعوات والأفكار لإصلاح جامعة الدول العربية في السنوات الأخيرة ، ركزت في معظمها على الإصلاح الهيكلي للجامعة و مؤسساتها، حيث يدور الحديث سابقا وحاليا وربما لاحقا عن ضرورة تطوير هيكل وكيان الجامعة وأدائها وميثاقها وأمينها العام، وكأن الجامعة هي المشكلة في حد ذاتها، دون أن يبذل جهد مشابه في علاج المصدر الأساسي لأزمة النظام العربي برمته، وهو موضوع إصلاح العلاقات العربية العربية، وكيفية بعث الإرادة السياسية العربية من أجل تفعيل النظام العربي وجامعة الدول العربية. وبذلك فإنَّ الحديث عن مستقبل الجامعة قد ي رتَبِط بشكلٍ وثيقٍ بالحديث عن مستقبل العرب وجودًا و أداءً، وكذلك يكون السؤال :هل الإصلاح المنشود يكون للجامعة أم للعرب ابتداءً؟

وفيما يحمل البعض جامعة الدول لعربية مسؤولية الوضع العربي الراهن وتداعياته،إلا أن آخرين يرون أن عدم تعاون الحكومات العربية مع الجامعة وعرقلة تفعيل دورها والتنصل من التزاماتهم،ربما يكون السبب الحقيقي وراء ضعف الجامعة ومحدودية دورها الفاعل في تدعيم التعاون العربي، فما هي الأسباب الحقيقية؟ ومن المسؤول والمتسبب في هذا الشلل الذي أصابها؟ هل هي حقاً الجامعة ذاتها؟ أم أن الوضع العربي يحتاج إلى منظمة أقوى تقوم على قواعد أكثر وضوحاً؟، وهل نطالب بإعادة هيكلة جامعة الدول العربية، لتتوافق مع المرحلة المقبلة، أم بآلية للتنفيذ؟ أين الخلل؟هل أن تفعيل العمل العربي المشترك يكون على أساس القيام بإصلاح جامعة الدول العربية على مستوى هياكلها، آلياتها، وظائفها وأهدافها، أم بإعادة تأسيسها على نمط الإتحاد الإفريقي والإتحاد الأوروبي ؟ وأخيراً وليس آخر فلنواجه أنفسنا بهذا السؤال ... هل نحن في حاجة إلى الجامعة العربية أم لا؟

إن جامعة الدول العربية في عامها السابع والستين ما عادت فاعلة في مواجهة التحديات الكبرى التي تواجه الدول العربية ، وهي تواجه الآن بصفة خاصة هجمة شرسة تبغي محوها تمامًا من الخريطة السياسية العربية، وإذا كان

تحقيق هذه الغاية يبدو بعيد المنال فإن ضخ الدماء في جسد الجامعة ودفع مسيرة تطويرها ليس بدوره هدفًا أقل صعوبة.

في مارس 2015 ستكمل جامعة الدول العربية السبعين عامًا من عمرها.وخلال العقود الماضية احتدم الجدل دائمًا حول جامعة الدول العربية بين إتجاه أول يرميها بالتبعية لقوى الهيمنة العالمية، ومن يصفها بالعقم في الوفاء بمهامها، ومن يحملها المسؤولية عن تردي الأوضاع العربية من جانب، وإتجاه ثان يدافع عنها فيلقي باللوم على الواقع العربي نفسه بما يضمه من دول لا يمكن أن تفضي سياساتها إلا إلى ما آل إليه حال المنظمة الإقليمية ،

إن صيحات إصلاح جامعة الدول العربية قديمة، والدراسات حولها متعددة بتعدد الأيام التي تمضي عليها، أين جامعة الدول العربية الآن؟ وما هي وظيفتها الحقيقية؟ هل يمكن القول أنها دخلت مرحلة الموت الدماغي؟

ولا يخفى أن تواضع مسيرة جامعة الدول العربية يعود إلى خصائصها البنيوية، فهي مبنية على عدم المساس بسيادة الدول الأعضاء، وبالتالي فإن أي تقدم في مسألة التطوير يتطلب إرادة جماعية من الواضح أنها لم تتوافر إلا في حالات قليلة، وكذلك لا شك أن النزاعات بين الدول الأعضاء كالخلاف المصري–العربي بشأن التسوية مع إسرائيل في عقدي السبعينات والثمانينات من القرن الماضي أو الانقسام العربي غير المسبوق بشأن الغزو العراقي للكويت في 1990 قد عرقلت مسيرة التطوير بقدر ما قللت من فرص تكوين الإرادة الجماعية الضرورية ومثلت همًا لمؤسسات جامعة الدول العربية تعين عليها أن تنشغل به كأولوية على ما عداها بما في ذلك مسألة التطوير.

لكن واقع التجربة كان ادنى بكثير من الحلم فوصفها ببيت العرب ظل بعيدا عن الواقع حيث ظلت قاصرة عن تحقيق طموحات وآمال الشعوب العربية التي كانت اكبر بكثير مما حققته من انجازات

وهذا ما حصل من خلال العديد من الاحداث التي بينت فشل اداء الجامعة العربية في واجبها بدءا من الاحتلال الامريكي للعراق عام 2003 ومرورا الى الازمات الفلسطينية المتتالية دون وجود حل لها اضافة الى عجز الجامعة العربية عن اداء دورها الحقيقي في الحفاظ على كيان الدول العربية.ولاشك أن جامعة الدول العربية ماهي إلا إنعكاس لواقعنا العربي المتميز بالتخلف وبعد الأنظمة عن واقع شعوبها[2]، ثم جاء" ربيع الثورات العربية" ليؤكد أنه قد آن الأوان للتغيير من أجل إصلاح جامعة الدول العربية بصورة جذرية[3].

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تكمن مشكلة الدراسة في التساؤلات الآتية:

1- ماهي أهم المقترحات التي يمكن بواسطتها الوصول إلى الأهداف المرجوة؟

2- ماهي أهم العراقيل التي حالت دون تحقيق جامعة الدول العربية أهدافها المرجوة في الميثاق؟

3- ماهو مستقبل جامعة الدول العربية في ظل التحولات الإقليمية والدولية الراهنة؟

تهدف هذه التساؤلات التي تطرحها الدراسة استجلاء بعض الجوانب للوصول إلى حقائق بات من المؤكد أنها أصابت كبد النظام الإقليمي.

أهمية الدراسة:

إن الحرص على جامعة الدول العربية والإيمان بقدرتها على تطوير العمل العربي المشترك و الارتقاء به يقتضي كشف جوانب القصور لمعالجتها وتشخيص مواطن الضعف لتلافيها والوقوف على مبررات إصلاح جامعة الدول العربية حاليا في ضوء الأحداث المتلاحقة في الساحة الدولية، وأيضا الأحداث الداخلية لبعض الدول العربية تتصل بتعثر أنظمتها وإدارة شؤونها السياسية مما أدى إلى تزايد التهديدات الموجهة لإستقرار هذه الدول و اختلال الأمن الإستراتيجي العربي، ولذلك فإن البحث عن أسباب الإخفاق يبقى ذا أهمية على المستوى النظري والعملي.

فمن الناحية النظرية: يبدو أن ميثاق جامعة الدول العربية في صياغته الحالية عاجز عن تحقيق الأهداف المرجوة.

ومن الناحية العملية:فإن أجهزة الجامعة تفتقد إلى الفعالية المطلوبة.

أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى الإجابة عن عدة تساؤلات ومنها:

1- دراسة المعوقات والتحديات التي مازالت تهدد النظام الإقليمي العربي وأسباب محدودية دور جامعة الدول العربية.

2-دراسة اتجاهات ومقترحات إصلاح جامعة الدول العربية.

فرضيات الدراسة:

انطلاقا من مشكلة الدراسة والأهداف المختلفة المتوخى تحقيقها تسعى الدراسة جاهدة إلى اختبار الفرضيات الآتية:

1-إصلاح جامعة الدول العربية ضرورة ماسة وأحد مطالب الشعوب العربية لعدم خلق أرضية ملائمة للتدخل الأجنبي مستقبلا ضد أي نظام سياسي عربي.

2-من غير الممكن لأي نظام سياسي عربي أن يمارس سياساته الداخلية أو الخارجية بمنأى عن النظام الإقليمي و الدولي في ضوء التغيرات التي عرفتها العلاقات الدولية ولاسيما بعد إنفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم.

3- لم تتمكن جامعة الدول العربية من إدارة عديد الأزمات التي شهدتها الدول العربية أو المشاركة فيها بصورة فاعلة.

منهجية البحث:

اعتمد الباحث بغية الوصول إلى هدف البحث المنهج المنظومي الذي يعد قضية البحث وحدة واحدة وذلك لرؤية المبررات الداخلية والخارجية فيما يتعلق بمختلف القضايا، حيث إن هذه العوامل والأسباب هي أنساق لعملية تأثر وتأثير في قضايا موضوع البحث كلها، ثم أن هذا المنهج يخدم البحث لإستكمال البحث وأبعاده بطريقة علمية.

واعتمد الباحث المنهج المنطقي القائم على الاستقراء و الاستنباط وذلك كي تكون النتائج مجردة من الأهواء السياسية الإيديولوجية ، بالإضافة إلى ذلك عرج الباحث على المنهج الوصفي التحليلي حيث تكمن ضرورته لوصف المشاكل و طرحها ، وتحليلها بمعايير ورؤية علمية.

و يمثل سؤال " إصلاح جامعة الدول العربية " هاجسًا دائمًا وملحًا لدى الحديث عنها ، والإجابة على هذا السؤال هي قضية هذه الصفحات التي تجتهد في السعي من أجل التوصل إلى إجابات في مسائل حيوية تتعلق بمبررات إصلاح جامعة الدول العربية

أن مستقبل الجامعة العربية مرتبط بقدرة العرب على إصلاحها حتى تتحول إلى إطار قانوني ودبلوماسي فاعل وفعال في التقريب بين البلدان العربية وتعزيز تضامنها وتوحيد سياساتها ودمج أسواقها وتكثيف مبادلاتها التجارية. لكن لن يكون مثل هذا الاصلاح ممكنا من دون معرفة المشاكل المطروحة والأسباب التي حالت او التي لا تزال تحول دون نجاح المنظمة العربية الاقليمية.

المبحث الأول :مبررات إصلاح جامعة الدول العربية

إن الحاجة إلى إصلاح جامعة الدول العربية تجد أساسها في عدة عوامل ،فقد كشفت الممارسة عن القصور في ميثاقها وهيكلها التنظيمي ، فقد مضى أكثر من ستة عقود تغيرت فيها جملة وتفصيلا كافة الظروف الداخلية والإقليمية والدولية الدافعة لإنشائها، بالإضافة إلى المتغيرات والتحولات التي تشهدها العلاقات الدولية اليوم وهكذا فالإصلاح قضية ضرورية وحيوية وليست مجرد ترف فكري، وإنما ضرورة فرضها واقع النظام العالمي الجديد الذي تعيش فيه جامعة الدول العربية.

إن مبررات إصلاح جامعة الدول العربية متعددة ومتنوعة لكن يمكن حصرها في عاملين رئيسيين،فهي أولا لا تملك القدرة الفاعلة على حل النزاعات العربية، ولا تمارس أي تأثير إيجابي في هذا الخصوص فدورها أشبه ما يكون بالممثل الصامت يقتصر على الإشراف والمباركة والتنديد(**المطلب الأول**) بالإضافة إلى التحولات في النظام العالمي وتداعياتها على الدول العربية(**المطلب الثاني**).

المطلب الأول :عجز جامعة الدول العربية عن تسوية النزاعات العربية:

أكد ميثاق جامعة الدول العربية على عدم استخدام القوة لفض النزاعات بينها، إلا أن أكد المادة الخامسة[4] منة تنص على تسوية المنازعات بين الدول من خلال الوساطة و التحكيم.

وبهذا يقتصر ميثاق جامعة الدول العربية على ذكر الوساطة كوسيلة دبلوماسية وحيدة تمنحها إمكانية التدخل من أجل فض نزاع يمكن أن يؤدى الى نشوب حرب بين الأطراف المتنازعة، مع العلم أن الوساطة كوسيلة دبلوماسية ليست بالضرورة ملزمة لأنها تظل في نهاية المطاف مبادرة ودية تقوم بها الجامعة من أجل الوصول إلى حل يرضى أطراف النزاع يتوقف نجاحها على العديد من الاعتبارات من أهمها موقف الأطراف المتنازعة وطبيعة النزاع ودرجة خطورته، وهذا شأنه أن يسهم في إضعاف فاعلية نظام التسوية السلمية للمنازعات لدى جامعة الدول العربية خصوصا أن الميثاق قد اشترط أن الوساطة لا تكون إلا فى النزاعات التي يمكن أن تؤدي إلى نشوب حرب بين دولتين عربيتين وهنا يكمن قصور النظر لأن المنطق يفرض أن وظيفة جامعة الدول العربية هي "وظيفة وقائية" بمعنى أنة لا يجب أن تنتظر إلى أن يتطور النزاع بصورة كبرى الى درجة تحوله الى إمكانية اندلا ع حرب.

وقد أشارت نفس الماده السابق ذكرها من الميثاق إلى التحكيم بالإضافة إلى الوساطة[5] كوسيلة قضائية لحل النزاعات مع التأكيد على طابعه الاختيارى و ليس الاجباري وهذا يعنى أن المسألة تظل مرتبطة برغبة الاطراف المتنازعة كما أن الميثاق لم يتضمن أي إشارة إلى طبيعة الجزاء الذي يمكن ان يترتب على الأطراف التي قبلت اللجوء الى التحكيم ثم رفضت الالتزام بمضمون القرار التحكيمي.

كما أن جامعة الدول العربية لم تنشئ جهاز قضائى خاص ماعدا ما أشارت إليه المادة 19 بشأن إنشاء محكمة عدل عربية[6] التي بقي مشروع نظامها الأساسي في أدراج مكاتبها حبرا على ورق.

كما أن مساهمة جامعة الدول العربية فى تسوية المنازعات العربية ليست ذات أهمية مقارنة بالوسائل الأخرى إذ أن ثقة الأطراف العربية المتنازعة في الجامعة العربية كانت محدودة بدليل أنها لجأت في محاولة تسوية نزاعاتها إلى منظمة الوحدة الأفريقية والأمم المتحدة بأكثر مما لجأت إلى جامعة الدول العربية، ومن الواضح أن عدم الرضا عن ميزان القوى داخلها، والشك في أنه سيؤدي إلى نتائج غير مواتية من وجهة نظر أحد طرفي النزاع هو السبب الرئيسي في هذا السلوك، فقد اقتصر دور جامعة الدول العربية على نسبة 8.95% من جملة المنازعات فى الفترة 1945 الي 2011 وهذا ما يؤكد عجزها عن القيام بدور فاعل إذ أن تحركها من أجل تسوية المنازعات الاقليمية يعد بطيئا وبالخصوص اذا تمت مقارنة بتحرك منظمة الامم المتحدة،إذ خلال الحرب الاهلية اللبنانية عام 1975 لم يجتمع مجلس جامعة الدول العربية إلا بعد مرور 6 أشهر على الاحداث،كما أن غياب قوات عربية عسكرية مشتركة داخل جامعة الدول العربية يعد أحد أسباب فشل جامعة الدول العربية عن القيام بدور فاعل فى تحقيق الامن و السلم داخل بعض مناطق التوتر و النزاع فى العالم العربي،إذ عجزت أجهزة جامعة الدول العربية عن مواجهة المخاطر الخارجية وخاصة تلك التي تهدد الأمن العربي ويظهر ذلك جلياً عندما تبين عدم قدرتها على تطبيق معاهدة الدفاع المشترك.بالإضافة إلى أن غياب قوات عربية مشتركة ساهم في عجزها عن رد أيِّ عُدوان خارجي وقَع على دولةٍ عربيَّةٍ، كالعُدوان الثلاثي على مصر، والاعتداءات الإسرائيليَّة على فلسطين ولبنان ، والعُدوان الأمريكي على العراق،كما لم تنجَحْ مَساعِيها في حَلِّ مشكلة الصحراء الغربيَّة بين المغرب وجبهة البوليساريو،كما أن جامعة الدول العربية عجزت عن تقديم حلول للمشاكل التي واجهتها الدول العربية مثل قضية لوكربي، وكذلك عجزت جامعة الدول العربية عن التدخل في أزمة الصومال الممتدة والتي قادت في طورها الراهن إلى وجود عسكري أثيوبي بالوكالة من الولايات المتحدة الأمريكية،كما

عجزت جامعة الدول العربية عن إيجاد تسويات للمشاكل الحدودية بين الدول العربية[7]. وقد أكد الأمين العام الحالي لجامعة الدول العربية نبيل العربي عجز الجامعة عن حل الأزمة السورية نظرا لكون أن جامعة الدول العربية لا تستطيع التدخل إلا حينما يكون هناك اعتداء من دولة ضد أخرى.

ويتضح مما سبق أن جامعة الدول العربية غير قادرة عن القيام بدورها التوحيدي وافتقارها إلى الأطر النظامية لحل المنازعات بالطرق السليمة بين الدول الأعضاء، ويرجع ذلك إلى تغليب القوى القطرية لمصالحها الوطنية الضيقة وتهميش المصلحة القومية، بالإضافة إلى التمسك بقدسية السيادة في حيثيات التعامل بين الدول العربية خاصة فيما يتعلق بالقضايا ذات الطابع السياسي الأمر الذي أدى إلى تهميش دور أجهزة جامعة الدول العربية،إلى جانب افتقارها إلى آلية عمل فعالة لتطبيق القرارات الصادرة بالإجماع عن الجامعة نفسها. وهذا بلا شك يوحي بوجود أزمة حقيقية على مستوى الفاعلية السياسية للجامعة،الأمر الذي أدى إلى شلل تام في جميع أجهزتها بالرغم مما أورده د.بطرس غالي أن جامعة العربية الدول أسهمت بأجهزتها المختلفة في تسوية بعض المنازعات العربية في مهدها قبل أن تنفجر، وتُعلن على الملأ، ويصعب حلها. هذا المجهود التوفيقي لا أثر له في ملفات الجامعة، ما دامت التسوية قد تمت عن طريق الجهود الشخصية للأمين العام، أو لغيره من كبار موظفي الجامعة"

إن قرارات جامعة الدول العربية ظلت حبيسة السطور دون أن تجد سبيلها إلى حيز التنفيذ الفعلي، بمعنى أن إدانة العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني أو التأكيد على استعادة العراق لسيادته والحفاظ على وحدة شعبه وسلامة أراضيه أو إصدار كم هائل من وثائق ضرورة التكامل والتكافل العربي وغير ذلك من المواقف اللفظية غير المصحوبة بقدرة على الفعل لا تُعد من قبيل إنجازات جامعة الدول العربية.

وقد بين الدكتور غالب غلاب العتيبي فى كتابة جامعة الدول العربية وحل المنازعات العربية الصادر فى سنة 2008 أن قيام جامعة الدول العربية كان انتصار لفكرة الوحدة العربية الشاملة ورفض لمشاريع التجزئة إلا ان نظام تسوية المنازعات العربية بصورة سلمية يشوبه القصور نظرا لغياب جهاز متخصص يتعين اللجوء الية ويملك صلاحية اصدار قرارات .حيث لم تتمكن الجامعة العربية من تطوير نفسها منذ تأسيسها في إدارة العديد من الأزمات العربية أو تعزيز العمل العربي المشترك ، فثمة حالات من الضعف والقصور رافقتها منذ قيامها أسهمت في تخلفها مقارنة بالتنظيمات الإقليمية الرائدة في مختلف مناطق العالم[8]

.

وفي هذا السياق يقول د.أحمد عارف الكفارنه:"إن الأزمة التي تعاني منها جامعة الدول العربية ليست أزمة عدم القدرة على تنفيذ القرارات بسبب قاعدة الإجماع بقدر ما هي أزمة عدم القدرة على تنفيذ قرارات الإجماع هذه.كما يعود سبب ضعف هذه المؤسسة إلى افتقارها سلطة إتخاذ القرار السياسي الذي يجبر الأنظمة على الخضوع له أو الخوف من هذه القرارات إذا أتخذت بحقها."[9]

المطلب الثاني:التحولات في النظام العالمي وتداعياتها على الدول العربية

منذ بداية نشأتها أحاطت بجامعة الدول العربية فكرة التبعية لقوى الهيمنة الخارجية أو بعبارة أخرى أنها جاءت تجسيدًا لمشروع خارجي يهدف إلى إحكام السيطرة على الدول العربية وليس لمشروع عربي يروم تعزيز الروابط بينها. وتحتاج هذه التهمة بالذات إلى استجلاء وتمحيص كونها تنفي عن الجامعة موضوعيًا صفتها "العربية" وتضعها في سياق مشروعات الهيمنة.

كما إن التغيرات الدولية التي تلت انهيار الإتحاد السوفياتي الذي كان يعد الحليف الإستراتيجي للدول العربية، مما أدى إلى فراغ إستراتيجي في المنطقة العربية من حيث الدعم السياسي الذي كان يقدمه للدول العربية في كثير من المواقف والأزمات وعلى رأسها الصراع العربي-الإسرائيلي ، فضلا عن الدعم الاقتصادي والمساعدات التي كانت تعتمد عليها الدول العربية.

وطرح النظام العالمي الجديد الذي تم الإعلان عنه أثناء حرب الخليج الثانية تحديات حقيقة بالنسبة لجامعة الدول العربية ، ومن تداعياته بروز الولايات المتحدة الأمريكية كدولة عظمى تنفرد بتسيير مجريات السياسة العالمية بناء على رؤيتها ووفقا لمعاييرها وقيمها الخاصة،وتتمثل محددات الإستراتيجية الأمريكية تجاه العالم العربي في ثلاثة محددات أساسية هي النفط ومكافحة الإرهاب و إسرائيل[10]، وتوضح تحركات الولايات المتحدة في المنطقة خلال فترة التسعينات مدى أهمية هذه المحددات بالنسبة لها خاصة بعد زوال الإتحاد السوفياتي متبعة في ذلك إستراتيجية تسعى لتحقيق مصالحها الذاتية،فالطريقة التي تتصرف بها الولايات المتحدة الأمريكية وتسير وفقها سياستها الخارجية بصفة انفرادية، وعلى حساب باقي مكونات المجتمع الدولي يجعل النظام الدولي أشبه ما يكون بمجتمع هوبز حيث تكون القوة هي الوسيلة الوحيدة لضمان البقاء وتحقيق المصالح، فالولايات المتحدة الأمريكية تتعامل مع القانون الدولي بطريقة انتقائية أشبه ما تكون بطريقة قطف الكرز، فهي تلتقط منه ما يخدم مصالحها وتتجاهل الباقي[11].

وقد استغلت الولايات المتحدة الأمريكية نتائج تفكك الإتحاد السوفياتي ومعسكره لكي تكرس دورا لها لا تستحقه بقوة القانون، بل تفرضه بقوة الأمر الواقع،إذ صارت تقوم مقام منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن في إدارة الأزمات والشؤون الدولية، وعلى تعدد وقائع هذه المصادرة نكتفي بعرض مثال واحد يتعلق "بمؤتمر مدريد"،فقد استقر رأي العارفين أن تسوية الصراع العربي الإسرائيلي ينبغي أن يتم من خلال مؤتمر دولي ترعاه منظمة الأمم المتحدة على أساس قرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن ذات الصلة. وقد ساهم في تزكية هذا الخيار قبول الدول العربية وقبول منظمة التحرير الفلسطينية لصيغة التسوية الدولية على قاعدة القرارين 242 و 338 الصادرين عن مجلس الأمن.لكن استثمرت الولايات المتحدة الأمريكية نتائج نهاية الحرب الباردة ونتائج حرب الخليج الثانية لتجهيز مشروع تسوية بديل يلغي دور منظمة الأمم المتحدة ومرجعية قراراتها فيه لصالح تكريس إسرائيل وانتزاع الإعتراف الدولي و العربي على أساس قاعدة "**الأرض مقابل السلام**" ، وهو ما تم تكريسه خلال مؤتمر مدريد، مما ساهم في الابتعاد عن هدف "السلام العادل والدائم لأزمة الشرق الأوسط " ومازالت الولايات المتحدة الأمريكية تمارس ضغطا على القرار العربي لانتزاع الإعتراف بالدولة اليهودية على القسم الأعظم من فلسطين[12].

ويأتي مشروع الشرق الأوسط الموسع الجديد كتكملة لسياسة منع العرب من تكوين كتلة موحدة ومستقلة ودفعهم إلى الاندراج في السوق العالمية من منطلق واقعهم الراهن كدول ضعيفة وفقيرة وتابعة يمكن بسهولة التهامها وتوظيفها ضمن الاستراتيجيات الدولية[13]، فإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى إشاعة الاستقرار في المنطقة العربية لأغراض عدة ومن خلال تواجدها العسكري المباشر على أراضي بعض الدول الخليجية ، فإن أهم غرض تسعى إليه بعد ضمان النفط بكل متغيراته هو إدماج إسرائيل في الترتيبات الأمنية للمنطقة لتستمر في أداء دورها في بيئة مستقرة لأن إسرائيل هي الحليف الإستراتيجي الثابت والمضمون.

كما ساهمت الضغوط الدولية المختلفة على الدول العربية لاسيما الضغوط الأمريكية والأوربية في تحديد مواقف الدول العربية إزاء القضايا العربية المهمة مما أدى إلى ضعف فاعلية جامعة الدول العربية كمنظمة إقليمية تقوم بإيجاد مخرج وحلول ناجعة للمشاكل التي تعاني منها الأقطار العربية، وعليه فقد تحولت من منظمة ذات أهداف عامة شاملة إلى ما يشبه الوكالة المتخصصة لاجتماع ملوك وأمراء ورؤساء الدول العربية وقد إنعكس ذلك سلبا وبشكل قلل من كفاءتها والوكالات التابعة لها .

هذا بالإضافة إلى الأطماع الإقليمية الإيرانية في الخليج، كما أنه بإسم القطرية والسيادة الوطنية تحارب الجامعة العربية بالخفاء والعلانية ، وبإسم الإقليمية وتكتلاتها التي أصبحت واقعا يتمحور العمل العربي حوله وبإسم التكتلات فوق الإقليمية والدولية تحاصر جامعة الدول العربية وغيرها من التحديات التي تواجهها في نطاق الظروف الإقليمية والدولية التي لا تقتصر تداعياتها وآثارها السلبية على فاعلية الجامعة فحسب بل وتمتد إلى وجودها ذاته .

المبحث الثاني: مقترحات إصلاح جامعة الدول العربية:

إن الإعتبارات السياسية هي التي تتحكم في عملية التعيين بالنسبة للوظائف العليا في المنظمة الإقليمية، أو حتى في إختيار المبعوثين الديبلوماسين، وهذه الإعتبارات كانت في العديد من المرات على حساب الأفاق المرجوة و الآمال المنشودة. بالإضافة إلى تفشي البيروقراطية فضلا عن التضخم الوظيفى حيث وصل عدد الموظفين فى بعض الفترات الى 950 موظف في حيت أن الحاجة الفعلية لا تتجاوز فى الواقع 500 موظف كما تحولت جامعة الدول العربية الى كيان هرم لم يواكب التغيرات التي شهدها مسرح العلاقات الدولية نتيجة جمود هيكلية الاداري و التي يشهدها المجتمع الدولي

المطلب الأول:الإصلاح على مستوى هياكل جامعة الدول العربية:

إن الإصلاح على مستوى هياكل جامعة الدول العربية طرح بقوة في قمة الجزائر 2005 ،و قد لاقت فكرة تدوير منصب الأمين العام قبولا وتحمسا من بعض الدول العربية نظرا لأنها أولا لا تلقي أعباء إضافية على الدول، ولأنها ثانيا تستند إلى نص المادة 12 من ميثاق جامعة الدول العربية الذي لم يقصر منصب الأمين العام للجامعة علي دولة المقر أو علي دولة بعينها، ولأنها ثالثا ترضي طموح بعض الدول التي ترغب في التواجد أو التعبير عن نفسها بشكل أو بأخر في مواجهة الدول الرئيسية في النظام الإقليمي العربي.

وإذا كان احتكار مصر للمنصب الأمين العام حقيقة واقعية، فإن الأهم من ذلك هو لماذا كان هذا الاحتكار؟ المؤكد أن وجود مقر جامعة الدول العربية كان عاملا رئيسيا في هذا الاحتكار ولكنه بكل تأكيدا كان أيضا تعبير عن قوة مصر ودورها في القضايا العربية وثقلها الإقليمي باعتبارها واحدة من أهم القوى الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط[14] وتلعب دورا أساسيا لاستقراره،ومن ثم فإن إثارة قضية تدوير منصب الأمين العام عبر نص في الميثاق إنما يعبر في الحقيقة عن تململ من الدور المصري ورغبة في تحجيم دور مصر عربيا.

وفي الحقيقة إن القول بأن المطالبة بتدوير المنصب تأتي إقتداء بما يتم في المنظمات الأخرى يجافي الواقع المتمثل أن الأمين العام لجامعة الدول العربية هو شخص عربي ينتخبه مجلس الجامعة ولا يعبر عن دولته حال توليه المنصب،فأمين عام جامعة الدول العربية هو في النهاية موظف دولي شأنه في ذلك شأن الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة. فهل يعني ما سبق رفض فكرة تدوير المنصب؟

إن تدوير المنصب أمر مطلوب و ضروري، إلا أنه لا بد أن يتم إثارة مسألة التدوير في نطاق التوافق بين الدول العربية على تعديل الميثاق بشكل يتوافق وروح هذا التعديل،و ينبغي تدوير منصب الأمين العام لإشعار الدول بأن جامعة الدول العربية بيت العرب بالواقع والممارسة ولابد أن يستقيم عمل الأمين العام مع توافق الدول الأعضاء، فلا يمكن للأمين العام أن يتخذ مواقف معبرة عن مشاعر خاصة دون مراعاة لسياسات الدول ومصالحها.

كما أنه ليس من المنطقي أن تترك مشاكل الجامعة الأساسية ويتم التركيز علي جنسية الأمين العام لها بكل ما يمكن أن تحدثه من توترات وانشقاقات بين الدول العربية في وقت هي في أشد الحاجة للتكاتف والتعاون للتعامل مع تواجهه من تحديات داخلية وخارجية.

وإلى جانب مسألة تدوير منصب الأمين العام، يظل مشروع النظام الأساسي لمحكمة العدل العربية [15] و تفعيله أحد المقترحات الهامة من أجل إصلاح هياكل الجامعة،

فقد نصت المادة 1 من النظام الأساسي لمحكمة العدل العربية أن هذا النظام جزء لا يتجزأ من ميثاق جامعة الدول العربية،وكما نصت المادة 19 منه أن ولاية المحكمة تشمل جميع القضايا التي يعرضها الأطراف عليها كما تشمل جميع المسائل المنصوص عليها بصفة خاصة في ميثاق جامعة الدول العربية أو في المعاهدات و الاتفاقات المعمول بها.

لكن مشروع النظام الأساسي لمحكمة العدل العربية بقي مجرد حبر على ورق في أدراج جامعة الدول العربية ومجرد رقم في سجلاتها، إذ منذ عام 1995 لم تتناول أيه دورة لمجلس الجامعة هذا المشروع نظرا لتصدع المؤسسات العربية المشتركة حسب أ.د عبد المجيد العبدلي نتيجة الزلازل التي تعرضت لها بسب اجتياح العراق للكويت بتاريخ 2 أوت 1990، الخلافات الحدودية قطر و البحرين، قطر و السعودية، الخلافات السياسية المتعددة[16].

وإذا كانت بعض المنازعات العربية–العربية قد تم حسمها من قبل محكمة العدل الدولية و قبلت الأطراف المتنازعة بالأحكام القضائية الصادرة، فإن ذلك يكشف عن مدى الحاجة الملحة لتفعيل النظام الأساسي لمحكمة العدل

العربية، لأن دخوله حيز النفاذ سيوفر آلية قانونية تسهم في حسم النزاعات العربية–العربية وتنقية الأجواء العربية، ويزيح على كاهل الدول الأعضاء إدارة أزمات لا يبررها منطق التضامن العربي، ولا يسوغها عمق العلاقات بينها،بما يزيل الاحتقان الذي لا مبرر له ولا فائدة من ورائه، ويؤدي بالدول العربية إلى تكتيل جهودها لمواجهة الواقع العربي بكل ما يحيط به من أخطار وتحديات على الصعيدين الدولي والإقليمي على السواء.

ومن نافلة القول الإشارة إلى أن وجود آلية قضائية محايدة ستؤدي إلى إطلاق روح المبادرة في ظل اطمئنان تام إلى سلامة الأسس القانونية التي يقوم عليها العمل العربي المشترك ،إذ أن عدم وجود محكمة عدل عربية تابعة لجامعة الدول العربية تختص بتسوية المنازعات التي تثور بين الدول الأعضاء فيها أدي إلى لجوء بعض الدول العربية إلى تسوية نزاعاتهم أمام محاكم دولية أخرى، وذلك كما حدث في النزاع القطري– البحريني، وكذلك النزاع التونسي– الليبي واللذين تم تسويتهما من خلال محكمة العدل الدولية.

ويتضح مما سبق ضرورة إنشاء محكمة عدل عربية وذلك لاستكمال النقص والقصور في النظام العربي لتسوية المنازعات، فمما لا شك فيه أن وجود هذه المحكمة سيساعد كثيراً في احتواء وتسوية المنازعات أيه نزاعات عربية والحيلولة دون تطورها وخروجها إلى الساحة الدولية، ويجب أن يكون اللجوء إلى هذه المحكمة إلزامياً لكافة المنازعات بين الدول العربية، وتكون الأحكام الصادرة عنها ملزمة لأطراف النزاع.

أضف إلى ذلك أن ثمة مجالات كثيرة يمكن لمحكمة العدل العربية أن تؤديها — في حال إنشائها– في نطاق جامعة الدول العربية ليس فقط فيما يتعلق بتسوية المنازعات، وإنما أيضاً بتفسير ميثاق الجامعة العربية، والمعاهدات والاتفاقيات التي تبرم في نطاق الجامعة العربية، وكذلك إعطاء الفتاوى القانونية وتفسير المواثيق المنشئة للمنظمات العربية المتخصصة.

أن العرب مدعوون اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى تعديل ميثاق الجامعة العربية فيما يتعلق بتسوية المنازعات الدولية تعديلا ينسجم مع متطلبات الوضع الدولي الراهن كما أنهم مدعوون إلى تطبيق المادة (19) من الميثاق بإنشاء محكمة عدل عربية تسهم في حل منازعاتهم بأسلوب حضاري بعيدا عن الخلافات في وجهات النظر السياسية فهل هم فاعلون ؟

المطلب الثاني : إصلاح أداء جامعة الدول العربية في حفظ السلم والأمن الدوليين:

وافق مؤتمر القمة العربية بموجب القرار رقم 196 في 1996/6/23 على مقترح الرئيس التونسي السابق زين العابدين بن علي بإنشاء جهاز يتولى مهمة الوقاية من المنازعات بين الدول العربية وإيجاد

أفضل السبل الكفيلة بحل النزاعات بين الدول الأعضاء في الجامعة العربية، وقدم مندوب تونس لدى جامعة الدول العربية مذكرة حول الموضوع نفسه بتاريخ 26/ 2000/2 وقد أوصت اللجنة القانونية واللجنة السياسية في جامعة الدول العربية بتبني هذا المشروع وبالفعل اصدر مجلس جامعة الدول العربية قراره في 2001/3/28 المتضمن الموافقة على إنشاء آلية جامعة الدول العربية للوقاية من النزاعات وإدارتها وتسويتها بين الدول العربية)، على النحو الأتي :

1. إنشاء آلية تسمى (آلية جامعة الدول العربية للوقاية من النزاعات وإدارتها وتسويتها) تعمل تحت أشراف مجلس الجامعة في إطار مباشرته لمهام التسوية السلمية للمنازعات ووفقا لتوجيهاته .
2. تهدف هذه الآلية إلى الوقاية من النزاعات بين الدول العربية ، وفي حال حدوث مثل هذه المنازعات، تعمل على تطويقها والحد من أثارها وتسويتها والتعاون مع المنظمات الإقليمية والدولية عند الاقتضاء .
3. التزام الآلية بالمبادئ المنصوص عليها في ميثاق جامعة الدول العربية ، ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية ، وبصفة خاصة مبادئ احترام سيادة جميع الدول الأعضاء وسلامة أراضيها ، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية وحل النزاعات بالطرق السلمية .

هذا وقد نص القرار القاضي بإنشاء آلية تسوية المنازعات على أن تتكون الآلية من :

آ. الجهاز المركزي (وهو الجهاز الرئيسي) .

ب. بنك المعلومات .

ج. نظام الإنذار المبكر .

د. هيئة الحكماء[17]. .

وهذا ويحق لممثل الدولة العضو في الجهاز المركزي وكانت طرفاً في النزاع حضور أعمال الجهاز لشرح وجهة نظرها ، ويتبع الجهاز عند حله المنازعات بالطرق السلمية التي يراها مناسبة والتي حددتها المادة 6/5 بالتفاوض والمساعي الحميدة والوساطة والتوفيق بين الأطراف المتنازعة[18] وعندما يقرر الجهاز أمر ما (كاتخاذ قرار أو توصية) يقوم الأمين العام للجامعة وبأشراف الجهاز باتخاذ كافة التدابير اللازمة لتنفيذ المقررات .

وعلى الرغم من المساعي التي تبذلها جامعة الدول العربية لتحقيق التكامل ، إلا أن هذا التكامل

.

ظل دون المستوى ويرجع ذلك إلى العديد من المعوقات

المبحث الثالث: معوقات الإصلاح ومستقبل جامعة الدول العربية:

أخفقت جهود جامعة الدول العربية في رتق الصدع ولمّ الشمل كما عجزت عن إيجاد حل لأي مشكلة عربية على مدى أكثر من نصف قرن،إذ حاول عدد من الأمناء العامين للجامعة تقديم أفكار ومشروعات لتعديل الميثاق لجعله أكثر انسجاما مع طموحات وتطلعات الشعب العربي،وبدت التصريحات الرسمية وغير الرسمية عن إصلاح أوضاع جامعة الدول العربية ضرباً من ضروب إعلان النوايا الطيبة ليس إلا. ولكن بقيت جميع هذه المحاولات حبراً على ورق، وبقي الميثاق الأعرج الوثيقة الوحيدة التي تمارس من خلالها الجامعة مهامها(**المطلب الأول**) بالإضافة إلى الإختلاف في الاتجاهات والمواقف بشأن الإصلاح. (**المطلب الثاني**)

المطلب الأول: طبيعة الميثاق الحالي لجامعة الدول العربية:

نصت المادة الخامسة من ميثاق جامعة الدول العربية على أنه " لا يجوز الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة ، فإذا نشب بينهما خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها ولجأ المتنازعون إلى المجلس لفض هذا الخلاف كان قراره عندئذ نافذاً و ملزماً، وفي هذه الحالة لا يكون للدول التي وقع بينها الخلاف الاشتراك في مداولات المجلس وقراراته ، ويتوسط المجلس في الخلاف الذي تخشى منه وقوع حرب بين دول الجامعة فيما بينها ، أو بين دولة من دول الجامعة وأخرى غيرها للتوفيق بينهما ، وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط بأغلبية الآراء"[19] .

إن ميثاق جامعة الدول العربية اقتصر على ذكر الوساطة كوسيلة دبلوماسية واحدة تتيح تدخل مجلس الجامعة في فض المنازعات التي يمكن أن تتطور و تؤدي إلى نزاع مسلح أو يستشف منها إمكانية أن تؤدي إلى نشوب حرب بين الأطراف المتنازعة، وهو ما يمكن أن يؤخذ عليه واضعي الميثاق، إذ أن المفترض في وظيفة المنظمة الدولية أنها" وظيفة وقائية"، كما أن الوساطة ليست بالضرورة ملزمة، فهي تظل في النهاية مبادرة ودية يقوم بها المجلس بغية الوصول إلى حلول مرضية للأطراف المتنازعة ، وفي أمور لا تخص مسألة استقلال الدول أو سلامة أراضيها أو سيادتها .
وهذا بدوره يطرح تساؤلا عريضا ، ماذا لو قبلت الأطراف المتنازعة اللجوء إلى مجلس جامعة الدول العربية في أمور يحق للمجلس بموجبها اتخاذ قرار ملزم ولم يطبق أحد الأطراف نتائج الوساطة ؟

إلى جانب الوساطة كوسيلة سياسية، أشارت المادة الخامسة من ميثاق الجامعة الدول العربية إلى التحكيم كوسيلة قضائية مع تأكيدها على طابعه الاختياري ،و هذا يعني أن المسألة تظل مرهونة برغبة و إرادة الأطراف المتنازعة ، فلا يحق لمجلس الجامعة القيام بمهمة التحكيم بدون رضاء الأطراف المعنية بنزاع أو خلاف ما بغض النظر عن درجة خطورة هذا النزاع و طبيعته، كما أن غياب أية إشارة في الميثاق إلى طبيعة الجزاء الذي يمكن أن يترتب على الأطراف التي قبلت التحكيم ثم رفضت الالتزام بقراراته ،و لذلك يعد الطابع الاختياري الذي تمسكت به الدول العربية عند تأسيسها للجامعة العربية خوفا على استقلالها و سيادتها الوطنية من جهة، ثم تخويل جهاز سياسي- وهو مجلس الجامعة- القيام بمهمة التحكيم وليس جهازا قضائيا ، دفع بالبعض إلى رفض فكرة التحكيم الإلزامي ، وهذا من شأنه أن يساهم في إضعاف دور جامعة الدول العربية في هذا المجال.

ومن نص المادة السابق ذكرها يمكن أن نستخلص بعض الأسس التي ينظر من خلالها مجلس جامعة الدول العربية في المنازعات وتتلخص في ما يلي:

- 1- لا يمتلك المجلس ولاية إجبارية للنظر في المنازعات ، بل تجب موافقة الدول المتنازعة على إحالة النزاع إليه .
- 2. . أقرت المادة المذكورة وسيلتين فقط لحل المنازعات وهما (التحكيم والوساطة) ولا ندري ما هي الحكمة من تحديد هاتين الوسيلتين فقط وإهمال الوسائل الأخرى كالمساعي الحميدة، والمفاوضات ...الخ ،كما أن القرارات في هاتين الوسيلتين تصدر بالأغلبية .
- 3-لا يحق للأطراف المتنازعة الاشتراك في مداولات المجلس وقراراته[20]. ويلاحظ أن المادة المذكورة (الخامسة) قد فرضت على الدول الأعضاء التزاما سلبيا فقط وهو (عدم الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات فيما بينها ، دون أن يفرض على الدول الأعضاء التزاما إيجابيا (كما فعل ميثاق الأمم المتحدة) بوجوب فض المنازعات بالطرق السلمية.
- أن المادة الخامسة من ميثاق جامعة الدول العربية لا تحدد سقفا زمنيا للأطراف يلزمون خلالها بحل منازعاتهم الأمر الذي يؤدي في أحيان كثير بالأطراف إلى الإبقاء على منازعاتهم ، دون حل فتتطور المنازعات الصغيرة إلى منازعات كبيرة قد لا تحمد عقباها وما النزاع بين شمال اليمن وجنوبها قبل الوحدة الذي حدث عام 1972 إلا دليلا قاطعا على ذلك[21]. ومما لا شك فيه أن هذا السبب وغيره من الأسباب قد أعطت للجامعة العربية

وأعضائها فرصة للتهرب من التزاماتهم في حل المنازعات سلميا وما تسببه هذه الالتزامات من أعباء، فالجامعة قد تسوغ عدم تدخلها في نزاع معين بأن أطرافه لم يعرضوه عليها وهي لا تتدخل في نزاع يتعلق باستقلال دولة أو سيادتها .

أن نظام جامعة الدول العربية قد بُني على أساس احترام سيادة الدول الأعضاء فسوى بينها في التصويت وأخذ بقاعدة أن القرارات المتخذة بالأغلبية لا تُلزم إلا من يوافق عليها وفقا لمقتضيات المادة 7 من الميثاق[22] ، وهكذا ولدت الجامعة العربية منذ اليوم الأول وهي تشكو من قصور تكويني كان له تداعياته السلبية المنطقية على العمل العربي المشترك،وهو ما يستدعي ضرورة تعديل ميثاق جامعة الدول العربية لأن الميثاق المعمول به الآن هو نفسه الميثاق الذي سبق وضعه منذ ما يزيد عن أكثر من نصف قرن، وهذه الحقيقة تقف سبباً كافياً لا لتعديل الميثاق فحسب ولكن لصياغة ميثاق جديد يناسب المتغيرات الجذرية التي جرت على الساحة العربية والإقليمية والدولية[23]،مع العلم بأن مسألة تعديل الميثاق ظاهرة قديمة متجددة، فمنذ أن دخل الميثاق حيز النفاذ غدى هذا الطلب ملحا وإن تأرجحت المواقف مابين الحماس والفتور والتعجيل في التعديل والإرجاء.

ومهما تباينت المواقف، فإن المادة 19 من الميثاق تنص على إمكانية تعديله، إذ أنه يحتاج فعلا لتعديلات مهمة في تجيز فرض عقوبات حتى الطرد على من لا يلتزم بالاجماع لوقف الدول العربية الشاذة عن قراراتها من محاولات شق الصف العربي

المطلب الثاني:الإختلاف في الاتجاهات والمواقف بشأن الإصلاح:

إن عجز جامعة الدول العربية لا يكمن فقط في عدم قدرتها على حماية استقلال أعضائها بل وصل العجز بها إلى عدم قدرتها على توضيح موقفها للإدارة الأمريكية المعارض للحرب ضد العراق في مارس 2003 ، ومن أجل تجاوز هذا الوضع رأت الدول العربية ضرورة البدء بتطوير العمل العربي المشترك من خلال عدة مبادرات لتجميل صورة جامعة الدول العربية رغم أنها تخفي في جوانبها اختلافا في المواقف بشأن إصلاحها ومن ضمنها:

أولا:المبادرة المصرية: التي قدمت إلى مؤتمر القمة العربية في تونس 2004، وتتضمن عدة نقاط ومن أهمها:

1-إعادة النظر في تغيير نظام التصويت بالإجماع إلى الأغلبية عند اتخاذ القرارات مع إلزام الموافقين على القرار بإلزامية تطبيقه.

2-إنشاء جهاز لحل المنازعات بين الدول العربية بالطرق السلمية على أن تكون قراراته ذات طابع إلزامي.

3-إنشاء جهاز أمني عربي تكون مهمته حفظ الأمن لكل الدول العربية في ظل ترتيبات خاصة يتفق عليها.

4-الإسراع في تطبيق القرارات و الاتفاقيات الخاصة بإنشاء سوق عربية مشتركة في مدى زمني محدد[24].

5-دعم المنظمات العربية المتخصصة ، والعمل على إنشاء منظمات وظيفية جديدة تكون عضويتها اختيارية ترتبط هذه المنظمات بجامعة الدول العربية وتوسيع مجال اختصاصاتها أو استقلالها المالي والإداري[25]

6-تطوير جهاز الأمانة العامة وتدعيمه من خلال مزيد من الحرص على تطعيم جهاز الأمانة العامة بأفضل العناصر بما يحفز التوازن بين اعتبارات التوزيع الجغرافي العادل و الكفاءة، ومن ناحية أخرى فإنه من المتعين تحرير الأمانة من القيود المالية التي تكبل حركتها مما يقتضي في مرحلة من المراحل ضرورة رفع سقف الميزانية

ثانيا:المبادرة السعودية:

تضمنت المبادرة السعودية لإصلاح جامعة الدول العربية الدعوة إلى الإصلاح الداخلي وتطوير المشاركة السياسية داخل الدول العربية لبناء القدرات العربية وتحقيق التنمية المستديمة والرفض القاطع لأي عدوان خارجي وحل النزاعات العربية العربية بالوسائل السلمية ووضع خطة لإنشاء منطقة حرة كبرى.

وتتمثل أهم مجالات العمل الأساسية للمبادرة في ما يلي :

أ- تنسيق السياسات الخارجية الأمنية من خلال الرفض الكامل والقاطع لأي عدوان خارجي غير مشروع على أية دولة عربية، والوقوف موقفاً جدياً ضد أية دولة عربية تعتدي على دولة عربية تحت أي ذريعة أو ظرف.

ب -الإصلاح الداخلي وتوفير شروط النهضة والتنمية المستدامة ودعم التكامل الاقتصادي من خلال التطبيق التام لمنطقة التجارة العربية الكبرى وتدفق الاستثمارات وتشجيع القطاع الخاص[26].

وفيما يتعلق بآلية اتخاذ القرارات يتم وضع ميثاق بمعزل عن الجامعة في حالة عدم رغبة البعض في التعهد جدياً بالتزامات الإصلاح، كما أنه يكون ملزماً لكل من يتعهد بالإصلاح ويتحمل المسئولية بجدية في العمل العربي

المشترك، وهذا الميثاق من جانب آخر لا يشكل انتقاصاً من الجامعة العربية، بل يمكن أن يكون هذا الميثاق ملحقاً بميثاق الجامعة مع مراعاة تحديث آلية اتخاذ القرار في الجامعة من خلال التصويت الإيجابي بأغلبية الثلثين، ,تكون القرارات المتخذة بالإجماع ملزمة لكل الأعضاء، كما تكون القرارات المتخذة عن طريق التصويت بأغلبية الثلثين بشأن الأمور المتعلقة بإنشاء الأجهزة والهيئات المعنية بتطوير خطط العمل لتحقيق الإصلاح ملزمة لجميع الأعضاء ، أما القرارات الأخرى ذات أغلبية الثلثين فتكون ملزمة للدول التي صوتت عليها فقط.

ثالثا:المبادرة اليمنية:

ترى اليمن أن إعادة صياغة العمل العربي المشترك هى بداية إصلاح الاختلالات في العلاقات العربية العربية وتنسيق وتوحيد القدرات والإمكانيات لتحقيق التكامل السياسي والاقتصادي العربي الشامل. ويستلزم ذلك انتقال جامعة الدول العربية من وضعها الحالي إلى كيان عربي جديد يمكن أن يطلق عليه اتحاد الدول العربية.

كما ترى اليمن أن هناك بعض المبادئ الجوهرية يقوم عليها هذا الاتحاد وأهمها؛ احترام سيادة كل دولة عربية وحقها في اختيار نظام حكمها، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء، وتشجيع الممارسات الديمقراطية والمؤسسية واحترام حقوق الإنسان، وعدم الاعتراف بالوصول إلى السلطة عبر الطرق غير الشرعية، وقيام نظام أمن عربي إقليمي، والتزام الأعضاء بحل الخلافات سلمياً ورفض استخدام القوة لحل المنازعات، والالتزام بميثاق الأمم المتحدة والحفاظ على الأمن والاستقرار الدوليين ومكافحة الإرهاب.[27]

وأما عن بعض آليات التنفيذ فيمكن أن نذكر المجلس الأعلى للاتحاد، الهيئة التشريعية مجلس الأمة،مجلس رؤساء الحكومات المجالس الوزارية ومحكمة العدل العربية .

ومن خلال استعراض المبادرات والأفكار العربية المقدمة لتطوير العمل العربي المشترك، يمكن الإشارة إلى عدة ملاحظات لعل من أهمها:

أولا: أنها جاءت بناء على دعوة من جامعة الدول العربية لكافة الدول للمشاركة بالمقترحات والأفكار لتطوير العمل العربي المشترك، ، لم تأت مبادرات التطوير نتيجة دوافع ورغبات ذاتية بقدر ما جاءت استجابة لمطلب من الجامعة. وربما يكون ذلك عاملا سلبيا في نهاية المطاف، فكل دولة ستسعى جاهدة لتنفيذ اقتراحها كاملا.

ثانياً:إن هذه المشاريع والأفكار قد جاءت في الأساس استجابة لواقع الأزمة التي يعيشها النظام العربي ليس على المستوى الداخلي، ولكن على مستوى استجابته للتحديات التي باتت تهدد بقاء أو شرعية العديد من النظم القطرية المكونة له.

ثالثا:أن كل المشروعات والأفكار التي تقدمت بها الدول العربية لا تعدو كونها أفكاراً عامة، حيث أسهبت بالأساس

في تشخيص الوضع السيئ الذي يمر به العمل العربي المشترك وجامعة الدول العربية، وهو الأمر الذي يكاد يحوز إجماعا عربيا على المستويين الرسمي والشعبي، ولكنها لم تحدد آليات عملية لتنفيذ ما اقترحت من أفكار لتفعيل العمل المشترك. الأمر الذي يضع الكثير من الشكوك حول إمكانية نجاح تطبيق أي من تلك المشروعات والأفكار في ظل تأكيد كافة المشروعات على ضرورة الحفاظ على السيادة المطلقة لكل دولة كما تتصورها أو تعرفها كل دولة.

رابعا: أن التيار الذي يرى ضرورة الإبقاء على جامعة الدول العربية مع تطويرها مازال مسيطراً على التيارات الأخرى التي ترى ضرورة التخلص من الجامعة وإنشاء كيان آخر،

خامساً:أن المشروعات والأفكار المقدمة تعبر عن وجهات نظر منفصلة، وهو الأمر الذي يعني صعوبة، إن لم يكن استحالة، تبني جامعة الدول العربية لأي من تلك المشروعات،ومن ثم فعلى الأرجح سينحصر الجزء البسيط الذي سيتم الاتفاق على تنفيذه في البنود التي تتعلق بكيفية تطوير وإعادة هيكلة أو ترميم جامعة الدول العربية فقط.

إن هذه المبادرات صعبة التحقيق لتعارضها مع مصالح وسياسات الدول العربية ، كما أن بعض هذه الدول عاجزة على الإلتزام بمثل هذه الأهداف وكلها تتغافل عن جوهر المشكلة وأسبابها الحقيقية التي تكمن في الأنظمة العربية التي تفتقر إلى أي مشروع قومي بالإضافة إلى غياب الديمقراطية وانتهاك حقوق الإنسان وتفشي الفساد، لذلك فإن تحميل جامعة الدول العربية مسؤولية تردي الوضع العربي هو أشبه بعملية هروب من أصل وجوهر الأزمة القائمة.

إن جامعة الدول العربية تبدو بمنزلة" سيارة فخمة بدون محرك" ولكن بدون محرك والمحرك المفقود لا يتعلق بطبيعة الجامعة التي لا تملك سلطة فوق سلطة الدول الأعضاء، بل يتعلق بالدول الأعضاء في الجامعة التي أخفقت في ترجمة حلم الوحدة وصياغة عمل مشترك وبيئة اندماجية[28].

الخاتمة والتوصيات

تبدو جامعة الدول العربية خالية الوفاض فيما يتعلق بسجل إنجازاتها وإن بدا السجل غير مكتظ بتراكمات مؤثرة عبر الزمن فيما يتعلق بأهداف العرب الكبرى لتحقيق الوحدة السياسية أو حماية الأمن القومي أو إنجاز التكامل الاقتصادي. ومع ذلك فإن الإنصاف يقتضي التذكير بأن الجامعة في حد ذاتها ليست مسئولة عن هذا التواضع في الإنجاز كونها منظمة لا تملك إرادة ملزمة فوق إرادات أعضائها، ومن ثمّ فإن تواضع سجل إنجازاتها لا يمكن أن يُفسر إلا على ضوء تواضع التزام أولئك الأعضاء بالعمل العربي المشترك وغاياته.

ويرى جانب من الفقه بحق أن الإرادة السياسية العربية لم تكن غائبة على الدوام ولم تكن عاجزة في كل الظروف والأحوال عن مواجهة الصعاب والتحديات التي طرحت نفسها على النظام العربي، حيث كانت هذه الإرادة موجودة وحاضرة في بعض اللحظات التاريخية، ومن ثم فإن أزمة النظام العربي لا تكمن في غياب الإرادة السياسية، وإنما في عدم القدرة على الإحتفاظ لها بقوة دفع تكفل لها الإستمرارية والتأقلم مع أوضاع إقليمية وعالمية متغيرة، فهذه الإرادة لا تتجلى عادة إلا في لحظات بعينها، ثم ما تلبث أن تفقد قوة الدفع اللازمة لإنجاح أي تجربة تكاملية أو إندماجية حقيقية[29] ويمكن القول حسب الاستاذ أحمد الرشيد أن جامعة الدول العربية بوضعها الراهن تعيد الي الاذهان تجربة عصبة الامم فإذا كانت الحرب العالمية الثانية قد عصف بهذه التجربة بعد نحو ربع قرن من قيامة وتمخضت عن ميلاد منظمة الامم المتحدة بعد ان أخذت فى الاعتبار دروس المنظمة السابقة وتجاربها فى أن الوضع الراهن فى العلاقات العربية يفرض اتخاذ خطوة مماثلة..

أن المشكلة الأساسية تتمثل في التهرب العربي من مواجهة الحقيقة التي تقف خلف ضعف العمل العربي المشترك وهي المتمثلة في غياب الإرادة العربية المشتركة ، فجامعة الدول العربية هي في النهاية مرآة تنعكس عليها طبيعة العلاقات العربية والإرادة العربية .

إن البحث عن مستقبل جامعة الدول العربية في المستقبل القريب سيكون مرتبط بصفة محكمة بالواقع العربي، وبالتالي إن الجامعة العربية ستظل تعاني من الصعاب والأزمات بالرغم من أن الدول العربية لن توجه لها الضربة القاضية ولن يتم انسحابها منها أو تجميد عضويتها بها لكن الجامعة ستبقى تعاني من مسألة الثقة بين الدول الأعضاء[30].

ويتبين لنا مما سبق أن عملية إعادة بناء جامعة الدول العربية وإصلاحها و وتطويرها إنما تستدعي في جانبها الهيكلي التركيز على المواءمة المطلوبة مع معطيات الواقع العربي و الدولي ، كما يتم التركيز على الجانب الوظيفي ومن ثم فإن نقطة البدء في التطوير و الإصلاح قد تتمثل في ضرورة تحديد بعض المجالات التي ليست محلا للخلاف بين الدول الأعضاء وتكثيف النشاط المشترك بشأنها مما ينعكس إيجابيا مما يؤدي إلى خلق أرضية من الثقة المتبادلة بين الدول الأعضاء،ويشجعها على توسيع نطاق العمل المشترك

إن جامعة الدول العربية تتطلب عملية إصلاح واسعة في ظل المتغيرات الدولية الراهنة وخصوصا إن الوطن العربي على الصعيد الإستراتيجي له ثقله الخاص في منظور المصالح الدولية مما يجعله منطقة رخوة تتهددها التوترات وصراعات

النفوذ بالإضافة إلى ضرورة المصالحة بين الدول العربية وذلك بإعادة صياغة العلاقات العربية العربية على قواعد ثابتة وواضحة تسمح بإعادة تأمين استقرار النظام العربي وإيقاف إنهياره والتشكيك فيه[31].

إن معالجة جوانب القصور في عمل جامعة الدول العربية يكون من خلال عدة مبادرات ومن ضمنها ما يلي:

أولا :تعديل ميثاق جامعة الدول العربية أثارت ومازالت تثير اهتمام قادة الدول العربية نتيجة وجود توجه مؤداه أن تعديل ميثاق جامعة الدول العربية من شأنه أن يساعد على تدعيمها، وعلى تجديد أجهزتها ويساهم في تخليصها التخلص من الشلل الذي أعاقها عن أداء مهامها .

ثانيا:إصلاح نظام اتخاذ القرارات، ومن ثم ينبغي الحديث عن ضرورة التوسّع في إعمال قاعدة الأغلبية سواء البسيطة أو المطلقة مع جعل القرارات التي تحظى بموافقة الأغلبية ملزمة للجميع ولا تقتصر على من قبلها فقط.

ثالثا:إصلاح ومعالجة عدم التزام الدول العربية بتنفيذ تعهداتها إزاء العمل العربي المشترك بسبب غياب آلية داخل جامعة الدول العربية تمكنها من إلزام أعضائها بتنفيذ ما يتفقون عليه، وذلك باستحداث آلية تشرف على تنفيذ القرارات.

رابعا:إدخال نظام حرمان للدول المشاركة في الاجتماعات ومن ممارسة حق التصويت إذا ما ارتكبت جرائم في حق مواطنيها أو انتهكت ضوابط السلوك الإنساني الدولي في دعم الإرهاب أو التدخل في الشؤون الداخلية للدول من أعضاء الجامعة أو من خارجها.

خامسا: على جامعة الدول العربية أن تسعى بالتراضي والتوافق لوضع مبادئ عامة للسياسات الاقتصادية للدول العربية تستند على سياسات السوق والليبرالية الاقتصادية والانفتاح الاقتصادي.

سادسا:الاتفاق على آلية فعالة وملزمة لتسوية النزاعات بين الدول الاعضاء بما في ذلك ضرورة وتطوير مجلس السلم والأمن العربي وعدم تجاهله وإعطائه صلاحيات واسعة على اعتبار أن هذا المجلس يعد أحد الآليات المهمة للجامعة العربية والذي يمكن أن يلعب دوراً مهماً في حل الخلافات العربية وتسويتها بالإضافة إلى تفعيل محكمة عدل عربية[32].

قائمة المراجع:

[1] -أحمد عصمت عبد المجيد: جامعة الدول العربية والقضايا المعاصرة،شؤون عربية عدد 73، مارس1993، ص.12.

2- بن عامر تونسي:قانون المجتمع الدولي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الطبعة الثالثة،الجزائر 2003، ص. 216

3- مجدي حماد : مستقبل ودور جامعة الدول العربية في ضوء الثورات العربية، مجلة دراسات أشرق وسطية، العدد 57، خريف 2011.

4- تنص المادة 5 من ميثاق جامعة الدول العربية على أن :"لا يجوز الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة، فإذا نشب بينهما خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها، ولجأ المتنازعون إلى المجلس لفض هذا الخلاف، كان قراره عندئذ نافذًا وملزماً. وفى هذه الحالة لا يكون للدول التى وقع بينها الخلاف الاشتراك فى مداولات المجلس وقراراته. ويتوسط المجلس فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة، وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها، للتوفيق بينهما. وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط بأغلبية الآراء"

5- يمكن تعريف التحكيم حسب أ.د على صادق أبو هيف بكونه:" النظر في نزاع بمعرفة شخص أو هيئة يلجأ إليه أو إليها المتنازعون مع إلتزامهم بتنفيذ القرار الذي يصدر في النزاع."

6- تنص المادة 19 من ميثاق جامعة الدول العربية على أن:" يجوز بموافقة ثلثى دول الجامعة تعديل هذا الميثاق، وعلى الخصوص لجعل الروابط بينها أمتن وأوثق ولإنشاء محكمة عدل عربية ولتنظيم صلات الجامعة بالهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل لكفالة الأمن والسلام.

7-أحمد فارس عبد المنعم : جامعة الدول العربية، مركز دراسات الوحدة العربي ، الطبعة الأولى، بيروت، 1986، ص. 80

8-أحمد عارف ارحيل الكفارنة: الآثار السياسية في النظام الإقليمي العربي في ضوء احتلال العراق، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية والقانونية، المجلد 25، العدد الثاني،2009، ص.626.

9- أحمد عارف الكفارنة: الأردن في النظام الإقليمي العربي، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية،غير منشورة،الجامعة الأردنية، ص135.

10- حسن سليمان: تكييف طبيعة الأوضاع العالمية الجديدة في: مصطفى كامل السيد وصلاح زرنوقة، العرب ونظام عالمي جديد، ، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، القاهرة، 1998، ص. 86-89.

11- راجع مؤلفنا" القانون الدولي النووي والطاقة الذرية، مؤسسة حمادة للنشر والتوزيع،دار اليازوري، الطبعة الأولى، الأردن، 2012،، ص.280

12- عبد الإله بلقزيز: ماذا تبقى من الأمم المتحدة في العدوان على العراق وعلى المجتمع الدولي،إفريقيا الشرق، المغرب،بيروت، 1999، ص.109-110.

13- أحمد يوسف أحمد: العرب وتحديات النظام الشرق أوسطي، الطبعة الأولى،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، مارس 1994، ص. 17

14- يحي حلمي رجب : النظام القانوني لجامعة الدول العربية، مجلة والأمن ، دبي ، كلية الشرطة، العدد الأول، السنة العاشرة ، جانفي 2000، ص. 209

15-بمناسبة مرور 50 عاما على تأسيس جامعة الدول العربية الموافق ليوم 22 مارس 1995 نظر مجلس الجامعة في نص مشروع النظام الأساسي لمحكمة العدل العربية الذي لم يقع تبنيه بعد.

16- أ.د عبد المجيد العبدلي: قانون العلاقات الدولية، أروبيس للطباعة، الطبعة الثانية، تونس، 2000، ص.493

17- أنظر: نص قرار الجامعة العربية بإنشاء آلية تسوية المنازعات العربية وكذلك صيغة الآلية ونصوص موادها والمنشورة على شبكة الانترنيت على الموقع (WWW.F3.F3.COM) ، بتاريخ 2003/1/28 .

18-وفي هذا اختلاف عن المادة (5) من ميثاق الجامعة العربية التي أقرت وسيلتين فقط لتسوية المنازعات وهما التحكيم والوساطة .

19- المادة (5) من ميثاق جامعة الدول العربية .

20- يسمح ميثاق الأمم المتحدة للدول التي هي أطراف في نزاع يعرض على مجلس الأمن الدولي بالاشتراك في المناقشات المتعلقة بالنزاع ، دون أن يكون لها حق التصويت ، أنظر المادة (32) من الميثاق .

21- د. صالح جواد الكاظم :دور الجامعة العربية في حل المنازعات العربية،الجامعة المستنصرية، العدد الخامس،1974-1975، ص. 65

22- تنص المادة 7 من الميثاق:" ما يقرره المجلس بالإجماع يكون ملزماً لجميع الدول المشتركة فى الجامعة، وما يقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزما لمن يقبله، وفى الحالتين تنفذ قرارات المجلس فى كل دولة وفقا لنظمها الأساسية.

23- أحمد وفاء حجازي: الجامعة العربية بين الإبقاء و الإلغاء، دراسة قدمت لندوة" الوحدة العربية في ضوء مشروع الإتحاد العربي" أقامها ملتقى الحوار الثوري الديمقراطي، القاهرة، 14-1998/3/17

24- حسن أبو طالب: إصلاح الجامعة العربية، معضلة إلتزام الدول العربية، مجلة السياسة الدولية، العدد رقم 153، يوليو 2003، ص.101

25- أحمد يوسف أحمد: إصلاح جامعة الدول العربية: المتغيرات العربية، المستقبل العربي، مارس 2003،ص.93.

26- عبد الحليم محجوب:مستقبل الجامعة في ضوء مبادرات التطوير و الإصلاح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص.178 .

27-عبد الحليم محجوب: مبادرات إصلاح النظام العربي: الأسس والدوافع والخيارات المستقبلية،دراسات إستراتيجية، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، 2003، ص.23

28--مجدي حماد: جامعة الدول العربية مدخل للمستقبل، ص.486.

29- د . حسن نافعة: الإتحاد الأوروبي والدروس المستفادة عربيا، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت 2004، ص 551-553.

30-- محمد السيد سعيد: أفكار حول التنبؤ بمستقبل الجامعة العربية:50 عاما على الجامعة الدولية، السياسة الدولية، ص 92.

31-أحمد عارف ارحيل الكفارنة: الآثار السياسية في النظام الإقليمي العربي في ضوء إحتلال العراق ، مرجع سابق ، ص.639.

32-لمزيد التعمق راجع: وائل أحمد علوان المذحجي: نحو تطوير دور جامعة الدول العربية في تسوية المنازعات، رسالة دكتوراه، جامعة أسيوط ،مصر 2010.

تحليل وتقيم التنافسية العالمية للإقتصاد الليبي
خلال الفترة 2009 - 2011

الدكتور: نجيب محمد حمودة الشعافي
جامعة الزيتونة الاردنية – الاردن

الملخص

أصبح مصطلح تنافس وتنافسية ذات واقع متزايد الأهمية في الزمن الحاضر. أصبح للتنافسية مجالس أو هيئات أو إدارات ولها سياسات واستراتيجيات ومؤشرات، وتقدم تقارير عنها لكبار المسؤولين وليس لرجال المال والإعمال فحسب. حتى إن بعض الدول كالولايات المتحدة الأمريكية مثلا يعدّ هبوط أحد عناصر أو مكونات التنافسية الاقتصادية مؤشراً يهدد الأمن القومي للبلاد. ولم تعد التنافسية العالمية محتكرة على الشركات لكي تبقى وتنمو أو الأفراد ليحظوا بأولوية فرص التوظيف، بل باتت حاجة أو أشبه بالأمر الملح للدول التي ترغب في استدامة نموها الاقتصادي، وزيادة مستويات معيشة أفرادها، ومشاركتهم في التقدم العلمي والتكنولوجي، لأن هذه الدول أصبحت مجبرة على مواجهة هذا النظام، بصفته إحدى تحديات القرن الواحد والعشرين. واستند الاهتمام أيضا إلى التطورات على المستوى العلمي، والتكنولوجي، وتقاصر المسافة بين العلم والتقانة أو بين الاختراع وتطبيقة. ولم تعد الصناعة مرتبطة، بالضرورة، وفي كل فروعها، بكثافة رأس المال بقدر ارتباطها بالمحتوى المعرفي ومهارات العاملين والإدارة. فالنمو الاقتصادي يسهم في توسيع قاعدة الخيارات أمام الأفراد والحكومات، والمنظمات المجتمعية المختلفة، مما يزيد من إمكانيات زيادة هوامش الحرية أمام الإبداع والابتكار للأفراد ونبذ الاحتكار، ويساعد الحكومات على القيام بأدوار هامة مثل: الرعاية الاجتماعية والصحية والسعي للتقدم العلمي والتكنولوجي بشكل أفضل وفعال. إذ تسلط الورقة البحثية الضوء على القدرة التنافسية للاقتصاد الليبي وترتيبها من بين الدول، ووضع رؤية مستقبلية لليبيا، وربطها بإستراتيجية مقترحة للنمو الاقتصادي المستدام والتطور التكنولوجي، وذلك اعتمادا على الإمكانيات المتاحة والممكنة.

مفاتيح الكلمات: ليبيا، التنافسية العالمية، المتطلبات الأساسية، محفزات الكفاءة، عوامل الابتكار والتطور، النمو الاقتصادي، التطور التكتنولوجي.

Analysis and Assessment of the Global Competitiveness in Libyan Economy 2009-2011

Abstract:

The World Economic Forum publishes a comprehensive series of reports which examine in detail the broad range of global issues it seeks to address with stakeholders as part of its mission of improving the state of the world. Besides reports on its key events and standalone publications such as the Global Competitiveness Report, the Global Risks Report and the Global Gender Gap Report, the Forum produces landmark titles covering the environment, education, individual industries and technologies. The paper domination highlighted the competitiveness of the Libyan economy and organised between the countries, which present the future vision for the Libyan economy and linked with the strategy proposed for the sustainable economic growth and other technological development, depending on the facilities available and possible measures.

Keywords: Libya, Global competitiveness, Basic Requirement, Efficiency Enhancers, Innovation & Sophistication factors, Economic growth, Technological development.

المقدمة:

أصدر المنتدى الاقتصادي العالمي (World Economic Forum) في جنيف تقرير التنافسية العالمي لعام 2010-2011، والذي يقوم سنوياً ومنذ عام 1979 بإصداره، وذلك ضمن سياق دراسة تنافسية الدول والعوامل التي تؤثر في التنمية الاقتصادية المستدامة وتحقيق الازدهار الاقتصادي، إذ يعدّ هذا التقرير أداة مهمة لصانعي القرار من القطاعين العام والخاص في تلك الدول بهدف عمل المقارنات مع مختلف الاقتصادات الإقليمية والعالمية خاصةً عند رسم السياسات الاقتصادية في مختلف الميادين. عالمياً أشار تقرير هذا العام إلى تصدر سويسرا الترتيب العام وتقدم كل من السويد (2) وسنغافورة (3) على الولايات المتحدة الأمريكية التي تراجعت مرتبتين عن العام 2010، لتصل إلى المرتبة الرابعة، ويعود ذلك إلى عدم الاستقرار الاقتصاد الكلي للولايات على مدار السنين الماضية، واستمرار المخاوف بشأن أسواقها المالية، إذ تأتي كل من ألمانيا واليابان وفنلندا وهولندا والدنمارك وكندا على التوالي في المراتب الأخرى ضمن مجموعة الدول العشر الأولى حسب مؤشر التنافسية العالمي (Global Competitiveness Index).

بعد فترة مزدهرة نسبيا، شهدت دول الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا (MENA) تراجعا في متوسط معدلات النمو خلال الأزمة الاقتصادية العالمية، من 6.1 في عام 2008 إلى 2.2 في المئة في عام 2009. ومع ذلك، كان تأثر منطقة الشرق الأوسط من الانكماش أقل من بعض المناطق الأخرى، لأنها لم تكن مرتبطة ارتباطا قويا بالأسواق العالمية. علاوة على ذلك، وضعت العديد من البلدان برامج التحفيز الضخمة في مكانها، مما ساعد على كبح الركود الاقتصادي في كثير من الحالات أدى أيضا إلى إدخال تحسينات في البنية التحتية. وبشكل عام، قد أبرزت الأزمة الاقتصادية العالمية بعض نقاط الضعف التي تعرضت لها اقتصادات المنطقة، وأدى إلى اتساع الفجوة بين اقتصادات دول الخليج، وبقية دول المنطقة، وهو الاتجاه الذي لوحظ خلال السنوات الأخيرة. ومن الجدير ذكره هنا أن لبنان تقدم في الترتيب على سورية التي حلّت في المرتبة 97، وعلى ليبيا التي صنّفت في المركز 100، التي جاءت بعد معظم الدول العربية الأخرى. على الرغم من كل الدول لديها بيئات مستقرة للاقتصاد الكلي (ليبيا خصوصا)، فإنها تواجه العديد من التحديات المستقبلية مثل: عدم كفاءة السلع، والعمل، والأسواق المالية، فضلا عن البنية التحتية المتخلفة، ومستويات منخفضة من اعتماد التكنولوجية. ويقيم تقرير التنافسية العالمي، الذي يصدر بشكل سنوي عن المنتدى الاقتصادي العالمي، القدرة التنافسية لكل دولة من خلال اثني عشر محوراً يضم كل منها عددا من المؤشرات، تشمل تقارير المؤسسات الدولية، البنية التحتية، الاقتصاد الكلي، الصحة، التعليم الابتدائي، التعليم العالي، التدريب، فاعلية السوق وكفاءة سوق العمل، تطور الأسواق المالية، مستوى الجاهزية التقنية، حجم السوق، ومدى تقدم الشركات، والابتكار.

اعتبر برنامج الأمم المتحدة للإنماء أن نصيب الفرد من الناتج الاجمالى "مقوما بالدولار" (انظر شكل 1) والذي يعكس مستوى المعيشة هو المؤشر الثالث من مؤشرات قياس التنمية البشرية، فبعد تمتع الفرد بمستوى صحي ملائم ومستوى تعليمي ملائم أيضا لابد أن يتمتع بمستوى معيشة ملائم لكي يكون قادراً على المشاركة في العملية الإنتاجية

ولكي تتحقق له تنمية بشرية معينة يحدث من خلالها تنمية اقتصادية لابد أن يحصل الفرد على نصيب ملائم من الناتج المحلى الاجمالى، وقد أوضحت التقارير أن ليبيا احتلت المرتبة الـ "8" عربيا والـ "57" عالميا في نصيب الفرد من الدخل القومي "14884" دولارا في العام 2010 مقابل "14328" دولارا في العام 2009. وتبوأت دولة قطر المركز الأول عربيا وعالميا للعام 2010 وبلغ نصيب الفرد في دولة قطر في العام 2010 "90149" دولارا سنويا مقابل "83841" دولارا في العام 2009.

الشكل (1): الناتج المحلي الإجمالي (تعادل القوة الشرائية للفرد) ($ int'l) 1980- 2009

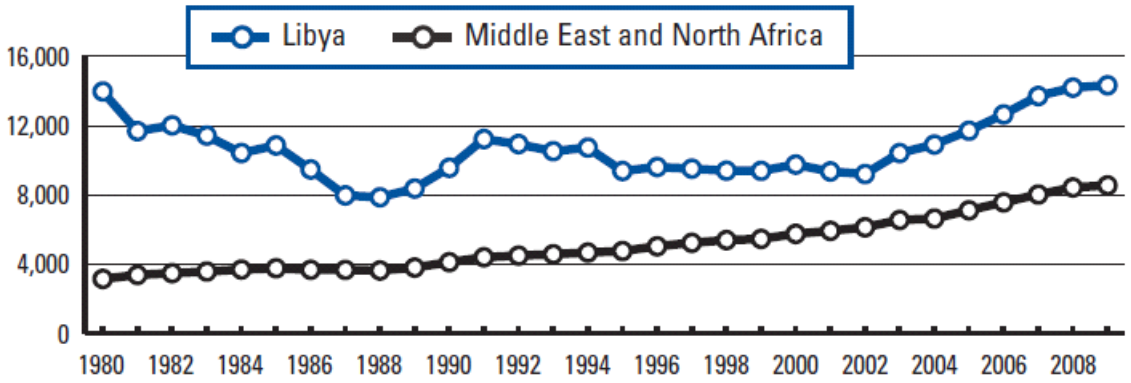

المصدر: (Schwab, 2010).

وأفاد التقرير السنوي (2010-2011)، لمنظمة الشفافية العالمية بأن ليبيا احتلت المرتبة 146 في الفساد والرشوة وبيروقراطية الحكومية من مجموع 178 دولة، فضلا عن عدم كفاية الإمدادات من البنية التحتية. وذلك انعكس لطبيعة النظام السياسي القائم في البلاد في تلك الآونة، إذ لا وجود لأي هامش من المساءلة الجادة المبنية على المعرفة الميدانية لطبيعة المشاكل التي تعاني منها الإدارة، هذا الجهل بقيم الشفافية والمساءلة العامة أدى إلى تفشي ظاهرة الفساد، وذلك واضح عند النظر في ترتيب ليبيا على مقياس الشفافية الدولية كما في الشكل التالي:

الشكل (2): أبرز عوامل إشكالية ممارسة الأعمال التجارية في ليبيا في تقارير التنافسية العالمي لعام (2010-2011)

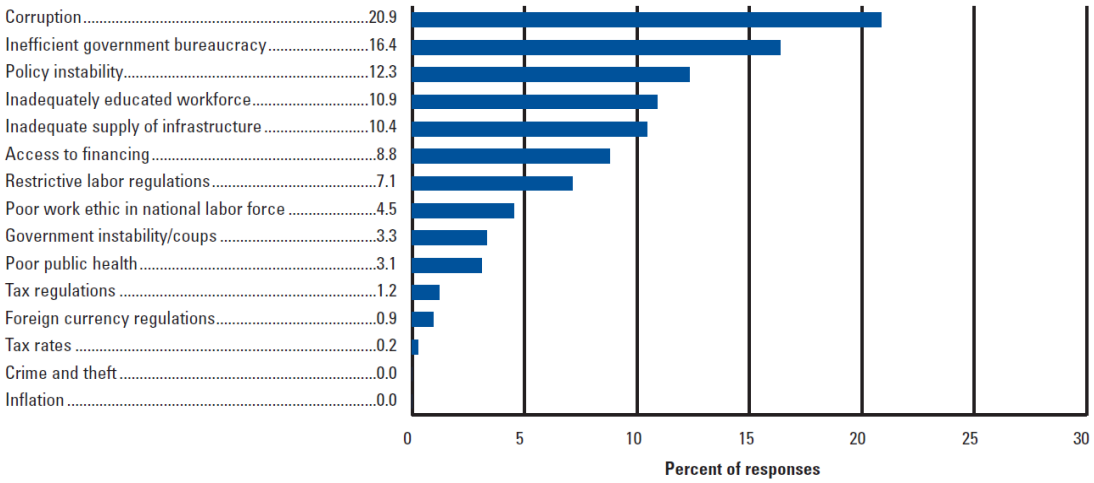

المصدر: (Schwab, 2010).

ترتيب ليبيا ضمن دول المنطقة في التقرير التنافسية العالمي للفترة (2009-2011)

لأول مرة في تقرير هذا العام انضمت كل من لبنان والجمهورية الإيرانية الإسلامية الأمر الذي أدى إلى زيادة عدد دول منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (MENA Region)، المشاركة في التقرير لتصل إلى 18 دولة، إلا أن ليبيا مازالت في الترتيب السابع عشر بين هذه الدول وذلك للسنة الثالثة على التوالي. ففي الوقت نفسه، لم يكن من الممكن لتغطية ليبيا في دورة هذا العام من التقرير السنوي (2011-2012)، بسبب الاضطرابات الاجتماعية المدمرة في البلاد، مما جعل إدراجها غير ممكن.

فالاقتصاد الليبي يعاني من اختلالات جوهرية تجعل إمكانية تحقيق معدلات نمو مستدامة أمراً غير ممكن في الظروف الحالية، وترجع هذه العوائق إلى مشاكل جوهرية في تنوع مصادر النمو الاقتصادي. فالتراجع الكمي في كل من الاستثمار المادي، والتشغيل الكيفي في إنتاجية العامل وكفاءة رأس المال ومجمل إنتاجية عوامل الإنتاج، مما يعكس تدهوراً في رأس المال البشري الذي يعد المصدر الرئيسي للإنتاجية والتنافسية في عالم يفرض مقاوماته التنافسية العصرية للبقاء والاستمرار نتيجة تدني المستوى التعليمي للقوى العاملة كماً وكيفاً، وعدم تطوير الجانب المعرفي والتقني في العملية الإنتاجية، بالإضافة إلى تراجع استخدام التقانة، مما انعكس سلباً على العملية الإنتاجية.

من جانب آخر لعبت التشريعات والسياسات غير المدروسة والمخطط لها وفقا إستراتيجية محددة- بالرغم من كل الجهود التي بذلت بداية التسعينات وفي الفترة (2000-2010)- دوراً غير مشجع للنمو وللاستثمار الأمثل للموارد المتاحة وتطوير القدرات البشرية من جهة وغير المخطط لها نحو زيادة العدالة الاجتماعية، وذلك نتيجة ضعف الكفاءة في إدارة السياسات الاقتصادية الكلية، وعدم وضوح في التوجهات الاقتصادية الإستراتيجية.

نتائج هذه العوامل الجوهرية انعكس سلبا على معدلات نمو حقيقية متراجعة تقل عن معدل نمو السكان الذي لا يتعدى 6,597,960 نسمة لآخر إحصائية 2011، (CIA. 2011). واقتصاد ريعي آحادي المصدر، يعتمد على النفط،

وضعف في قطاع الزراعة، والصناعة التحولية وتضخم في الخدمات، ما عدا الخدمات المالية التي بقيت الأضعف في منطقة شمال إفريقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط، وانعكس ذلك على تنوع ضعيف للصادرات، وقيم مضافة منخفضة وخسارة أسواق تقليدية للسلع الليبية. إن ضعف استغلال الإمكانيات الكامنة الكبيرة نسبياً في الاقتصاد الليبي وخاصة الموارد البشرية قاد إلى خسائر اقتصادية واجتماعية من حيث انخفاض العائد الاقتصادي وبالتالي تراجع رفاهية المجتمع من جهة، وبذل الفرد لأقل من قدراته الكامنة مما يسبب مشاكل اقتصادية واجتماعية ونفسية. إن العدالة الاجتماعية ورفاه الفرد أو المواطن ليست الهدف النهائي للتنمية وحسب، بل هي حاجة لاستمرار النمو الاقتصادي المستدام لعدة اعتبارات أولها: أن تمتع الأفراد بالمستوى المعيشي اللائق يزيد إنتاجيتهم في المجالات كافة، وليس آخرها تعافي المجتمع وقيام علاقات صحية تضمن الوحدة الوطنية والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.

هناك ضرورة لإجراءات سريعة وعميقة في السياسة المالية باتجاه تطوير دور المؤسسات، ورفع كفاءة الإنفاق العام، وزيادة العدالة في التخصيص، بالإضافة إلى إصلاح في الإيرادات الضريبية بأشكاله كافة والتي يعدّ إصلاح السياسات الإدارة المالية على رأس أولوياتها. السياسة النقدية بحاجة إلى إعادة نظر مؤسساتية من حيث استقلالية المصرف المركزي وعلاقته بالمصارف، وإصلاح جذري للمصارف العامة وتفعيل أدوات السياسة النقدية مع بناء التشريعات التحوطية التي تضمن إقامة سوق الأوراق المالية، في مناخ استثماري ملائم، والتي غدت ضرورة موضوعية وملحة لتمويل الاقتصاد الوطني، وربطها بالأسواق العربية والعالمية، مع مراعاة الاستقرار في عوامل الاقتصاد الكلي.

جدول(1): ترتيب دول منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا حسب مؤشر التنافسية العالمي للعامين 2009-2010 و2010-2011.

(Lower Rank = Better Performance)

الدولة	الترتيب لتقرير 2009-2010 من أصل (133) دولة	الترتيب لتقرير 2010-2011 من أصل (139) دولة	فرق الأداء خلال العامين
قطر	22	17	↑5
السعودية	28	21	↑7
إسرائيل	27	24	↑3
الأمارات	23	25	↓2
تونس	40	32	↑8
عُمان	41	34	↑7
الكويت	39	35	↑4
البحرين	38	37	↑1
تركيا	61	61	=
الأردن	50	65	↓15
إيران	-	69	-
المغرب	73	75	↓2
مصر	70	81	↓11
الجزائر	83	86	↓6
لبنان	-	92	-
سوريا	94	97	↓3
ليبيا	88	100	↓12
موريتانيا	127	135	↓8

المصدر: (Schwab: 2009, 2010).

المنهجية المتبعة في تقرير التنافسية العالمي لعام 2010-2011:

إن المنتدى الاقتصادي العالمي (World Economic Forum) في جنيف يقوم سنوياً ومنذ العام 1979 بدراسة تنافسية الدول والعوامل التي تؤثر في التنمية الاقتصادية المستدامة، وتحقيق الازدهار الاقتصادي، إذ يقوم المنتدى سنوياً بإصدار تقرير التنافسية العالمي والذي يعدّ أداة مهمة لصانعي القرار من القطاعين العام والخاص في تلك الدول بهدف عمل المقارنات مع مختلف الاقتصادات الإقليمية والعالمية خاصةً عند رسم السياسات الاقتصادية في مختلف الميادين. كما يمكن عدّ تقرير التنافسية العالمي - والذي يُعد من أهم النشاطات البحثية التي تركز على البعد الاقتصادي- مؤشراً للإنتاجية الكلية التي تتمتع بها الدول، إذ يفترض التقرير أن الاقتصاد الذي يتمتع بتنافسية عالية يكون قادراً على توليد دخل كلي أعلى لمواطني تلك الدولة، وحيث أن إنتاجية الموارد الاقتصادية الموجودة بالدولة تؤثر على العائد على الاستثمار، وكون ان الاستثمار يؤثر على النمو الاقتصادي، فإن الدولة ذات الاقتصاد الأكثر تنافسية ستكون مرشحة، لأن يكون النمو الاقتصادي فيها ذا وتيرة متسارعة أكثر من الدول الأقل تنافسية.

يعتمد التقرير في تحليله لتنافسية الدول المشاركة والبالغ عددها (139) دولة لعام 2010-2011، على نوعين رئيسين البيانات، وهي:

- **البيانات الكمية (Quantitative Data)**: وهي البيانات المتعلقة بالأداء الاقتصادي، والقدرة التكنولوجية، ويتم الحصول على هذا النوع من المعلومات من خلال النشرات الإحصائية المحلية والدولية المنشورة.
- **البيانات النوعية (Qualitative Data):** وهي البيانات يتم الحصول عليها من خلال المسح الميداني الذي يعتمد آراء وملاحظات رجا ل الأعمال في الدول المشاركة بهذا التقرير، بحيث يتم اختيارهم بناءً على أسس معينة تحدد من قبل المنتدى.

ويرتكز التقرير في منهجيته على تصنيف الدول المشاركة بحسب وضعها في مراحل النمو، والتطور الاقتصادي المختلفة إذ يفترض التقرير أن المحركات (drivers) التي تؤدي للتنافسية تختلف باختلاف مراحل النمو وهي: مرحلة الاقتصاد المعتمد على الموارد الطبيعية، ومرحلة الاقتصاد المعتمد على الكفاءة والفعالية، ومرحلة الاقتصاد المعتمد على المعرفة والابتكار، ولكل مرحلة لها المحاور التي تقيس أداء الدولة تبعاً لها كما هو واضح في الشكل (3) التالي:

الشكل (3): المحاور (المؤشرات) لتقرير التنافسية العالمي وتصنيفها حسب المجموعات

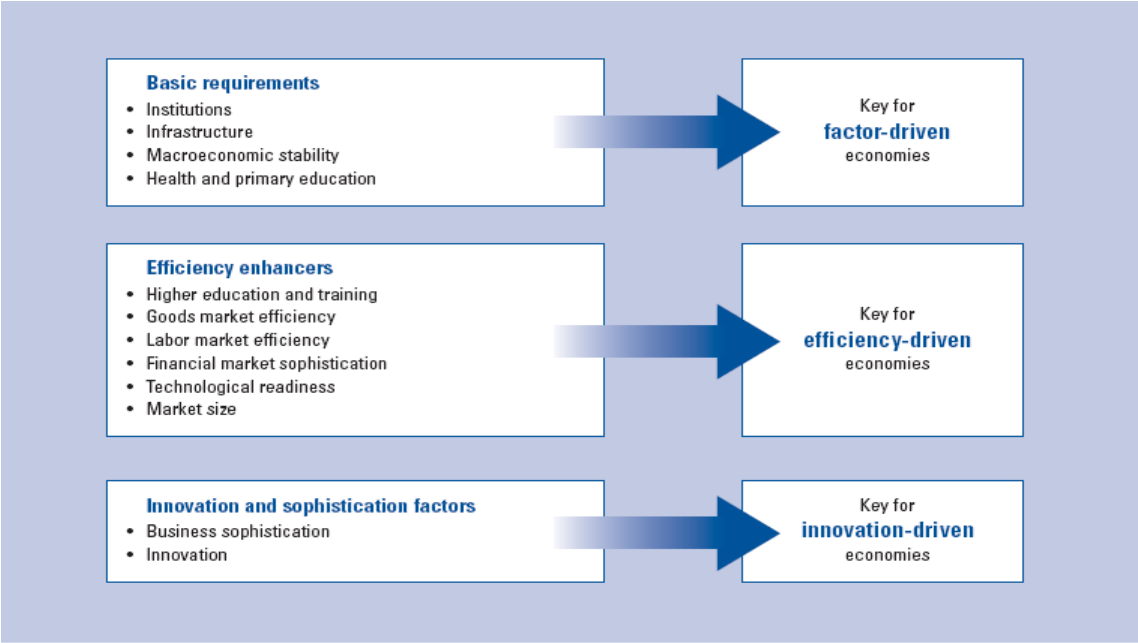

المصدر: (Schwab; 2009).

ما يلي تصنيف المحاور ضمن مجموعات تعكس مراحل النمو والتطور الاقتصادي التي تمر به الدول وتوضيح دلالات هذه المحاور:

أولاً– مجموعة المتطلبات الأساسية (Basic Requirements) وتتضمن المحاور (أو ما يعرف بالمؤشرات الاقتصادية الرئيسية) التالية:

1. **محور المؤسسات (Institutions):**

وهو عبارة عن البيئة المؤسسية التي توفر نطاقاً مناسباً، لتتفاعل فيه الأفراد والشركات والمؤسسات الحكومية من أجل إنتاج وزيادة الدخل القومي، وبالتالي تعزيز الاقتصاد بشكل عام، وعليه يعكس هذا المحور أداء مؤسسات القطاعين العام والخاص.

2. **محور البنية التحتية (Infrastructure):**

ويعكس هذا المحور مدى توفر البنية التحتية الجيدة في مختلف المناطق في الدولة التي من شأنها تقليل المسافات بين المناطق التنموية المحلية من ناحية، ومن ناحية أخرى إدماج وإيصال الأسواق الوطنية إلى الأسواق العالمية بتكلفة منخفضة.

3. **محور مدى الاستقرار على مستوى الاقتصاد الكلي (Macroeconomic Stability):**

إذ يعكس هذا المحور أداء الدولة وسياساتها على مستوى الاقتصاد الكلي، فالاستقرار في البيئة الاقتصادية الكلية مهم لبيئة الأعمال، وبالتالي يلعب دوراً أساسياً في القدرة التنافسية للدولة. مثلاً إن العجز المالي للدولة تحد من قدرة بيئة الأعمال للاستجابة أو التفاعل مع الدورات التجارية والاقتصادية العالمية، كما أن

الشركات لا تتاح لها الفرصة بالعمل بكفاءة وتحقق ربحاً في ضوء ارتفاع معدلات التضخم. باختصار إن الاقتصاد لا يمكن أن يحقق التنمية المستدامة إلا إذا توافر استقرار في البيئة الاقتصادية الكلية.

4. **محور الصحة والتعليم الأساسي (Health and Primary Education):**

إن الاستثمارات في مراحل التعليم الأساسية والخدمات الصحية تعد من أساسيات الاقتصاد النامي، فالمتعلمون الأصحاء هم اللبنة الأساسية في التنمية المستدامة.

ثانياً– مجموعة محفزات الكفاءة (Efficiency Enhancers) وتتضمن المحاور (أو ما يعرف بالمؤشرات الاقتصادية الرئيسية) التالية:

1. **محور التعليم العالي والتدريب (Higher Education and Training):**

في ظل العولمة إن الدول بحاجة ماسة إلى قوة عاملة متعلمة ومدربة على أن تكون قادرة على التكيف السريع مع البيئة الاقتصادية المتغيرة. ويقيس هذا المحور معدلات الالتحاق بالمرحلة التعليمية الثانوية بالإضافة إلى تقييم جودة ونوعية التعليم ومخرجاته من وجهة نظر بيئة الأعمال في الدولة.

2. **محور كفاءة السوق (Goods Market Efficiency):**

يعكس هذا المحور مدى توافر المنافسة الصحية بين الشركات المحلية، كما يعكس دور الدولة في إيجاد التسهيلات حتى تتمكن السلع والخدمات المحلية من الوصول إلى الأسواق العالمية، وتنافس نظيراتها من السلع والخدمات العالمية، هذا بالإضافة إلى تسليط الضوء على طبيعة الطلب في السوق المحلية، ومدى تطور حاجات المستهلكين، وبالتالي فإن وجود سوق قوية في الدولة تمكنها من إنتاج المزيج الصحيح للسلع والخدمات في ظل العرض والطلب.

3. **محور كفاءة سوق العمل (Labor Market Efficiency):**

يعكس هذا المحور فعالية القوة العاملة ومدى توفر المدراء ذوي الخبرة والكفاءة، ويقيم طبيعة أثر هجرة الكفاءات إلى الخارج على اقتصاد الدولة المحلي. كما أن هذا المحور يقيس مرونة سوق العمل في توجيه، وتوزيع هذه القوى على كافة القطاعات الاقتصادية بالشكل الأمثل وبالطريقة التي تضمن أقصى إنتاجية ممكنة.

4. **محور تطور الأسواق المالية (Financial Market Sophistication):**

يعكس هذا المحور كفاءة النظام المالي في توجيه المدخرات المحلية إلى أكثر الاستثمارات إنتاجية، بالإضافة إلى فعالية التشريعات التي تنظم تبادل الأوراق المالية، ومدى حمايتها لحقوق المستثمرين. ومن الجدير بالذكر أن الأنظمة المالية الحديثة القائمة على جهاز مصرفي قوي تلعب دوراً هاماً في إتاحة الفرصة للمبدعين لتنفيذ أفكارهم الاستثمارية.

5. **محور الجاهزية التكنولوجية (Technological Readiness):**

لقد أصبح مدى قدرة الدولة على تحقيق مستويات مرتفعة من الإنتاجية والنمو الاقتصادي يعتمد أكثر

فأكثر على الجاهزية التكنولوجية التي تمتلكها الدولة، ومدى قدرتها على الاستفادة من التطورات التكنولوجية الحديثة سواءً تلك التي تم الوصول إليها محلياً أو التي تم استيرادها من الخارج.

6. **محور حجم السوق (Market Size):**

يؤثر كبر حجم السوق المحلية على الإنتاجية من حيث أن كبر حجم السوق يتيح للشركات العمل في بيئة تتميز بوفورات الحجم، مما يساهم بتقليل التكاليف التشغيلية.

ثالثاً- مجموعة عوامل الابتكار والتطور (Innovation and Sophistication Factors) وتتضمن المحاور (أو ما يعرف بالمؤشرات الاقتصادية الرئيسية) التالية:

1. **محور مدى تطور بيئة الأعمال (Business Sophistication):**

يتضمن هذا المحور نوعية بيئة الأعمال، ومدى تطور سير الأعمال، وطبيعة الاستراتيجيات لدى الشركات المحلية ومدى استخدام تلك الشركات أساليب التسويق الحديثة التي توافق السوق العالمية وقدرة الإدارة العليا فيها على تفويض السلطة. كما يعكس هذا المحور أيضاً مدى تطور مجمعات الأعمال المتخصصة (Clusters) في الدولة التي لها دور فاعل في تحفيز المقدرة على إنتاج سلع متطورة ومميزة ومتنوعة عبر آليات إنتاج متقدمة نسبياً.

2. **محور الابتكار(Innovation):**

إن الابتكار هو الركيزة الأساسية للوصول إلى الاقتصاد المعرفي المتميز، ولخلق إنتاجية مستدامة كفؤة. يعكس هذا المحور البيئة الداعمة للابتكار من مؤسسات وطنية سواءً كانت عامة أو خاصة، ومراكز البحث والتطوير، وتوافر العلماء والمهندسين المتميزين، وفعالية القوانين والتشريعات التي تحمي حقوق الملكية الفكرية.

نتائج ليبيا حسب تقرير التنافسية العالمي لعام 2010-2011

أوضح التقرير تراجع مرتبة ليبيا التنافسية إلى المرتبة (88) من بين (139) دولة مقارنةً مع المرتبة (68) من بين (133) دولة العام 2009-2010. وأشارت النتائج إن جوهر الإستراتيجية هو محاولة استخدام المعرفة المتراكمة عند الدولة المتقدمة بشكل فعال للانتقال إلى مرحلة إنتاج الأفكار والمعرفة في مراحل لاحقة، وهنا يظهر التحدي الأكبر في ردم الفجوة المعرفية مع الآخر التي تزداد بالرغم من التسهيلات التي قدمتها الثورة التكنولوجية في الحصول على المعلومات. بالتالي نحتاج في ليبيا إلى دراسة عميقة للإجراءات التي تعظم الاستفادة من طاقتنا باتجاه نمو مستدام، ومن المفترض هنا التمييز بين النمو في الأجل القصير والطويل. فالنمو في الأجل القصير يمكن إطلاقه بدون إصلاحات مؤسسية كثيفة و بالاعتماد على إستراتيجية استثمارية بالتعاون بين سياسات تشجيعية حكومية ومساهمة أساسية من الأفراد، بينما يحتاج النمو المستدام إلى الوصول إلى مؤسسات على مستوى عالي من الكفاءة والفاعلية، وهذا يحتاج إلى سياسات تشجيع البحث العلمي والتطوير المؤسسي والتعليمي وتحفيز المبدعين والمبادرين وتعزيز ثقافة الثقة والارتقاء بعمل الجهاز الحكومي، واحترام الملكية الفكرية، وسيادة القانون، والتطوير الإداري،

والمشاركة الحقيقية بين مختلف الفئات.

إنه من الجدير الوقف عند التراجع الكبير في مرتبة ليبيا حسب مؤشر التنافسية العالمي (GCI)، حيث يواجه أداء الاقتصاد الليبي عددا من التحديات الرئيسية المتمثلة بتراجع معدلات النمو الاقتصادي، واعتماد الاقتصاد على قطاع ريعي آحادي الجانب كالنفط، وهذا بدوره يجعل الاقتصاد عرضة للتطورات، وتحت رحمة الأسواق العالمية، وارتفاع معدلات البطالة، وانخفاض كفاءة الاستثمارات بشكل عام. ويسعى التحليل لتحديد أهم العوامل المسببة لهذا التراجع في الفترة (2009-2011) مع تحديد دور السياسات الكلية على النمو. وعلى أية حال، يبقى موضوع النمو الاقتصادي، والتقدم التكنولوجي مجال الاهتمام الأول للباحثين والمخططين، وكل العاملين والمهتمين في المجالات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية. ولكل مرحلة لها المحاور التي تقيس أداء الاقتصاد الليبي حسب بعض المحاور الأساسية والتراجع الكبير في مرتبة ليبيا حسب المحاور الأخرى، والتي يمكن عرضها في الجدول (1) على النحو الأتي:

جدول (1): مرتبة ليبيا في المحاور الرئيسية في تقرير التنافسية العالمي للعامين 2009-2010 و2010-2011.

(Lower Rank = Better Performance)

المحاور الرئيسية	مرتبة ليبيا حسب تقرير 2009-2010 (من بين 133 دولة)	مرتبة ليبيا حسب تقرير 2010-2011 (من بين 139 دولة)	فرق الأداء
المجموعة الأولى: المتطلبات الأساسية Basic Requirement	68	88	↓ 20
المحور الأول: المؤسسات	67	111	↓ 44
المحور الثاني: البنية التحتية	105	95	↑ 10
المحور الثالث: بيئة الاقتصاد الكلي	4	7	↓ 3
المحور الرابع: الصحة والتعليم الأساسي	104	115	↓ 11
المجموعة الثانية: محفزات الكفاءة Efficiency Enhancers	110	127	↓ 17
المحور الخامس: التعليم العالي والتدريب	75	95	↓ 20
المحور السادس: كفاءة السوق	119	134	↓ 15
المحور السابع: كفاءة سوق العمل	132	139	↓ 7
المحور الثامن: تطور الأسواق المالية	122	130	↓ 8
المحور التاسع: الجاهزية التكنولوجية	98	114	↓ 16
المحور العاشر: حجم السوق	73	84	↓ 11
المجموعة الثالثة: عوامل الابتكار والتطور Innovation & Sophistication Factors	111	135	↓ 24
المحور الحادي عشر: مدى تطور بيئة الأعمال	111	136	↓ 25
المحور الثاني عشر: الابتكار	106	131	↓ 25

المصدر: (Schwab: 2009, 2010).

مجموعة المتطلبات الأساسية (Basic Requirements):

يلاحظ من الجدول أعلاه أن تراجع ليبيا 20 مرتبة حسب هذه المجموعة عن العام الماضي، فقد كانت كافة المحاور التي شملتها هذه المجموعة نقاط قوة ذات ميزات تنافسية العام الماضي ما عدا محور البنية التحتية إذ مازالت ليبيا تحتل موقعاً متواضعاً ضمن المراتب المتأخرة فيه خلال السنوات الماضية. ومن الملاحظ أنه بعد تراجع الاقتصاد الليبي في أغلب

المحاور المكوّنة لهذه المجموعة هذا العام، بقى المحور الثالث (بيئة الاقتصاد الكلي) ميزة تنافسية في حين أن باقي المحاور لم تعد نقاط قوة هذا العام، وذلك لتراجع مرتبة ليبيا إلى ما بعد المرتبة 88.

المحور الأول- المؤسسات (Institutions) :

تراجع أداء الاقتصاد الليبي حسب هذا المحور 44 مرتبة ليحقق (111) هذا العام بسبب التراجع في كافة المؤشرات المكونة له، ومن أبرزها المحسوبية في اتخاذ القرارات من المسؤولين الحكوميين (122) وعبء التنظيم الحكومي (109) والإسراف في الإنفاق الحكومي (65) واستقلال القضاء (95) وشفافية السياسات الحكومية (135) والتعويل على خدمات الشرطة (100) وحقوق الملكية (111) وتحويل الأموال العامة (123) والسلوك الأخلاقي للشركات (137) وقوة معايير المراجعة وإعداد التقارير (135) وفعالية مجالس إدارة الشركات (139) وحماية مصالح الأقلية (118) وقوة حماية المستثمرين (138) حيث تراجعت مرتبة ليبيا حسب هذه المؤشرات الفرعية 75 و73 و46 و63 و111 و82 و93 و76 و84 و114 و132 و79 و114 مرتبة على التوالي، مع العلم أن هذه المؤشرات جميعاً مستمدة من نتائج تقرير التنافسية العالمي. ومن الجدير ذكره أنه بالرغم من هذا التراجع في هذا المحور واحتوائه اغلب نقاط ضعف، إلا أنه لا يعد ميزة تنافسية لليبيا مقارنة مع أداء الدول الأخرى المشاركة في التقرير. فحماية الملكية وسيادة القانون ومحاربة الفساد والفعالية الإدارية ونوعية التشريعات وزيادة المشاركة الحقيقية للأفراد لا يمكن تحقيقها إلا بتبني خيار الإصلاح الحقيقي لدور المؤسسات.

المحور الثاني- البنية التحتية (Infrastructure):

احتلت ليبيا مرتبة (95) حسب هذا المحور متقدمة بـ عشر مراتب مقارنة مع تقرير العام 2009-2010، بالرغم من التراجع في مؤشر جودة البنية التحتية الشاملة (115) في حين كانت مرتبة ليبيا (108)، والتراجع في مرتبة ليبيا حسب مؤشر جودة البنية التحتية للموانئ إلى مرتبة (116) مقابل 104 للعام 2009-2010، والتراجع في مرتبة ليبيا حسب المؤشر الفرعي للجودة البنية التحتية للنقل الجوي (126) بمقدار سبع مراتب ليحقق المرتبة (133) هذا العام 2010-2011. وهذا انعكس على أداء الاقتصاد الوطني بشكل عام ساعد على ذلك عدم وضوح رؤية الإصلاح وعدم الاتفاق من خلال المشاركة على تحقيق أهداف الإصلاح والأهم وهو الاتفاق على الإجراءات المؤسسية اللازمة لتحقيقة. إن تطوير البنية التحتية له آثار تشابكية هامة من حيث تحسين نوعية حيا المواطن وتخديم بقية القطاعات الإنتاجية وجدب الاستثمارات بهدف التوسع في التنمية الاقتصادية.

المحور الثالث– محور بيئة الاقتصاد الكلي (Macroeconomic Environment):

بالرغم من تواضع مرتبة ليبيا حسب هذا المؤشر على مدار الأعوام الماضية إلا أن الاقتصاد الليبي قد حقق التقدم الوحيد له ضمن محاور الإثنا عشر هذا العام، فقد كان أداء الاقتصاد الليبي جيدا نوعا ما في معظم مؤشرات هذا المحور. حيث تقدمت ليبيا في مؤشر التضخم إلى المرتبة (67) في حين كان يحتل مرتبة (89) العام 2009 محققاً بذلك ميزة تنافسية ويعزى ذلك إلى الانخفاض أسعار النفط العالمية والتي انعكست بدورها بشكل ايجابي على معدلات التضخم،

كما حقق ميزة تنافسية أخرى بحصوله على المرتبة (2) في مؤشر عجز الموازنة و(3) في مؤشر الميزانية العامة للدولة، في حين تراجعت ليبيا في مؤشر معدل التوفير العام إلى مرتبة (39) في حين كانت مرتبة ليبيا (4) العام 2009 حيث يعود هذا التراجع إلى زيادة تشجيع الاستثمار في المشاريع الصغرى والكبرى الذي حصل في العام 2009.

المحور الرابع- الصحة والتعليم الأساسي (Health and Primary Education):

تراجعت ليبيا في محور الصحة والتعليم الأساسي ضمن مجموعة المتطلبات الأساسية حيث سجلت المرتبة (115) مقارنة بالمرتبة (104) للعام 2009، حيث يعزى ذلك إلى التراجع في المؤشرات الفرعية المكونة لهذا المحور كمؤشر الأثر الاقتصادي لمرض للايدز حيث تراجع 7 مراتب عن العام 2009 ليسجل المرتبة (47)، ومؤشر الأثر الاقتصادي لوفيات الرضع على بيئة الأعمال والذي تراجع 3 مراتب ليسجل المرتبة (69) بالإضافة الى تراجع مؤشر جودة التعليم الأساسي بمقدار 22 مرتبة لتحتل ليبيا المرتبة (128). والذي انعكس التراجع في مساهمة التكنولوجيا في النمو الاقتصادي والتي تعد أحد أساسيات النمو المستدام وتعكس ضعف المستوى الصحي والبحث والتطوير في الاقتصاد الوطني.

مجموعة محفزات الكفاءة (Efficiency Enhancers):

تراجعت ليبيا حسب هذه المجموعة 17 مرتبة، وتمثل المحاور والمؤشرات ضمن هذه المجموعة الأكثر أثراً على مرتبة ليبيا حسب مؤشر التنافسية العالمي (GCI)، وذلك لأن ليبيا أصبحت ومنذ العام 2009 اقتصاداً تعتمد تنافسيته كلياً على الكفاءة والفعالية في استخدام الموارد وليس فقط على مدى توافر الموارد الطبيعية والبنية التحتية الجيدة الأمر الذي أدى إلى تسليط الضوء على الجوانب التي يجب على الاقتصاد الليبي معالجتها ليتمكن من تحقيق التطور المرجو ضمن هذه المجموعة.

المحور الخامس- التعليم العالي والتدريب (Higher Education and Training):

سجلت ليبيا المرتبة (95) مقارنة بالمرتبة (75) للعام 2009 متراجعاً بذلك 20 مرتبة، حيث يعزى ذلك إلى التراجع في المؤشرات الفرعية كمؤشر جودة التعليم والذي تراجعت ليبيا فيه 10 مراتب ليسجل المرتبة (138)، والتراجع الملحوظ لمؤشر جودة التعليم الرياضيات والعلوم بمقدار 33 مرتبة ليسجل المرتبة (113) لليبيا ضمن الدول المشاركة في التقرير، هذا بالإضافة لمؤشر توافر البحوث المتخصصة وخدمات التدريب المحلي بمقدار 20 مرتبة ليسجل المرتبة (134)، وجودة تدريب الموظفين بتراجع مقداره 11 مرتبة لتسجل ليبيا المرتبة (110)، ومؤشر جودة إدارة المدارس بمقدار 4 مراتب لتحتل ليبيا المرتبة (137). مما انعكس على مساهمة ضعيفة لرأس المال البشري في النمو الاقتصادي. وهدفت دراسة البنك الدولي (World Bank, 1998) إلى دراسة مدى مساهمة التعليم في النمو الاقتصادي (قياس العلاقة بين معدل النمو الاقتصادي والإلمام) بالقراءة والكتابة ومتوسط العمر المتوقع أن يعيشه الفرد في (83) دولة من الدول النامية خلال الفترة (1960-1977). وتوصلت الدراسة إلى أن الدول التي حققت أعلى معدلات في النمو الاقتصادي كانت تتمتع بمعدلات أعلى في التعليم وكذلك بمعدلات عمريه أطول لأفرادها. وهدفت دراسة لليونسكو

(UNESCO) أجريت على أحد عشر دولة خلال الفترة 1950–1959، لحساب معاملات الارتباط بين القيد في المدارس ونصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي. وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن هناك ارتباطًا بين أعداد الطلاب المقيدين بالمدارس ونصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي. وتوصلت إلى أن هناك ارتباطاً بين أعداد الطلاب المقيدين بالمدارس ونصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي (تقرير الأمم المتحدة، 2004).

المحور السادس– محور كفاءة الأسواق السلعية (Goods Market Efficiency):

تراجعت ليبيا حسب هذا المحور 15 مرتبة لتحقق مرتبة (134) هذا العام 2010 وبذلك هذا المحور لم يحقق الميزة التنافسية للاقتصاد الليبي، ويعود هذا التراجع إلى تراجع ليبيا 14 مرتبة حسب مؤشر عبء الإجراءات الجمركية لتصل إلى مرتبة (109) وتراجع مرتبته حسب مؤشر تأثير الأعمال التجارية من القواعد المتعلقة بالاستثمار الأجنبي المباشر 28 مرتبة ليصل إلى (121)، هذا بالإضافة لمؤشر فعالية سياسة مكافحة الاحتكار بمقدار56 مرتبة ليسجل المرتبة (136)، ومؤشر انتشار الحواجز أمام التجارة بتراجع مقداره 7 مراتب لتسجل ليبيا المرتبة (92)، ومؤشر درجة ميل العملاء بمقدار 11 مرتبة لتحتل ليبيا المرتبة (131)، ومؤشر شدة المنافسة المحلية بمقدار 8 مراتب لتحتل ليبيا المرتبة (130). وبالرغم من تراجع ليبيا في المحور إلا أنه حقق تقدماً حسب بعض المؤشرات الفرعية كمؤشر تكاليف السياسات الزراعية لتصل ليبيا إلى (74) متقدماً بذلك 31 مرتبة عن العام 2009، هذا بالإضافة لمؤشر التعريفات الجمركية لتسجل ليبيا المرتبة الأولى من بين الدول في تقرير التنافسية العالمي 2010 وبذلك لازال هذا المؤشر ميزة تنافسية لليبيا، ومؤشر مدى تأثير فرض الضرائب بمقدار 11 مرتبة لتحتل ليبيا المرتبة (34)، من الجدير ذكره أن هذين المؤشرين مستمدان من نتائج مسح الآراء لقادة الرأي في القطاع العام والخاص في ليبيا من رجال أعمال ومدراء عامين.

المحور السابع– كفاءة سوق العمل (Labor Market Efficiency):

يعتبر هذا المحور نقطة من نقاط الضعف المهمة التي تعيق من رفع تنافسية الاقتصاد الليبي، حيث تراجعت مرتبة ليبيا إلى (139) بمقدار 7 مراتب هذا العام 2010–2011، ويعزى ذلك إلى أن أغلب المؤشرات الفرعية المكونة لهذا المحور شهدت تراجعاً هذا العام، حيث تعتبر نقاط ضعف يجب معالجتها وتتمثل بتراجع مؤشر هجرة الأدمغة بمقدار 39 مرتبة لتصل إلى (134)، والاعتماد على الإدارة المحترفة بمقدار 9 مراتب ليصل إلى (139)، وتراجع مرتبته حسب مؤشر المرونة في تحديد الأجور 12 مرتبة ليصل إلى (123) وضعف العلاقة الرابطة بين رواتب العاملين والموظفين وإنتاجيتهم في ليبيا حيث حقق مرتبة (139) متراجعاً بذلك 6 مراتب، وضعف التعاون بين أصحاب العمل والعمال أو الموظفين (117) حيث بلغ التراجع 19 مرتبة، بالإضافة إلى تدني مشاركة المرأة في القوى العاملة (133) والتي تمثل أدنى مرتبة من بين الدول المشاركة في التقرير. وأشارت دراسة Barro and Lee (2000)، إلى أن تعليم المرأة في المستوى الابتدائي يحفز النمو الاقتصادي بشكل غير مباشر من خلال تأثيرها في تخفيض مُعدلات الخصوبة لدى السكان، وهو أمر يعتبره العديد من الاقتصاديين والديموغرافيين عنصرًا مهمًا في النمو الاقتصادي والتنمية الاجتماعية على السواء.

وهنا تظهر مشكلتان الأولى هي ضعف مساهمة العنصر البشري في الاقتصاد الوطني، وهذا قد يعود جزء منه

إلى انخفاض وتدني الأجور التي لا تعبر في كثير من الحيان عن الناتج الحقيقي للعمالة. وبالمقابل فالإنتاجية الضعيفة للعمالة فهي تعاني من ضعف التأهيل والتدريب تلك الكوادر بما يمكنهم من القدرة على تنفيذ وظائفهم والإلمام بها. كل ذلك يشير إلى عدم الاستفادة المثلى من بنود تخطيط الموارد البشرية للوصول **إلى** تحقيق الأغراض والأهداف.

المحور الثامن- تطور الأسواق المالية (Financial Market Sophistication):

برغم من تراجع الاقتصاد الليبي ثمانية مراتب في هذا المحور (130) إلى انه حقق ميزة تنافسية في مؤشرين من مؤشرات هذا المحور مثل: مؤشر توافر رأس المال الاستثماري (55)، ومؤشر سهولة الحصول على القروض (87)، في حين تراجعت ليبيا تراجع اكبر وخروجها كميزة تنافسية في مؤشر تنظيم بورصات الأوراق المالية حين حقق المرتبة (135) مقابل (125) للعام 2009 ومؤشر التمويل في سوق الأسهم المحلية (122) بتقدم 6 مراتب في العام 2009، بالإضافة إلى تراجع مؤشر القيود المفروضة على تدفقات رأس المال بمقدار 14 مرتبة لتحتل ليبيا المرتبة (134). وهو يعكس تراجع حصة العامل من رأس المال وتراجع البيئة الاستثمارية والدور السلبي للسياسات الاقتصادية في التأثير على الاستحداث وعدم تشجيع إقامة المشاريع غير التقليدية، بالإضافة إلى عدم تعويض إهلاك المخزون من السلع الرأسمالية.

المحور التاسع- الجاهزية التكنولوجية (Technological Readiness):

تراجعت ليبيا في محور الجاهزية التكنولوجية (Technological Readiness) ضمن مجموعة محفزات الكفاءة (Efficiency Enhancers) لتسجل المرتبة (114/139) مقارنة بالمرتبة (98/133) للعام 2009 حيث يعزى التراجع للمحور للتراجع في المؤشرات الفرعية كمؤشر الاستثمار الأجنبي المباشر ونقل التكنولوجيا بتراجع (36) مرتبة ليسجل المرتبة (127/139) ومؤشر مدى توفر التكنولوجيا الحديثة بتراجع (26) مرتبة ليسجل المرتبة (96/139) ومؤشر عدد مستخدمي الانترنت بتراجع (5) مراتب ليسجل المرتبة (116/139)، بالإضافة إلى تراجع مؤشر مدى استيعاب الشركات التكنولوجيا بمقدار 33 مرتبة لتحتل ليبيا المرتبة (99/139). إن رفع إنتاجية عوامل الإنتاج يتطلب تطوير التكنولوجيا وتحسين مؤشرات التنمية البشرية حيث يوجد ارتباط وثيق بين قيمة الناتج للفرد وبين مستوى التنمية البشرية والتطور المعرفي ويعد مصدرا من مصادر النمو المستدام.

وقدمت نظرية النمو الحديثة أو النمو الداخلي نموذجاً للنمو، (Romer 1986, Lucas 1988, Barro 1997) تمحور حول دمج مفهوم رأس المال البشري، كالمهارات والمعارف التي تجعل الأفراد أكثر إنتاجية. وبخلاف رأس المال المادي، يتميز رأس المال البشري بتزايد معدلات عوائده، بحيث لا يتباطأ النمو عندما يتراكم رأس المال البشري .وقد ركزت الدراسات في هذا السياق على العوامل التي تزيد من كفاءة رأس المال البشري (التعليم مثلاً)، أو ترفع من مستوى التقدم التقني (الابتكارات). وبذلك يرتبط النمو وفق نظرية النمو الداخلي، إضافة إلى عنصري رأس المال المادي والبشري، بعوامل داخلية أهمها ما يرفع كفاءة قوة العمل من مهارات ومعارف، أو ما يزيد من مستوى التقدم التقني كالابتكارات والاختراعات .وتندرج هذه العوامل تحت مسمى الإنتاجية الكلية لعوامل الإنتاج.

المحور العاشر– حجم السوق (Market Size):

تراجعت مرتبة ليبيا بشكل طفيف إلى المرتبة (84)، حيث يعزى التراجع للمحور للتراجع في المؤشرات الفرعية كمؤشر حجم مؤشر السوق الأجنبي بتراجع (10) مراتب ليسجل المرتبة (63/139). من الجدير ذكره هنا أن الحل الأمثل للاقتصاد الليبي هو التوجه إلى الأسواق الخارجية لتوسيع السوق أمام المنتجات والخدمات الليبية وذلك لمحدودية وعدم كفاءة السوق المحلية.

مجموعة عوامل الابتكار والتطور (Innovation and Sophistication Factors) :

المحور الحادي عشر– مدى تطور بيئة الأعمال (Business Sophistication):

كانت نتائج ليبيا متراجعة نوعا ما في جميع مؤشرات هذا المحور مما أدى إلى تراجعه (25) مرتبة ليصل إلى المرتبة (136/139) في الترتيب العام 2010-2011، وهذا يعود إلى ضعف الإنتاجية للفرد والمؤسسة والى انخفاض قدرة الشركات على التكيف مع المتغيرات الاقتصادية. وبما أن قدرة المجتمع الليبي على التكيف مع التحديات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة ضعيفة مقارنة مع الدول الأخرى أدى إلى انخفاض ترتيب ليبيا التنافسي في إبراز أهم المؤشرات المتراجعة كما يلي: مؤشر عدد الموردين المحليين (26)، ومؤشر نوعية الموردين المحليين (34)، ومؤشر تطوير الحكومي للقطاعات (47)، بالإضافة إلى تراجع مؤشر جودة رقي عملية الإنتاج بمقدار (29) مرتبة لتحتل ليبيا المرتبة (117) ومؤشر مدى تفويض السلطة (6) مراتب لتصل إلى المرتبة (139/139).

المحور الثاني عشر– الابتكار (Innovation):

تراجعت ليبيا في محور الابتكار (Innovation) ضمن مجموعة عوامل الابتكار والتطور (Innovation and Sophistication Factors) تراجع (25) مرتبة ليسجل المرتبة (131/139) هذا العام 2010-2011، حيث تراجعت مؤشراته الفرعية كمؤشر المشتريات الحكومية للمنتجات التكنولوجيا المتقدمة بتراجع (27) مرتبة ليسجل المرتبة (126/139) ومؤشر جودة مؤسسات البحث العلمي بتراجع (34) مرتبة ليسجل المرتبة (125/139)، بالإضافة إلى تراجع مؤشر التعاون بين الجامعات والمؤسسات الصناعية في البحث والتطوير (16) مرتبة ليسجل المرتبة (131/139) وتراجع كل من مؤشر إنفاق الشركة على البحث والتطوير ومؤشر القدرة على الابتكار (3) مراتب و(10) مراتب ليسجلا المراتب (139/139)، (136/139) على الترتيب لليبيا ضمن الدول المشاركة. أشار تقرير اليونسكو للعلوم UNESCO SCIENCE (REPORT, 2010)، الذي صدر أخيراً، أن الإنفاق على البحث العلمي في العالم العربي في أقل مستوى له في العالم، ففي الدول العربية الإفريقية وصل ما بين 0.3 و4 في المائة، خلال السنوات ما بين 2002 و2007 من جملة الناتج القومي بينما وصل الإنفاق في الدول العربية الآسيوية 0.1 في المائة، في الفترة نفسها وفي الوقت نفسه، بينما وصل الإنفاق على البحث العلمي مستوى العالم 1.7 في المائة من جملة الناتج القومي.

وعندما كانت بريطانيا القوة العظمى في القرن التاسع عشر كان البحث العلمي سر قوتها بما توفر لديها من اختراعات، والولايات المتحدة الأمريكية وريث بريطانيا العظمى في البحث والتقدم العلمي وجذب العلماء من مختلف دول

العالم والإنفاق على البحث والعلماء لتستقطبهم بالهجرة إليها، حتى الرئيس جاك شيراك عندما كان رئيسا لفرنسا في فترته الأخيرة أعلن صراحة أن فرنسا تتبنى الهجرة الانتقائية بمعنى جذب العلماء الأفارقة في مختلف المجالات إلى فرنسا، وقد وجهت الدول الإفريقية عندئذ انتقادا لإعلان شيراك، في أنه يريد أن يفرغ القارة السوداء من عقولها العلمية لصالح فرنسا (البرصان، 2010). ولفت إلى ما تفتقره ليبيا من الموارد البشرية واعتمادها على الموارد الطبيعية كعنصر أساسي للتنمية مما يتطلب تطوير قدرات الأفراد والارتقاء بالبحث والابتكار والاهتمام بالتكنولوجيا المتقدمة.

الخلاصة– السياسات المطلوبة لتحسين بيئة الأعمال في ليبيا:

على الرغم من تبني الحكومة الليبية للعديد من الإصلاحات في مجالات السياسات الاقتصادية وأدواتها المختلفة، فالمؤشرات الفرعية كانت أكثر انخفاضاً والتي تعكس أوجه الضعف في أداء المؤشرات، إلا انه هناك حاجة لبذل المزيد من الجهود المستقبلية لتحسين بيئة الأعمال الليبية وذلك في المجالات التالية:

أولا– تعزيز القدرة التنافسية:

- مشاركة كافة الشرائح الاجتماعية في بناء التصورات المستقبلية والاستراتيجيات.
- تحدي الزمن نتيجة وجود فجوة معرفية كبيرة مع الدول المتقدمة.
- البناء المؤسساتي التدريجي والذي يعتبر عملية معقدة وطويلة الأجل.
- مرونة الإجراءات الحكومية المتعلقة بأداء الأعمال.
- تعميق وتوسعة الارتباطات الصناعية.
- تعزيز الإنتاجية عن طريق الشبكات /العناقيد الصناعية.

ثانيا- تطوير القواعد الصناعية:

- تطوير إدارة الموارد البشرية.
- تأمين الحصول على التكنولوجيا.
- التجهيزات الأساسية.
- الإصلاحات المؤسسية.
- خدمات المال والأعمال.
- ربط الأجور بمعدلات الإنتاجية.
- توفير التكنولوجيا الحديثة في مختلف حقول الإنتاج.
- تقوية العلاقة بين مؤسسات البحث العلمي والقطاع الصناعي.

ثالثا- زيادة العمليات ذات الكثافة المعلوماتية والمدفوعة بالمعرفة في النشاطات، خصوصا التي تتميز بالقيمة المضافة العالية:

- التركيز على البحث والتطوير.
- تطور مجمعات الأعمال (Clusters).
- مقاومة التغيير.
- تصميم المنتجات.
- التوزيع والمشتريات.
- تكنولوجيا المعلومات في التجارة الالكترونية.
- استخدام الشركات لأساليب التسويق الحديثة.
- كفاءة الإدارة العليا على تفويض السلطة في الشركات.
- أداء مؤسسات القطاع العام والخاص بشكل عام.
- البيئة الداعمة للابتكار ومراكز البحث والتطوير.
- تشجيع التمويل من خلال الأسواق المالية المحلية.

رابعاً- بناء الكوادر اللازمة وتغيير الثقافة المجتمعية باتجاه الثقة والعمل واحترام العلم والإبداع والابتكار من خلال:

- جودة التعليم ومخرجاته، وخصوصاً التعليم الأساسي.
- فعالية التشريعات التي تحمي حقوق الملكية الفكرية.
- التسرب المدرسي وانخفاض معدلات الالتحاق بالتعليم الثانوي.
- القدرة على ربط الأسواق العالمية بالأسواق المحلية بكلفة منخفضة.

خامسا- السياسات والإجراءات:

- إصلاحات التعليم.
- التدريب وإعادة التدريب.
- التعلم المستمر ومدى الحياة.
- معالجة الاختلالات الهيكلية لسوق العمل.
- الشراكة في البحث والتطوير.
- الحوافز الضريبية.
- تعزيز هياكل المعلوماتية، للصناعات القائمة على المعرفة والتكنولوجيا.
- تعزيز رأس المال البشري، والإبداع المعرفي ونشره.
- تعزيز تقنية المعلومات والاتصالات الشبكية.
- الدعم المالي وخصوصا رأس المال المبادر.

سادسا– إجراءات أخرى:

هناك إجراءات أخرى من شأنها تحسين بيئة الأعمال في ليبيا مثل:

- ضرورة وجود رؤية قوية وفعالة وواقعية للقيادة، تركز على النتائج وليس على الشعارات.
- تطبيق أسلوب مرن وتدريجي في التحول الاقتصادي، وإعادة صياغة السياسات كلما دعت الحاجة لذلك، وهذا تجاوبا مع تغيرات الظروف الدولية.
- التحسين المستمر للبنية التحتية الأساسية والتكنولوجية (الموانئ، الطرق، المطارات، الاتصالات السلكية واللاسلكية، التجارة الالكترونية).
- توسيع العلاقات التجارية مع العالم من خلال الانضمام إلى التكتلات الاقتصادية الجهوية (الاتحاد الإفريقي والأوربي) والمنظمات العالمية (منظمة التجارة العالمية).
- حماية الاستثمارات من الازدواج الضريبي وتطبيق قوانين حماية الملكية الفكرية والتجارية والصناعية.
- تخفيض الأعباء المالية الإضافية المحملة على الاستثمار والإنتاج، وخاصة فيما يتعلق بـ الرسوم الإدارية في الجمارك، ثمن الأراضي، تكلفة الكهرباء والمياه، تكلفة المعاملات، وباقي الأعباء الأخرى على تكلفة الإنتاج.
- مواجهة ظاهرة تهريب السلع من المنافذ غير الشرعية.
- تحديث الجهاز الإداري للدولة وجعل الموظف العام خادما لأفراد المجتمع وليس العكس.
- تحديث النظام التشريعي، وسرعة الفصل في منازعات الاستثمار وقضايا القانون المدني وتبسيط إجراءات التقاضي.
- القضاء على محاربة ظاهرة الفساد، وتبني ممارسات أكثر شفافية في عملية صنع القرار.
- ترتيب عدد من ورشات العمل مع المعنيين من القطاع الخاص والعام لضمان المشاركة الفاعلة للقطاع الخاص في وضع خارطة الطريق لتحسين وضع ليبيا وضمان تنافسيته دولياً.
- متابعة مؤشرات التقارير الدولية من خلال إعادة تشكيل لجنة خاصة ليشمل عملها كافة التقارير الدولية وذلك لوضع مجموعة توصيات وخطة عمل بجدول زمني لتحسين تنافسية ليبيا وأداءه في المؤشرات الدولية.

المراجع:

البرصان، أحمد. 2020. تقرير اليونسكو للعلوم 2010 يدق ناقوس الخطر: الدول العربية الأقل إنفاقا على البحث العلمي في العالم. ديوان أصدقاء المغرب.

الاقتصادية الإسكوا. العدد الثاني. اللجنة منطقة في والإنتاجية النمو وتقييم الاقتصادي الأداء تقرير الأمم المتحدة. 2004. تحليل آسيا. نيويورك. لغربي والاجتماعية

Barro, Robert J. (1997). "Determinants of Economic Growth: A Cross-Country Empirical Study". MIT Press: Cambridge, MA.

CIA. Central Intelligence Agency. 2011. Factbook. Washington, D.C.: IFC.

Lucas, Robert (1988). "On the Mechanics of Economic Development". Journal of Monetary Economics 22: 3–42.

Romer, P. (1986), "Increasing Returns and Long-Run Growth," Journal of Political Economy, vol. 94, No. 5 , pp. 1002-1037.

Schwab, K (2009). "The Global Competitiveness Report 2009-2010", World Economic Forum, Geneva, Switzerland.

Schwab, K (2010). "The Global Competitiveness Report 2010-2011", World Economic Forum, Geneva, Switzerland.

UNESCO SCIENCE REPORT. 2010. www.unesco.org.

World Bank. 1998. World Development Indicators, 1998. C D – ROM.

مسارات القصيدة في شعر حسين رشيد خريس

الدكتورة: نادية هناوي سعدون
الجامعة المستنصرية – العراق

الملخص

هذا البحث دراسة في البناء الشعري عند الدكتور حسين رشيد خريس الذي يرى الشعر فنا وجدانيا يتصل بالحداثة في أشكالها المتعددة وأساليبها المختلفة تجديدا أو تقليدا. وقد اشتملت القصيدة عنده على ثلاثة مسارات هي المسار الذاتي والمسار الموضوعي والمسار الوصفي ..

Abstract

This research studies the structural buildings in the poetry of Dr. Hussein Rashid Khreis .

This poet Rashid Khreis likes emotional poetry which dependents on multiple stylistic techniques that operated on three ways : the subjective way , objective way and describe way .

المقدمة /

يصف الشاعر الدكتور حسين رشيد خريس[1] في مقدمة ديوانه (حكاية وجدان) تجربته في صناعة الشعر قائلا:" لا أكون مبالغا إذا أنا ادعيت أن الشعر اصدق دليل على الإنسان في أبعاده الثلاثة : الوجدان والنزوع والتأمل فمن جهة يكون الرمز في الشعر نزوعا خفيا والوجدان هو الصراع المتصل من اجل البقاء والتأمل هو حصيلة التجربة والخبرة " [2].

وإذا كان معمار النص على مستوى البناء عبارة عن " ترصيف الكلمات وتنضيد الجمل واصطفاف البنيات اللفظية " [3] ؛ فان هذه التجربة وضعت الشاعر أمام تصور نوعي لماهية الشعر ما بين قصيدة التفعيلة والقصيدة العمودية.

والغاية هي ابتكار ما اسماه القصيدة المركبة وعرّفها بأنها " نوع من الشعر يتجاوز مفهوم القصيدة المتعارف عليه إلى ما يشبه الملحمة ليس بمفهومها القديم وإنما بما تتضمنه من تنويع في الأحداث والأصوات جميعا ومن تصاعد وتباين في المواقف " [4].

وقد دفعه ابتكاره هذا إلى كتابة المطولات الشعرية ذات النفس الملحمي التي نشرها في دواوينه الأربعة سواء أكانت مكتوبة على نمط الشطرين أم على طريقة شعر التفعيلة [5] مثل قصيدة (ذات ليلة) و(رسالة إلى ليلى المريضة في العراق)

. أو كانت على شاكلة شعر حر ذي " شطر واحد ليس له طول ثابت وإنما يصح أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إلى شطر "" [6]

ومعلوم أن القصيدة العربية المعاصرة قد " تحركت نحو مجالات جديدة تؤلف فيه أنموذجها وتنحت طرازها الجديد وهي تجرب مستويات تعبيرية متعددة ومتنوعة في السبيل إلى تحقيق جدتها النوعية والاجناسية بوصفها فنيا تمثل مسارا آخر يعكس وعيا ثقافيا لقيمة القول الشعري ووظيفته " [7]

ومما لا شك فيه أن قصائد ديوان (حكاية وجدان) تحفل بمسحة عاطفية هادرة تنطوي على مكابدات نفسية شعورية كان من تبعاتها أن تطفو النزعات الوجدانية على سطوح القصائد و " قد قيل عن الحب العذري الرومانسي بأنه يعود بجذوره إلى المانوية أي الغنوصية لأنه قائم على العفاف وفقدان الحبيب وهو إلى ذلك حب روحي يستبعد العلاقات الجنسية " [8] ، ليغدو الحب والشعر من ثم شيئا واحدا في المعادلة الإبداعية(المنشئ . الأثر . القارئ) بلا نقيض فيما بينها ..

وتشكل قصائد (سفر الخروج) الجزء الثاني من ديوان الشاعر حسين رشيد خريس إذ تضم خمس قصائد هي بمثابة " محاولة لتطهير الذات من أوهامها وترابيتها " ومتكئا على مقولة ابن رشيق : " وقد قيل عمل الشعر على الحاذق به أشد من نقل الصخر ويقال إن الشعر كالبحر أهون ما يكون على الجاهل أهول ما يكون على العالم واتعب أصحابه قلبا من عرفه حق معرفته وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء " [9]

ونجد في هذا الجزء محاولة جديدة للشاعر تتمثل في خوضه في النقد مبتدئا بالحديث عن الفن والشاعر وملكة النقد تحت عنوان (كلام حول الشعر) وقد شغل ذلك ثلاث صفحات ورأى " انه كلما حقق الشعر عفويته من خلال فن صادق كان أكثر الأعمال براءة وبقدر ما تعطيك القصيدة من القدرة على الغيبوبة عن عالمك بتوليد الأجواء والتهويم في العوالم الأخرى بقدر ما تدنيك من عالم العفوية والبراءة الذي افتقدناه في زحمة الحياة بعد أن تدنينا بالعمل الشعري الرائع إلى عالم السخرة والمهنة فالشعر من هذه الجهة قدرة والهام " [10] .

وناقش قضايا (الفن والشعر والقدم والحداثة وتأثير الشعر على القارئ والواقعية واجتماعية الأدب والزاميته) شارحا معاناته في كتابة المقدمة ليعود بعد ذلك للحديث عن الديوان قائلا :" وهذا الديوان ملئ بالشجن ولكنه لا يدعو إليه تمثيلا من غير تمثل ، واحترافا من غير استعداد وإذا كان مثل هذا الكلام لا يروق لبعض الناس فاني لم اسأل عمن يروقهم وإنما أنا رجل أقول حيث أحسن بغض النظر عن العلة أو النتيجة " [11]

أما نصوص (ذكريات العهود الجميلة) فتشكل الجزء الثالث من ديوان الشاعر وهي تتشابه في الثيمة التكوينية للعناوين من قبيل (اللقاء الأول وكلمات في الحب وعهود الحب ومن دروس الحب وغرور حبيب والحب والنسيان والحبيب المجهول ونعمة الحب ونقمة الحب والحبيب الجاحد والحبيب الماكر والحبيب الحاضر الغائب وابتهالات وأم تهدهد وليدها وسلام على الطائر الجريح وفي رحاب القيروان ويوم الشهيد وشاعر وطيف) .

وافتتح الشاعر الجزء الرابع (المهرجان) بمثل ما افتتح به الديوان السابق بمقولة لابن رشيق القيرواني عن الشعر[12] ، وهذا الجزء كبير واغلب نصوصه عمودية وقد حوى ثلاثين قصيدة ، وتكاد تنقسم القصائد إلى قسمين وطني ووجداني فأما القسم الوطني فيشمل قصائد (الأردن حبنا الكبير والعهد الأردني ونسور الأردن واربد مدينتي الجميلة تحارب وتحية إلى سلط ووقفة على البتراء وبغداد ياعظيمة العرب وخواطر عربية وعرس سناء وخواطر بعد الرحيل ومن مأساة أبولو الثالثة عشرة واثنان في المواجهة ومنى المنى ودمعة على وليد وتحية الشعر للفكر ونشيد الشباب العربي)[13] ، وأما القسم الوجداني فيشمل قصائد: (من شعر الصبا وحديث إلى قلبي والسيدة الأنيقة في مخدعها واغرودة الوطن وعلى العهد ورجاء ولا تسلني أغنية حب حزينة والهوى الآثم وتعالى وبعد لقاء وخل الشكاة واحبك واربد مدينتي الجميلة) [14] .

وسنحاول في الأوراق القادمة تتبع مسارات الثيمة وثوابت الشكل المركب في نصوص الشاعر حسين رشيد خريس كلها ..

أولا / المسار الذاتي

من البدهي في التراث الإغريقي إن الغنوصية تحيل على المعرفة الحقيقية للوجود ، ولا غرو انه منذ زمن بعيد " كانت معرفة الذات ضرورة تمليها الحكمة الفردية أما الآن فهي ضرورة تمليها الحكمة الجماعية "[15] ولهذا كانت معاناته ناجمة عن تناقضات المتناظرين القلب والعقل ،على أساس أن " الزحزحة الدقيقة .. في تاريخ الأفكار التي لا تتعامل مع ما يكمن خلف الأفكار من تصورات إنما تتعامل مع الخطاب باعتباره سلسلة منتظمة ومتميزة من الحوادث " [16] يقول الشاعر في قصيدة الوجدان الجديد :

وحق عينيك عندي الشعر والخير

وعندي الحب والآلام والعبر

وعندي القلب ما زالت خواطره

إذا تثور تغني الخمر والزهر

ولا ابيضاضٌ غزا الفودين مشتعلا

فالنار في القلب قد يصلى بها الشَّعر [17]

وتتعالى الانا لدى الشاعر لتطغى على النص ، فيتغنى بشبابه طفلا بريئا صلى الهوى على قلبه البكر وروحه الطهر وهو جناح لفه القدر من فرط الهيام [18].

وفي قصيدة (إليها) التي كتبها في مرحلة مبكرة عام 1957 يخاطب الآخر في تعادلية الإحساس حزن / فرح ليطغى النفس الحزين التشاؤمي القاتم على اجواء القصيدة متمثلا في مفردات " مكدود ، حزين ، تموت ، رفات " ثم ما تلبث ان تتحول تلك القتامة عنده إلى مرح وسعادة متمثلة في فعلية غنائية ملونة مثل " امرحي ، يخضّر ، يضيء ، سناء ، يغني ، السلام ، ابتسامة ، أشرقت " وهو تفاؤل ممتزج بالأمل فيقول :

إن دنيانا وان ظلت قصيرة

وتغشت بالخيالات الحسيرة

سوف نبقى

سوف نبقى في قلوب الشاعرين

الأماني الخالدات

وبأفواه الحيارى الوالهين

أغنيات ..[19]

وإذا كانت متوالية شجن / سعادة هي الثيمة الغالبة على القصيدة ، فإنها تعود مرة أخرى إلى الشجن والبكاء باستعمال مفردة (أعود) لتشير إلى التحول من الحال إلى اللاحال وتتدفق معها مفردات مثل (تعودين ، صمت ، واجفة):

فأعود ..

وتعودين كما كنا التقينا

منذ عامين على صمت الحياء

وعلى ثغرك تختال ابتسامه [20]

ويهز هذا الاستفزاز كيانه ، لان حلمه صار بعيدا مجسدا في مفردات " النائية" "الساجية" "غابرا" "ذكريات" "تائها" " الغرباء" " باحثا لعلي ان اراك " [21] .وها هو يكررها في هذا المقطع :

مرة أرنو إليك

علني أن اجتلي من مقلتيك

عالمي المأمول

.....

.....

غابرا في ذكرياتي

تائها ما بين أحلامي ونجمي

في ديار الشعراء

وبلاد الغرباء

باحثا عنك لعلي أراك [22]

ولا عجب أن " هذا النمط من الخيال يحتضن الحلم والسرديات الخاصة بالأحلام والأعمال ذات المضامين القوية وتلك التي يوحي جمالها بتفاعل تبادلات محددة.. " [23]

ويقطع البهجة شعاع من الخيبة بصياغات جملية مثل (حسرتاه كم ترى مر عليه ، باحثا عنك عساه ان يراك ، اصداء جروح ، قلبها النابض ادمته القروح ، وتاه في بحر من النور الخضيب) [24] ، لكن لهذه اللمسات الرومانسية الحزينة وظيفة نفسية تطهيرية بمفهوم أرسطو " ففي الوقت الذي يعترض أفلاطون على الفنون التي تثير العواطف والأهواء ومنها التراجيديا فان أرسطو يعتبر هذه الفنون وسائل تطهير علاجي للروح " [25]..لذلك تتغير نغمة الحزن فرحا وغناء ليتحول الشاعر فارسا وفتى مجنونا :

رسمت للفارس الصب علامه

أشعلت في قلبه الدامي هيامه

فاحتواك ساعداه ....

...

....

فإذا أنت على ضفة نهر

والفتى المجنون يسعى

شارد البال حزينا....[26]

وعلى الرغم من تعالي همة الشاعر لتبديد ظلمة الخيبة وإشاعة نور التفاؤل ، الا إن الشاعر آثر أن يبقى تحت وطأة العذاب .. :

في علاك

بعد أن أطلقتُ روحي من قيوده

وتخففت من الماضي العتيق

...

فأعود ....

وتعودين رفات [27]

ولا غرو إن تكرار ثيمة (العود) في المقطع التركيبي (وتموت الأغنيات وأعود وتعودين رفات) في مستهل القصيدة وخاتمتها إنما تدلل على أن " لا أمل للإنسان في أي مكان وفي كل العصور انه الاستلاب والاستغلال وسيادة الشرور " [28]

وفي قصيدة (إلى متى) تكون ثيمة الزمان / المكان تعادلية تتهاوى على اطرافها اسطر القصيدة على افتراض أن " الكاتب أو المؤلف وهو يكتب كلماته أو يؤلف بينها ليبني عوالم نصه على وفق كيفية ما محاكيا بناءات موجودة أو مبدعا في نطاق الممكن النوعي طرائق جديدة في تنظيم بنياته النصية التي يتشكل منها النص الذي يبدع وفق رؤيته لعمله الإبداعي أو تبعا لضرورات تشكيل المعنى" [29] يقول الشاعر :

منذ متى اكتب فوق هذا الطرس

أقيم كل يوم عرس

انشد في البداة

واسأل الرعاة [30]

وتغدو بنية القصيدة زمانية بتزاحم مفردات (الصيف ، الفجر ، المساء ، الصباح ، الليل) ثم ترنو نحو المكان / الكون (العين ، السفينة ، البحر ، الموج ، الغيوم ، النجوم) ومن ثم تحتدم ثيمة الزمن لتكون لها دلالة موضوعية تحيل على التيه والضياع في اللازمان واللامكان ليصبح التعبير هو ذلك " الصوغ التركيبي والتشكيلي يندمج فيه المباشر وغير المباشر ويختلط فيه الواقعي بالسحري والظاهر بالباطن والرؤيوي بالمتخيل " [31] :

مضيت في سكون الليل اقتل الشجون بالشجون

وابتغي الغفران في معابد الكفار [32]

ويجترح القتل والبرود والتيه والفيافي والاسفار عالم النسيان كله :

وظلتُ في منابع النسيان

انسج من خيال الوهم كل يوم لي خيال

وانشد المحال في متاهة الحرمان والمحال[33]

وهذا الضياع في متاهة الحرمان ناتج عن تصادم الواقع والمثال :

واصنع المثال في عوالم لا تعرف المثال

أنا .. انا الذي ابِقتُ يوم الجمعه

وصمت باقي اليوم [34]

ويعكس احتدام التضادات على شكل صور ثنائية ، الوجم الشديد عند الشاعر إزاء الزمن قائلا :

لكنكم لم تذكروا ..وأنكم ناسون

إني الشهيد كنت والشهود

وإنني لم اغترف من بحركم قطرة ماء

وإنني مثلكم ضحية الزمان والعهود

...

..

وإنني لأجلكم وباسمكم وعهدكم

رجعت لا... لن أعود .. لن أعود [35]

وتتوزع قصيدة (أنتِ حبيبتي) العمودية بين جزأين الأول هو إهداء على خلفية رسالة وصلت إليه من الحبيبة " كتبتْ إليه تقول :" أرجو أن تذكرني كلما رست سفينة أفكارك على شاطئ الذكريات " فرد عليها بالقول " فإلى تلك الصباحة والعفة والسمو اهدي هذه الكلمات " [36]

والجزء الثاني هو خطاب شعري ذو شطرين يوجهه للآخر . وهو اقرب إلى البوح النفسي في تجسيد المكابدة والألم منه إلى مجرد التعفف في الغزل والصبابة :

تمرد ففي عينيك ذوب مشاعري

وحلق ففي جنبيك يخفق خاطري

ورفرف لحونا شاجيات تهزني

وتجتاز بي عبر الردى والمخاطرِ

ولا ترض بالسهل البسيط تناله

فمثلك أولى بالعظيم المكابر

فما يفلح الحب الذي ظل صامتا

وما ينفع الأحبابَ كتمُ السرائر

أعلل منك الوهم يوما يضمنا

فامضي على وهم الرؤى والخواطر[37]

وتكون دلالات المفردات المنسابة في تراكيب (ذوب مشاعري ، خفق خاطري ، شاجيات ، لا ترضى ، لا تمت فما يفلح ، صامتا ، ما ينفع ، الوهم) عبارة عن صور حزينة مؤسلبة بالنفي كدليل على تلك المكابدات ودلالة شاعرية تجتمع فيها الثيمتان المتضادتان الشجن /الحبور..

وإذا كانت الصورة " هي أقدم عملية تعامل بها الفكر منذ فجر التاريخ وصلة الوصل بين الفكر والمحيط "[38] ، فان الأفعال (رأيت ، أمعن ، رحت ، الفت ، قلت ، مضيت) [39] وغيرها تفلح في تجسيد صورة متفائلة ووردية فيها الأمل والحلم والانتهاج وبذلك تصبح قراءة الصورة :

يشنف سمعي أن أراكَ محدثي

ويسعد قلبي ان تكون مسامري [40]

وكذلك قوله:

لانتَ حبيبي يسَّر الحب بيننا

معاسير من أمري غدون مياسري [41]

فيتحول العسر يسرا ويشتد الاصرار وتتفتح الامال ويرتاح الخاطر لاسيما في نهاية القصيدة التي صرح فيها الشاعر بشكل مباغت أن الذي كان قد خاطبه بالتاء المفتوحة تحول هنا إلى أنتِ بالتاء المكسورة :

اجل أنتِ من أهوى ومن كان بغيتي ومن كان لي دوما على الدهر ناصري [42]

ومن القصائد الرومانسية التي حفل بها ديوان حكاية وجدان قصيدة (اللحظة) وهي قصيدة تفعيلة ذات صيغة إنشائية تتمازج فيها إيقاعية الألفاظ مع أدوات التعجب والنداء[43]

وفي قصيدة (حياتي) عتاب ونجوى وبوح داخلي عن خلجات نفسية ومشاعر متضاربة إزاء المحيط :

حياتي فراغ وعيشي خراب

وحولي دنيا حطام يباب

تلفتُّ ابغي وجودا لما

يلون قلبي بشتى الرغاب

افما راعني غير فقر الحياة

وبخل الوجود وبؤس المآب[44]

وقد غلب البعد المأساوي على هذا البوح :

فخابت ظنوني بهذي الحياة

وخاب رجائي بذاك الطلاب [45]

وأضفت رومانسية ألفاظ البكاء والحزن مزيدا من التشاؤم والسوداوية على الوعي الفردي المتجه نحو الانعزال والتهميش والهروب من الواقع بحثا عن حرية الخلاص[46]

وتغدو قصيدة (من العزلة الشامخة) العمودية وجدانية حالمة بالأمل والتفاؤل وتغدو صيغة الخطاب طاغية على النص[47] وتتكرر ثيمات الخيبة وصرخات العذاب والذعر والنوح في قصيدة (بعد عام) [48]

وتجدر الإشارة إلى أن الشاعر قد فضل في هذه القصيدة توظيف طريقة القوافي غير المتداخلة ولا يخفى ما للقافية من تأثير مباشر في شد القصيدة وجمعها في وحدة متكاملة إذ " أن استعمال طريقة القوافي المتجاورة غير المتداخلة يساعد في جعل كل مجموعة من الأبيات مستقلة عن الأخرى " [49]

وتتحول هذه الثيمات في قصيدة (استغراق) إلى نغمة رومانسية فيها صبابة واضحة فهناك الجنان والأقحوان والروض والزهر[50]

وتطفح بنية قصيدة (الأمل المكذوب) التي كتبها عام 1953 بالشكوى والحرقة والألم والحزن الرومانسي النابع من هيام الذات المتيمة بالآخر [51] ويتمنى أن يحالفه الحظ في أمل كذوب يكشف له أسرار نفسه [52]

وصارت هذه الحيرة والتواري واللاوعي وهواجس القلب والعذاب والبؤس كلها مشتركة تؤرق أمسه وتغيِّب غده ليغدو تائها في ضياع ابدي وهيام سرمدي:

أمضيت عمري وأحلامي تعذبني

فما جنيت سوى بؤس واعتبار[53]

ويشعره تقدم العمر برؤية قاتمة للحياة ممزوجة بنغمة حزينة ممثلة في ثيمة الليل التي تحكي حقيقة همه ووجده فتتعالى لغة الأنا لتحكي معاناة ذاته :

وشاخ قلبي فما يقوى على جهد

ومات في النفس ازماعي وإصراري

فلا أماني فودي حققت مُثلي

ولا دموعي خلت من بعض اوطاري[54]

وحيرة النفس وقلقها تدفعه إلى تمني المرض :

يا ليتني لم اجز بيتي وأقعدني

داء عضال ولم اخرج من الدار[55]

ليعود إلى الأمل المكذوب الذي خيب أحلامه :

لكنه الأمل المكذوب زين لي

ذاك الطريق بأغصان وأزهار[56]

" انه الموت في الموت والياس من اليأس وفيه وصم الكائنات يجر الموتى إلى سبات عميق ولا يستيقظون " [57]

وتعطي دلالات (البؤس والمنايا والسجن والظلم والدمع والموت والحزن) في قصيدة (غزة المدينة السجينة) سمة وجدانية رثائية تحكي ضياع هذه المدينة :

ايه غزة

كيف خلفت الضحايا

كيف أمسيت حطاما

وبقايا[58]

وتتصاعد أجواء القتامة والمرارة في القصيدة :

حيث للكبر على الجرح إباء

حيث إخوان الشقاء التعساء

لم يزالوا

مثلما كانوا .. اباة شرفاء [59]

ويكشف بوح الشاعر الذاتي عن إباء غزة وصلابة اهلها :

كم شهاب.. فجروا بالأفق

وعلى صفحة ذلك الشفق

كم سطور

كتبوها بالدما والعرق

إنها قصة غزة

..

على الطغيان هزة [60]

وبذلك تتعالى أجواء الانفراج عن فضاء شفاف وبهيج لغد أكثر جمالا واشد ضياء.. ويأخذ نص (ذات ليلة) الذي اشتمل على أكثر من خمسمئة بيت شعري شكلا وجدانيا تتعادل فيه الذات والآخر معا :

وتنهدت ثم انثنتْ

كالطيف يختال اختيالْ

.....

قلت:ارتضيتِ لنفسكِ اليوم المصير [61]

وتأخذ ألفاظ (الحياة والحب والأمل والماضي والظلام والقلب والدمع والوجع وليلة ونجوم وزهور وشعاع والأماني والسرمدي وعمري والهوى والحنين والنوى والورى والرماد والشهب) حيزا واضحا " لان كل كلمة هي في الأصل .. تقول شيئا آخر غير ما يبدو في الظاهر أن كل كلمة تشتمل على إرسالية لا يستطيع الفرد وحده أن يكشف عنها " [62] مع قافية تولِّد إحساسا بالتوحد بتوظيف صوت اللام المضموم :

فأجبتها سطر أول والقلب محتدم النضال

وبكل عرق ثورة وبكل جارحة صلال [63]

ومن الباء المضمومة إلى الميم المضمومة ثم الباء المضمومة ثم الترصيع في آخر كلمة من السطر الأول وآخر كلمة من السطر الثاني :

وإذا بها نحو السرير تخطو بذعر كالأسير [64] .

ثانيا/ المسار الموضوعي

شكل التقديم للقصائد هاجسا ملحا دفع الشاعر إلى تجريب الشكل الشعري المطول كنوع من الانخراط في ملحمية القصيدة ، فضلا عن كون التقديم يمثل إيضاحا دلاليا يضيء للقارئ ما عتم أو لأنه . بحسب الشاعر نفسه . ضرورة " تساعد لا على فهم القصيدة فحسب بل على تقديرها أيضا في ظروفها المناسبة " [65]

وهذا يندرج تحت طائلة التركيب التي لازمت الشاعر وحملته على انتهاج القصيدة الطويلة المركبة فهو الشاعر والناقد معا وهو السياسي والمثقف وهو الرومانسي والوطني وهو الملازم للقدامة والداعي إلى الحداثة ..

ويعلل الشاعر تجربة الشكل الملحمي المعاصر بالقول : " عادت لنا أساطير الأولين وملاحمهم وكأنها شواهد واقعية .. حتى ليخيل إليَّ أن تلك الملاحم والأساطير.. هي أدب المستقبل وها نحن نواجه المستقبل من حاضر متوتر قلق غير مستقر بعد ماض طويل رتيب " [66]

وتعد قصيدة (سفر الخروج) التي اختارها عنوانا للجزء الثاني أهم قصيدة امتلكت الشكل الملحمي للقصيدة المركبة .. ولعل من التعيينات البديهية لعنوان القصيدة هو المعطى الروحي .. الا إن المتحصل لدى القارئ بعد الفراغ من قراءة القصيدة بثيماتها وبناها الفكرية غير ذلك تماما إذ " يمكن للعنوان خلافا لما سبق أن يعين نصه مغايرا لمضمونه الحدثي أو الرمزي كما يمكنه أن يعين شكله قديما كان أم جديدا أو يحدد جنسه الذي ينخرط فيه .." [67]، ويكشف الغطاء الدلالي في هذه القصيدة عن إشكالية المعنى الكامنة في التعبير[68] والمتمثلة في ملحمية الشكل الذي تألف من عشرات الأبيات وتسير على وتيرة واحدة في الموضوع عينه وضمن الشكلية الفنية عينها ولا تكاد صور الطبيعة تفارقها لاسيما طبيعة بيروت :

وإذ بالمكان البهيج البهي

وبالروض والزهر طلق عطير [69]

والقصيدة عمودية ذات قافية رائية وبنية فعلية ماضية تسرد بضمير المتكلم مع تناصات حكائية وميثولوجية ومطلعها :

وأقسمت بالحب ..بالذكريات

بآلام نفسي بقلبي الكبير

لاقتحمن رحاب الحياة

وامضي مع الركب صلب المسير [70]

وافتتح الشاعر قصيدة (وجدانيات) التي كتبها عام 1965 بمقدمة نقدية قائلا : " ولعلي بدأت كتابتها إثناء سنة 1966 ثم اهملتها زمنا غير قصير وكنت اعود اليها من حين لاخر على تباعد المسافة الزمنية ولا اذكر اني قصدت الى انهائها الا بعد ان نويت اخراج هذه المجموعة فرايت ضمها اليها وكان ذلك عام 1971 على الارجح " [71] ، وقد بدأ البيت الاول بتكرار كلمة واحدة هي :

وجدان .... يا وجدان

تاركا فراغات للقارئ ليملأها والقصيدة تتمتاز باللمحات الصياغية والاسلوبية المتمثلة في توظيف ياء المتكلم (شبابي ـ وجداني ..) فضلا عن استقدام ألوان الطبيعة وأشكالها داخل النص :

كأنما وجودنا مناظر

تبثها الأوهام في النواظر [72]

وتتنوع القافية بعد كل بيتين بحروف النون المكسورة الراء المكسورة واللام وهي تحفل بالترصيع الذي هو قسم من أقسام التجنيس ويعني أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز أو مقاربتها . فيكون آخر حرف من الشطر الأول متفقا مع آخر سطر من الشطر الثاني :

آن على زماننا وجدان

كيف تقضي ما به احسان [73]

يا صاح يا انسان يا مختـار

يا من يسوق العقل العقل بالاوطار

يا من على السحاب يرسم الحروف

وفي ضمير البحر روحه يطوف [74]

وتتكرر المخاطبة بياء النداء مثل (يا ضجة ، يا صحوة ، يا غفوة ، يا كوثرا) كقوله :

يا بسمة الربيع في شتائي

ودفقة الحياة في دمائي [75]

والقصيدة طويلة تصل الى عشرات الابيات تتحول الى حكمة وزهديات بخطاب ونداء وختامها قوله :

فانت باق حيث كنت انتا

اليك عودا كل ما اسلفتا [76]

وافتتحت القصيدة الملحمية (ثورة الألم) بذكريات الشاعر عن كتابة النص وكيف اختار عنوان القصيدة وقد حدد موضوعها بانه يبحث في " مظاهر القوة المادية للانسان تشاركه فيها احط الكائنات الهواء يحرك الماء الذي يدفع بتياره الاجسام اما اسمى مظاهر القوة فهو العقل هو معجزة الله اوجدها في الانسان " [77] ولعل في هذا التكنيك الذي لجأ إليه الشاعر وظيفة اغرائية تستدعي استعارة أو تداولا لتحريك القارئ نحو سيناريو قرائي محدد .. [78] ، والقصيدة نونية مكسورة واول بيت فيها :

وحملتها شعواء تلهب من دمي

وتهد من عزمي ومن بنياني [79]

وفيها يتعالى صوت الذات إلى درجة التضخم في نرجسية عالية وانا طاغية في التغني بألوان الطبيعة :

وتركت امالي لها تلهو بها

وتهيم بين جداولي وجناني

ساروا يغادون الحياة كما راوا

أن الحياة صناعة الانسان [80]

وهي عاطفية تتحول من نجوى النفس إلى مناجاة الآخر في إطار روحي هائم :

فالشر اصل في الحياة كما

ان النهى والجهل مقترنان

وأنا وأنت إذا التقينا واحد

وسبرت فينا معدن الانسان [81]

وقد يكون في تكرار الألفاظ " الإله وشيطان والأبيض والأسود والليل والشمس " ما يؤكد كونها (ثورة الألم) .

وكانت قصيدة (ذات ليلة) أطول قصائد ديوان سفر الخروج إذ بلغت ما يقارب سبع عشرة صفحة من القطع الطويل وضمت 390 سطرا شعريا وجمعت بين شعر التفعيلة وشعر الشطرين وحفلت بنزعة سردية على صيغة حوارية وتبتدئ القصيدة على النحو الآتي :

وتنهدتْ ..ثم انثنت

كالطيف .. يختال اختيال

وتطلعت نحوي عسى

أن تستبيني بالدلال [82]

ويأخذ الشاعر في تعداد الصفات الجسدية للمتغنى بها كالعينين . القلب . النحر . الصدر . الشعر ليتحول من السرد بضمير الغائب إلى السرد الذاتي تارة بضمير المخاطب :

قلت :

ارتضيتِ لنفسك اليوم المصير

هاتي .. امرحي ..

ان الحياة لنا غدير [83]

وتارة يحمله السرد الذاتي على توظيف ضمير المتكلم :

فقد بعثتُ وادمعي

تبكي معي

ذاك الذي .. أنفقت فيه تضرعي

وتوجعي

ومنحته العمر العزيز .. [84]

ثم يتحول مجرى السرد إلى حوار خارجي لا يخلو من تداعيت داخلية مؤداها مناجاة الحبيبة للحبيب قالت :

وقد أغضت حزينة

..

..

هل أنت تذكر ليلة ..

كنا نعد بها النجوم[85]

إلى أن يقول لها :

فأجبتها

هذا أنا

ذهبت بآمالي الهموم

وضاع بي عمري سدى [86]

وتتعالى الروح الشاعرة لديه فيمتزج الأمل بالألم والتفاؤل بالأفول :

فعساي بين يديك

القي بعض أعبائي الثقال

فيعود لي العزم الشديد

على المصاعب والنضال [87]

وتبادله هي الشعور ذاته فيسرد على لسانها بصيغة التداعي :

قالت فديتك

ما لأحلام الشباب

ثارت بقلبك

فأجبتها والقلب محتدم النضال

..

يا عز لـي أمل

أرى أن ليــس يدركه المنال [88]

ثم يعود إلى السرد الذاتي بضمير المتكلم :

أنا لست الا واحدا ذاق المرارة والشقاء

لـي

مثلهم أمل وضـــاع

ورؤى

تـوارت في البــقاع [89]

ثم تعود القصيدة الى التفعيلة والاسطر القصيرة :

ماذا..

وقد أزف الصباح

وغدا كلانا كالجناح

كل لصاحبه مراح

ثار الهوى

ثم استراح [90]

علما أن الحوارية " هي حوار ثنائي يدور بين شخصيتين في مكان وزمان معينين من غير اعتماد على عامل الحركة المسرحية " [91]

واستهل قصيدة (كفر أسد) بمقدمتين الأولى عن تبرير سبب نظم القصيدة والثانية خلفية تاريخية تعرف ببلدية كفر أسد وأنها إحدى قرى محافظة اربد وقد شغل ذلك الاستهلال مساحة صفحتين ونصف الصفحة من القطع الكبير في حين شغل النص الملحمي مساحة ثماني صفحات من القطع الكبير وعلى نمط قصيدة التفعيلة وأول مقطع منها قوله :

كفر أسد

قريتنا الصغيرة

وردتنا الصغيرة

أما خاتمتها فهي قوله :

والاردن الذي على ضفافه مشى المسيح

وجازه الرسول في إسرائه

يحوطه المديح

من حنق من غضب

يكاد من جبينه ضياؤه يسيح [92]

وافتتح مطولته الملحمية (رسالة إلى ليلى المريضة في العراق) بإهداء قال فيه : " رسالة من الدكتور حسين خريس الى ليلى المريضة في العراق مهداة الى زكي مبارك في ذكراه المئوية الاولى " [93] .

وقد اتبعها بإيضاحات تبرر سبب نظم هذه المطولة الشعرية ليكون الاستهلال عبارة عن " مفتاح إجرائي وتوجيهي لتقييم الكتاب عامة وفهم النص وتقييمه من طرف القارئ على وجه الخصوص "[94] وهذا ما أطلق عليه جينيت المصعقة ويعني به خطاب المؤلف الذي " يضع كل مادته للتقييم / للصعق فيكون التقييم ذاتيا متموضعا في الاستهلال

بكونه غير راض عما كتبه لحد الآن ... كما يمكن أن يكون هذا الاستهلال التقييمي موضوعا من طرف شخص آخر مبديا من خلاله رأيه النقدي في العمل وبهذا فهو يعمل على صعقه " [95]

ويخاطب الشاعر في هذه القصيدة ليلى كرمز للوعة والصبابة بين الوطن والمغترب مما يجعل ألفاظ الحنين والعاطفة الجياشة تغمر القصيدة فهواجس القلب تهطل رؤى وغراما وقد قال في مستهل هذه القصيدة :

ليلى المريضة في العراق سلاما

آنست مغتربا وصُنت ذماما [96]

ويأخذه الفخر بالأجداد إلى التغني بمآثرهم :

وفي تهامة بين اهلك الالى

لا يعرفون معابة او ذاما [97]

وبحسب امبرتوايكو فان " الإنسان بقدر ما هو سجين داخل عالم مريض بقدر ما ينتابه شعور بأنه يختزن قوة فوق إنسانية"[98]. وإذا كان السياب قد ألح على مضمون المرأة في كل مراحله الشعرية [99] ،فان شاعرنا لم يكن متغنيا بالمرأة الا في الإطار الغيري العام لعاطفة الحب والهوى :

فجعلت يا ليلى هواك دريئة

لي من زمان لا يصون ذماما[100]

لكن ما يصارع من اجله كان جناية وصار هواه سقما وإذا به يعود وحيدا في صومعة الهوى لا يرى بداً من أن يحمل لواء الحب لوحده فلا يسانده احد قريب او بعيد وهذا ما جعله يكابد الم الاغتراب وقد باتت " موضوعة الاغتراب واحدة من الموضوعات الشائعة في الستينيات يتصاعد إحساس الأبطال به أمام الاصطدام بفكرة الموت وكان ذلك طبيعيا في مرحلة لم تكن حياة الإنسان تساوي فيها الشيء الكثير ." [101]:

فبنو الخؤولة والعمومة أصبحوا

حرقوا الحقول وقطَّعوا الارحاما [102]

ونجد في قصيدة (اربد مدينتي الجميلة) . التي تعد أطول قصيدة تفعيلة في الديوان إذ بلغت ما يقارب 1125 . نزعة ملحمية وقد غمرها الشاعر بغنائية حماسية في حب الوطن ليصبح ترابط المقدمة والعنوان والقصيدة معا " تجسيدا حيا وأنموذجا صادقا لصورة القصيدة المركبة ... "[103]

ثالثا / المسار الوصفي

قد لا يكون خافيا أن لغة القصيدة المعاصرة ما زالت " تترسم لغة الشعر في إطار إنتاجها التشكيلي والبنيوي خطا تعبيريا خاصا يتمخض عن فرادة أسلوبية قد لا تحقق في أي طراز إبداعي آخر وذلك لان شعرية التعبير في القصيدة .. تنفتح على مساحة قراءة لا حدود لها في بياض التأويل إذ تكتنز فيها الدوال اكتنازا خصبا وتلتئم على شبكة من القيم

والمعاني والإشارات والعلامات والرموز تتداخل فيما بينها على نحو حيوي متوالد وتحتشد في طبقات وبؤر ومستويات ومساقات " [104]

يتكشف في القصيدة عند الشاعر خريس أن هناك انبهارا عاليا بالأسلوب الوصفي الذي تجسد في التغني بالطبيعة والطيور جنبا إلى جنب الطفولة وبراءتها ففي قصيدة (أم تهدهد وليدها) يقول على لسان الأم :

يا كم غفوت بحضني وكان

مهادك صدري وشعري الطويلا

إذن لاستراحت أغاريدنا

وأهدى الحمام إلينا الهديـلا

متى يا حبيبي إليك تعيد

طفولة عمـر وعهدا جميلا[105]

ولا تكاد ألفاظ الطبيعة مثل (الشموس والضياء والمدار والنجوم والمناهل والأبراج والليل والشهب) تغادر نصوصه التي تصبح لغتها " في أعلى درجات تجليها وتثميرها وإبداعها النوعي الذي يمثل تجاوزه .. خرقا لسلامة البنية التعبيرية في اللغة وقد تدخل بعده اللغة في متاهة الإغماض والايهام والإغلاق "[106] نقرا في قصيدة(الحبيب المجهول) :

فإلى متى ركْبُ الهيام يطوف بي

حول المدار وقلبك المأهولُ

وانا أحاول أن أطول نُجومك ال

لائِي رحلن وما أكاد أطولُ [107]

فاللغة " هي الأداة .. التي تفتح عمل الفنان على أسلوبية تنظيمية وتنسيقية تنطوي على منهج وسيرة عمل تؤسس لما يمكن أن نصطلح عليه بالتجربة الفنية .. بحيث يتجدد الفكر بالعاطفة في حاضنة الوجدان " [108] ، فضلا عن تصوير الأجواء الروحية والصوفية والهيام بكل ما هو مقدس في مفردات مثل (استعبد . دعاء . صلاة . خشوع . شمل . العشق . تكثر) كقوله :

انه الحب الذي صيرنا

أولياء العشق والله هدانا [109]

وكذلك قصيدة (ابتهالات) التي تكررت فيها مفردات الملكوت . المقام [110]مع تكرار ثيمة اللوعة والأنين والقسوة والمكر والتواري والغرق واللظى [111] باستعمال :

1) التناقض الصوري في الطباق مثل قوله :

فحبيبي حاضر قدام عيني

وحبيبي غائب وسط الزحام [112]

2) التكرار بياء النداء كما في قصيدة (عيناك) :

أعيناك يا لهفة في القلوب

ويا دفقة من سناء حبيب

ويا بسمة في ائتلاق الصباح

ويا فرحة للحزين الكئيب [113]

3) طبيعة انتقاء العناوين الرومانسية الطافحة والولع والوجد والصبابة والهوى والرقة وعذوبة الألفاظ فمثلا تبدأ قصيدة (اللقاء الأول) بهذا المقطع :

هاهنا كان اللقاء الأول

فاهدئي يا نفس طاب المنزل [114]

4) طفو الغنائية المفعمة بالجمال وصوت الانا والنحن على سطح النصوص من خلال التحسينات " للفظ حينا وللمعنى أحيانا أخرى وفيها تدخل الموسيقى الخارجية (الأوزان) والداخلية جناس الحروف والأصوات والصيغ الصرفية والإيقاعية المشهدية واللونية المقصودة .. للبناء والشكل والفكرة "[115] :

أي لون قد رسمناه على

صفحة منه فكان الغزل [116]

وفي قصيدة (الحب والنسيان) مناجاة للنفس وتعليلها بالصبر والتضحية للحبيب إذ نقرأ :

نسيت ماضي وما يجيء من أيام

فالحب يا حبيبي لا يعرف الأرقام

لا يعرف الأيام والشهور والإعدام

لأنه مد من الطوفان والأحلام [117]

ولما كان تعايش النصوص إنما هو " صيغة تعايش الثقافة .. إذ يعتمد كل نص على النصوص السابقة والتالية له المؤلفة من قبل المؤلفين الذين يمتلكون عقيدته ولوحته وصورة العالم في النص الموضوع .. "[118] لهذا فقد بدت تناصاته مع الشعر القديم ظاهرة على نصوصه ففي قصيدة (رسالة إلى ليلى المريضة في العراق) يسترجع دار جلجل وذكريات امرئ القيس فيها :

يا حبذا بالرقمتين ديارنا

أو عند جلجل منزلا ومُقاما [119]

ويتناص مع أيام العرب مثل البسوس ليعيد إلى الأذهان عدم جدوى تلك الحروب في نقد لواقع مريض يعيش بالاوهام ذاتها :

من أين جاءوا بالبسوس لعصرنا

حتى نصير شراذما ورِماما

الفُ كليب ألف جساس ولا

زير يدافع دوننا الاقواما [120]

ويتناص مع قصة مجنون ليلى ليكون هو قيس العامري الذي هام بعشق ليلى :

فجعلت يا ليلى هواك دريئة

لي من زمان لا يصون ذِماما

وانا أحاول أن أقيم منازلا

للحب يبني في القلوب وئاما [121]

ويقول أيضا :

لو أن مجنون ليلى كان شاهدنا

مادت بأحلامه بيد وركبان

أو أن نجم سهيل كان يرمقنا

ذابت حشاشته والقلب نشوان [122]

ويتزايد نقده للواقع العربي المتناقض بين ثريه وفقيره بسبب همجية الطغاة الذين شبههم بهولاكو المغول :

ما كان هولاكو على علاته

بأشد أو اعتى بنا إجراما [123]

ولا تقتصر تناصاته على الماضي وحده بل يوظف الأحداث المعاصرة في شعره مثل أحداث حرب الخليج1991، لان " ذاكرة الكاتب خزين حياته بتجاربها ومعارفها .. خزين هائل من المرجعيات والامتدادات والحيوات " [124]

أم المعارك ويلنا يا أمتا

كانت بداية أم نهاية ما ؟ [125]

ويوظف أسماء الأماكن عربية مثل مدينة سنتريس في مصر والرافدين في العراق :

لا حيرة في منتريس تعوده

كلا ولا في الرافدين أقاما [126]

وعلى الرغم من ميل الشاعر إلى الصيغة التعبيرية في تجسيد الثيمات المؤسلبة من خلال الثنائيات المتضادة مثل (الوداد /الخصام، حرام /حلال) أو الألفاظ السوداوية مثل (الهوان ، اسارى ، الذل ، ثاكل ، نادب يشكو الخؤولة الاعمام جهالة اعجاما مازوما زؤاما نكسوا هجروا تركوا) ؛ الا إن الأمل يبقى واعدا :

فلعل في الداء الوبيل دواءنا

ولعل هجرا ان يعود وئاما

ويعود يدرج في سنابل قمحنا

ماء الحياة نما بها فتنامى [127]

" فالجمال الحر هو نتاج الذات الحرة أما الجمال بالتبعية فهو نتاج الذات المقيدة الغائبة .. والية الذات في إدراك الجمال الخارجي يتم بتحوله إلى الذات المبدعة لتقوم بعملية التأليف والتوفيق أو اللعب الذي يتم بين الخيال والذهن " [128]

الخلاصة :

أظهرت الدراسة إن الشعر العربي الحديث بوصفه فنا وجدانيا يتصل بالحداثة في أشكالها المتعددة وأساليبها المختلفة التي بمجموعها تحاكي هموم الشعراء تارة وتصف بعضا من قضايا مجتمعهم العامة تجديدا أو تقليدا تارة أخرى .

وقد أسفرت قراءة الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر الأردني حسين رشيد خريس عن جملة ملامح بنائية نوجزها في ما يأتي :

1. غلبة الطابع الذاتي على شعره متمثلا في النغمة العاطفية الحزينة التي حملت انكسارات الذات الحائرة والهائمة.
2. أن منهج الشاعر في التعبير عن الذات كان ملحميا وقد تمثل ذلك في التنضيد الشعري بصياغات مركبة ذات نفس طويل سواء في صياغة الصور أو في بناء المضامين .
3. انعكست جدلية العلاقة بين التقليد والتجديد على تفاعل الذاتي والغيري في خضوعهما لفعالية الحدس والتصور الشعوري المشحون بالعاطفة والجمال.
4. انتهج الشاعر أساليب تعبيرية مختلفة في بناء النصوص مثل الوصف والتناص والتكثيف السردي.

الهوامش /

---

[1] الشاعر هو ناقد وأكاديمي أيضا فقد نال الماجستير عام 1969 والدكتوراه عام 1994وله دراسات نقدية ومقالات وأبحاث أدبية وقد كتب عن شعره نقاد كبار أمثال عبد الفتاح البارودي ود. مصطفى الشكعةويعقوب شيحا وعصام الشنطي والمنجي الكعبي ومحمد عبد المنعم الخفاجي وعيسى الناعوري وغيرهم وكتبت عنه رسائل جامعية وترجمت بعض قصائده إلى لغات أجنبية : ينظر المقدمة التي كتبها د. جمال المقابلة / 93.

[2] **خريس** . د. حسين رشيد, ، الأعمال الشعرية الكاملة ، الجزء الأول والثاني ، عمان الأردن ، مطبعة السفير إصدارات اربد مدينة الثقافة الأردنية ، 2007/ 16.

[3] **بلعابد** . عبد الحق ،، عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) ، ،تقديم :د. سعيد يقطين ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،ط1 ، 2008/ 15 .

4 **خريس** . د. حسين رشيد ، الأعمال الشعرية الكاملة / 14

[5] **علي** . د. عبد الرضا ،، نازك الملائكة الناقدة المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت طبعة أولى 1995" وان مصطلح شعر التفعيلة الواحدة المكررة كان مستخدما قبل أن تدعو إليه الناقدة لكنه لم يسم حرا وإنما سمي بالمنطلق " / 99.98 .

[6] م.ن / 99.98..

[7] **عبيد** .د. محمد صابر ، العلامة الشعرية قراءات في تقانات القصيدة الجديدة ،عالم الكتب الحديثة ، اربد، الأردن 2010/ 1.

[8] **امبرتوايكو** ، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت الدار البيضاء ، ط1، 2000/ 39

[9] **خريس** . الأعمال الشعرية الكاملة /105

[10] م.ن / 109

[11] م.ن /112

[12] ينظر : م.ن / 290

[13] ينظر : م.ن / 291. 364

[14] ينظر : م.ن / 365. 448.

[15] **اسكاربيت** ، روبير ، سوسيولوجيا الأدب ، ترجمة وتمهيد آمال انطوان عرموني ، منشورات عويدات ، بيروت . باريس ،ط1، 1978/ 36

[16] **فوكو** . ميشيل ، نظام الخطاب وإرادة المعرفة ، ترجمة جورج أبي صالح ،مراجعة مطاع صفدي ، 1992 / 35 .

[17] **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة / 21

[18] ينظر: م.ن / 22. 23

[19] م.ن / 26

[20] م.ن / 27

[21] م.ن / 27

[22] م.ن / 27

[23] **مجموعة من الباحثين** ، اتجاهات في النقد الأدبي الحديث ، تأليف ترجمة :الدكتور محمد درويش طبع دار الشؤون الثقافية العامة ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ،ط1 ، 2009 / 399

[24] ينظر: **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة ،/ 28. 29

[25] **جماعة من الباحثين** ، المناهج المعاصرة في الدراسات الأدبية ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس ، المغرب ط1، 1999/ 55.

[26] **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة / 28

[27] م.ن / 29

[28] **الخياط**.. د. جلال ، المنفى والملكوت كلمات في الشعر والنقد، طبع مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1 ، 1989 /34

[29] **بلعابد** . عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) / 14

[30] **خريس** ، ،الأعمال الشعرية الكاملة / 36

[31] **عبيد** ، اللغة الناقدة مداخل إجرائية في نقد النقد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا اللاذقية ،ط1 ، 2011/ 21.

[32] **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة / 37

[33] م.ن / 37

[34] م.ن / 37و38

[35] م.ن / 38

[36] م.ن / 39.

[37] م.ن / 40

[38] **أبو زريق** . محمد ، تحولات الصورة في الفن ، مطبعة السفير وزارة الثقافة ، الأردن ، 2007/ 55.

[39] **خريس**، الأعمال الشعرية الكاملة /41.

[40] م.ن / 41

[41] م.ن / 42

[42] م.ن /42

[43] ينظر: م.ن / 55

[44] م.ن / 59

[45] م.ن /60

[46] ينظر: م.ن / 62.61

[47] ينظر: م.ن /65

[48] ينظر: م.ن /76

[49] **علي** . د. عبد الرضا ، نازك الملائكة الناقدة/ 85.84.

[50] ينظر: **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة/ 87.85.

[51] ينظر: م.ن /88

[52] ينظر: م.ن / 88

[53] م.ن / 89.

[54] م.ن /89

[55] م.ن / 90

[56] م.ن / 90 وينظر : قصائد نداء العودة وبلدي الحبيب ولبيك وطني .

[57] **الخياط** . د.جلال ، المنفى والملكوت كلمات في الشعر والنقد، / 33

[58] **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة/ 48

[59] م.ن /48

[60] م.ن /49

[61] م.ن /168

[62] **امبرتوايكو** ، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية / 27

[63] **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة / 177

[64] م.ن /180

[65] م.ن / 14

[66] م.ن /16

[67] **بلعابد** ، عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) / 76

[68] ينظر: **عبيد** . العلامة الشعرية قراءات في تقانات القصيدة الجديدة / 102

[69] **خريس**. الأعمال الشعرية الكاملة /119

[70] م.ن / 144

[71] م.ن /129

[72] م.ن /131

[73] م.ن /134

[74] م.ن /149

[75] م.ن /130

[76] م.ن /150

[77] م.ن /151

[78] ينظر : **بلعابد** ،، عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) / 76

[79] خريس ، الأعمال الشعرية الكاملة/155

[80] م.ن /152و153

[81] م.ن /164

[82] م.ن /168

[83] م.ن /168

[84] م.ن /170.196

[85] م.ن /170

[86] م.ن /171.170

[87] م.ن /176

[88] م.ن /176. 177

[89] م.ن /181

[90] م.ن /183

[91] **علي** ، نازك الملائكة الناقدة / هامش 187

[92] خريس ، الأعمال الشعرية الكاملة/194

[93] م.ن /199

[94] **بلعابد** ، عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) / 119

[95] م.ن / 120

[96] **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة / 201

[97] م.ن /204

[98] **امبرتوايكو** ، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية / 39

[99] ينظر : **مراشدة** . د. عبد الباسط ، اثر مضمون الحياة والموت في بناء القصيدة في شعر بدر شاكر السياب ، دار ورد للنشر والتوزيع ، عمان الاردن ط1 ، 2005/ 41

[100] **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة /202. 203

[101] **الخطيب** . برهان ، الاتجاه الواقعي في القصة العراقية في الستينيات ، **مجلة الأقلام** ، تصدرها وزارة الثقافة والإعلام دار الجاحظ بغداد ، 1980، السنة الخامسة عشرة العدد (12) / 86 .

[102] **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة/ 204

[103] م.ن /405

[104] **عبيد** . العلامة الشعرية قراءات في تقانات القصيدة الجديدة / 100. 101

[105] **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة/258

[106] **عبيد** ، العلامة الشعرية قراءات في تقانات القصيدة الجديدة / 101

[107] **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة/ 234.

[108] **عبيد** ، اللغة الناقدة مداخل إجرائية في نقد النقد / 16.15.

[109] **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة/236

[110] م.ن/ 256و257

[111] م.ن /244 و243

[112] م.ن /247

[113] م.ن /253

[114] م.ن /217

[115] **الجبر**، د. خالد عبد الرؤوف ، لغة الشعر بين الذات والعالم ، **مجلة أفكار** ثقافية شهرية تصدر عن وزارة الثقافة المملكة الأردنية الهاشمية، أيار ، 2010،، العدد (256)/ 52

[116] **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة//217

[117] م.ن /229.

[118] **مجموعة من النقاد الروس** ، الثقافة وعلم الثقافة في القرن العشرين تأليف ترجمة هدى علي عبد دار المأمون للترجمة والنشر بغداد 2010 طبعة أولى دار الشؤون الثقافية العامة بغداد / 226.

[119] **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة /201.

[120] كليب وجساس والزير هم أبطال حرب البسوس التي دارت رحاها بين قبيلتي بكر وتغلب

[121] **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة /203.

[122] م.ن /223

[123] م.ن /207

[124] **الانباري** . **صباح** ، تجليات السرد وجمالياته في قصص محي الدين زنكنه ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد الموسوعة الثقافية طبعة أولى ، 2011/ 8.

[125] **خريس** ، الأعمال الشعرية الكاملة/207 .

[126] م.ن /215 .

[127] م.ن /214 .

[139] ال وادي . د.علي شناوة ، والحاتمي د. آلاء علي عبود ، الأبعاد المفاهيمية والجمالية للدادائية وانعكاساتها في فن ما بعد الحداثة ، ، طبع مؤسسة دار الصادق الثقافية ،بابل ، العراق ، ط ،1 2011 / 48.

فهرس المصادر والمراجع /

1. **أبو زريق** . **محمد** ، تحولات الصورة في الفن ، مطبعة السفير وزارة الثقافة ، الأردن ، 2007.
2. **اسكاربيت** . **روبير** ، سوسيولوجيا الأدب ، ترجمة وتمهيد امال انطوان عرموني ، منشورات عويدات ، بيروت . باريس ،ط1، 1978
3. **امبرتوايكو** ، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت الدار البيضاء ، ط1، 2000.
4. **الانباري** . **صباح** ، تجليات السرد وجمالياته في قصص محي الدين زنكنه ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد الموسوعة الثقافية طبعة أولى 2011.
5. **بلعابد** . **عبد الحق** ،عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) ، ،تقديم :د. سعيد يقطين ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،ط1 ، 2008.
6. **الجبر** . د. خالد عبد الرؤوف. لغة الشعر بين الذات والعالم ، **مجلة أفكار** ثقافية شهرية تصدر عن وزارة الثقافة المملكة الأردنية الهاشمية ، ايار 2010. ، العدد(256) .
7. **جماعة من الباحثين** ، المناهج المعاصرة في الدراسات الأدبية ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس المغرب ط1، 1999.

8. **خريس** . **د. حسين رشيد** ، الأعمال الشعرية الكاملة ، الجزء الأول والثاني ، عمان الأردن ، مطبعة السفير إصدارات اربد مدينة الثقافة الأردنية ، 2007.
9. **الخطيب** . **برهان**. الاتجاه الواقعي في القصة العراقية في الستينيات ، **مجلة الأقلام** تصدرها وزارة الثقافة والإعلام دار الجاحظ بغداد 1980 السنة الخامسة عشرة العدد (12) .
10. **الخياط** . **د.جلال** ، المنفى والملكوت كلمات في الشعر والنقد ، شركة المعرفة للنشر والتوزيع ،طبع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد،ط1 ،1989 .
11. **ال وادي** . **د.علي شناوة** ، و **الحاتمي** . **د. آلاء علي عبود** ، الأبعاد المفاهيمية والجمالية للدادائية وانعكاساتها في فن ما بعد الحداثة ، طبع مؤسسة دار الصادق الثقافية ،بابل ، العراق ، ط ،1 2011.
12. **عبيد** .**د. محمد صابر** ، العلامة الشعرية قراءات في تقانات القصيدة الجديدة ، عالم الكتب الحديثة ، اربد الأردن 2010.
13. **عبيد** . **د.محمد صابر** ، اللغة الناقدة مداخل إجرائية في نقد النقد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا اللاذقية ،ط1، 2011
14. **علي** . **د, عبد الرضا** ، نازك الملائكة الناقدة المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت طبعة أولى 1995
15. **فوكو** . **ميشيل** ، نظام الخطاب وإرادة المعرفة ، ترجمة جورج أبي صالح ،مراجعة مطاع صفدي ، 1992 .
16. **مراشدة** . **د. عبد الباسط** اثر مضمون الحياة والموت في بناء القصيدة في شعر بدر شاكر السياب ، دار ورد للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ط1 ، 2005.
17. **مجموعة من الباحثين** ، اتجاهات في النقد الأدبي الحديث ، ترجمة :الدكتور محمد درويش طبع دار الشؤون الثقافية العامة ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ،ط1 ، 2009.
18. **مجموعة من النقاد الروس** ، الثقافة وعلم الثقافة في القرن العشرين ، ترجمة هدى علي عبد دار المأمون للترجمة والنشر بغداد 2010 طبعة أولى دار الشؤون الثقافية العامة بغداد .

العمل بالنظام الليلي والتناوبي وأثره على التوافق العام
دراسة ميدانية على عينة من موظفي الجمارك والأمن الوطني

الدكتورة: آمنـة ياسيـن
جامعة وهران – الجزائر

الملخص:

تتناول الدراسة الحالية موضوع العمل الليلي أو التناوبي لدى موظفي قطاعي الجمارك والأمن الوطني وأثر ذلك على توافقهم العام، حيث تجيب على مجموعة من التساؤلات تهدف للكشف عن وجود أو عدم وجود التوافق بين الحياة الشخصية لهؤلاء الموظفين العاملين ليلا وحياتهم الأسرية–الزواجية، الصحية– الانفعالية وكذا الاجتماعية، من خلال إبراز أثر المهنة على كل هذه الجوانب، وعلى مستوى أي جانب تشكل معوقا على التوافق العام لديهم.

لتحقيق هذه الأهداف قامت الباحثة بتطبيق اختبار التوافق العام للراشدين من تصميم د.دالي حسين على عينة عشوائية من موظفي القطاع قوامها 50 فردا، ومعالجة النتائج باستخدام معامل التوافق وإختبار ت، والتي أفضت إلى تسجيل فروقا دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.05، ما بين التوافق الشخصي لموظفي القطاع العاملين ليلا، وتوافقهم الزواجي، بين توافقهم المهني والصحي، وبين توافقهم الشخصي والاجتماعي. كما سجل الاقتران مابين الدرجة المهنية والتوافق العام للموظفين.

الكلمات المفتاحية: العمل الليلي – التوافق العام – موظفي قطاعي الجمارك والأمن الوطني.

تمهيد:

يعد التوافق العام للأفراد من أهم المؤشرات المعبرة عن شخصياتهم، في علاقتها ببيئاتهم والوسط الاجتماعي الذي يحيون فيه، إذ يظهر المقدرة على "التفاعل بين الفرد بدوافعه وحوافزه والبيئة بكل إمكانياتها ومحدداتها ومقتضياتها" (نصيرة سويح، 2005 :111)

وانطلاقا من تركيبة كل شخصية، وقدراتها الجسمية والعقلية، والنفسية، فإن التوافق العام للأفراد يتغير من شخص لآخر، عند احتكاكه بالبيئة ، ومختلف الصعوبات والمشكلات الحياتية اليومية، وكذا ضغوط العمل والشغل؛ فهناك من يتحمل ويواجه ويتكيف معها، وهناك من لا يستطيع فعل شيء ويتعرض للاحباط والانهيار، "فدرجة مواجهة المشاق وتحمل المصاعب تعد من أهم مقاييس التوافق النفسي وواحد من مؤشرات التكيف الإيجابي" (علي عبد الحسن حسين وزميله، 2011 :177).

إن التوافق العام للأفراد يرتبط كثيرا بالشغل وظروف العمل، وكذا طبيعة المنصب؛ فالفرد العامل أثناء تأديته لمهامه تعترضه أعباء العمل، وهنا وبحكم الفروق الفردية بين الأشخاص نجد من يتحملها ويديرها، وهناك من ينهار بتراكم مشكلات العمل، وتزايد الأعباء لا سيما مع متغيرات سوق العمل، والتطور التكنولوجي الذي يتوجب مسايرته من قبل مؤسسات العمل، وخضوعها للمعايير العالمية في شروط ومواقيت العمل.

إن العولمة الاقتصادية أوجبت مسايرة الأنظمة القوية في كل ما تبنته من نظام في العمل بما فيها المواقيت؛ فبعدما كان اعتماد نظام الحياة التقليدية الطبيعية التي يراعى فيها المؤشرات الطبيعية كشروق الشمس وغروبها، في تحديد مواعيد الالتحاق بالشغل ومغادرته والتي كانت تقام بالنهار، فقد تعدى الأمر اليوم، إلى أنظمة التناوب (المداومة)، أو إلى العمل الليلي. "ويكثر العمل بالدوريات خاصة في قطاعات النقل، البريد والمواصلات، الصحة، التزويد بالكهرباء ، صناعة المعادن، الصناعات الكيميائية، صناعة الأغذية والمشروبات، صناعة السيارات، القطاع العسكري، والعديد من المرافق والمصالح الاجتماعية الواسعة الاستعمال: كالمقاهي ، والمطاعم...الخ" (بن موسى، آمال وزميلتها، 2012 :13)

نظام العمل بالليل، هو ضمان لاستمرارية الانتاج، والزيادة فيه وتحسينه مثلما هو الحال بالنسبة للمصانع والمؤسسات (بن رجيل محمد، :2010). كما يشكل ضمان للخدمة المتواصلة لفائدة الأفراد والمواطنين، وضمان سلامة البلاد وأمنها، كما هو الحال في القطاع العسكري، قطاع الأمن، الجمارك والدرك الوطني.

إن هذه الشريحة من الموظفين لدى الدولة والتي هي ملزمة باستتباب الأمن على مستوى الوطن، تواجه أعمالا ذات خصوصية وأعباء مهنية، كما تتطلب تأدية المهام بنظام التناوب بالليل لضمان الاستمرارية، هذا الأمر دفع بالباحثة إلى الاهتمام والتساؤل عن مدى مقدرة عمال سلك الجمارك والأمن الوطني على سبيل المثال، على تأدية واجبهم الوطني في ظل هذه المتغيرات: طبيعة المهنة من ناحية، والعمل ليلا أو بالتناوب، وانعكاس ذلك على توافقهم البيولوجي–الصحي، النفسي–العاطفي، الزواجي–الأسري، الاجتماعي–العلائقي والمهني.

1. إشكالية البحث:

إن أداء المهن بالليل بقدر ما يخدم مصلحة المؤسسة الأمنية، فإنه يستلزم أن يخضع الموظفون والعاملون الملحقين بها، إلى نظام حياتي جديد أو على الأقل يكون مختلفا عما عهدوه، حيث سيطرأ تغييرا على ساعاتهم البيولوجية، ونظام راحتهم ونومهم، هذا الأمر يفترض أنه يحمل تبعات تنعكس على الإطار الحياتي لهؤلاء الموظفين؛ على الصحة العامة لأبدانهم ،على رضاهم عن العمل هذا المفهوم الذي يرتبط بالتعب أثناء العمل وبعده (نصيرة سويح:24)، وعلى الإطار العلائقي مع محيطهم الأسري خصوصا،

وإجمالا على مستويات توافقهم: الشخصية، النفسية، الاجتماعية، الزواجية، الأسرية، الصحية والمهنية. حيث ومما لا شك فيه أن التوافق النفسي والاجتماعي من أساسيات نجاح علاقات الفرد الاجتماعية وبالتالي الانسجام والتكيف والتأقلم مع طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه (علي عبد الحسن حسين وزميله، 2011 :178).

وعليه يمكن طرح التساؤلات التالية:

- هل يوجد اختلاف بين التوافق المهني لدى موظفي القطاع العاملين ليلا وتوافقهم الاجتماعي؟
- هل هناك اختلاف بين توافقهم المهني وتوافقهم الانفعالي؟
- هل يوجد فرق بين توافقهم المهني وتوافقهم الصحي؟
- هل يوجد فرق بين توافقهم الشخصي وتوافقهم الزواجي؟
- هل يوجد فرق بين توافقهم الشخصي وتوافقهم الاجتماعي؟
- هل يقترن تغير مستويات التوافق العام بجنس الموظف؟
- هل يصاحب تغير سنوات الأقدمية في المهنة تغير في مستوى التوافق العام؟
- هل توجد علاقة ارتباطية بين الحالة العائلية (المدنية) والتوافق العام لديهم؟
- وهل توجد علاقة ارتباطية بين الدرجة المهنية والتوافق العام لديهم؟

2. أهداف البحث:

. التعرف على التوافق العام لدى موظفي الجمارك والأمن الوطني العاملين ليلا.

. الكشف عن وجود أو عدم وجود التوافق بين الحياة الشخصية لهؤلاء الموظفين العاملين ليلا وحياتهم الأسرية–الزواجية، الصحية–الانفعالية وكذا الاجتماعية، من خلال إبراز أثر المهنة على كل هذه الجوانب، وعلى مستوى أي جانب تشكل معوقا على التوافق العام لديهم.

. التعرف على أثر الأقدمية، الحالة العائلية والدرجة المهنية على التوافق العام لدى هؤلاء الموظفين.

3. **فرضيات البحث:** تتوقع الباحثة الإجابات المؤقتة التالية:

- يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين التوافق المهني لدى موظفي القطاع العاملين ليلا وتوافقهم الاجتماعي.
- يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين توافقهم المهني وتوافقهم الانفعالي.
- يوجد فرق دال إحصائيا بين توافقهم المهني وتوافقهم الصحي.
- يوجد فرق دال إحصائيا بين توافقهم الشخصي وتوافقهم الزواجي.
- يوجد فرق دال إحصائيا بين توافقهم الشخصي وتوافقهم الاجتماعي.

- يقترن تغير مستويات التوافق العام بجنس الموظف.
- يصاحب تغير سنوات الأقدمية في المهنة تغير في مستوى التوافق العام.
- توجد علاقة ارتباطية بين الحالة العائلية (المدنية) والتوافق العام لديهم.
- توجد علاقة ارتباطية بين الدرجة المهنية والتوافق العام لديهم.

4. التحليل النظري لمفاهيم البحث:

أولا: مفهوم التوافق العام:

التوافق مفهوم مستمد من علم البيولوجيا واستخدم تحت مفهوم التكيف (Adaptation) وقد استخدم هذا المفهوم في المجال النفسي تحت مصطلح التوافق حيث يعني التالف والانسجام (Ajustement) حيث يستخدم أساسا للدلالة على التآلف مابين الفرد وذاته وما بين البيئة المحيطة به وهذا مايذهب إليه الاتجاه التكاملي من تصنيف مفهوم التوافق (علي عبد الحسن حسين وزميله، 2011 :180).

يقول محمد عبد الظاهر الطيب (ص: 16) أنه يعني "قدرة الفرد على التوفيق بين رغباته ومتطلباته واحتياجاته، ورغبات ومتطلبات واحتياجات المجتمع الذي ينتمي إليه"

ويعرفه هنري سميث Smith.H: "التوافق السوي بالنسبة للإنسان هو الاعتدال في الإشباع العام وليس في إشباع دافع واحد وعاجل على حساب دوافع أخرى والشخص المتوافق توافقا ضعيفا هو الشخص غير الواقعي وغير المتشبع والمتعجل في إشباع دوافعه وحاجاته الملحة" (نصيرة سويح،2005 :112)

ومن خلال ما جاء في مختلف المعاجم والموسوعات النفسية مثل موسوعة أيزنك (1972) موسوعة إيدلبرج Euidelberg (1968) و معجم ولمان Wolman (1973)، تم الاتفاق على مظاهر التوافق والذي يكون في المستويات والمجالات التالية: (نصيرة سويح، 2005 :115)

. المجال الصحي والانفعالي للفرد.

. المجال الأسري والاجتماعي.

. المجال المهني والدراسي.

. المجال الطبيعي والفيزيائي.

كما يشمل المجالين الشخصي والزواجي.

بالنسبة للتوافق الشخصي فإنه يعد بمثابة الشعور بالسعادة مع الذات والآخرين واشباع معظم الحاجات والدوافع والرغبات والقدرة على مواجهة متطلبات الحياة.

ويتأثر التوافق الشخصي بعدة اعتبارات منها: (علي عبد الحسن حسين وزميله، 2011 :181).

- الصحة النفسية.
- تحقيق الذات.
- القدرة على مواجهة متطلبات الحياة.
- إشباع الدوافع والرغبات والميول
- القدرة على المواجهة الشجاعة للواقع وعدم اليأس.

بالنسبة للتوافق النفسي والاجتماعي:

نجد الشخص المتوافق نفسياً واجتماعياً هو القادر على ادراك المواقف والتصرف والتأقلم مع مجريات الظروف التي يتطلبها الموقف والاستمرارية بنجاح وان ادراك الفرد لقدراته وامكانياته وتفسير مدى الايجابيات التي يتم التصرف بها من العوامل المهمة التي يمكن من خلالها الوصول للمستوى المطلوب في الاداء (علي عبد الحسن حسين وزميله، 2011 :178).

للتوافق النفسي قطبين أساسين هما الفرد ذاته والبيئة المحيطة به وغاية التوافق هو الوصول إلى علاقة انسجام بين الفرد وبين بيئته المحيطة. فيحدث الرضا لدى الفرد، ويؤدي في المدى الطويل إلى التقليل من الاحباط والقلق والتوتر (نصيرة سويح، 2005 :124) . فهو كما يقول صالح الداهري (2008: 15) "عملية ديناميكية مستمرة تتناول السلوك والبيئة بالتغيير والتعديل حتى يحدث التوازن بين الفرد والبيئة".

يعرف علي عبد الحسن حسين وزميله (2011: 181) التوافق الاجتماعي بأنه الشعور بالسعادة مع الاخرين والالتزام بأخلاقيات المجتمع ومسايرة المعايير الاجتماعية والضبط الاجتماعي وتقبل الاخرين في المجتمع كما انه يتأثر بعدة اعتبارات منها-:

- إدراك الفرد لحقوق الاخرين
- تسامح الفرد مع الاخرين.
- سلوكيات الفرد مع الجماعة.
- الشعور بالمسؤولية الاجتماعية.

ويقول باركر Barker (في: عبد الفتاح غزال، 2008: 171) أن التوافق الاجتماعي مجموعة ما يبذله الفرد من نشاطات حتى يشبع حاجاته أو يتخطى العوائق ليتوافق مع البيئة المحيطة به.

مجالات التوافق هذه تتأثر جميعها بالمؤشرات التالية:

مظاهر ومؤشرات التوافق العام: تتفق العديد من الدراسات على جملة من المظاهر والمؤشرات لعل أهمها:

. **النظرة الواقعية للأمور:** حيث يفترض للفرد الذي يتمتع بدرجة من التوافق أن تكون نظرته لنفسه موازية للأهداف التي يضعها والطموحات التي يسعى إلى تحقيقها، وهذا حتى يصل إلى تحقيقها. ويذكر مصطفى فهمي هنا " أن الشخص الذي يضع لنفسه أهدافا أقل بكثير من قدراته وفكرته عن نفسه، هو شخص غير سوي، إذ أنه لا يستغل جميع إمكانياته في سبيل الجماعة" (في نصيرة سويح، 2005 :120) . ويقول علي عبد الحسن حسين وزميله (2011: 180): "أن تكون طموحات الشخص بمستوى الإمكانيات، وأن تتطابق مفهوم الشخص أي ذاته مع واقعه الذي يعيشه وكما يدرك الآخرين".

. **الصحة النفسية:** إن الفرد في تعامله مع مختلف المواقف الضاغطة، وعقبات الحياة، ومشاكل وظروف العمل، يوظف ما لديه من مقومات الصحة النفسية، فإما أنه يصمد ويتحمل ويواجه وبالتالي يتكيف مع الواقع، وإما أنه يتعرض لحالات التأزم النفسي واختلالات تمس صحته النفسية فيعاني من مظاهر القلق والضيق وعدم الراحة النفسية، الاكتئاب، أو الاحباط. "وحده الشخص المتمتع بالصحة النفسية يستطيع مواجهة العقبات وحل المشكلات بطريقة ترضاها نفسه ويقرها المجتمع". (مصطفى فهمي في نصيرة سويح :117) .

. **اشباع الحاجات والرغبات:** يشعر الفرد المتوافق باشباع حاجاته وميوله ورغباته، لما يتمتع به من مقدرة في تسيير نظام حياته الخاصة والمهنية ومواجهة متطلباتهما، وهذا الأمر ينجر عنه شعور بالسعادة مع الذات والآخرين.

. **تحقيق الذات والقدرة على ضبطها:** يسعى الفرد إلى تحقيق ذاته وفرضها في الوسط الذي يعيش فيه، من خلال التحكم فيها وضبطها (التحكم في الرغبات، الحاجات...) حيث يقدر النتائج والعواقب ضمن خطة مدروسة. وهذه المقدرة تنم عن ثقة الفرد بنفسه، وتوافقه مع ذاته ومع الآخر، وقدرته على تحمل المسؤوليات.

ميكانيزمات التوافق: حصرها نعيم الرفاعي (ص: 9) في الحيل والأساليب التي يستخدمها الفرد لتحقيق توافقه، ومنها الإيجابي ومنها السلبي، من بينها:

الكبت – الانسحاب – العدوان – الإنكار – التعميم – التحدي – التعقل – التعويض – النسيان – التبرير – السلبية....

ثانيا: مفهوم العمل الليلي والعمل التناوبي:

يمارس العمل الليلي في إطار فرق تتناوب من دون انقطاع، ففي قطاع الأمن لا يحتمل الانقطاع عن العمل لاباليل ولا بالنهار، لا في العطل ولا في الأعياد، فالعمل فيه تناوبي مستمر، وبحسب الأحكام التشريعية الوطنية، يعرف على أنه "العمل المنجز خلال الفترة الممتدة من غروب الشمس إلى شروقها"

(صادق مهدي سعيد: 287). ويتخذ شكل التناوب المستمر، النصف مستمر، المتقطع والدوران 3X 5 مثلا.(بن رجيل محمد، 2010: 25)

آثار العمل الليلي– التناوبي على العامل:

تتأثر جوانب متعددة من شخصية ونفسية العامل الذي يوظف ليلا أو يقوم بأعمال تناوبية بين الليل والنهار، أهمها:

تأثر الإيقاع البيولوجي: يعرفه حمو بوظريفة (1995: 43) "أنه نظام دوري لوظائف الجسم تنشط في وقت معين وتقل فعاليته في أوقات أخرى، فتكون متهيئة للعمل والنشاط خلال فترات زمنية معينة وتتباطأ وتخمل خلال فترات أخرى". كما هو الحال لدرجة حرارة الجسم، دقات القلب، ضغط الدم، القدرات الذهنية، والتي عادة ما ترتفع نهارا وتنخفض ليلا (Grandjean في آمال بن موسى، 2012: 29).

يختلف الإيقاع البيولوجي من حيث أوقات النشاط والخمول خلال أربعة و عشرين ساعة, حيت يفصل بقادير عبد الرحمن (2006: 33) في هذا الشأن ويذكر أن القدرة على العمل تزداد خلال ساعات الصباح وتبلغ أعلى مستوياتها ما بين الساعة التاسعة صباحا إلى الساعة الواحدة ظهرا ثم تبدأ في الانخفاض ما بين الساعة الثانية إلى الرابعة عصرا ثم ترتفع مرة أخرى من الساعة الرابعة إلى الساعة الثامنة مساءا ثم تبدأ في الانخفاض من جديد.

إن أهم مشكلات العامل ليلا تتمثل في المساس بهذا الإيقاع البيولوجي الذي يرتبط بشكل كبير بساعات الليل والنهار، فكما هناك ساعات للعمل عناك ساعات للنوم والراحة. وإذا خرج الإنسان عن المألوف في الطبيعة يحدث تأثيرا على الجانب الصحي لديه: اضطرابات النوم، اضطرابات اليقظة، الاضطرابات النفس– جسمية، التعب العضلي، التعب الفكري...

إن العضوية الإنسانية تعرف تغيرات دورية تتميز بمرحلة نشاط نفس جسمي، ويقظة أثناء النهار وبمرحلة لا نشاط ونوم أثناء الليل، ومشكلة العامل بالليل يعاني من تضاد وتناقض، لأنه مجبر لأن ينشط في مرحلة اللانشاط حيث يضطر لبذل جهدا إضافيا أكثر من العامل بالنهار.(Carpentier في نصيرة سويح،2005 : 39)

يقول لافيل Laville (في بن رجيل محمد، 2010: 29) "خلال فترة العمل الليلي فإنه يتميز معظم العمال بالنوم الخفيف في النهار غالبا ويعانون من عدم الاسترجاع لأنهم فقدوا التعود على النوم ليلا" والمقصود استرجاع الحيوية.

إن الأمر لا يعدو مساسا بالدورة الطبيعية للنوم حيث يكون الايقاع منتظما، واختلال مراحله وبخاصة مرحلة النوم العميق كما أكد الدكتور دفيز Devez (في Andlauer.P,1977 : 182)"وهي دائرة منظمة تُنمط أنشطة كل أعضاء الجسم وغدده، والمكونات الكيميائية للدم" (بن رجيل محمد، 2010: 29) فنقص النوم يؤثر على إفرازات المهاد. وإذا مُسَ هذا النظام يختل الإيقاع اليومي للعامل، ويمكن أن يتسبب في ظهور أمراض صحية لديه، كأن يصاب بالاختلالات الهضمية، نتيجة تناول وجبة ليلية إضافية (أكل + منبهات) أو أمراض القلب: يقول الدكتور فرولان (في آمال بن موسى، 2012: 35) : "إن العمل المستمر يؤثر سلبا على على القلب. إن أمراض القلب بين عمال المناوبات قد ازدادت". أو الاضطرابات النفس–جسمية مثل العصبية والقلق العصابي وحالات من الغضب غير الطبيعي، والعدوانية والاكتئاب (حمو بوظريفة، 1995: 96)، حتى القرحة المعدية، اضطرابات اليقظة، ظهور أنواع التعب والإرهاق، حيث يقول أندلوار (Andlauer.P, 1977 : 75) "الفرق في درجة التعب بين العمل ليلا والعمل نهارا في نفس الوظيفة تكافئ أقدمية سبع سنوات" . ويقول كاربونتيي وزميله: "هذا التعب ناتج أصلا عن تعاكس مرحلتين بين اتساقين، أي أن الاتساق الدوري لنشاطهم البيولوجي مناقض لاتساق نشاطهم المهني" (Carpentier في نصيرة سويح : 38)

لعل أبرز أنواع التعب، الإجهاد Le Stress وقلة التركيز ما يمكن أن يقود إلى زيادة الأخطاء المهنية وحوادث العمل وعدم الرضا عن المهنة.

تأثر الإيقاع الاجتماعي والأسري:

يقول لافيل Laville (في بن رجيل محمد، 2010: 31): "إن الصراع الأسري مقابل الرضا المهني يمكن أن يحث على ظهور اضطرابات عضوية التي تفرض على العامل ترك هذا النوع من العمل".

وضع قييمينو وليجي Guilleminault & Léger, 1997 ثلاث ملاحظات تتعلق بالعمال المناوبين:

1. يوجد عامل التكيف فردي لجميع ظروف العمل المقبولة، فالعديد يتكيفون بدون صعوبات ويتحملون بدون ضرر خلال فترات اللاتزامن المفروض من طرف التوقيت المناوب وآخرون لا يتكيفون أبدا.
2. تنجم عن القدرة على العمل مجموعة مختلطة بين ما هو بيولوجي واجتماعي وهذا التوازن وقتي واضطراب واحد من هذه العناصر يؤدي إلى عدم القدرة.
3. يجب على العامل في جميع الأحوال أن يكون راض على حالته ليمكنه المواصلة بدون اضطرابات (في بن رجيل محمد، 2010: 33)

يفترض أن يحدث غياب الجمركي أو موظف الأمن عن بيته ليلا، انقطاعا في علاقته ببيته وأفراد أسرته، حيث يغيب عن حديث آخر اليوم (السهرة) وعن وجبة العشاء التي تلم شمل الأسرة، ولا تتسنى له الفرصة للاتصال بالأبناء والدردشة معهم عن أحوالهم وأشغالهم طيلة اليوم، ولا تفقد أعمالهم وواجباتهم

المدرسية، كما لا يتمكن من الاطمئنان عن أحوال الزوجة/الزوج، ولا تتحدث عن شؤون البيت واحتياجاته ومواضيع التسيير والشراء والاحتياجات المالية، ولا عن الأحداث اليومية حيث يمكن أن يحدث ذلك غيابا للتخطيط المستقبلي القريب المدى وحتى المتوسط والبعيد. كل هذه الأمور يمكنها أن تؤثر على التوافق الأسري والزواجي والاجتماعي لهذا الموظف العامل ليلا، وفي هذا السياق أظهرت الدراسة المقارنة التي قامت بها سويح نصيرة (2005) أن العاملات ليلا (بالقطاع الصحي) هن الأسوأ من ناحية التوافق الزواجي، مقارنة بالعاملات بالنهار، وأنهن غير راضيات عن زواجهن، وغير قادرات على تحمل أعباء الحياة الزوجية، ولا يشعرن بالسعادة الزوجية. إلى جانب أنهن الأسوأ من حيث التوافق الصحي. ونجد دراسة بن موسى آمال وحجاج نعيمة (2012 : 70) التي أكدت نتائجها وجود اضطرابات على مستوى الصحة النفسية لدى 98% من أفراد عينة البحث الذين يعملون بالمناوبة الليلية.

إن الأمر لا يعدو كونه عمل يتم بالنهار أو بالليل، فهو يتعدى ذلك بكثير لتأثيراته على معظم جوانب شخصية العامل، خصوصا من الناحية الصحية والعلائقية بالأسرة والمجتمع، وكيف يتكيف العامل مع هذه الوضعية وما درجته توافقه، وهذا من أهم دواعي اختيار الباحثة للموضوع ، ودراسته، وفيما يلي العمل التطبيقي الذي أجرته الباحثة.

5. الاجراءات المنهجية للدراسة:

استعانت الباحثة بالمنهج الوصفي الملائم للبحوث الاجتماعية، والذي يُعنى هنا بوصف الظاهرة، ظاهرة العمل الليلي وآثاره على التوافق العام لدى موظفي الجمارك والأمن الوطني.

1.5 / عينة البحث:

استعانت الباحثة بعينة قوامها 50 موظفا من قطاعي الجمارك والأمن العمومي ممن يعملون بنظام التناوب، ويؤدون مهامهم بالليل اختيرت بطريقة عشوائية.

وقد تم المزج ما بين السلكين لتعذر التطبيق على عينة أكبر من عمال الجمارك بمدينة وهران، فتم استكمالها بأفراد من سلك الأمن الوطني (شرطة الحدود) بمدينة الرمشي – ولاية تلمسان. وهذين السلكين يتقاربان من حيث التنظيم والاختصاص. وفيما يلي بيانات أكثر عن أفراد العينة:

جدول رقم (1) يوضح خصائص أفراد العينة

الجنس		الأقدمية المهنية			الحالة العائلية			الدرجة المهنية			المجموع الكلي لأفراد العينة
إناث	ذكور	بسيطة 5سنوات فأقل	متوسطة 6 – 15 سنة	طويلة أكثر من 15 سنة	أعزب	متزوج	عون	ضابط	مفتش		
18	32	16	16	18	20	30	17	14	19		**50**

2.5/ أداة البحث: والمتمثلة في اختبار التوافق العام للراشدين من تصميم د.دالي حسين سنة 1982، حيث يتكون من 7 بنود و112 فقرة تقيس مختلف جوانب التوافق لدى الأفراد. والأداة مكيفة مع البيئة الجزائرية. وفيما يلي جدول يبين مكونات الاختبار:

جدول رقم (2) يوضح مكونات الاختبار

اسم البعد / الاختبارات الفرعية	رمزه	عدد فقراته
التوفق الشخصي	أ	16
التوافق الاجتماعي	ب	16
التوافق الانفعالي	ج	16
التوافق الزواجي	د	16
التوافق الأسري	هـ	16
التوافق الصحي	و	16
التوافق المهني	ز	16
اختبار التوافق العام		112

يجيب المفحوصون باختيار إحدى البدائل الثلاث المقترحة، مع ملئ الجانب المخصص للبيانات الشخصية. ويصحح الاختبار بإعطاء درجة واحدة لكل إجابة تخدم غرض البحث (اتجاه موجب نحو التوافق)، حيث تصل أعلى درجة لكل اختبار فرعي (البعد) 16 درجة، وهذه تظهر توافقا كبيرا لدى المفحوص، وتبلغ أدنى درجة يمكن منحها 0 درجة، ما يعني سوء التوافق. وفي الأخير تجمع حصيلة الاختبارات الفرعية لتشكل درجة التوافق العام.

وقد تم الإقرار بصدق وثبات الاختبار، قياسا على نتائج القياس السيكومتري لدراسة الباحثة نصيرة سويح المجراة في 2005 على عينة قوامها 200 فرد.

3.5/ معالجة النتائج: تمت بأسلوبين إحصائيين، وهما معامل التوافق coefficient of contingency، لقياس درجات الاقتران بين المتغيرات، وإختبار ت T test لاختبار الفروق بين متوسطي عينتين متشابهتين.

4.5/ تحليل النتائج:

اختبار الفرضية 1:

نصها: يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين التوافق المهني لدى موظفي القطاع العاملين ليلا وتوافقهم الاجتماعي.

استعانت الباحثة للتحقق من هذه الفرضية باختبار ت (T test) الملائم لاختبار الفرق بين متوسطي عينتين متشابهتين ، وكانت النتائج كما يلي:

جدول رقم (3) يبين قيمة ت ومستوى الدلالة الخاصة بالفرضية 1

ت. المحسوبة	دح	م.الدلالة	ت.الجدولية	الدلالة
0.39	49	0.05	2	**غير دالة**

من خلال الجدول يتبين عدم تحقق الفرضية بمعنى لم يسجل أي فرق بين التوافق المهني لأفراد العينة وتوافقهم الاجتماعي.

اختبار الفرضية 2:

نصها: يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين توافقهم المهني وتوافقهم الانفعالي.

هنا كذلك استعانت الباحثة باختبار ت للتحقق من الفرضية ، وكانت النتائج كما يلي:

جدول رقم (4) يبين قيمة ت ومستوى الدلالة الخاصة بالفرضية 2

ت. المحسوبة	دح	م.الدلالة	ت.الجدولية	الدلالة
1.67	49	0.05	2	**غير دالة**

من خلال الجدول يتبين عدم تحقق الفرضية وعدم تسجيل أي فرق بين التوافق المهني لأفراد العينة وتوافقهم الانفعالي.

اختبار الفرضية 3:

نصها:يوجد فرق دال إحصائيا بين توافقهم المهني وتوافقهم الصحي

وباستخدام باختبار ت دائما تم التحقق من الفرضية الثالثة، وكانت النتائج كما يلي:

جدول رقم (5) يبين قيمة ت ومستوى الدلالة الخاصة بالفرضية 3

ت. المحسوبة	دح	م.الدلالة	ت.الجدولية	الدلالة
2.93	49	0.05	2	**دالة**

من خلال الجدول يتبين تحقق الفرضية وتسجيل الفرق بين التوافق المهني لأفراد العينة وتوافقهم الصحي.

اختبار الفرضية 4:

نصها: يوجد فرق دال إحصائيا بين توافقهم الشخصي وتوافقهم الزواجي

تم التحقق من الفرضية الرابعة، كما يلي:

جدول رقم (6) يبين قيمة ت ومستوى الدلالة الخاصة بالفرضية 4

ت. المحسوبة	دح	م.الدلالة	ت.الجدولية	الدلالة
6.99	49	0.05	2	**دالة**

من خلال الجدول يتبين تحقق الفرضية فالجانب الشخصي يؤثر على التوافق الزواجي لأفراد العينة.

اختبار الفرضية 5:

نصها: يوجد فرق دال إحصائيا بين توافقهم الشخصي وتوافقهم الاجتماعي.

تم التحقق من هذه الفرضية، كما يلي:

جدول رقم (7) يبين قيمة ت ومستوى الدلالة الخاصة بالفرضية 5

ت. المحسوبة	دح	م.الدلالة	ت.الجدولية	الدلالة
4.31	49	0.05	2	**دالة**

تأكدت الفرضية كما هو مبين على الجدول أعلاه، وثبت وجود فروق ذات دلالة ما بين الجانب الشخصي والجانب الاجتماعي من حيث درجة التوافق والتكيف.

اختبار الفرضية 6:

نصها: يقترن تغير مستويات التوافق العام بجنس الموظف

استعانت الباحثة بأسلوب معامل التوافق الإحصائي المرتكز على حساب كا^2، حيث بلغت قيمته المحسوبة ر$_ت$ = 0.18، كما يتضح من الجدول الموالي:

جدول رقم (8) يوضح قيم كا^2 النظرية والمتوقعة الخاصة بالفرضية 6

		التوافق العام				مجاميع الصفوف
		منخفض	معتدل	مرتفع	مرتفع جدا	
الجنس	إناث	1 [1.8]	6 [4.32]	10 [10.44]	1 [1.44]	18
	ذكور	4 [3.2]	6 [7.68]	19 [18.56]	3 [2.56]	32
مجاميع الأعمدة		5	12	29	4	50

إن الدلالة المعنوية عند درجة حرية 3، ومستوى دلالة 0.05، وعندما تكون الفرضية عديمة الاتجاه، تساوي 7.82،وهي أكبر من كا^2 المحسوبة 1.78، وعليه فإننا نرفض فرض البحث ونقبل الفرض الصفري، بمعنى لم تتحقق الفرضية.

اختبار الفرضية 7:

نصها: يصاحب تغير سنوات الأقدمية في المهنة تغير في مستوى التوافق العام.

بلغت قيمة ر$_ت$ = 0.18، كما يتضح من الجدول الموالي:

جدول رقم (9) يوضح قيم كا^2 النظرية والمتوقعة الخاصة بالفرضية 7

		التوافق العام				مجاميع الصفوف
		منخفض	معتدل	مرتفع	مرتفع جدا	
الأقدمية	بسيطة	3 [1.6]	5 [3.84]	8 [9.28]	0 [0]	16
	متوسطة	0 [0]	2 [3.84]	13 [9.28]	1 [1.28]	16
	طويلة	2 [1.8]	5 [4.32]	8 [10.44]	3 [1.44]	18
مجاميع الأعمدة		5	12	29	4	50

إن الدلالة المعنوية عند درجة حرية 6، ومستوى دلالة 0.05، وعندما تكون الفرضية عديمة الاتجاه، تساوي 12.59 وهي أكبر من كا^2 المحسوبة 7.01، وبالتالي لا يمكن قبول فرضية البحث، بمعنى لا توجد علاقة بين الأقدمية في العمل ومستوى التوافق العام لدى عمال الجمارك والأمن الخاضعين لنظام التناوب.

اختبار الفرضية 8:

نصها:توجد علاقة ارتباطية بين الحالة العائلية (المدنية) والتوافق العام لديهم.
بلغت قيمته المحسوبة ر$_ت$ = 0.29، كما يتضح من الجدول الموالي:

جدول رقم (10) يوضح قيم كا^2 النظرية والمتوقعة الخاصة بالفرضية 8

		التوافق العام				مجاميع الصفوف
		منخفض	معتدل	مرتفع	مرتفع جدا	
الحالة العائلية	أعزب	3	7	10	–	20
		[2]	[4.8]	[11.6]		
	متزوج	2	5	19	4	30
		[3]	[7.2]	[17.4]	[2.4]	
مجاميع الأعمدة		5	12	29	4	50

إن الدلالة المعنوية عند درجة حرية 3، ومستوى دلالة 0.05، وعندما تكون الفرضية عديمة الاتجاه، تساوي 7.82 وهي أكبر من كا^2 المحسوبة 3.95، ، فإننا نقبل الفرض الصفري، بمعنى لا علاقة للحالة العائلية بالتوافق العام لدى عمال الجمارك والأمن الخاضعين لنظام التناوب.

اختبار الفرضية 9:

نصها:توجد علاقة ارتباطية بين الدرجة المهنية والتوافق العام لديهم.

بلغت قيمة ر$_ت$ = 0.71، كما يتضح من الجدول الموالي:

جدول رقم (11) يوضح قيم كا^2 النظرية والمتوقعة الخاصة بالفرضية 9

		التوافق العام				مجاميع الصفوف
		منخفض	معتدل	مرتفع	مرتفع جدا	
الأقدمية	عون	1	6	9	1	17
		[1.7]	[4.08]	[9.86]	[1.36]	
	ضابط	1	2	9	2	14
		[0.1]	[0.24]	[8.12]	[1.12]	
	مفتش	3	4	11	1	19
		[1.9]	[4.56]	[6.38]	[1.52]	
مجاميع الأعمدة		5	12	29	4	50

إن كا^2 الجدولية عند درجة حرية 6، ومستوى دلالة 0.05، وعندما تكون الفرضية ذات اتجاه، تساوي 10.64 وهي أكبر من كا^2 المحسوبة حيث تبلغ قيمتها 49.71، فإننا إذن نقبل فرضية البحث، والفرضية دالة كذلك عند مستوى 0.01 حيث تساوي قيمة كا^2 الجدولية 15.03، بمعنى يختلف التوافق العام باختلاف الدرجة المهنية لدى عمال الجمارك والأمن الخاضعين لنظام التناوب.

6.5/ تفسير ومناقشة:

أفضت النتائج إلى تسجيل فروقا دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.05، ما بين:

1/ التوافق الشخصي لموظفي القطاع العاملين ليلا، وتوافقهم الزواجي.

2/ توافقهم المهني والصحي.

3/ توافقهم الشخصي والاجتماعي.

كما سجل الاقتران مابين الدرجة المهنية والتوافق العام للموظفين.

أما بقية الفرضيات فلم تتحقق.

يتضح جليا، أن أعباء المهنة المؤداة ليلا قد أثرت على الجانب البيولوجي للموظفين، وأخلت بتوافقهم الصحي، أي عدم وجود اتزان بين الجانبين المهني والصحي لديهم. وهذه النتيجة تتوافق مع دراسة كل من نصيرة سويح (2005) ، بن موسى آمال (2012) ، وادر بان (1978)، ميرس وآخرون (1978)، غادة أبهولي وأسماء البلوشي. حيث عبر المستجوبون عن هشاشة مناعتهم الجسمية جراء العمل بالليل، فهم يصابون بالأمراض بسرعة، مثل ألم الرأس، الزكام، التهاب اللوزتين، ضغط الدم وعسر الهضم. كما أنهم يشعرون بالتعب المتواصل، ولهذا الأمر تبعات وخيمة على مستوى الأداء للعامل كما تم تبيانه في التحليل النظري أعلاه.

كما دلت النتائج عن وجود عدم انسجام وعدم توافق بل واختلال ما بين الجانب الشخصي لهؤلاء الموظفين العاملين ليلا وحياتهم الزوجية، من ناحية وحياتهم الاجتماعية من ناحية أخرى، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة سويح نصيرة (2005). فقد توضح أن أفراد العينة يواجهون مشكلات شخصية يصعب عليهم حلها، كما يصعب عليهم تحقيق ما يصبون إليه، إلى جانب المشكلات في الحياة الزوجية الناجمة عن العمل الليلي، وعدم الإحاطة الكاملة بالمسؤوليات تجاه القرين، وعدم رضاهم عن الزواج عموما.

ومن الناحية الاجتماعية، يتوضح ضيق العلاقات الاجتماعية لدى أفراد العينة، وعدم تمكنهم من المشاركة في المناسبات والاحتفالات، بل ووجود صعوبات في الاتصال مع الآخرين والاختلاط بالناس، وهذا يعزل هؤلاء الأفراد تدريجيا من حياة المجتمع ويجردهم من جانب جد مهم في حياتهم، حيث أن الإنسان "اجتماعي بطبعه" كما يقول ابن خلدون.

ورغم هذه الانعكاسات السلبية، فقد تم تسجيل درجات للتوافق موجبة لدى الموظفين حيث تزيد وترتفع كلما اختلفت الدرجة المهنية (عون، ضابط، مفتش). بمعنى أن طبيعة المنصب ومهامه تساهم في التخفيف من أعباء العمل الليلي كلما كان أرقى. فمعلوم أن عون الأمن أو عون الجمارك يؤدون مهاما بالخارج، أكثر من المرتبتين الأخريين، حيث يتابع الكثير منهم أعمالهم بالمكاتب، ويقومون بمهام المتابعة والتنسيق والتقييم

لهؤلاء الأعوان، حيث يمكن أن يكون لهذا العامل الأثر في وجود توافق عام أكبر لدى الضباط والمفتشين مقارنة بالأعوان، فهم يتمتعون بمقدرة أكبر على التكيف مع أزواجهم وأسرهم والتكيف مع محيطهم الاجتماعي، وأقل عرضة للمشكلات الصحية والانفعالية، وأثر انسجاما مع مهنتهم ومتطلباتها.

خاتمة:

بعد مناقشة النتائج، يمكن تقديم جملة من التوصيات التي يمكن أن تفيد في الإسهام في معالجة قضية التوافق العام لدى الموظفين العاملين ليلا:

1) تنظيم أوقات العمل بما يسمح للموظفين بالاتصال بأسرهم وخصوصا تناول الوجبات الغذائية برفقتهم.
2) توفير سبل الراحة بأماكن العمل: ضمان وجبات صحية وخفيفة، توفير مستقطعات من وقت العمل للاسترخاء على كراسي مخصصة للتدليك مثلا، توفير قاعة تسمح بممارسة أي نشاط ترفيهي خلال فترات الاستراحة.
3) الاكثار من فترات الاستراحة، والتي تلي ساعتين من العمل المتواصل على الأكثر. الأمر الذي يساهم في الحفاظ على الكفاءة ويقلل من ارتكاب الأخطاء وحوادث العمل، ويحارب ظاهرة التغيب.
4) منع الموظفين من تناول المنبهات (قهوة، شاي) وتعويضها بعصائر للفواكه الغنية بالفيتامين س (مثل: عصير الحمضيات، الطماطم أو الكيوي..).
5) اعتماد نظام التناوب فهو أفضل من العمل الليلي المستمر وتحديده في أقل من 5 ساعات عمل، مع منح فترات طويلة للاسترجاع.
6) الاهتمام أكثر بالحياة الشخصية للموظفين العاملين ليلا، من خلال توفير خلايا للانصات وتقديم الدعم السيكولوجي لهم يشرف عليها أخصائيون نفسانيون متمرسون.
7) تدريب الموظفين على مهارات واستراتيجيات التكيف مع المواقف الضاغطة.
8) تدريب الموظفين على المهارات الاجتماعية وطرق الاتصال وتكوين العلاقات مع الآخرين.

البيبليوغرافيا:

1. بن موسى، آمال. حجاج، نعيمة. 2012. ***العمل الليلي وانعكاساته النفسية على العامل.*** مذكرة تخرج ليسانس، تخصص علم النفس. جامعة قاصدي مرباح. ورقلة.
2. بوظريفة حمو (1995). ***الساعة البيولوجية.*** الطبعة الأولى، شركة دار الأمة، الجزائر.
3. بقادير عبد الرحمان (2006). ***العمل الليلي وآثاره الفيزيولوجية والاجتماعية على العمال***، رسالة ماجستير في علم النفس العمل. جامعة الجزائر.
4. بن رجيل محمد. (2010). ***الثقل الفكري في العمل التناوبي.*** رسالة ماجستير في علم النفس العمل والتنظيم. جامعة وهران.
5. حسين، علي عبد الحسن. عبد اليمة، حسين عبد الزهرة. 2011. ***التوافق النفسي والاجتماعي وعلاقته بتقدير الذات لدى طلبة كلية التربية الرياضية جامعة كربلاء.*** مجلة القادسية لعلوم التربية الرياضية. المجلد 11، العدد 3. العراق.
6. الداهري، صالح حسن أحمد. (2008). ***أساسيات التوافق النفسي والاضطرابات السلوكية والانفعالية.*** دار صفاء للنشر والتوزيع. الطبعة 1، عمان، الأردن.
7. غزال، عبد الفتاح. (2008). ***أبحاث حديثة في علم نفس الطفل.*** دار ما هي للنشر والتوزيع، الطبعة 1. القاهرة – مصر.
8. الطيب، محمد عبد الظاهر. ***أثر الإقامة الداخلية على التوافق الشخصي والاجتماعي للمراهقين المكفوفين من الجنسين.***
9. سويح نصيرة..(2005). ***أثر العمل الليلي على التوافق العام واستراتيجيات التكيف لدى الأمهات المتزوجات.*** رسالة ماجستير في علم النفس العمل غير منشورة. جامعة وهران.
10. صادق مهدي سعيد. ***العمل وتشغيل العمال والقوى العاملة.***
11. نعيم الرفاعي. ***دراسة سيكولوجية للتكيف.***
12. Andlauer.P, Carpentier.J, Cazamin.P. (1er trimestre 1977). ***Ergonomie du travail de nuit et les horaires alternantes***. 1er Edition. Editions Cujas.

الملحق:

جامعة وهران

كلية العلوم الاجتماعية

التعرف على أعباء الحياة والعمل

أختي الفاضلة، أخي الفاضل،

نطلب من سيادتكم التعاون معنا لأغراض البحث العلمي للتعرف على أعباء الحياة والعمل التي تواجهكم وعلاقتها بجوانب شخصيتكم ، ونحيطكم علما أنه لا توجد إجابات صحيحة وأخرى خاطئة. ستجدون أمام كل سؤال (نعم- لا- لا أدري) فإذا كانت إجابتك بنعم فضع علامة (x) في الخانة الموافقة لها، وإذا كانت اجابتك بلا فضع العلامة أمامها، واذا كنت لا تستطيع على الإطلاق أن تجيب على السؤال بـ (نعم) أو بـ (لا) فضع العلامة (x) أمام (؟).

كل ما ستدلي به من معلومات، أخي، أختي، سيخضع للسرية التامة، ولا يستخدم إلا لأغراض البحث العلمي.

شكرا لكم

بيانات شخصية:

الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐

السن: ..... سنة

سنوات الأقدمية: ..... سنة

الدرجة: عون أمن عمومي ☐ ضابط في الأمن الوطني ☐ مفتش في الأمن الوطني ☐

نظام العمل: تناوبي ☐ بالليل ☐

الحالة العائلية: أعزب ☐ متزوج ☐ مطلق ☐ أرمل ☐ أخرى، أذكر:

عدد الأطفال: .....

المسكن العائلي: مستقل(كراء) ☐ مستقل (ملكية) ☐ رفقة أهل الزوج ☐ رفقة أهل الزوجة ☐

نرجو ألا تكتب شيئا على الجدول الموالي

المقياس	الدرجة	الوصف	ملاحظات
أ			
ب			
ج			
د			
ه			
و			
ز			
الدرجة الكلية			

أ- الجانب الشخصي

الفقرة	نعم	لا	؟
1. أجعل حياتي اليومية مملوءة بكل ما يثير اهتمامي			

2. من المؤكد أن ثقتي بنفسي ضعيفة جدا			
3. إن فشلي في أي موقف يدفعني إلى المحاولة من جديد			
4. أتخذ قراراتي في المسائل بدون تردد			
5. أشعر في حياتي بعدم الأمن الشخصي			
6. أحقق أهدافي في الحياة بنفسي وأسعى إلى تحقيقها			
7. لا أتردد كثيرا في اتخاذ القرارات الهامة في الحياة			
8. أواجه مشاكلي الشخصية بكل ثقة وأقوم بحلها			
9. أتصرف بمرونة في معظم أموري الشخصية			
10.أشعر بأهميتي وبأنني مثل غيري			
11.لا يوجد شيء يحد من نشاطي في الحياة			
12.أشعر بأني شخص عادي كالآخرين			
13.لا أشعر بأنني أقل من غيري			
14.بعض ظروف بيئتي صعبة التغير وتؤدي إلى سوء حياتي النفسية			
15.أقوم بحل مشاكلي بنفسي			
16.يصعب علي تحقيق ما أصبو إليه			

ب- الجانب الاجتماعي

الفقرة	نعم	لا	؟
1. أشعر بالوحدة رغم وجودي مع الآخرين			
2. إنني محبوب لدى معظم زملائي			
3. أتقبل نقد الآخرين بصدر رحب جدا			
4. كثيرا ما أجرح شعور الآخرين			
5. تصعب علي المشاركة في الأنشطة الاجتماعية			
6. يسهل علي تكوين علاقات مع أفراد الجنس الآخر			
7. إنني ناجح في تكوين علاقات مع الناس			
8. تنقصني القدرة على التصرف السليم في المواقف المحرجة			
9. يصعب علي القيام بفعل الخير			
10.أتعامل بصورة غير طبيعية مع أفراد الجنس الآخر			
11.أجد صعوبة في الاختلاط مع الناس			
12.أستطيع أن أقول رأيي في أي اجتماع			
13.من السهل علي المشاركة في الحفلات والاجتماعات المفرحة			
14.أستطيع الانصراف من أي اجتماع بدون استئذان			
15.يصعب علي التحدث مع الأشخاص الآخرين			
16.أجد صعوبة في مقابلة الأشخاص البارزين			

ج- الجانب الانفعالي

الفقرة	نعم	لا	؟
1. لا أغضب بسرعة إذا تعرضت لما يثيرني			
2. حياتي الانفعالية هادئة ومستقرة			
3. مزاجي متقلب دون سبب واضح			
4. عادة ما أتماسك عندما أتعرض لصدمات انفعالية			
5. عشت مشاكل انفعالية حادة			
6. تمر علي فترات أكره فيها نفسي وحياتي			

7. أشعر غالبا بالاكتئاب			
8. يتم سلوكي بالاندفاع والتهور			
9. أشكو من القلق في معظم الوقت			
10.من سهل أن ينجرح شعوري			
11.أشعر بخوف شديد من بعض الأشياء			
12.أقلق كثيرا من المواقف المهنية التي تمس كرامتي			
13.تضطرب حالتي النفسية بسهولة			
14.أتقبل نقد الآخرين لشخصيتي			
15.أستغرق وقتا طويلا في أحلام اليقظة			
16.أخاف كثيرا من وقوع الكوارث			

د- الجانب الزواجي

الفقرة	نعم	لا	؟
1. لقد ندمت على أنني تزوجت			
2. لقد كثرت مشكلاتنا الزوجية لفشلنا في حلها			
3. من المؤكد أن حياتي الجنسية مُرضِية			
4. مسؤوليات الحياة الزوجية صعبة جدا			
5. لا يوجد فرق بيني وبين زملائي في الحياة الزوجية			
6. إني راض عن حياتي الجنسية كما هي الآن			
7. مسؤوليات الحياة الزوجية تفوق طاقتي			
8. إذا كان لي أن أختار من جديد فلن أختار التي تزوجتها			
9. كنت أتمنى ألا أكون إنسانا حتى لا أتزوج			
10.الحياة الزوجية بالنسبة لي أحسن من حياة العزوبية			
11.أجد في الحياة الزوجية الأنس والاستقرار			
12.أعتبر زواجي فكرة غير ناجحة			
13.مشكلاتنا الزوجية قليلة وليست خطيرة			
14.إن زواجي أنجح من زواج الآخرين			
15.لا أعتبر زملائي أحسن مني في حياتهم الزوجية			
16.غالبا ما تكون في حياتنا الزوجية مثيرات لمشكلات حادة			

ه- الجانب الأسري

الفقرة	نعم	لا	؟
1. أشعر بالغربة وأنا بين أفراد أسرتي			
2. تسود الثقة والاحترام بين أفراد أسرتي			
3. أتخذ قراراتي بالتشاور مع أفراد أسرتي			
4. أسبب الكثير من المشكلات لأسرتي			
5. أبذل كل جهدي لأسعد أسرتي			
6. يضايقني تدخل أسرتي في شؤوني الخاصة			
7. أحب كل أفراد أسرتي			
8. بعض أفراد أسرتي يسبب لي الكثير من المشاكل			
9. أسرتي غير مفككة			
10.معظم زملائي أسعد مني في حياتهم الأسرية			
11.أقضي كثيرا من وقت فراغي مع أفراد أسرتي			

12.ترهقني مطالب أسرتي الكثيرة			
13.أسرتي تمنعني من التمتع بالحياة			
14.بعض أفراد أسرتي عصبي جدا			
15.حياتنا الأسرية مملوءة بالحب والود			
16.يسود بين أفراد أسرتي التوافق والانسجام			

و- الجانب الصحي

الفقرة	نعم	لا	؟
1. لا أتعرض للإصابة بالأمراض الجلدية			
2. أصاب بسرعة بعدوى الزكام من الآخرين			
3. من الضروري أن أراعي صحتي بكل دقة وعناية			
4. غالبا ما آكل دون شعور بالجوع			
5. كثيرا ما أشعر بالألم في رأسي			
6. أصبت بمرض لم أشف منه شفاء تاما			
7. أقاسي كثيرا من الجيوب الأنفية			
8. أشفى بسهولة من نزلات البرد			
9. أشتكي من ضغط الدم العالي / المنخفض			
10.من المؤكد أنني غير معرض لأمراض الربو			
11.أعاني أحيانا من الإمساك / الإسهال			
12.قليلا ما أصاب بالتهاب اللوزتين أو الحلق			
13.قليلا ما أصاب بعسر الهضم			
14.أشعر بتعب في كثير من الأوقات			
15.أشعر بآلام في معدتي في بعض الأحيان			
16.وزني أقل من الوزن العادي بدرجة كبيرة			

ز- الجانب المهني

الفقرة	نعم	لا	؟
1. أمارس مهنتي عن اقتناع شخصي			
2. أقوم بواجباتي في عملي بكفاءة عالية جدا			
3. أعباء عملي فوق طاقتي			
4. غالبا ما أتغلب على المشكلات المهنية			
5. أحب وقت العمل أكثر من أي وقت آخر			
6. أجد صعوبة في القيام بعملي			
7. أعتبر عملي غير مرهق			
8. أتحين الفرصة لتغيير المهنة التي أعمل بها			
9. علاقاتي برؤسائي حسنة جدا			
10.علاقتي بزملائي في العمل غير طيبة			
11.اخترت مهنتي الحالية برغبتي			
12.أحب عملي أكثر مما يحب الآخرون عملهم			
13.أجد معاملة عادلة من رئيسي في العمل			
14.إن الأجر الذي أحصل عليه من عملي غير كافي لمصروفاتي الحالية			
15.أشعر بأن هذه الإدارة تدفع لي أجرا عادلا			
16.أميل لكل العمال الذين يعملون معي			

دور المورد البشري في تفعيل إدارة الجودة الشاملة بالمؤسسة الإقتصادية الجزائرية

- دراسة حالة المؤسسة الجزائرية لصناعة الأنابيب ALFAPIPE غرداية، الجزائر-

الدكتور: محمد زرقون
الدكتورة: رشيد مناصرية
جامعة ورقلة – الجزائر

ملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور المورد البشري في تفعيل إدارة الجودة الشاملة بالمؤسسة الإقتصادية الجزائرية حيث إن نجاح تطبيق إدارة الجودة في المؤسسة الاقتصادية مرهون بتوفير و تسخير جميع الإمكانيات و الموارد اللازمة لذلك، و التي من أهمها الموارد البشرية، لأن التنافس في ظل عالمية السوق أصبح يعتمد على تنمية الموارد و الكفاءات البشرية باعتبارها القادرة على الإبداع و التطوير و استثمار المعلومات و حسن إدارة التغيير.

الكلمات المفتاح: إدارة الجودة الشاملة، موارد بشرية، إيزو، لجودة تدريبية، تطبيق الجودة.

تمهيد:

يشهد العالم مجموعة من التغيرات المستمرة والمتسارعة تزيد من حدة المنافسة التي تواجه المؤسسات في أسواقها المحلية والعالمية، و يعد المورد البشري من أهم الموارد القادرة على تحقيق التكيف الإيجابي مع هذه التغيرات و الوصول للأهداف المسطرة.

إن نجاح تحقيق التكيف الإيجابي للمؤسسة الاقتصادية مع تغيرات المحيط مرهون بتوفير و تسخير جميع الإمكانيات و الموارد اللازمة لذلك ، و التي من أهمها الموارد البشرية ، لأن التنافس في ظل عالمية السوق أصبح يعتمد على تنمية الموارد و الكفاءات البشرية باعتبارها القادرة على الإبداع و التطوير و استثمار المعلومات و حسن إدارة التغيير. و بذلك يعتبر المورد البشري أحد أهم العوامل المسؤولة عن امتلاك الميزة التنافسية ونجاح المؤسسة في تحقيق أهدافها بكفاءة عالية، وفي سبيل ذلك يجب التأكيد على أهمية التكوين و التدريب في تنمية القدرات والمهارات البشرية.

و في ظل التطورات التكنولوجية و التقنية و المعاصرة للإقتصاد المعرفي و الرقمي أصبحت فئة معينة من الموارد البشرية و هي الكفاءات البشرية قادرة على العمل بفعالية ضمن هذه التحديات نتيجة القدرات و المهارات التي تميزها عن باقي الموارد البشرية، و بذلك فإن التسيير الجيد و الناجع لهذه الكفاءات يجعل المؤسسة الإقتصادية في أعلى مستوياتها التنافسية.

و بذلك تظهر أهمية إدارة الجودة كأداة لتحسين أداء الموارد البشرية من خلال نشر ثقافة الجودة بينها بالمؤسسة و التأكيد الدوري عليها للتحسين المستمر لقدراتها و كفاءاتها من خلال عمليات التدريب و التكوين المستمرين.

يمكن للمؤسسة الاقتصادية الجزائرية رفع مستوى أدائها من خلال عدة مداخل منها تعزيز إمكانياتها المادية و المالية و رفع مستواها التكنولوجي. ونظرا لعدم سهولة التحكم في هذه المداخل، فإنه يمكن للمؤسسة العمل على رفع مستوى مواردها البشرية في ظل الإمكانيات المتاحة بغرض تحقيق وضعية تنافسية مقبولة.

من خلال هذه الورقة سنحاول الإجابة على الإشكالية الرئيسية التالية:

ما هو دور المورد البشري في تفعيل نظام الجودة الشاملة في المؤسسة الاقتصادية الجزائرية؟

نحاول الإجابة على هذا التساؤل من خلال العناصر التالية:

1. ماهية و تعريف إدارة الجودة الشاملة؛
2. الإطار المفاهيمي لإدارة الموارد البشرية؛
3. توجه إدارة الجودة الشاملة نحو الاهتمام بالموارد البشرية؛
4. أساليب تنمية المورد البشري لمساهمة أكثر فعالية في تطبيق إدارة الجودة الشاملة؛
5. واقع تجربة المؤسسات الجزائرية في تبني نظام الجودة والإيزو9000؛
6. الدراسة الميدانية.

1- ماهية و تعريف إدارة الجودة الشاملة:-

إن مفهوم إدارة الجودة الشاملة يعتبر من المفاهيم الإدارية الحديثة التي تهدف إلى تحسين وتطوير الأداء بصفة مستمرة وذلك من خلال الاستجابة لمتطلبات العميل. و نبدأ بتعريف وفهم معنى (الجودة) ومقصودها قبل الخوض في مفهوم إدارة الجودة الشاملة .

1.1- تعاريف الجودة: يفهم كثيراً من الأشخاص أن الجودة تعني (النوعية الجيدة) و يقصد بها الكيف عكس الكم الذي يعني بالعدد ،من تعاريف الجودة كما يراها الرواد في هذا المجال:

- الرضا التام للعميل أرماند فيجنبوم 1956؛
- المطابقة مع المتطلبات كروسبي1979؛
- درجة متوقعه من التناسق و الاعتماد تناسب السوق بتكلفة منخفضة ديمنج 1986؛
- دقة الاستخدام حسب ما يراه المستفيد جوزيف جوران1989.

ونستنتج من هذه التعاريف بأن الجودة تتعلق بمنظور العميل وتوقعاته وذلك بمقانة الأداء الفعلي للمنتج أو الخدمة مع التوقعات المرجوة من هذا المنتج أو الخدمة ،و يمكن وضع تعريف شامل للجودة على أنها تلبية حاجيات وتوقعات العميل المعقولة.

2.1- مفهوم إدارة الجودة الشاملة: إذا كان مفهوم الجودة مرتبط بجودة المنتجات و الخدمات، فإن مفهوم إدارة الجودة الشاملة مرتبط بجودة النظام الذي من نتائجه جودة المنتوج أو الخدمة والتوافق مع رغبات المستهلك. فقط أعطيت عدة مفاهيم لإدارة الجودة الشاملة، يمكن إيجازها في التعريف التالي:

إدارة الجودة الشاملة: هي نظام يستخدم بشكل أمثل مجموعة من الفلسفات الفكرية المتكاملة و العمليات التسييرية و الأدوات الإحصائية والموارد المالية والبشرية بهدف تلبية احتياجات العميل الداخلي (العامل داخل المؤسسة) والخارجي (زبون المؤسسة) على حد سواء.

فهي نظام تسيري يلتزم بتقديم قيمة للعملاء من خلال إيجاد بيئة يتم فيها تحسين وتطوير مستمر لمهارات الأفراد ولنظم العمل، مع الالتزام بإرضاء العميل ودعم العمل الجماعي، وبالتالي تحقيق أهداف المؤسسة الإستراتيجية وامتلاك ميزة تنافسية مستدامة.

3.1- المبادئ العامة لإدارة الجودة الشاملة: يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1- خلق ثقافة جديدة في المؤسسة تهدف إلى التجديد المستمر، مع خلق علاقات عمل بناءة بين أفرادها؛

2- تبني مفهوم اللاخطأ، وذلك بأداء الشيء الصحيح بشكل صحيح من أول مرة[1]؛

3- تبني التحسين المستمر، ويتطلب ذلك سرعة الاستجابة للمتغيرات وتبسيط الإجراءات والفعاليات التشغيلية؛

4- تنمية مدخل متكامل لدعم الأفراد داخل المؤسسة من خلال استثمار الطاقات الذهنية للعاملين وخبراتهم العملية مع إشعارهم بأهميتهم داخل المؤسسة؛

5- التركيز على العميل الخارجي بتلبية احتياجاته ومحاولة معرفة مدى رضاه عن المنتج مع ضرورة محاولة التعرف على احتياجاته المستقبلية[2].

2- الإطار المفاهيمي لإدارة الموارد البشرية:-

1.2- تعريف الموارد البشرية: الموارد البشرية هو مصطلح يقصد به تلك الجموع من الأفراد المؤهلين ذوي المهارات والقدرات المناسبة لأنواع معينة من الأعمال والراغبين في أداء تلك الأعمال بحماس واقتناع.

من هذا التعريف توجد صفتين أساسيتين في تركيب الموارد البشرية هما:

- صفة القدرة على أداء الأعمال؛
- صفة الرغبة في أداء الأعمال[3].

إن أهم عامل في نجاح المؤسسة وتفوقها هو امتلاك الموارد البشرية المتميزة والتي تعتبر مصدرا للإبداع والابتكار، وأهم وأثمن أصول المؤسسة، كما تعد أيضا المصدر الحقيقي لتعظيم القيمة المضافة، بالإضافة

إلى قدرتها على تحويل التحديات إلى قدرات تنافسية قوية، ونجاح المؤسسة يعود إلى ما تملكه من مهارات وقدرات بشرية، ومن أهم المميزات التي يجب أن تتصف بها الموارد البشرية لتساهم في نجاح المؤسسة ما يلي[4]:

– أن تكون نادرة، بمعنى امتلاكها لقدرات ومهارات نادرة ومميزة وغير متاحة للمنافسين، كالقدرة على الابتكار –الإبداع– قبول التحدّيات...؛

– أن تكون قادرة على خلق وتعظيم القيمة المضافة من خلال تنظيمها غير المسبوق وتجانس وتكامل المهارات والخبرات وكذلك القدرات العالية على العمل؛

– أن يصعب على المنافسين تقليدها ومحاكاتها سواء كان ذلك باستخدام التأهيل أو التدريب، ولعل أفضل مثال الموارد البشرية اليابانية؛

2.2–تعريف إدارة الموارد البشرية: هي ذلك النشاط الإداري المتمثل في تخطيط الموارد البشرية لضمان ديمومة وجود القوى العاملة التي تحتاج إليها المؤسسة. و تنمية قدرات العاملين وتحسين أدائهم ورفع كفاءاتهم العلمية والعملية والفنية ثم إيجاد الوسائل المناسبة لرفع معنوياتهم وترغيبهم في العمل لتحقيق أهداف المؤسسة.

حيث تتجلى أهمية المورد البشري في المؤسسة الاقتصادية من خلال عدة معطيات منها:

– في أغلب الأحيان نسبة تكاليف أجور العمال تمثل أكبر نسبة من مجموع التكاليف؛

– العديد من العيوب التي تساهم في اللاجودة تكون من جراء أخطار و سلوكات بشرية؛

– في أغلب حالات نجاح وتفوق المؤسسات الاقتصادية تعود إلى قدرة الفرد على الإبداع في مناخ ملائم.

3– توجه إدارة الجودة الشاملة نحو الاهتمام بالموارد البشرية:–

يعتمد جوهر نظام إدارة الجودة بدرجة كبيرة على الاتجاه الفكري، والالتزام المهني لدى العاملين بالمؤسسة،حيث يختص هؤلاء العاملون بتصميم وتنفيذ، و كذا متابعة وتقويم الأنشطة والوثائق والسجلات و التقارير والأدوات اللازمة لمكونات نظام الجودة الشاملة.

وبدون توافر هذا الاتجاه الفكري والالتزام المهني لدى العاملين لنظام الجودة فإن مصير كافة الوثائق المرتبطة بهذا النظام لن يختلف كثيرا عن الوثائق التي ارتبطت بعديد من الشعارات الأخرى، والتي لم تترتب عنها منافع حقيقية وملموسة.

ومنه كانت أولى وأهم مسؤوليات الإدارة العليا بالمؤسسات التي تهدف إلى تطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة أن تولي العاملين اهتماما مناسبا بغرض تنمية معارفهم وتطوير مهاراتهم وقدراتهم وتحسين اتجاهاتهم وتوجيه سلوكياتهم لتبني وتحقيق نظام إدارة الجودة الشاملة.

3–1– تطوير الكفاءات بالمؤسسة وأثره على الجودة الشاملة:

لقد أضحت الكفاءات هي التي تمثل الفيصل ما بين المؤسسات، ويقال في العبارة الشائعة c'est la compétence qui fait la différence، ومهما تنوعت مصادر الكفاءة،فإن العنصر البشري يظل وراءها و التي تحتل فيها إستراتيجية التكوين و التدريب المستمرين مكان الريادة.[5]

تطوير الكفاءات ليس تقنية جديدة كالتدريب الذي تقوم به المؤسسة من أجل الحصول على مؤهلات مفيدة، إنما هو موقف أو سلوك يجب تبنيه من طرف المؤسسة من أجل تدعيم كفاءاتها و إكتشاف إمكانيات التطور ،و على هذا الأساس يمكن النظر الى هذه العملية من خلال ثلاثة محاور أساسية تتمثل في:

- وضع نظام للأجور على أساس الكفاءة؛
- دور التدريب في تطوير الكفاءات؛
- الكفاءة التنظيمية للمؤسسة المرتبطة بمدى الاستجابة للتغيرات التي تحدث على مستوى محيطها.

2.3- مكانة تسيير الموارد البشرية ضمن المواصفات العالمية للجودة:

المواصفات العالمية للجودة الإيزو حيث تمثل أعلى مواصفات الجودة للنظم الفنية و الإجراءات المعتمدة عالميا ،و يمكن للمؤسسة أن تتبنى إدارة الجودة الشاملة كأسلوب تسييري دون ضرورة حصولها على شهادة المطابقة للمواصفات العالمية التي تعتبر فقط كدليل لتطبيق معايير الجودة.

1.2.3- بالنسبة مواصفات تأكيد الجودة الإيزو 9001 نسخة 2008:

والمقصود بالإيزو 9001 هو أنها مواصفة إدارية تنصب كلها على المنظومة الإدارية للمؤسسات بكافة أنواعها وأحجامها،صناعية كانت أم خدمية، وهي مواصفة في النهاية تبحث عن كفاءة أداء المنظومة الإدارية والتطور الذي تحققه[6]. ومواصفة ISO9001 نسخة 2008 ظهرت في 2008/11/15 حيث تلغي النسخ السابقة للإيزو 9001.

يمكن إبراز مكانة تسيير الموارد البشرية في الهيكل العام لمواصفة ISO 9001 نسخة 2008 ضمن عنصر (**<u>الموارد البشرية</u>**) و ذلك كما يلي:

- إدارة الموارد: ويتجزأ هذا العنصر إلى أربع نقاط:

I- توفير الموارد.

<u>II- الموارد البشرية.</u>

1. - عموميات:

يجب أن يكون العمال الذين يشغلون مناصب ذات تأثير على جودة المنتوج ذوي كفاءات ومؤهلات مكتسبة من خلال التكوين الأساسي والمهني، المعرفة الأدائية ومن الخبرة.حيث يمكن أن تتأثر مطابقة المنتوج بصورة مباشرة أو غير مباشرة من افراد يؤدون مهام داخل نظام إدارة الجودة.

2. - الكفاءة والتدريب و التوعية : على المنظمة القيام بـ:

- تحديد الكفاءة اللازمة للعمال الذين يشغلون مناصب ذات تأثير على جودة المنتوج.
- القيام بالتدريبات اللازمة أو الاعتماد على نشاطات أخرى لتلبية الاحتياجات.

– تقييم فعالية الإجراءات المتخذة.

– التأكد من أن كل العاملين يعرفون طريقة أداء أعمالهم ولديهم وعي بأهمية نشاطاتهم وبالطريقة التي يساهمون بها في تحقيق أهداف الجودة.

– الاحتفاظ بسجلات التعليم و التدريب و المهارة و الخبرة.

III– الهياكل القاعدية.

VI– محيط العمل[7].

2.2.3– بالنسبة لمواصفات مراجعة الجودة الإيزو 10011:

تهتم بالتأكد والتحقق مما إذا تم تطبيق شروط معايير تأكيد الجودة من جانب المؤسسات التي تسعى للحصول على شهادة الإيزو، وفيما يتعلق بتسيير الموارد البشرية فإن معايير مراجعة الجودة تقوم بالمراجعة في التدريب فقط وذلك بطرح الأسئلة التالية:[8]

- هل تم تدريب كافة العاملين الذين يؤدون نشاطاً يؤثر في الجودة تدريباً مناسباً ؟؛
- هل تم تعريف المسؤولين عن تحديد الحاجات التدريبية ؟؛
- ما هو أساس اختيار الأفراد للتدريب المتخصص ؟؛
- هل يتم الاحتفاظ بسجلات التدريب ؟؛
- هل تحدد تلك السجلات مستوى المهارات والمؤهلات ؟؛
- هل تتضمن الأساليب توفير دورات تنشيطية إذا لزم الأمر ؟.

3.2.3– بالنسبة لمواصفات تأكيد جودة المستخدمين الإيزو 17024:

من بين معايير أو شهادات تأكيد جودة المستخدمين وأولها هناك المواصفة الأوروبية (EN45013) والتي أصدرت سنة 1989 من طرف المنظمة الأوروبية المشتركة للمعايير (CEN)، ثم أصدرت بعدها المنظمة الدولية للمعايير (ISO) المواصفة 17024 ISO والتي تعتبر تعديلا وتحسينا للمواصفة EN45013. والهدف منها هو التأكد وإثبات كفاءات ومؤهلات الأفراد، مدى فعالية برامج التدريب، مدى فهم ودراية الأفراد بالطريقة الفعالة لأداء عملهم، وهل يتماشون مع التطورات والمستجدات التكنولوجية في المحيط الخارجي[9].

4.2.3– بالنسبة لمواصفات نظام إدارة الصحة و السلامة المهنية الإيزو OHSAS 18001:

وتعني هذه المواصفة القيام بأعمال مراقبة مستمرة للنواحي البيئية و الصحية و إجراءات السلامة ضمن العمليات المهنية التي تقوم بها،هناك العديد من فوائد الحصول على المطابقة وفق مواصفات نظام إدارة الصحة و السلامة المهنية الإيزو OHSAS 18001 نذكر منها ما يلي:

– إرضاء العاملين و الزبون و رفع الروح المعنوية و زيادة جودة مكان العمل؛

–التوفير بمواد الإنتاج نتيجة إستخدام عمليات آمنة و خفض إستهلاك الطاقة أثناء العمليات الإنتاجية و غيرها؛

-خفض وقت الأعطال الناتجة عن الإصابات و الحوادث جراء الظروف الآمنة لمكان العمل؛
-الحفاظ على الأيدي العاملة و الموارد الأخرى ؛
-تقليل الحوادث التي تسبب الموت أو المرض أو الجرح أو أي أضرار أخرى؛
-زيادة الأرباح و تقليل التكاليف[10].

4- أساليب تنمية المورد البشري لمساهمة أكثر فعالية في تطبيق إدارة الجودة الشاملة:-

4-1 إدارة الجودة التدريبية:

إن تحقيق الأداء البشري المتميز دليل على جودة الموارد البشرية بناءا على جودة العملية التدريبية المقدمة للأفراد[11] .

يقصد بإدارة الجودة التدريبية إدارة العملية التدريبية وفقا لمواصفات الجودة العالمية و تحقيق أفضل دعم للمؤسسة في مجال تطوير كفاءة الموارد البشرية و البرامج التدريبية الفعالة من أجل ضمان تحقيق العائد من التدريب[12].

ظهرت المواصفة الدولية للتدريب (ايزو10015) في الأول من سبتمبر2001من طرف المنظمة العالمية للتقييس بسويسرا، حيث أول شركة معتمدة مانحة للمطابقة لهذه المواصفة هي شركة (CSEND) في 19فيفري2003.

- تعريف المواصفة الدولية (ايزو10015):

هي مواصفة تأكيد الجودة للتعليم و التدريب و تعتبر مواصفة فنية منفصلة لمساعدة المؤسسات على التحكم و إدارة برامج و أنظمة التدريب و أداة للإدارة الإستراتيجية لتطوير الموارد البشرية[13].

مجالها: تغطي جميع العناصر المتعلقة بتطوير و تطبيق و صيانة و تحسين استراتيجيات و أنظمة التدريب التي تؤثر على جودة المنتجات/الخدمات التي تزودها المؤسسة للمستهلك.

- أهدافها:

مساعدة المؤسسات في متابعة و إدارة البرامج و تصميم التدريب بما فيها:
-دراسة المعايير الضعيفة في تطوير المدربين؛
-طرق إنشاء البرامج التدريبية؛
-دراسة المعايير الضعيفة في تقييم فعالية أداء البرامج التدريبية الموضوعة.

التأكد من أن أنظمة و برامج التدريب الموجودة في المؤسسة تحقق نتائج و بالتالي الفوائد المتوقعة من التدريب.

4-2 صيانة وتحفيز المورد البشري في إدارة الجودة الشاملة:

يمكن تعريف التحفيز بأنه دفع الأفراد على تنفيذ المطلوب منهم بشكل جيد ومقبول عن طريق بث الحماس فيه وتشجيعهم بالوسائل المختلفة، وذلك لتحقيق أهداف المؤسسة من أجل ضمان المشاركة الفعالة للأفراد في تطبيق إدارة الجودة الشاملة على المؤسسة بذل جهود متواصلة لتحقيق هذه المشاركة، فمن بين

هذه الجهود العمل على تحفيز العمال،لأن التحفيز يكتسي أهمية كبيرة من خلال النتائج المحققة من جراه مثل:[14]

-تحسين نواتج العمل في شكل كميات إنتاج وجودة منتجات ؛

-تخفيض الفاقد في العمل ومنه تخفيض التكلفة ؛

-إشباع احتياجات العاملين بشتى أنواعها خصوصا ما يسمى التقدير والاحترام ؛

-شعور العاملين بروح العدالة داخل المؤسسة ؛

-جذب العاملين إلى المؤسسة، وزيادة روح الولاء والانتماء ؛

-تنمية روح التعاون بين العاملين وتنمية روح الفريق والتضامن؛

-تحسين صورة المؤسسة أمام المجتمع.

4-3 أهمية الاتصال في مجال تحسين نظام الجودة:

تبرز أهمية الاتصال في إدارة الجودة الشاملة من خلال كونه عامل استراتيجي وفعال في كافة مراحل العملية الإدارية:

- **التخطيط** : يعتبر الاتصال الوسيلة التي تكفل التحديد الأمثل للأهداف بالإضافة إلى التعرف الواقعي على الاحتياجات والإمكانيات، كما يعد أداة إعلان الخطة ومتابعتها؛

- **التنظيم** : إن الاتصال هو العنصر الحيوي في فاعلية التنظيم، حيث أن وجود قنوات واضحة للاتصال بين الأفراد، يؤدي إلى فعالية التنظيم في تحقيق أهدافه؛

- **التوجيه** : للاتصال دور أساسي في نجاح مهام القادة وفي توافر الفاعلية للحوافز والتعرف على حاجات الأفراد ودوافعهم؛

- **الرقابة** : يعد الاتصال روح العملية الرقابية في كشف الأخطاء والانحرافات وتوفير التوجيه المناسب لإنجاح الإجراءات التصحيحية؛

- **اتخاذ القرارات** : يمثل نظام الاتصال مجموعة من الإجراءات التي تكفل استخدام البيانات اللازم توافرها لاتخاذ قرارات سليمة.

في حين تبرز أهمية الاتصال في إدارة الجودة الشاملة على أنه العملية التي تسمح بتدفق المعلومات اللازمة لعمليات التحسين المستمر وحل المشكلات التي تواجه العمليات التسيرية.

ظهرت فكرة حلقات الجودة لأول مرة في اليابان سنة 1960 من قبل الدكتور كارو إيشكاوا KARU ISHIKAWA من جامعة طوكيو.

وفي سنة 1962 تم تأسيس أول حلقة للجودة بشركة نيبون للتليفون والتلغراف اليابانية.[15]

تعرف حلقة الجودة حسب مؤسسها كارو إيشكاوا بأنها : "مجموعات صغيرة من العاملين منظمة داخل الورشة تقوم بمراقبة جودة العمليات داخل الورشة وكافة عمليات التحسين المتعلقة بها ".

وتعمل هذه المجموعات طواعية ويجتمعون بمحض إرادتهم ساعة في الأسبوع لمناقشة مشكلات الجودة وإيجاد الحلول المناسبة ويتخذون الإجراءات التصحيحية بشأنها لمواجهة الانحراف الحاصل بين المحقق فعلا والمخطط.

5- واقع تجربة المؤسسات الجزائرية في تبني نظام الجودة و الإيزو9000:-

لقد أصبح لزاما على المؤسسات الجزائرية ضرورة مواكبة التطورات الحاصلة في ظل اقتصاد السوق ، والذي في بعض الأحيان يصبح من شروط التنافس فيه الحصول على شهادة الجودة العالمية التي تثبت جودة وكفاءة النظام الداخلي للمؤسسة،و التي تعتبر جودة و تكلفة المنتج دليلا على ذلك.

وقد أصدرت الدولة في مجال المواصفات مجموعة من النصوص التشريعية و التنظيمية منها*:

1- قانون رقم 89/23 الصادر في ديسمبر 1989 المتعلق بالتقييس؛

2- المرسوم التنفيذي رقم 98/69 الصادر في 1998 المتعلق بإنشاء و تنصيب المعهد الجزائري للتقييس Institut Algérien de Normalisation .

3- المرسوم التنفيذي رقم 90/132الصادر في 15 ماي 1990 المتعلق بتنظيم و عمل التقييس؛

4- المرسوم التنفيذي رقم 2000/110 الصادر في 10 ماي 2000 المعدل و المتمم للمرسوم التنفيذي رقم 90/132الصادر في 15 ماي 1990 المتعلق بتنظيم و عمل التقييس؛

5- المرسوم التنفيذي رقم 2000/111 الصادر في 10 ماي 2000 المتعلق بالمجلس الجزائري لإعتماد المنظمات لتقييم التوافق؛

6- القرار الرسمي لـ 03 نوفمبر 1990 المتعلق بإنشاء معايير للجودة؛

7- القرار الرسمي لـ 03 نوفمبر 1990 المتعلق بتنظيم وعمل اللجان التقنية؛

8- القرار الرسمي لـ 23 أفريل 2000 المعدل و المتمم و الموافق للقرار الرسمي الصادر في 02 نوفمبر 1992 بشأن اللجان التقنية المسؤولة عن وضع معايير التقييس؛

9- القرار الرسمي الصادر بـ 24 جويلية 1996 المتعلق بإنشاء اليوم الوطني للتقييس؛

10- المنشور الوزاري لرئيس الحكومة الصادر في 20 ماي 2000 المتعلق بالتنسيق بين المعايير و القوانين التقنية؛

11- القرار الرسمي الصادر في 02 نوفمبر 1992 المتعلق بإنشاء اللجان التقنية المكلفة بأعمال التقييس؛

12- القرار الرسمي الصادر بـ 23 جويلية 1996 المثبت لشروط و إجراءات حماية و تقاعد علامات المطابقة للمقاييس الجزائرية.

وفي ظل تبني الجزائر لنظام إقتصاد السوق ،بدأت ملامح إهتمام عدة مؤسسات جزائرية بضرورة التوافق مع مواصفات الجودة العالمية، لكن يبقى ذلك في إطار محدود و بوتيرة بطيئة،حيث بينت إحصائية صادرة

عن وزارة الصناعة من مديرية تقييس الجودة و الأمن الصناعي في 2005، وجود 173 مؤسسة جزائرية حاصلة على شهادة المطابقة مع مواصفة الإيزو 9000، ومن خلالها لاحظنا على هذه المؤسسات ما يلي:

- 56.7% منها مؤسسات خاصة والباقي عمومية؛
- 65% منها مؤسسات إنتاجية و 35% خدماتية؛
- 99% منها حاصلة على الإيزو 9001 نسخة 2000؛
- بالنسبة لمكان الهيئة المانحة لشهادة المطابقة نجد 61% من فرنسا و 20 % من كندا و 16% من بلجيكا و03% من كل من إيطاليا و ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

وقد أدى تطبيق أنظمة إدارة الجودة في المؤسسات الجزائرية إلى التركيز على العنصر البشري :[16]

– **التأهيل:** إن بعضا من الأنشطة الخاصة تتطلب تأهيل الأفراد، هذا التأهيل يساعد في البرهنة على قابلية تطبيق معيار أو إجراء داخلي بالمؤسسة.

– **التحفيز و التحسيس بالجودة:** وهذا يعني توضيح أهمية العمل المحضر والمنفذ جيدا لكل فرد بالمؤسسة، إضافة إلى توضيح النتائج الناجمة عن إرضاء الزبون، السيطرة على التكاليف ورفاهية المؤسسة. وبالتالي يجب وضع برنامج تحسيسي للجودة والذي سيوجه بمحتوى ملائم للأفراد الجدد وللأفراد القدامى وللأفراد المكلفين بالقيام بالأنشطة التصحيحية والوقائية.

– **التدريب:** الذي يخص كل أصناف الأفراد داخل المؤسسة والذين يمارسون أنشطة ذات أثر على الجودة. فيجب ترجمة الحاجات المختلفة لكل أصناف الأفراد (إطارات، عمال تنفيذيين، أعوان تحكم) في خطة التدريب، التي تشمل الفترة والمكان والمجال والتكاليف والهيئة المشرفة على التدريب...الخ.

والملاحظ من الدراسات التي أجريت أن التدريب المتبع في الجزائر قد أتى ببعض النتائج، خاصة عندما يكون مبنيا على الاحتياجات الحقيقية، للمؤسسات الاقتصادية والصناعية و الخدمية، وفشل في بعضها الأخر خاصة إذا كانت نوعيته ناقصة بسبب نقص الخبرة وعدم ملائمة مجال العمل.[17]

6– واقع تأثير المورد البشري على تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة الجزائرية ALFAPIPE:–

6–1: نشاط المؤسسة:

يتمثل النشاط الأساسي للمؤسسة الجزائرية لصناعة الأنابيب ALFAPIPE وحدة غرداية في إنتاج أنابيب مصنوعة من الصلب بغرض نقل البترول، الغاز الطبيعي، الماء، وكل الموائع الواقعة تحت ضغط عالي مثل الزيت.

وتبلغ الطاقة الإنتاجية للمؤسسة في الحالة العادية 100000 طن سنويا، حيث تستطيع المؤسسة إنتاج أنابيب يتراوح قطرها ما بين 406 ملم و 1625 ملم، وهو أعلى قطر يميز المؤسسة عن إنتاج باقي المؤسسات الأخرى في المجمع أنابيب. يقدر رأس مال المؤسسة حاليا بـ (2.500.000.000.000 دج) و تشغل 524 عامل منهم 168 إطارات و 205 رؤساء عمال و 151 منفذون.

تحتل المؤسسة مكانة هامة من بين الوحدات الأخرى في المؤسسة الأم، لأنها تساهم بـ 70% من الإنتاج بالنسبة للمجمع الذي تنتمي إليه، ولما لها من أهمية اقتصادية بالغة على المستوى الوطني، فهي تسعى لتغطية السوق الداخلية بأكبر من النسبة الحالية التي تمثل 25% فقط من احتياجات أكبر المؤسسات الوطنية؛ سوناطراك، سونلغاز، ومديريات الري بصفة دائمة ومستمرة.

تلعب المؤسسة الجزائرية لصناعة الأنابيب وحدة غرداية بالجزائر دورا مهما في تنمية الاقتصاد الوطني بفضل دعمها الكبير لقطاع المحروقات وتقوم بتغطية 60% من الإنتاج الوطني من أنابيب الناقلة للغاز والنسبة الباقية 40% تغطيها وحدة عنابة.

وللتذكير فإن الإنتاج الوطني الكلي للأنابيب الناقلة للغاز من طرف ALFAPIPE وحدتي غرداية و عنابة لا يلبي سوى 25% من الاحتياج الوطني لهذا المنتوج، أي أن 75% من الإحتياج الوطني يتم تلبيته عن طريق الإستيراد من الخارج.

6-2 أثر تطبيق نظام الجودة من خلال نشر ثقافة الجودة بالمؤسسة

تحصلت المؤسسة على شهادة المطابقة ISO9001 نسخة 2008 وشهادة API 5L و ذلك بتاريخ 27 جويلية 2009 صالحة لثلاث سنوات.

ومن أجل الوقوف أكثر على أثر تطبيق نظام الجودة من خلال نشر ثقافة الجودة بين العاملين بالمؤسسة ، إرتأينا إدراج بعض الأسئلة التي تبين لنا نظرة العمال للجودة ضمن إستمارة إستبيانية لعينة عشوائية من مجتمع الدراسة تمثل نسبة 20% أي 100 عامل، لكن الإستمارات المسترجعة كانت تساوي 62 إستمارة.

6-2-1 للوقوف على أهمية التحسين المستمر بالجودة تم طرح السؤال التالي: هل ترى أن المؤسسة تسعى دائما للتحسين المستمر في الجودة ؟ أتضح من النتائج أن أغلب أفراد العينة يرون أن المؤسسة من خلال الإجراءات المتخذة و الملموسة تسعى فعلا للتحسين المستمر في الجودة.حيث أغلب أفراد العينة أي بنسبة 71,4% تلقوا تدريبا بسبب تطبيق نظام الجودة أي أنهم ربما كانوا لا يملكون مستوى مقبول من الجودة في عملهم، عكس نسبة 28,6% أي الأفراد الباقين الذين تحصلوا على تدريبات لتحسين مستواهم.

6-2-2 لتقييم البرامج التدريبية تم طرح السؤال التالي: هل البرامج التدريبية لبت احتياجاتك في تأدية عملك ؟ الجدول رقم (**01**) يوضح الإجابة على هذا السؤال.

أكد أغلب العمال أي نسبة 66% أن البرامج التدريبية لبت احتياجاتهم في تأدية العمل أي أنها كانت ذات فعالية، في حين أقر الباقي أي نسبة 34% بعدم فعاليتها وهي نسبة معتبرة، مما يدعوا إلى زيادة الحرص التنظيم والتخطيط الجيد للبرامج التدريبية وحسن اختيار المواضيع.

6-2-3 للوقوف على علاقة الاستمرارية بين الجودة والتدريب تم طرح السؤال التالي: هل استمرار نظام الجودة يعني استمرار التدريب ؟ الجدول رقم (**02**) يوضح الإجابة على هذا السؤال.

لقد وافق أغلب العمال بنسبة كبيرة 91% على أن استمرار الجودة يعني استمرار التدريب من أجل التحسين المستمر في مستوى العامل ورفع قدرته في التحكم في منصبه.

6-3 أساليب التحفيز المتبعة في المؤسسة

إن ما يؤخذ على مؤسسة ALFAPIPE أنها لا تهتم كثيرا بالأساليب التحفيزية رغم توجهها الجديد المتمثل في تبني إستراتجية الجودة الشاملة، فهي لازالت تعتمد على الأساليب التقليدية المتبعة في نظامها الداخلي، مع زيادة الاهتمام بتحفيز الأفراد على العمل الجماعي.و التي نذكر ما يلي:

6-3-1 العلاوات: وتنقسم إلى قسمين هما:

- **علاوة المردود الفردي (PRI):** تهدف هذه العلاوة إلى تشجيع الرفع من المردود الفردي للفرد وهي تقيم كل ثلاثة أشهر وتدفع مرة واحدة خلال السنة.تصل نسبة هذه العلاوة في حدها الأقصى إلى 15% من الأجر القاعدي، وتحسب على أساس مقاييس محددة مثل: حجم العمل، المواضبة، عدد العقوبات؛
- **علاوة المردود الجماعي (PRC):** تهدف علاوة المردود الجماعي إلى تحسين مستوى الإنتاجية، وتسدد شهريا حسب معايير ومقاييس تحدد سنويا بقرار داخلي من المؤسسة بعد استشارة اللجنة المتساوية الأعضاء، تحدد نسبتها القصوى بـ 35% من الأجر القاعدي، يستفيد منها كل عمال المؤسسة بنفس النسبة.

كما قامت المؤسسة بتوزيع مكافئات مادية لكل العمال عند الحصول على شهادة المطابقة وكذا شهادة تجديد المطابقة، وذلك لتحسيس العمال بدورهم في تطبيق نظام الجودة وتشجيعهم على الاستمرار في ذلك.

6-3-2 الامتيازات الاجتماعية: تهدف إلى مساهمة في تحسين مستوى المعيشة وظروف حياة العامل، بالإضافة إلى تحسين العلاقات الاجتماعية والمهنية بالمؤسسة، وذلك بتدعيم ثقافة المؤسسة. تتعلق الامتيازات الاجتماعية بالنقاط التالية:

- المساعدة الاجتماعية للعامل وبالأخص السلفات و الهبات الاجتماعية؛
- الخدمات في الميدان الصحي؛
- النشاطات الثقافية.

6-3-3 الترقية: يوجد في المؤسسة نوعين من الترقية هما: الترقية في نفس المنصب و الترقية إلى منصب أعلى التي لا تكون إلا في حالة شغور هذا المنصب، مع أن هذا الشرط غير موضوعي، خاصة في إطار تبني نظام الجودة. مع العلم أن أغلب عمال المؤسسة يملكون مستوى تعليمي متوسط.

6-4 أراء العمال حول الاتصال في المؤسسة:

إن 80 % من أنواع الاتصال استخداما بين الإدارة العليا والعمال متمثلة في القرارات أي أن العمال لا يملكون إلا تطبيق هذه القرارات التي لم يشاركوا في اتخاذها مما يجعل العملية الاتصالية ضعيفة لأنهم في المقابل لا يحصلون على تقارير عن نشاط المؤسسة.

كما أن طبيعة الاتصالات بين العمال والإدارة العليا تتمثل في الشكاوى بنسبة 53,3% وهذا يدل على ضعف هذه العلاقة و أهمية توفير المناخ المناسب للعمل.

حسب الجدول رقم (**03**) يرى بعض العمال أي نسبة 30% أن الاتصالات في ظل الجودة الشاملة اكتست بالمرونة. في حين يرى عدد معتبر من العمال أي نسبة 53% أن الجودة الشاملة لم تحسن من مستوى العملية الاتصالية في المؤسسة.

6-5 تقييم النتائج:

من الدراسة التطبيقية في مؤسسة ALFAPIPE نستشف وجود فجوة بين القيم المرغوبة في الجودة من الإدارة والعاملين والقيم السائدة في المؤسسة. ولذا يجب تشخيص الفجوة وتحديد الأسباب لإيجاد الحلول التصحيحية الملائمة.

6-5-1 الفجوة المتعلقة بتطبيق نظام الجودة في المؤسسة :

يمكن تشخيص الفجوة الموجودة في تطبيق نظام الجودة بالمؤسسة كما يلي:

1- تركيز المؤسسة اهتمامها بالجودة في ورشة الإنتاج و مصلحة المراقبة التقنية للجودة مما يجعل نظام الجودة غير متكامل الجوانب؛

2- تعتبر إدارة الموارد البشرية المشرف على تسيير كفاءات المؤسسة في حين أن إطاراتها لا يملكون الكفاءة اللازمة لذلك، ويظهر ذلك من خلال عدة مؤشرات منها:

- عدم إطلاع أفرادها على الأساليب الحديثة لتسيير الموارد البشرية مثل:تسيير المسار الوظيفي، أساليب الاختيار و التحفيز.

- عدم وجود لوحات القيادة التي توضح مؤشرات مهمة حول الموارد البشرية؛

- عدم إدراك كلي لمفهوم التكاليف الخلفية المتعلقة بالمورد البشري (حوادث العمل، الغياب،..)؛

3- الطاقة الإنتاجية المستغلة تمثل نسبة 50 % فقط مما يجعل المؤسسة لا تستفيد من اقتصاديات الحجم؛

4- بينت إحدى تجارب رفع الطاقة الإنتاجية مقارنة بالمنافس الأجنبي BENDER أي 30 أنبوب خلال 8 ساعات عمل، أن المؤسسة استطاعت تجاوز مستوى المنافس فبدلا من 20 أنبوب كل 8 ساعات ليصبح 45 أنبوب كل 8 ساعات وذلك بفضل تجنيد كل الإمكانيات التكنولوجية و البشرية المتاحة؛

5- ضعف المستوى التعليمي العام لأغلب أفراد المؤسسة حيث 29 % جامعيين و الباقي من مستوى السادسة ابتدائي إلى المستوى النهائي؛

6- عدم توفر المتطلبات الأساسية لتحقيق تنمية إستراتيجية للموارد البشرية بسبب:

- انخفاض رضاء العمال عن الأجور و المزايا الممنوحة لعدم قدرتها على تلبية احتياجا تهم الضرورية ، وذلك ما بينته نتائج الاستبيان؛

- الشعور المتزايد للأفراد لعدم الأمان الوظيفي، فأكثر من نصف العمال يعملون وفق عقود محددة المدة ومنهم على هذه الحال منذ 12 سنة؛

– شعور أغلب العمال بعدم وضوح وعدالة تطبيق المعايير في عدة حالات مثل: فرصة التدريب ، الحوافز..؛

– التردد الكبير و الملفت للانتباه للعمال إلى الإدارة لمعالجة شكاواهم و إبداء أرائهم حول القرارات المتخذة بشأنهم و بشأن عملهم دون مشاركتهم.

2-5-6 الفجوة المتعلقة بعناصر تنمية المورد البشري :

– أولا: التدريب

لقد بذلت المؤسسة مجهودات جبارة في مجال التدريب ، لكن ما يمكن التساؤل عنه هل تعتبر هذه المجهودات كافية و فعالة لتحقيق الجودة الشاملة ؟

باعتبار أن تحقيق الجودة يعتمد على التحسين المستمر فذلك يتطلب استمرارية في عملية التدريب وفق برامج تدريبية مدروسة و تغطي الاحتياجات المعلنة من طرف العمال.

ومن الملاحظ أن المؤسسة لم تهتم كثيرا بالتدريب على تقنيات المشاكل التي أقرتها الجودة الشاملة ما عدا أسلوب تحليل باريتوا المطبق في مصلحة واحدة هي مصلحة مراقبة الجودة و النوعية . وكذلك الحال بالنسبة للتدريب على الوقت الذي لو توفر لسمح للعامل بانجاز مهام منصبة بسهولة وبدون إرهاق فلقد أدنى عدم وجود التدريب على الوقت خلق أثار مهمة.

– ثانيا: التحفيز

إن التحفيز الموجود بالمؤسسة لا يرقى إلى المستوى يشجع العمال إلى بذل المزيد من الجهود لتحقيق تحسين ملموس في الجودة ويعود ذلك لعدة أسباب منها :

–عدم شعور أغلب العمال يروح العدالة داخل المؤسسة .

–وجود شعور ضعيف بالولاء و الانتماء .

–أغلب العمال الجامعيين يعملون بصفة مؤقتة داخل الورشات في منصب مالي كمنفذين و ليس كإطارات وهو عكس ما يجب أن تكون في الواقع ؟

–نظام الترقية المطبق لا يؤدي دوره التحفيزي بشكل جيد .

–يعتبر الأجر أهم أدوات التحفيز إلا أن نظام الأجور لا يراعي القيمة الحقيقية للجهد المبذول، ولا يخصص على أساس الكفاءة المسخرة.

– ثالثا: الاتصال

يعتبر الاتصال من أكثر المشاكل حدة في المؤسسات الاقتصادية، لأن الدور الذي يلعبه مهم جدا في تحقيق الأهداف المسطرة.

خلال فترة سابقة اعتمدت مؤسسة ALFAPIPE أسلوب حلقات الجودة، لكن مع عدم مراعاة المنهجية المعتمدة في هذا المجال ولم ترقى إلى المستوى الحقيقي لحلقات الجودة، بل عبارة عن اجتماعات روتينية لا تعقد بصفة منتظمة، وذلك ما يدل على عدم وجود فرق عمل لتحسين الجودة بالمواصفات التي حددها رواد

الجودة. ومنه فإن وظيفة الاتصال في مؤسسة ALFAPIPE حققت تقدما كبيرا في ظل تبني نظام الجودة، لكن ينبغي الاهتمام أكثر بهذه الوظيفة المهمة.

6-6 الإجراءات الواجب اتخاذها من أجل مساهمة أكثر فعالية :

6-6-1 بالنسبة لتطبيق نظام الجودة:

من أهم النقاط التي يجب مراعاتها ما يلي:

– يجب اعتبار العامل هو جوهر نظام الجودة، ومنه هو مركز اهتمام المؤسسة باعتباره عميل داخلي؛

– يجب الاهتمام بجميع عمال المؤسسة وبنفس المقدار دون تمييز لمنصب عمله (سواء في ورشة الإنتاج، أو في الإدارة المالية أو في خلية الأمن)؛

– ضرورة تصميم لوحات قيادة في المؤسسة على مستوى جميع الوظائف، للمساعدة في إيجاد الانحرافات وتصحيحها؛

– ضرورة معرفة مختلف التكاليف الخفية وكيفية قياسها من أجل الوقوف على الحلول اللازمة لمعالجتها؛

– ضرورة الربط بين نظام الأجور ونظام الحوافز من جهة؛ ونظام الجودة من جهة أخرى؛

– لتحقيق إندماج فعال للمؤسسة مع اقتصاد المعرفة واقتصاد الكفاءات عليها الحفاظ وصيانة الكفاءات التي تملكها من أجل رفع قدرة المؤسسة على استقطاب الكفاءات النادرة.

6-6-2 أهم الإجراءات الواجب اتخاذها بالنسبة للتدريب: وهي:

–التأكيد على التخطيط لعملية التدريب والتركيز على المواضيع التي تلبي الاحتياجات الحقيقية للعمال؛

–تقييم أداء عمال المؤسسة من أجل تحديد العمال الذين يحتاجون فعلا للتدريب من أجل تصحيح الانحرافات الموجودة في مستويات أدائهم؛

–التدريب على تقنيات حل المشاكل مثل الخرائط الانسيابية لتحليل العمليات وخرائط السبب والنتيجة وأسلوب العصف الذهني ؛

–التدريب على أنظمة إدارة الوقت نظرا لأهميتها في تحقيق الجودة الشاملة؛

–نظرا لوجود كفاءات عالية الأهمية بالمؤسسة فعلى الإدارة الحرص على التدريب الداخلي لعمالها بإشراف هذه الكفاءات ؛

–القيام بتدريب جميع إطارات إدارة الموارد البشرية من أجل تحسيس هذه الإدارة بأهمية الدور الذي يلعبه المورد البشري في تطبيق نظام الجودة الشاملة.

6-6-3 الإجراءات اللازمة لتحفيز العمال : منها ما يلي :

– توفير الأمن الوظيفي للكفاءات المحورية بالمؤسسة من أجل تهيئة مناخ يسمح بالعطاء والإبداع؛

– وضع نظام أجور على أساس الكفاءة الفردية لصيانة وتطوير الكفاءات بالمؤسسة؛

– الإنتقال من الإهتمام بالحوافز المقدمة حسب كل فرد إلى الحوافز المقدمة لكل فريق عمل لرفع فعالية العمل الجماعي؛

– ضرورة إهتمام الإدارة العليا بتقديم التقدير والإحترام للعمال نتيجة الجهود المبذولة لتحسين الجودة بالمؤسسة؛

– تحسين ظروف العمل لضمان المشاركة الفعالة للعمال في حل المشاكل المتعلقة بالجودة؛

– إعتماد نظام للترقية يراعي كفاءة الفرد كأساس للأولوية في الحصول على هذه الترقية؛

– عدم إظهار أي تمييز في الحقوق والواجبات بين العمال الدائمين والمؤقتين لتشجيع تظافر الجهود لتحقيق الأهداف؛

– إعادة وضع صناديق للإقتراحات مع تقديم الضمانات الكافية لتشجيع المشاركة الفعلية للعمال.

6-6-4 الإجراءات اللازمة لتحسين عملية الإتصال :منها ما يلي :

– وضع نظام معلومات فعال يسمح لكل فرد معرفة جميع المعلومات المتعلقة بعمله ونشاط المؤسسة ككل؛

– تشجيع إستخدام أسلوب فريق العمل من أجل تعزيز قنوات الإتصال بين العمال مما يسهم في وجود كفاءات جماعية ؛

– لسعي إلى تقوية الثقة بين الإدارة العليا والعمال ، وذلك بتحقيق روح العدالة داخل المؤسسة وعدم إقصاء أو تهميش أي فئة من العمال؛

– توفير نسخة من مجلة المؤسسة لكل عامل في كل عدد يصدر منها؛

– التأكيد على تحسين العلاقة الموجودة بين العامل ورئيسه المباشر، لأن أغلب عمال المؤسسة يقرون بوجود توتر في هذه العلاقة؛

–الرجوع إلى تطبيق أسلوب حلقات الجودة لكن بطريقة علمية مدروسة تسمح بالوصول إلى نتائج ملموسة في تحسين الجودة.

خلاصة : نظرا للتغيرات المستمرة والمتسارعة التي تميز المحيط الإقتصادي و التي تفرض على المؤسسة الإقتصادية تحقيق التكيف الإيجابي معها من خلال إكتساب ميزة تنافسية تسمح لها بالإستمرارية و النمو. ويعتبر تبني إدارة الجودة الشاملة كخيار إستراتيجي حل من الحلول القائمة.ومن خلال هذا البحث يمكن الخروج بتوصيات عامة وتوصيات ومقترحات خاصة بالمؤسسة محل الدراسة الميدانية وذلك كما يلي:

1– ن تحقيق الميزة التنافسية بإعتماد مدخلين مهمين ومتكاملين،الجودة الشاملة والمورد البشري لا يصبح ممكنا إلا في حالة اعتبار المورد البشري جوهر نظام الجودة؛

2– ضرورة تأكيد التطبيق العملي لأحد مبادئ الجودة الذي يدعو إلى الإهتمام بالتحسين المستمر في جميع الوظائف الموجودة بالمؤسسة ، وليس في وظيفة الإنتاج فقط؛

3– ضرورة إدراك أهمية تطبيق نظام للجودة و دوره في تخفيض التكاليف الخفية المرتبطة بالمورد البشري؛

4- بناءا على الدراسة الميدانية نقترح على مسؤولي مؤسسة ALFAPIPE التطبيق العملي لمبدأ التحسين المستمر ،فرغم ما حققته من نتائج مهمة في تحسين الجودة،إلا أنها لم تعزز الجهود المبذولة في التحسين المستمر مما يجعل مستوى الجودة المحقق مهدد بالتراجع، لذلك عليها الاهتمام بالنقاط التالية من أجل التحسين المستمر:

- ربط نظام الأجور والحوافز بنظام الجودة ليكون معبرا عن المستوى الحقيقي لأداء كل عامل؛
- تخطيط عملية التدريب لتكون أكثر فعالية وقدرة على تلبية الاحتياجات المعلنة؛
- التدريب على تقنيات حل المشاكل من أجل مساهمة أكبر للعامل في تدعيم نظام الجودة؛
- التدريب على إدارة الوقت لتخفيض التكاليف الخفية؛
- تدريب جميع إطارات إدارة الموارد البشرية لتحسيس هذه الإدارة بأهمية دورها في تعبئة الموارد البشرية،والتحكم في الأساليب الحديثة لتسيير الموارد البشرية؛
- توفير الأمن الوظيفي للعمال خاصة الكفاءات المحورية بالمؤسسة؛
- عزيز القنوات الاتصالية بين الإدارة العليا والعمال لتقوية الثقة المتبادلة؛
- التأكيد على حرص الإدارة العليا بتحسين العلاقة الموجودة بين العامل ورئيسه المباشر لتحقيق الأهداف الجزئية على مستوى كل وحدة تنظيمية بالمؤسسة.

وفي الأخير نرى أن مؤسسة ALFAPIPE تعتبر بمثابة قدوة في مجال الجودة والاهتمام بالمورد البشري للمؤسسات الجزائرية، خاصة منها غير الحاصلة على شهادة الإيزو. لذلك فإن هذه المؤسسة تستحق التقدير والاحترام وخاصة من طرف المجمع الذي تنتمي إليه ومن الوزارة الوصية بالقطاع بتقديم التشجيع اللازم لمواصلة الاهتمام بالجودة بها.

ملحق الجداول والأشكال البيانية

جدول رقم (01): تقييم البرامج التدريبية.

السؤال	فئة العمال	نعم		لا		الإجمالي
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
هل البرامج التدريبية لبت احتياجاتك في تأدية عملك ؟	إطارات	17	36	06	12.5	**23**
	رؤساء عمال	02	04.5	02	04.5	**04**
	منفذين	12	25.5	08	17	**20**
	المجموع	31	66	16	34	**47**

المصدر : نتائج التحليل الاحصائي

جدول رقم (02): علاقة الاستمرارية بين الجودة والتدريب.

السؤال	فئة العمال	نعم		لا		الإجمالي
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
	إطارات	22	40	04	07	**26**

هل استمرار نظام الجودة يعني استمرار التدريب ؟	رؤساء عمال	04	07	00	00	**04**
	منفدين	24	44	01	02	**25**
	المجموع	50	91	05	09	**55**

المصدر : نتائج التحليل الاحصائي

جدول رقم (03) : الاتصالات في ظل الجودة الشاملة.

السؤال	فئة العمال	مرونة		صلابة		لم تضف شيئ		الإجمالي
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
هل أضافت الاتصالات في ظل الجودة الشاملة؟	إطارات	12	21	01	01.8	12	21	**25**
	رؤساء عمال	01	01.8	01	01.8	02	13.5	**04**
	منفدين	04	07.2	07	13.4	16	28.5	**27**
	المجموع	17	30	09	17	30	53	**56**

المصدر : نتائج التحليل الاحصائي

المراجع والإحالات:

[1] خالد بن سعد عبد العزيز بن سعيد، **إدارة الجودة الشاملة تطبيقات على القطاع الصحي**، ردمك، الرياض، 1998، ص63.
[2] صلاح عبد الباقي، **قضايا إدارية معاصرة**، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص144.
[3] صلاح الدين عبد الباقي، **إدارة الموارد البشرية**، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص145.
[4] العيهار فلة، **دور الجودة في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسة**، مذكرة ماجستير في علوم التسيير، جامعة الجزائر، الخروبة، 2005، غير منشورة، ص 138.
[5] رحيم حسين، **تسيير المعارف وإستراتيجيات الإبداع في المؤسسات الجزائرية الصغيرة و المتوسطة**، مجلة الإقتصاد والمناجمنت، جامعة أبوبكر بلقايد تلمسان، عدد03، مارس 2004، ص242.
[6] نظمي نصر الله، **إيزو 9000 بداية الطريق لتطوير المنظومة الإدارية**، الدار العربية للنشر و التوزيع، القاهرة، بدون سنة نشر، ص 22.
[7] إسماعيل القزاز، **التطبيق العملي للمواصفة ايزو9001 نسخة 2008**، دار دجلة، عمان، 2009، ص88.
[8] علي السلمي، **إدارة الموارد البشرية**، الدار الجامعية، الإسكندرية2002، ص 155.
[9] موزاوي سامية، **مكانة تسيير الموارد البشرية ضمن معايير الإيزو و إدارة الجودة الشاملة**، مذكرة ماجستير في العلوم الاقتصادية فرع: إدارة الأعمال، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2004/2003، ص 63.
[10] سعيد إبريق، **الدور الذي يلعبه قائد الفريق في الصحة و السلامة و البيئة**، مجلة أضواء على الصحة و السلامة و البيئة، العدد الرابع، الإمارات العربية المتحدة، 2005، ص03.
[11] محفوظ أحمد جودة، **تحديد احتياجات التدريب وأثره في إدارة الجودة الشاملة**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، الجزائر، 2000-2001، ص 31.
[12] نجم العزاوي، **جودة التدريب الإداري**، دار اليازوري، الأردن، 2009، ص220.
[13] نفس المرجع السابق، ص 211.
[14] أحمد ماهر، **إدارة الموارد البشرية**، الدار الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الخامسة، 2001، ص 120.
[15] حرفوش مدني، **الطريق إلى إعادة إختراع الحكومة وإدارة الجودة الشاملة**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1996، ص 109.
[*] le site web : www.IANOR.DZ de **Institut Algérien de Normalisation**
[16] يحياوي مفيدة و يحياوي إلهام، **تنمية المورد البشري أساس تحسين تسيير الإنتاج لاندماج المؤسسة الجزائرية في الاقتصاد العالمي**، مداخلة في الملتقى الدولي حول التنمية البشرية وفرص الإندماج في اقتصاد المعرفة والكفاءات البشرية 9-10 مارس 2004، جامعة ورقلة، ص 183. نقلا عن : ISO 9000 : Version 2000, Système de management de la qualité, Exigences , Chap 06 p 13.14.
[17] نفس المرجع السابق، ص184.

4) Le quotidien Le Monde

Quel journalisme à l'ère du Web?
Auteur : Jean-Pierre ELKABBACH
(04 janvier 2007 - France)

5) Le mensuel Le Monde Diplomatique

Emergence des "médias de masse individuels"
Auteur : Manuel CASTELLS
(Juillet 2006)

6) Blog " le peuple des connecteurs"

7) Blog de " Sylvain ATTAL "

8) http://ainsivamonmonde.blogspot.com/2007/01/info-ou-intox- presse-et-mdia-vs-blogs.html/

9) http://www.blogmilitant.com/

10) http://www.etudes-francaises.net/

11) http://www.epsilon66.com/

12) http://www.esj-lille.fr/article.php3?id_article=185

13) http://www.francetelecom.com/fr/

14) http://www.grappa.univ-lille3.fr/

15) http://www.journaldunet.com/chiffres-cles.shtml

16) http://www.labneo.net/

17) http://www.lemonde.fr/

18) http://www.lisons.info/Elkabbach-Jean-Pierre-auteur-353.php

19) http://www.piloter.org/

20) http://www.unice.fr/

21) http://www.webdeux.info/

22) http://www.webrankinfo.com/actualites/200508-baidu-au-nasdaq.htm

23) http://www.wikipidia.com/

sur cela qu'ils se basent, en faisant même venir à eux de nouveaux annonceurs. Certes, à trop s'approcher d'un évènement chaud, on risque de se brûler les doigts. Mais un journaliste refroidi-t-il un journaliste ? Est-il plus prudent et plus confortable de se tenir à distance et d'attendre pour présenter un fait inquiétant ? Exprimer une vérité cruelle ? Que l'opinion soit préparée à la recevoir ? Prête à les accepter ?

Pour rester indépendants, ces journaux doivent exprimer librement une opinion en présentant auparavant le plus grand nombre possible d'éléments d'information et de réflexion. S'ils font cet effort, ils formeront une presse plus crédible qui a le droit d'émettre un jugement qui s'impose d'autant moins au lecteur que celui-ci aura en tous les éléments de son propre jugement. Ils en auront le devoir, car le lecteur a le droit, lui, de connaître l'opinion de son journal ne serait-ce que pour la confronter à la sienne, l'approuver ou la rejeter.

Il ne s'agit donc pas de faire régresser l'intelligence humaine, il s'agit de la défendre. Il ne s'agit pas de restriction au bénéfice d'une classe sociale, il s'agit de la sauvegarde de toute l'humanité. Tel est le problème… Le reste n'est que division et dispersion de l'activité dans l'affrontement de sous problèmes.

Références

1) Le petit LITTRE

A. BEAUJEAN
Edition : COMPOFAC
(2003 - PARIS)

2) Recueil de textes

3ème année secondaire
Institut Pédagogique National
(1986)

3) Le quotidien EL Watan

Révolution du tout numérique
Auteur : Belkacem MOSTEFAOUI
(15 février 2007 - Algérie)

Face à cette difficulté qui consiste à établir en quelques heures ou quelques minutes la vérité ou la vraisemblance d'un fait, un journal n'est pas dépourvu de moyens; il peut et doit multiplier ses sources d'informations, recouper et vérifier les nouvelles, publier plusieurs versions, utiliser les blogs, user bien sûr sans en abuser du conditionnel, qui n'est pas une clause de style, et enfin, et surtout compléter ou corriger quand la lacune ou l'erreur est par trop manifeste. Veiller finalement à ne pas porter ces rectificatifs au passif comme l'a été l'attitude de certains journaux, c'est pourtant l'attitude contraire qui devrait l'être, car s'il n'est pas honteux de se tromper, il est malhonnête de ne pas rectifier.

Si l'erreur de fait est possible, l'erreur de jugement ne l'est pas moins. Toutes deux peuvent être substantiellement liées. Le jugement du journaliste, de tout journaliste, commence au moment où il apprécie la valeur, la signification, la portée ou simplement la réalité d'un évènement. Dès cet instant, il entre indubitablement un élément de subjectivité dans sa décision. S'il n'en été pas ainsi, tous les journaux donneraient la même place et la même importance aux évènements, dans un même journal, tous les rédacteurs seraient instantanément d'accords à chaque étape de son élaboration : choix, volume, place de l'information. A la limite, on peut faire sienne cette formule de ce professeur de journalisme : " la nouvelle n'est pas un objet mais le produit d'un jugement "; d'où la vraie vocation du métier qui ne consiste en aucun cas à ramasser par ci et par là les contenus que d'autres ont déjà édités.

Le journal a un autre moyen de faire face à cette difficulté : après une recherche minutieuse dans différents moyens apportant l'information, tels que les blogs, en publier le plus grand nombre possible d'informations sur le même évènement ou sur des évènements différents. Le risque d'erreurs ou d'omissions (de fait ou de jugement) est alors d'autant moins grand. Le lecteur a l'assurance ou l'espoir que rien d'important ou de significatif ne lui sera dissimulé. L'objectif naît ainsi, d'une certaine façon, de l'abondance des nouvelles.

Il est un dernier moyen de faire face aux difficultés quotidiennes de l'information, mais celui-là, il faut que les journaux surtout avec l'apprentissage de l'Internet (Web 3.0) ne le refusent pas : c'est d'attendre pour en parler, que l'évènement ait pris définitivement tournure, qu'il soit achevé dans sa **durée** et sa **forme**. D'ailleurs avec de nouveaux moyens entrepris aux Etats-Unis, c'est surtout

arrive même à les publier et à en faire part à autrui ! Hier, une mince aristocratie, qu'elle soit de naissance ou d'élection, décidait en fait de tous les problèmes. Désormais, chacun a son mot à dire et chacun, s'il le veut, dispose d'une quantité de renseignements, peut s'ouvrir à une ampleur de préoccupations dont la presse renforcée du Web nous donne l'idée. On peut désormais dialoguer avec les ministres, des chefs d'Etat, ou des ambassadeurs. Il y'a de la richesse potentielle dont dispose l'homme d'aujourd'hui à une capacité effective de réalisation. Mais la **seconde presse** passe par la **première**. La citoyenneté nationale, continentale, mondiale, n'est certes pas réalisée, elle est devenue possible.

Avec l'information de troisième génération (Web 3.0), les affaires vont se traiter devant tous, le plus humble des habitants ne sera plus un sujet mais un personnage dont la voix raisonnera autant que celle du journaliste le plus connu. En effet, par son idée, son nom est légion. Il y'a pourtant une différence, une seule, et qui plus est capitale : la **sélection**, la **rectification** ou même l'**évolution** du "Web-journal" osons l'appeler ainsi, par son enrichissement qui pourraient propulser notre presse bien loin. Toutefois, cette éventualité n'est pas la seule : l'imagination, la technique, le raffinement du métier des journalistes feront du journalisme une **vraie "presse-Web"**.

III. Conclusion :

Le journaliste est un observateur qui rend compte d'évènements dont il n'est pas toujours le témoin direct; il doit faire confiance à des informateurs : correspondants, agences, lecteurs, blogs qui eux-mêmes ne sont pas toujours les témoins directs de l'évènement et dont les versions sont souvent différentes. Du journaliste, on dit qu'il était l'historien de l'instant. Il y'a contradiction dans les termes; l'historien, à la différence du journaliste, dispose de tout le recul nécessaire, dans l'espace et dans le temps. Mais alors qu'il peut à loisir utiliser témoignages et documents, il peut lui-même se tromper non pas seulement sur l'interprétation des évènements mais sur leur déroulement, voire même sur leur réalité.

H/ Blog : contexte social

Les pouvoirs de la presse sont divers, inégaux et en somme, mal connus encore. Nous avons vu combien, contrairement à certains préjugés, les modalités de son action étaient **dépendantes** d'autres facteurs et pour quelles raisons il était fondé de parler de sa **relative impuissance**. Mais il est un point au moins où l'effet de la presse est incontestable et immense : elle a complètement transformé les rapports entre les hommes. Sous son influence, combinée a celle du Web, tout a cédé le pas à un **système d'interrelations** de caractère universel. Désormais, chaque être est plus proche de ceux qui vivent et pensent comme lui, où qu'ils soient dans le monde, que de l'étranger vivant à ses cotés.

C'est une nouvelle notion de prochain qui est en train de naître où les grandes solidarités continentales ou économiques se substituent aux groupements locaux, aux relations immédiates, aux clans et même aux patries.

Ainsi, le **"Web-journalisme"** est-il en grande partie la cause, sinon profonde, du moins efficiente d'une **mondialisation**, qui offre aux efforts créateurs comme aux **conflits destructeurs** un champ prodigieux.

Ces nouvelles stratifications sont de moins en moins celles du hasard, et pas encore celles du choix. Elles répondent d'une manière qui n'a pas cessé d'être grégaire, à des appels profonds parmi lesquels celui de la liberté qui n'est ni le seul, ni toujours le plus puissant. Mais elles sont une chance de **personnalisation**, parce que la vielle puissance du groupe ne se fait plus sentir aussi rudement : elle demande au moins une adhésion.

Les goûts, les besoins, le monde et même la culture s'uniformisent. Cependant, les individus se différencient, certes, on les discerne mal encore derrière la monotonie des vêtements qui cachent la singularité des âmes. Il y'a pourtant des signes qui ne trompent point.

Et voilà que les distances et les durées sont presque abolies. Les conséquences en sont immenses. Qu'y a-t-il de commun, à ce point de vue, entre le paysan qui voyait naguère encore – une fois par lustre – un député auquel il ne pouvait soumettre que les problèmes de son champ, et l'homme d'aujourd'hui qui, chaque jour, suit les péripéties de la conférence au sommet ? Donne ses opinions et

partout: dans le monde des affaires, de la politique, et le secteur associatif qui se sont aussi emparés de l'outil en tant que nouveau **média de masse**. Les blogs participent désormais aux stratégies de communication des entreprises, des associations, des auteurs…

Par corollaire, le journalisme (y compris le scientifique), reste le premier bénéficiaire. Pour un journaliste amateur ou professionnel, le blog est la possibilité d'avoir, très facilement et gratuitement, un espace d'expression totalement dédié. A l'inverse d'un journal où chaque journaliste signe, parfois très discrètement, ses articles, un blog sera complètement dédié à une personne. C'est la façon de se faire connaître et reconnaître très simplement. La facilité avec laquelle se fait la publication d'articles, et la possibilité de pouvoir les commenter et les lier à d'autres blogs, permet de construire de **vrais réseaux** et d'établir de **vrais contacts** en des personnes qui partagent une même passion.

G/ Prétention d'un blog

La notion de blog prétend représenter les sens d'un journal intime anonyme, les œuvres d'un dessinateur, l'opinion d'un journaliste, les satires d'hommes politiques, les vidéos d'une classe de collège, un roman en construction, les anecdotes quotidiennes d'une mère de famille…

Ce concept de blog est donc assez vague pour utiliser toutes ces utilisations.

Le phénomène blog connaît son succès grâce à une grande facilité de publication, une grande liberté éditoriale et une grande capacité d'interaction en temps réel avec le **lectorat**.

Bien que la plus part des blogueurs hésitent à donner une définition claire de leurs interventions, la majorité des blogs s'utilise à des fins d'autoreprésentation, et la plupart se forment autour des affects et des idées propres à leurs auteurs. C'est pour cette raison que la **presse** et l'**opinion populaire** sont parfois amenées à **fustiger** l'égocentrisme des blogs.

existe une certaine facture numérique entre les générations, qui n'ont pas toutes les moyens, ni l'envie de s'approprier le Web de cette manière, bien que techniquement, un blog se consulte comme un site Web, ce à quoi la grande majorité des utilisateurs actuels d'Internet sont familiers. Plusieurs affaires judiciaires ont mis en cause des élèves insultant des professeurs sur leur blog et ont été l'occasion de débats au sein des équipes pédagogiques et dans les médias.

Aux plus âgés les blogs relatant la vie en entreprise ont déjà conduit à plusieurs licenciements. Pour cette raison (et d'autres), certaines personnes tiennent plusieurs blogs en même temps.

La solution à ce problème, serait selon des experts, de bien choisir les sources et les interlocuteurs, ce qui reviendrait à supprimer les commentaires non conforme à la législation (suggestion faite toujours en parlant du fameux Web 3.0).

F/ Blog : économie et politique

Ce nouveau journalisme prenant le Web comme outil de son développement, doit saisir l'occasion du développement des sociétés (Skyblog, Overblog, Blogger) qui totalisent des millions de blogs personnes en 2006 et qui sont en pleine **concurrence** : le **marché** du blog a surtout explosé au cours des années 2004 et 2005, et tenir un blog est désormais une pratique courante.

Il s'établit également une concurrence entre blogs et **médias sondeurs**. Des opinions fortes et charismatiques peuvent même finir par diriger une partie de l'opinion; car on l'a vu lors des dernières élections présidentielles américaines et du référendum sur la constitution européenne en France.

La possibilité d'accueillir sur son blog des régies d'annonces en ligne ou des liens commerciaux permet au blogueur de générer des revenus. Ainsi par exemple, un blog qui traite de littérature peut rediriger ses lecteurs vers des librairies en ligne.

Des annuaires de blogs fonctionnant éventuellement en temps qu'**agrégateur Web personnel** sont souvent financés par ces services de marketing. A partir de là on se pose la question : est-ce tellement coûteux ce changement? Ces nouvelles techniques pouvant venir en aide à la presse de nos jours? Cette presse qui pour pouvoir subsister dans ce monde du Web doit le saisir (ce blog) puisqu'il rentre

Sur ce plan, le blog est un intermédiaire entre la page perso (un parle et personne ne répond), et le forum de discussion (tout le monde parle à égalité) et il n'est pas à omettre que tout blogueur peut choisir de censurer à priori des commentaires en publiant lui-même ceux qu'il juge valides.

D/ Un Web mal entrepris crée la confusion

De plus en plus de blogs deviennent le centre d'échanges approfondis au sujet duquel se passionnent auteurs et lecteurs (notamment au sujet de l'actualité ou du Web). Certains blogueurs accordent une place prépondérante aux commentaires laissés sur le blog, qu'ils considèrent comme la raison d'existence de leurs écrits. Chaque billet revient alors à un nouvel espace public : le blog se transforme alors en une sorte de **forum électronique** et peut même recueillir une suite de commentaires sans queue ni tête, l'anonymat aidant au **blogo-squat**; c'est-à-dire un bavardage qui s'entretient tout seul sans rapport avec le billet d'origine. Où est donc le vrai journalisme?

Il faut plutôt renforcer les dires des **foules sages** car la profusion de faits ou d'opinions approximatives crée parfois la **confusion** : aux USA, certains blogueurs veulent mettre en avant leur indépendance envers les medias traditionnels et leur réactivité. Un exemple a consisté à "Sortic" (les informaticiens avant tous les autres pendant l'affaire Monica LEWINSKY).

De même la critique des médias traditionnels, supposés vendus à l'adversaire politique, est un puissant levier pour occuper le terrain des blogs. Cette technique a été utilisée aussi bien par les républicains que par les démocrates lors de la compagne précédant la réélection de George W. BUSH de 2004 ou lors du référendum français sur le traité établissant une constitution pour l'Europe.

E/ Propagande ?

Les communautés de blogs composant la blogosphère, réunissent des individus aux mêmes tendances politiques, aux mêmes passion. La tendance du blog s'étend de ce fait pour toute catégorie d'âge; des jeunes aux plus âgés : en France par exemple, les blogs tenus par les adolescents sont très nombreux. Il

On le trouve donc : instrument génial d'expression généralisée sur la toile, il rencontre de ce fait un **succès** digne de sa contribution aux **échanges transversaux**.

« Nous avons tous quelque chose à dire, alors pourquoi ne pas le dire? », conforme aux prévisions d'Andy WARHOL : « chacun disposera de ses 15 minutes de célébrité », il permet à tout un chacun de s'exprimer et de multiplier les **sources d'informations**; chacun peut donc se considérer en quelque sorte comme **journaliste**, il est donc son **propre média** : c'est une nouvelle forme de **journalisme**.

Tout le monde en profite, un **blogueur**/une **blogueuse** (individu ayant l'habitude de blogger) écrit et publie les **billets**, sans entrer dans la composition de tous les commentaires qui y sont associés. On y trouve donc la blogosphère qui essaye de s'infiltrer avec force en se comportant comme une vraie **presse**.

C/ Filtre des sources et des écrits

Les communautés de blogs composant la blogosphère, réunissent des individus aux mêmes tendances politiques, aux mêmes passions, peuvent décider de publier tous les billets concernant un sujet donné sur un site Web donné (notion de Web 2.0). Et comme pour le vrai journalisme, chacun peut contribuer au débat et sur des bases solides. Cet Internet participatif, peut aider dans la **créativité**, à condition que le contenu de ce site Web soit **trié** dans toutes ses paroles, **mis en ordre**, **ciblé**.

Cependant, le journaliste est toujours là, il peut toujours jouer son rôle de modérateur en captant ces forums, ces blogs, et en multipliant donc ses sources et ses angles pour affiner la pertinences de ses analyses. Celui-ci peut donc contribuer à faire passer le Web 2.0 à la métaphore du **Web 3.0** : un Web plus créatif et plus solide quant à la base de ses sources d'informations, et où on ne risquerait plus de tomber dans la **confusion** entre la **communication**, l'**information** et l'**opinion**. Ce sera ainsi, la création de la vraie démocratie, en écoutant mieux le public, les gens de la cité et en leur donnant la parole, et qui seront de nouveau fils de discussions rendant plus crédibles et efficaces les blogs.

mêmes événements sous un genre différent. Les techniques de loisirs dont usaient nos ancêtres étaient ainsi pluralistes.

A présent des dizaines de millions d'hommes, lorsqu'ils cherchent une quelconque information ou encore à occuper leurs loisirs, manipulent tout simplement la souris, et une vision du monde entier leur est servie.

Un certain **totalitarisme** est inscrit dans le développement des techniques dont nous usons. C'est un grand sujet de réflexion.

II. Apport du Web muni de ses blogs :

A/ Mettre le plus d'individus en relation

Le blog, un site Web interactif, facile à administrer, organisé sous la forme d'un journal et permettant la publication et le partage d'idées, se situe à mi-chemin entre le site statique "traditionnel" et le forum de discussion. De la même façon qu'un site classique, un blog est administré par un ou un petit nombre de personnes, et de la même façon qu'un forum de discussion, les visiteurs peuvent intervenir en commentant les articles déjà en ligne.

Les blogs qui étaient au départ des sites perso sur lesquels on pouvait trouver une rubrique "**actualité**" régulièrement nourrie, deviennent, des journaux sur Internet, accessibles pour tous sous forme de plates formes toutes intégrées.

B/ Tout le monde a la parole

Donc le blog qui contient généralement des liens vers d'autres, d'où des relations humaines infinies, devient de nos jours un outil sûr de prise de parole et de contact. Certains blogs s'adressent à un public restreint : la famille, les amis, les clients ou les collaborateurs. D'autres à un public plus large : des internautes qui partagent un même centre d'intérêts, des internautes d'une même tranche d'âge, des internautes d'une même région, ville…

De façon plus générale, tout le monde peut être amené à consulter un blog, car les blogs abordent tous les sujets, toutes les passions, et toutes les problématiques. D'où la notion de démocratie.

juillet 2005	14,00
juin 2005	12,00
mai 2005	10,60
avril 2005	9,30
mars 2005	8,30
février 2005	7,50
janvier 2005	6,60
décembre 2004	5,40
	Source : Technorati, 2006

D/ Web, moyen de communication :

Parmi les techniques de loisirs destinés à assurer en même temps l'information du public moderne, il en est une sur laquelle il faut insister : c'est l'Internet. Le petit écran commence d'envahir le monde civilisé. Pacifique conquête qui de nation en nation, de foyer en foyer, change la structure de nos loisirs! Conquête décisive, car tous les moyens dont dispose la science moderne des transmissions sont mis alors à domicile à la disposition de chacun d'entre nous.

La technique du Web représente une étape nouvelle et décisive dans cette conquête du public oisif par les techniques de diffusion. Elle se présente à nous à la fois comme une récapitulation de ce qui l'avait précédée et comme une avancée percutante. La machine à occuper les loisirs des hommes prend avec la connexion sur sites une puissance que ne possédait aucun moyen moderne de diffusion. Cette technique utilise à la fois l'image, l'écrit et si cela lui est nécessaire le son. Elle prend place triomphalement au 1er plan des loisirs modernes, distribuant ainsi, à la fois, l'évasion, la culture, l'information, et le renseignement.

L'Internet met à la disposition de chaque foyer qui le possède un **journal permanent omniprésent**.

Le Web qui résume dans sa puissance tous les autres moyens de diffusion jusqu'ici inventés, met à la disposition du public des œuvres de la **littérature universelle**, qui sans lui n'auraient jamais franchi un certain cercle. Celui-ci, en raison de son extension, bouleverse par ailleurs les autres techniques d'information et de spectacle (télévision, cinéma, radio et journal), en gardant tous les atouts d'une arme absolue (enrichissement continuel).

Le Web s'affiche de plus en plus comme une source intarissable, et chaque année perfectionné par de nouveaux loisirs à domicile.

C'est pourquoi les foyers où l'Internet pénètre, restent pendant plusieurs mois ou plusieurs années, comme médusés sous l'effet de quelque filtre magique. Ils connaissent ce qu'on appelle le vertige de l'écran.

Nos pères lorsqu'ils avaient l'instruction suffisante et le goût de la faire, cherchaient leurs informations dans un journal qui tirait rarement à un million d'exemplaires et qui leur donnait une vision des événements conforme à leur propre conception du monde, vision complétée par d'autres feuilles présentant les

C/ Explosion du nombre de blogs :

Entre décembre 2004 et décembre 2006, le nombre de blogs dans le monde est passé de 5,4 à 63,1 millions selon "Technorati"[2]. La blogosphère a donc vu sa taille multipliée par plus de 11 en 2 ans. En octobre, ce sont 100.000 nouveaux blogs qui sont créés par jour, et 55 % de blogs seraient actifs, c'est-à-dire mis à jour à un rythme d'au moins une fois tous les trois mois.

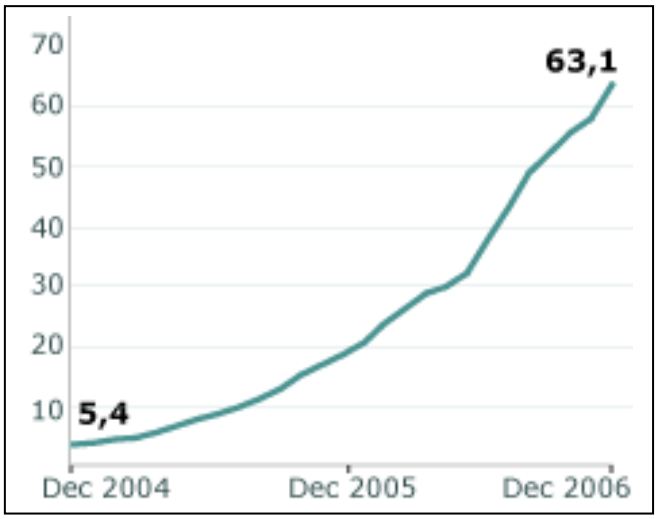

Evolution du nombre de blogs dans le monde, référencés par Technorati (en millions)

Monde : évolution du nombre de blogs référencés par Technorati (en millions)	
Mois	***Nombre de blogs (en millions)***
décembre 2006	63,1
novembre 2006	60,0
octobre 2006	57,0
septembre 2006	52,0
août 2006	50,0
juillet 2006	47,0
juin 2006	44,0
mai 2006	39,0
avril 2006	34,0
mars 2006	29,0
février 2006	27,0
janvier 2006	26,0
décembre 2005	23,80
novembre 2005	21,70
octobre 2005	18,90
septembre 2005	17,00
août 2005	15,50

[2] Technorati : est un moteur de recherche sur Internet spécialisé dans le domaine des *blogs*. En août 2006, Technorati en indexait plus de 50 millions. Technorati a été fondé par Dave Sifry et a son siège social à San Francisco en Californie, aux États-Unis.

Les informations postées sur le blog sont présentées dans l'ordre chronologique inverse (les plus récentes en haut de la page).

Sites personnels à l'origine, les blogs sont de plus en plus nombreux (plusieurs millions) et sophistiqués, à tel point qu'ils font leur apparitions dans le monde de l'entreprise ou même en politique.

B/ <u>Blogs dans le monde</u> :

Les blogs sont apparus assez tôt, mais n'ont vraiment pris de l'ampleur que récemment, en absorbant leur public à partir de l'énorme bond en avant de la connectivité Internet dans le monde entier d'une part, et de l'abandon de la complexité des sites perso d'autre part.

Les premiers blogs sont apparus aux états unis à la fin des années 1990. Ces blogs étaient présentés sous la forme d'un carnet de bord recensant les pages Web (au moyen d'une liste d'hyperliens) que leurs auteurs jugeaient intéressantes, accompagnées de commentaires. Les blogs ont servi dès l'origine à présenter ce type de contenu. D'ailleurs, ce genre reste toujours populaire aujourd'hui dans la **<u>blogosphère</u>** (ensemble des blogs).

Les premiers blogs francophones apparaissent quelques années plus tard. Par exemple "Montréal, soleil et pluie" de Brigitte GENNUIE en 1995, ou encore "la décharge", " le covac", "Mysterious Yannick D", "l'organe", "le scarabée" et "Ze-Woc" en 1996.

Aujourd'hui, les blogs mettent à profit les fonctions multimédias du Web : photoblog, baladodiffusion, vidéoblog, mobiblog…

Evolution de la blogosphère en Chine	
Indicateurs	***Nombre***
Nombre de blogueurs	**19,87 millions**
Evolution annuelle	**+ 24 %**
Nombre de blogs actualisés au moins une fois par semaine	**3,02 millions**
Source : Baidu[1], décembre 2006	

[1] <u>Baidu</u> : est un moteur de recherche chinois qui peut chercher du texte et des images. En mai 2006, c'était le quatrième site le plus visité sur Internet. Baidu veut dire « des centaines de fois ». Baidu a été fondé par LI Yanhong en janvier 2000.

Journalisme à l'ère du blog

Maître-assistant : Benyagoub Mohamed
Université de Djelfa – Algérie

Résumé :

Un blog est la contraction des mots anglais **Web** et **Log**, c'est un véritable **phénomène de société**, qui désigne les nombreux journaux personnels que l'on trouve sur Internet.

A la base, un blog est un journal qui va de la confession intime à une analyse de l'actualité. Les articles sont généralement présentés par ordre anti-chronologique. Donc, c'est une sorte de journal intime numérique ou petit forum personnel accessible à tous sur le Web.

Il y'a de bons blogs et d'autres à très haut risque, mais toujours est-il que c'est un peu plus compliqué pour chercher l'information. Apparemment, selon des experts en la matière, les blogs causent plus de problèmes pour les journalistes comme sources d'informations, vu la complexité de vérifier d'où vient la source. Et les blogueurs ne peuvent être tous considérés comme des journalistes puisqu'un blog est un journal gratuit (n'est pas vendu).

Toutefois, ce n'est pas l'outil qui fait qu'on ne respecte pas les règles d'éthique. Et donc les mêmes règles de déontologie s'appliquent : vérifier les sources, donner les sources, ne pas accepter de cadeaux pour sélectionner l'information…

I. Perception du Web muni de ses blogs :

A/ Qu'est-ce qu'un blog ?

Un blog est un site Web composé d'actualités et enrichi de liens externes, sa mise à jour : **Blogging**, normalement quotidienne, est effectuée par un utilisateur : **Blogger** n'ayant pas forcement un profil technique. Des logiciels accessibles, permettent de créer et de maintenir facilement le blog.

Références bibliographiques:

[1] Zakaria el douri, Ahmed Ali Saleh. ***la réflexion stratégique et son impact sur la réussite des organisations d'entreprises (lectures et de recherche)***, yazori publication scientifique et de la distribution, Jordan, 2009, P 25-27

[2] Salim Ibrahim Husseiniya. ***la gestion et de la créativité vers une approche réglementaire***, l'Organisation arabe pour le développement administratif (recherches et d'études), 2009, P 47-48

[3] Aissa ben Ali el mêla. ***la réflexion stratégique,*** Journal défense, Numéro 2, 2002, consultez le site: www.al-defaa.com/detail.asp?innewsitemid=86823

[4] Faleh Abdul Qadir Houri, Tarek Sheriff Younis. ***les contributions à l'apprentissage organisationnel dans le développement des études réflexion stratégique analytique du centre universitaire dans le cadre de la réalité de l'Université des Sciences Appliqués***, la Jordanie Journal of Applied Sciences, Jordan, Volume 12, Numéro 1, 2010, P 6

[5] Abdallah Klech. ***les tendances récentes de la pensée de gestion***, Revue des Sciences Humaines, de l'Algérie, Numéro 35, septembre 2007, P 3

[6] Henry Mintzberg (1994). ***la chute et l'élévation de la planification stratégique***, Harvard Business Revue, Janvier-Février, P 175

[7] Torset C, (2001). ***Réflexion et Processus Stratégiques: confrontation de quelques styles de managemen***t, Communications aux 15éme Journées Nationales des IAE - septembre, P 3

[8] Eton Lawrence, (1999). ***la réflexion stratégique***, document de travail, (Personnel Développement et ressources du Groupe), Canada, P 3-4

[9] Saber Younis Ashour. ***la planification stratégique***, l'utilisateur apprentissage, projet visant à développer la performance des organisations (cours de formation), 2006, P 3

[10] Saad Ali el Anzi, Ahmed Ali Saleh. ***la gestion du capital intellectuel dans les organisations professionnelles***, yazori publication scientifique et de la distribution, Jordan, 2009, P 400

[11] Zakaria el douri, Ahmed Ali Saleh, ***Op.Cit***, P 30

[12] Ahmed kordi. ***la réflexion stratégique et la vision stratégique***, consultez le site: http://kenanaonline.com/users/ahmedkordy/posts/151740

[13] Karam Salem, **la réflexion stratégique**, consultez le site: http://master2008.org/vb/archive/index.php/t-1578.htm

[14] Abbas neamat Khafaji. ***la réflexion stratégique (Contemporary Readings)***, la Maison de la Culture, Jordan, 2008, P 213

[15] Ahmed kordi, ***Op.Cit***

[16] Abdullah klech, ***Op.Cit***, P 3

[17] Abdel Rahman Abdel Fattah magrbi. ***Gestion stratégique***, Groupe Nil arabique, Mansoura, (sans l'année de publication), PP 45 - 49

[18] Zakaria el douri, Ahmed Ali Saleh, ***Op.Cit***, P 277

[19] Zakaria el douri. ***la destruction créative et adoption éventuelle comme un modèle de créativité dans les organisations arabes***, Journal des Sciences Economiques et de Gestion, Volume 14, Numéro 51, 2008, PP 71-72

[20] Amer kheder el Kubaisi. ***la réflexion stratégique*** dans ***les organisations professionnelles générale: caractères et*** **causes et les obstacles,** Communications aux 4éme colloque administrative, saoudite 2006, consultez le site: http//edueast.gov.sa

[21] Zakaria el douri, ***Op.Cit***, P 72

[22] ***Culture de la réflexion stratégique***, le magazine Emaar, consultez le site: http://www.eamaar.org/

[23] Mahmoud Ibrahim Noor et d'autres. ***la réflexion administrative et stratégique dans un monde en mutation***, la bibliothèque communautaire arabe pour l'édition et de la distribution, (aucun pays), 2010, P 305

[24] Zakaria el douri, Ahmed Ali Saleh, ***Op.Cit***, P 276

[25] Mahmoud Ibrahim Noor et autres, ***Op.Cit***, P 306

[26] Amer kheder Kubaisi, ***Op.Cit***, P 3

différente de l'entreprise. Les facteurs internes et externes capables d'apporter des changements et de s'adapter mieux, contribue à la visibilité, la hiérarchisation l'identification et la diffusion entre les travailleurs à côtés des attitudes, des décisions et des événements de manipulation et des décisions grâce à l'exploitation des opportunités et au retrait des menaces, ce qui augmente la capacité des gestionnaires de prévision et de la stratégie des responsabilités à exploiter les opportunités et de réduire l'impact des risques environnementaux, et de soutenir la position concurrentielle de l'établissement et le développement aux et de soutenir la position concurrentielle de l'établissement. Le développement des ressources internes permettent de l'exploitation des ressources de l'entreprise et des capacités à long terme. Ce qui lui permet d'exploiter les forces et surmonter les faiblesses, ainsi que la capacité d'apporter des changements et de l'alignement entre les objectifs organisationnels et les ambitions.

Les résultats et les recommandations:

- Les résultats: sont les suivants:
- La réflexion stratégique est un besoin urgent et non un luxe irremplaçable par les entreprises.
- Les avantages et les avantages de la réflexion stratégique sur de nombreuses entreprises, notamment dans le long terme.
- La rareté pratique de la réflexion stratégique dans les entreprises.

- Les recommandations: sont les suivants:
- La nécessité d'exercer la réflexion stratégique dans les entreprises algériennes en raison de ses bénéfices et avantages.
- La nécessité d'une coopération avec les membres du corps professoral dans les universités et les collèges pour donner des cours de formation sur la réflexion stratégique et les pratiques prennent la continuité des cours et l'état de suivi.
- La nécessité d'intensifier la recherche et des études sur le thème de la réflexion stratégique.

5.8. Être et prêts à des crises et à anticiper les événements avant qu'ils ne surviennent et prévoit des ateliers de préparation et de salles d'opération pour contrôler les circonstances.

5.9. Permettre aux organisations et dirigeants de l'implication des acteurs et des clients et des bénéficiaires dans la présentation de visions.

5.10. Renforcer la fidélité et la satisfaction des employés et presser vers les buts et les objectifs stratégiques et de promouvoir une culture de dialogue et de participation, l'ouverture et l'optimisme et la transparence dans les organisations atmosphère et l'approfondissement de la responsabilité et de l'auto-censure.

5.11. Renforce la confiance des individus, des groupes et des organisations autonomes, l'identité ce ci donne aux âmes espoir et leur fait sentir leur capacité à contribuer à la fabrication de l'avenir et les compromis entre les options plutôt que de se rendre à l'autre et la livraison en battant **(Ibrahim Noor et autres, *Op.Cit,* P 306)**.

6. les obstacles auxquels se heurte la réflexion stratégique:

Ils sont nombreux: **(Kubaisi, *Op.Cit,* P 3)**

6.1. L'évolution rapide de l'appelant peut conduire à l'échec de ses applications ou à l'affaiblissement les organisations de continuer à appliquer a cause de l'incapacité de faire face à la nouvelle, et de construire une réflexion stratégique au niveau des organisations affectées à temps d'efforts et d'argent peuvent ne pas être disponibles pour eux, alors que la préoccupation est de se concentrer sur les problèmes et les enjeux de l'heure et du cumul des besoins des citoyens pan de base peuvent leur donner un aspect de la réflexion stratégique sur elle luxe intellectuel, non par nécessité, l'instabilité des dirigeants et des cadres spécialisés et la perte de la sécurité d'emploi causée par des menaces de privatisation et retraite anticipée peuvent détourner certains de penser à l'avenir. Donc encore un grand nombre d'organisations et dirigeants n'établissent pas de distinction entre planification à long terme et la planification stratégique, qui fait suite à la réflexion stratégique mix entre eux dans la croyance qu'ils ont adopté ce qui n'est pas le cas.

6.2. L'absence de concurrence entre les organismes gouvernementaux et d'autres secteurs peuvent entraîner la tranquillité. Il est sûr et accueillant de penser sérieusement à décider de son avenir dans la mesure ou il est à l'abri de la comparaison et de la responsabilité. La présence des budgets annuels établis par les organes centraux ne permettent pas de penser aux programmes et aux activités pour les années à venir. Ceci ne garantit pas la disponibilité des ressources à cause des restrictions prévues par les dispositions législatives, et réglementaires. Les coutumes et les traditions qui encouragent la dépendance, le manque d'anticipation font penser aux proverbes qui perpétuent la paresse et la complaisance du grand public.

Conclusion:

D'après ce qui précède, nous constatons que les compétences de réflexion stratégique et de prise de décision incluent la connaissance des tendances et des hypothèses qui impliquent un défi à la nécessité de conserver une vision globale ainsi que l'adoption d'initiatives de changement de renouveau et de développement. La réflexion stratégique est un synthétique processus causé par un employer tous de l'intuition et de la créativité pour permettre à l'institution d'adopter de nouveaux modèles de travail et des stratégies de reconstruction et de développer une vision

stratégie pratique ne diffèrent en ce que ces deux objectifs sont au cœur de la réflexion stratégique réussie. Nous rappelons ici quelques aspects importants à faire de la participation dans le processus stratégique, notamment sur:
- Avoir une condamnation de la haute direction doit avoir le désir inhérent à cet examen.
- Pour être un domaine de la participation complète et large et inclure les intervenants extérieurs à l'établissement.
- L'utilisation sincère sincère du résultat de la participation.

4.4. La réflexion stratégique est pratique, et non théorique: le processus stratégique est un processus complexe et n'est pas en fait directement et régulièrement, et comprend un grand nombre de facteurs et de variables. Et le processus stratégique par nature non routinière et donc ne tombe pas sous le module spécifique de la pensée décisions ou précédente ou des poteaux. Comme entente stratégique avec une dimension de temps et beaucoup de variables à prendre une rare cohérence. En revanche, d'autres la stratégie avec la réalité d'un spécifique, complexe et cherche à le transformer en une réalité nouvelle peut ne pas être moins compliqué mais j'espère sera meilleure que la réalité précédente. Pour faire face à tout cela doit être pensée stratégique est typique et accepteur d'exécution nouveau et de différent et de ne pas oublier l'importance des faits et ce qui est possible et même probable.

4.5. Nécessité d'une réflexion stratégique: liée à la capacité d'évaluer le cas, et savoir ce que ce doit être situé à l'avenir, ainsi que la nécessité de l'évolution pour le mieux. Donc la réflexion stratégique nécessité doit poursuivre ce qui a trait à cet élément essentiel, et pas un luxe intellectuel.

5. <u>la valeur ajoutée de la réflexion stratégique:</u>

À partir de la vue précédente de la réflexion stratégique, nous devons:
5.1. Développer le cadre conceptuel pour examiner l'organisation dans son environnement macro-économique et son caractère inclusif des relations plutôt que comme un fonds fermé n'affecte pas et n'est pas affectée par **(Ibrahim Noor et al, 2010, P 305).**
5.2. Construire une vision de l'avenir du fait que la réflexion stratégique est orientée vers des hypothèses et dépend de la formule de poser les bonnes questions que de trouver les bonnes réponses.

5.3. Saisir le plus grand nombre de possibilités de gagner et avortent le plus grand nombre possible de menaces, et ceci est réalisé par le temps et la vitesse de réponse.

5.4. Analyser les situations rencontrées par l'organisation, qui est caractérisé par les défis et le changement **(el douri, Ali Saleh, *Op.Cit*, P 276)**.

5.5. Mettre l'accent sur l'importance de regarder vers l'avenir et d'identifier les tendances et les possibilités plutôt qu'une préoccupation à temps plein avec le présent et l'ensemble des problèmes, qui est une extension du passé.

5.6. Unifier les efforts et de mobiliser toutes les énergies vers la réalisation des objectifs plutôt que sur les moyens et les molécules, le bon recrutement des ressources humaines et les énergies et les connaissances implicites et explicites et en les incitant à la créativité et à l'innovation.

5.7. Parvenir à l'ajustement et de l'adaptation et de l'interaction positive avec l'environnement extérieur et contenir les forces soutien et la sauvegarde de l'organisation.

quantitatives et linguistiques des chiffres et des loin causales et des régularités dans la compréhension des variables indépendantes et de suivi dans les choses ensemble.

- Caractéristiques structurelles: Il comprend les indicateurs suivants: **(el douri, *Op.Cit*, P 72)**
- Au niveau stratégique: les personnes interrogées à cet égard ont exprimé leur abris: à quel niveau stratégique se situe la réflexion stratégique? La réponse: La réflexion stratégique se trouve entre les niveaux stratégique organises et le niveau des unités de travail car ils sont responsables.

- Officielle: utilisation des règles de l'organisation l'officielle se différencie niveaux de l'administration, celui que travaille dans les niveaux supérieurs. L'officielle associée à l'incertitude de l'environnement nécessite une réponse moins formelle.

- richesse d'information: parmi les phénomènes dangereux émanant de la décision stratégique, nous avons une abondance d'information pour le prise de la décision. C'est le rôle penseur stratégique de prendre la décision car il est moins sensible à l'immersion des informationnelle. Il a la capacité de comprendre la signification des troubles qui se produisent d'une manière créative.

4. les principes de base de la réflexion stratégique efficace:

Il existe plusieurs principes clés pour la disponibilité de la pensée stratégique efficace, et les plus importants sont: **(www.eamaar.org)**

4.1. La réflexion stratégique nécessite un engagement de la direction: il est difficile d'imaginer l'existence d'une réflexion stratégique ou la réussite à l'installation si vous ne supervisez pas. La haute direction est intéressé par cette approche et lui donner le soutien nécessaire d'une manière claire et efficace. Le processus stratégique concernant l'orientation générale est liée à des changements importants et radicaux. Ainsi, le soutien et l'engagement de la direction est au Préalable indispensable à la réussite de ce processus, et une mesure fiable de cet engagement et de soutien est la conviction des membres de la présence bien établie.

L'engagement de la direction d'un parti va au-delà des autorisations administratives reconnues, comme l'exige la présence d'un soutien continu et tangible au-delà de tout doute quant à la position de la direction de la stratégie, en particulier aux yeux des membres de l'établissement. Les membres et leur vision de la croyance est une mesure fiable de l'appui et de l'engagement, et pas seulement il ne faut pas croire et chercher la même commande. En bref, l'engagement la direction est un prérequis leadership pour le reste des membres et l'engagement de la Condition membres pour la mise en œuvre sincère, et comme un engagement de résultat du leadership nécessaire pour la mise en œuvre de la stratégie.

4.2. La réflexion stratégique est un moyen et non une fin: la volonté stratégique de ce processus est de parvenir à des décisions et des processus de meilleures performances et une grande efficacité dans l'établissement. D'autre part, les choses ensemble et à long terme relatives a vision et les objectifs exigent une réflexion stratégique majeur en tant que partie intégrante de l'œuvre et la pensée stratégique est importante pour que la mise en place entraîne une meilleure réalité.

4.3. La réflexion stratégique nécessite élargissement de la participation: Il est connu qu'il existe deux principaux objectifs de la participation aux décisions ou procédures administratives en général. Le premier objectif est d'améliorer la prise en termes de qualité et le deuxième but est d'accroître l'acceptation de la résolution visant à accroître la capacité de le mettre en œuvre. La

- Les Capacités créativité: La capacité de production est spontanée. L'originalité et la sensibilité aux problèmes ou la situation excitante ou la capacité de recueillir des idées et sur un style unique ou de faire des corrélations inhabituelles parmi ces **(el douri, Ali Saleh, *Op.Cit*, P 277)** idées.
- Perspectives Capacités: Il s'agit de la possibilité de comprendre l'état du monde et de l'évolution de l'avance actuelle, la discrimination peut être évitée. L'exercice prospectif est très important à l'heure actuelle parce que nous vivons dans un monde qui évolue comme une condition préalable.

- Traits comportementaux: Les indicateurs sont les suivants:

- Les problèmes de qualité et des solutions proposées: les problèmes rencontrés par le penseur stratégique, complexes et peu familiers et stimulant.
- Intérêts Personnel: intéressé par la réflexion stratégique les travailleurs qui cherchent à développer leurs compétences **(el douri, 2008, PP 71-72)**
- Adopter des risques.

3.2. Caractéristiques de la réflexion stratégique: les caractéristiques de la réflexion stratégique sont les suivante:
- Caractéristiques générales: sont: **(el Kubaisi, 2006)**
- La réflexion Divergent ou Convergent reposant sur la créativité et l'innovation des supports à la recherche de nouvelles idées ou de découvrir des applications innovantes pour la connaissance préalable et doit donc être d'extraordinaires capacités à imaginer et la perception et la conscience de la signification des choses et des concepts et de leurs relations.

- Est-ce une réflexion synthétique et la perception dépend de constructeurs et de la prospective et de l'intuition pour évoquer des images lointaines et façonnent l'avenir avant qu'il ne survienne.

- Une réflexion systématique adoptant une vision holistique du monde qui l'entoure et de le relier à toutes les parties du lancement régulier de collèges dans l'analyse et la compréhension des phénomènes des événements.

- Une réflexion optimiste qui croit aux capacités de l'homme et des énergies mentales pour pénétrer le monde de l'effort de prévoir les perspectives de qui est en baisse et insistant sur la nécessité de l'emploi des connaissances existantes et fournir à l'industrie l'atmosphère encourageante pour participer à l'avenir.

- Une réflexion concurrentielle que les partisans reconnaissent. il cherchent à saisir les opportunités. Prévalent esprits et visionnaires qui vont très loin dans la découverte de nouvelles connaissances ou de l'application d'idées. L'importance de la concurrence est d'introduire un élément de risque qui satisfait qui créer une valeur ajoutée. Les stratèges sont enclin à prendre des risques et de la concurrence, ils sont motivés à réfléchir à réfléchir à ce qui est nouveau.

- La réflexion stratégique est une pensée plutôt évolutive que réformatrice. Elle débute de l'avenir pour avoir une image du présent. Elle découle de la vision extérieure et à travers elle pour faire face à l'environnement interne. On la décrit comme dynamique bien que quelquefois révolutionnaire ou idéalises à d'autres moments.

- La réflexion stratégique est une pensée pleine de visions et d'angles. Elle incite à regarder vers l'avant pour comprendre le passé, emploie un raisonnement abstrait et le recours à l'analyse de diagnostic pour comprendre la vérité des choses de façon réaliste. En ce qui concerne le rôle de l'imagination et l'intuition dans le développement remue-méninges, elle utilise des méthodes

3.1. Caractéristiques du penseur stratégique: L'ensemble des compétences, des aptitudes et des comportements:
- La capacité à construire les buts et des objectifs: le penseur stratégique peut déduire des objectifs à long terme pour sa fondation, qui peuvent être dérivées des buts après avoir réussi message et la mission de l'entreprise et dimensions d'analyse.

- Insight et perspicacité dans le poids des choses: Ils représentent une dimension importante dans les décisions et actions de l'administrateur. Ce dernier est caractérisé par la prévoyance et de l'exactitude des poids des choses différentes, en particulier quand il fait face à l'avenir ponctué par plusieurs ambiguïtés différentes. L'importance croissante de la perspicacité et la vision plus large d'une gamme de trajectoire fenêtre stratégique. Représente la différence entre la situation actuelle et la situation devrait à l'avenir.

- pressentiment environnementaux: Si nous voulons déterminer ce que nous voulons réaliser, c'est pas dans l'isolement de l'étude et de l'analyse de l'environnement externe, notamment en offrant des possibilités ou ce que les risques qui en découlent et les obstacles. Le penseur stratégique doit être caractérisé par la capacité de détection de ces opportunités et les risques.

- Analyse des compétences de données et d'information et d'interprétation: Le penseur stratégique a plusieurs données provenant d'opérations d'aujourd'hui ou de ce qui était hier, mais il a besoin de ceux de demain plus importants, Donc l'utilisation de nombreuses façons de les obtenir, et la capacité de réflexion stratégique pour analyser et interpréter ces données pour tirer des conclusions et prendre la stratégie de décisions pas aussi important que ces données sont agrégées et enregistrées et classées dans des catégories facilite une utilisation ultérieure.

- des compétences de Choix stratégique: la capacité à limiter les stratégies alternatives pour faire face à la situation, et en multipliant leurs avantages et leurs inconvénients et la justification de l'application de chacun de contribuent à une bonne sélection des meilleurs.

- Compétence pour déterminer les ressources et les capacités disponibles et les utiliser de manière efficace.

- La réactivité entre l'entreprise et son environnement: où il faut prendre en compte les intérêts des clients, des fournisseurs et du public en général, et d'améliorer l'établissement les rapports et établir des relations avec les concurrents sur la base du rationnel et ce qu'on appelle responsabilité sociale, et qui représente une dimension importante lors de la construction de la bonne stratégie.

- Suivre le rythme de la mondialisation de la pensée de gestion: l'environnement local est le seul moyen efficace lors de la formulation des stratégies, la mise en œuvre et la révision de l'intervention même des facteurs environnementaux mondiaux. Le penseur stratégique est capable de visionnement continu sur ces facteurs environnementaux et capables de comprendre l'ampleur de leur impact et donc la formulation de la stratégie, il faut que pour le penseur stratégique connaissent toutes les caractéristiques de chacune des décisions stratégiques et les décisions opérationnelles **(Abdel Fattah magrbi, (sans l'année de publication), PP 45 - 49)**.

- les Capacités intuitive: signifie la possibilité de relier des idées les mélanger et de les former afin de parvenir à une nouvelle idée. Ou la capacité du décideur à répondre rapidement à des cas spécifiques en utilisant conjecture composée d'une expérience personnelle et les capacités intuitives. Un penseur stratégique a besoin d'une expérience personnelle et de la capacité de conjectures et de grande intelligence.

entre ce qui précède schémas de pensée agit réflexion stratégique **(el Anzi, Ali Saleh, 2009, P 400).**
à la lumière des concepts qui précèdent, dessiner ce qui suit dans le cadre du concept de la réflexion stratégique**: (el douri, Ali Saleh, *Op.Cit*, P 30)**
- Est-ce une pensée synthétique (Synthèse): De toute façon intuitive et créative, plutôt que d'analyse (analytique): penser d'une manière logique et rationnelle.
- La base de l'orientation vers l'avenir, en tirant parti des faits des données passées et présentes.
- Lancement à traiter avec la totalité de point de vue de haut en bas, et avec optimisme élevé.
- La dépendance à la capacité humanitaire, en particulier les capacités et les capacités mentales.

2. la réflexion stratégique et la vision stratégique:

La réflexion stratégique est une méthode d'analyse des Station auxquels l'organisation est caractérisée par défi, le changement et traitées par la perception stratégique et l'affiche pour assurer la survie de l'organisation et sa relation avec les responsabilités sociales et éthiques, maintenant et dans l'avenir. Stratégique des connaissances et la pensée d'impact de change associé à cognitif et l'apprentissage, l'intelligence et la conscience stratégique et résultant de l'imagination et de l'intuition et la vision stratégique. Ainsi que la nécessité de la stratégie de la perception que les données stratégiques nourrit l'esprit et d'interagir avec ce qu'ils stockent mémoire à long terme de l'expérience et des capacités à créer de la créativité et de la représentation des scénarios sont plus en ligne avec le cas des postes de diversité stratégiques auxquels est confrontée l'esprit **(kordi)**. A identifié la réflexion stratégique comme un processus dans la perspective des défis de la mondialisation que le processus utilisé pour élaborer une vision stratégique. Qui est définie comme l'une des entrées de la planification et autorisés à utiliser les scénarios de systèmes directement liés à l'analyse de l'environnement des affaires.
Une vision stratégique est définie comme ensemble de stratégies vision ou une stratégie pour l'avenir, et de parvenir à cette optimisation de la stratégie de l'organisation est de créer une vision pour la direction et le but réside dans les stratégies et les activités stratégiques **(Salem)**.
La visualisation a été décrite comme l'orientation future de l'organisation et de son chemin, il enseigne à l'organisation pour essayer de faire pour devenir un emplacement privilégié dans leur environnement à l'avenir. Elle est l'une des principales tâches de la gestion stratégique et la mise en œuvre de l'industrie, de la conception des opérations et la mise en œuvre de la stratégie, tel que déterminé par qui les mesures qui seront organisées, et sont formulées dans une conception stratégique liée aux besoins de l'Organisation et le commandant axé sur le mouvement **(Abbas Khafaji, 2008, P 213).**
Dans ce dernier convient de noter qu'il existe des modèles de nombreux chercheurs prestations scientifiques réflexion stratégique dans le processus de la formulation exacte, comme la planification de scénarios, et le modèle focalisée sur l'intention de Hamel & Prahalad, Business Intelligence modèle et Mind Map, et les Six Thinking Hats ont Bono,….. **(kordi, *Op.Cit*)**.

3. Caractéristiques du penseur et la réflexion stratégique:

Parmi les qualités du penseur stratégique nous avons: la vision, pressentiment de l'environnement, la capacité d'analyser des données et de l'information et de l'interprétation, compétence de le choix stratégiques, la réactivité sociale, connaissance approfondie et complète des différents aspects de l'organisation et de son environnement et aux exigences de ses connaissances excellence activité, de la recherche scientifique et pratique et large, qui profiter des avantages de la pensée novatrice **(klech, *Op.Cit*, P 3)**. Ce que clarification dans les domaines suivants:

1. <u>le concept de la réflexion stratégique:</u>

Jerwan dit: «Nous avons l'habitude de commencer à penser sur le moment où «nous ne savons pas ce qu'il faut faire exactement». Nous déclenchons une réflexion sérieuse à trouver des solutions aux problèmes de la connaissance et de l'expérience précédente pour une solution réussie. Et ce sera à la réflexion critique avec les connaissances antérieures et de l'expérience, et à l'origine des solutions de pensée créative et de nouvelles idées et de la réflexion stratégique, qui est devenu un besoin urgent irremplaçable, les espèces sont nécessaires pour l'utilisation et pour la création des entreprises **(Ibrahim Husseiniya, 2009, P 47-48)**.

La réflexion est une série de processus complexes qui se produisent dans le cerveau humain à une vitesse incroyable. la mission est de simplifier les choses qui occupent l'esprit; et l'analyse d'éléments initiaux. Ces derniers sont liés a la comparaison a l'affichage, a l'action d'agir et la photographie. Puis la perception a la théorie constituent ainsi une base solide pour une application pratique. la pensée libre est un obstacle en face de la planification car elle épuise l'esprit d'un grand nombre d'informations inutiles dans le sujet prévu spécifiquement, d'où la pensée dite stratégique, qui fait l'objet de notre étude **(ben Ali el mêla, 2002)**.

C'est ce que Bonn appelle, la réflexion stratégique C'est le moyen de résoudre la stratégie problèmes basée sur la combinaison de méthode rationnelle convergente (Convergent) avec les opérations de la réflexion créative divergente (réflexion divergente). Une telle tendance dans le processus, se concentre sur la recherche dans la façon dont les gestionnaires se basent sur essayent la compréhension et la prise de décisions stratégiques à la lumière de l'environnement complexe, et incertitude et de concurrence **(Houri, Sheriff Younis, 2010, P 6)**.
La réflexion stratégique se réfère aux capacités mentales et aux compétences intellectuelles nécessaires à des dispositions individuelles stratégiques. elle permet les fonctions de gestion stratégique, le processus d'identification d'un message et les buts et objectifs de l'organisation et de formulation de la stratégie, mise en œuvre et le suivi du processus mise en œuvre **(Klech, 2007, P 3)**.
(Mintzberg) la définit comme une façon particulière de penser. Elle débouche sur une vision globale et intégrée de l'organisation, grâce à un procédé de synthèse qui découle de l'intuition et de la créativité dans l'élaboration des orientations stratégiques» **(Mintzberg 1994, P 175)**. Comme le définit (Torest) «C'est une opération pour analyser le présent afin de préparer l'avenir» **(Torset, 2001, P 3)**. Ian Wilson qui considère que la réflexion sur la stratégie, et c'est ce qu'on appelle les deux (Prahalad et Hamel, 1989) comme «manufacture la stratégie d'architecture» **(Lawrence, 1999, P 3-4)**
Ainsi, la réflexion stratégique est une manière de penser dirigés vers des cibles en plus de cela une approche cohérente et unifiée et intégrée pour la prise de décision fondée sur l'étude des alternatives au travail. Elle permet la liberté de pensée et d'inspiration. Traite de réflexion stratégique avec les changements et passer d'un problème à cette méthode de traitement, il aide l'institution dans le développement de la vision et de la perception de la forme et de la position que vous voulez être en outre le développement et la conception de programmes en vertu du régime sont claires, afin de réaliser cette vision. Ce qui conduit à permettre à l'institution pour étudier les tendances dans le travail et nécessite l'identification des choix alternatifs sur la base de leur présent et qui peut être d'une grande importance pour l'avenir de l'institution. Cette manière permet de penser de l'utilisation du «bon sens et de l'imagination et de la reine de l'innovation et de la créativité» dans la formulation d'un plan stratégique au niveau du programme où encourage de nouveaux modèles de conception de logiciels. Ce qui nous conduit à dire qu'ils vont réussir mieux que les programmes en cours d'utilisation **(Younis Ashour, 2006, P 3).**
La réflexion stratégique est contraire à un mode de pensée conventionnel et de façon intuitive qui sort des extraits et des solutions sans véritable analyse comme le dépeint Ohmae où la distinction

La notion de réflexion stratégique

Docteur : Mourad Zaid
Université d'Alger 03 – Algérie

Maître-assistante : Sabrina Terghini
Université de Biskra – Algérie

ملخص

التفكير الإستراتيجي موضوع حديث التداول بين الباحثين مما جعل مفاهيمه وأبعاده لم تحسم على مستوى الفكر والتنظير، والسبب وراء ندرة وغياب الدراسات في مجال التفكير الإستراتيجي مجموعة من الأسباب. وفي المقابل يعد التفكير الاستراتيجي المستمر في عالمنا المتغير ضرورة ملحة وأمر على قدر كبير من الأهمية إذا ما أردنا لأعمالنا التميز والاستمرارية. لذلك هدفت هذه الدراسة إلى تبيان أهمية التفكير الإستراتيجي بالنسبة للمنظمات.

Résumé

La réflexion stratégique est un sujet de modernité au niveau de la supervision et de la classification et est l'un des sujets qui sonne creux encore vierge entre la rareté et les limites qui font beaucoup de concepts et les dimensions n'ont pas été résolues au niveau de la pensée et de théorisation. En revanche, plus continue la réflexion stratégique dans un monde en mutation est une nécessité urgente et une très grande importance si nous sommes à notre excellence en affaires et de la durabilité. Par conséquent le but de cette étude est de démontrer l'importance de la réflexion stratégique pour les entreprises.

INTRODUCTION

Le contemporain de façon stratégique entrée pensée raffinée et intellectuelle contribue à assurer l'alignement entre les capacités organisationnelles et la réalité de la concurrence et l'avenir de l'organisation à travers l'étude des relations visibles et invisibles au Conseil d'activités et interférence avec divers motifs environnementaux. Malgré l'importance de la réflexion stratégique et la nécessité, mais les connotations et les indicateurs confirment la négligence d'exercer ce genre de pensée organisations professionnelles haut de gamme, et les résultats indiquent une études sur le terrain que 90% de l'étude gestionnaires ne pratiquent pas la réflexion stratégique en raison de inconstance leur formation en **(el douri, Ahmed Ali, 2009, P 25-27)**. D'où l'importance de cette étude à l'objet de la réflexion stratégique. Grâce à ce portail d'induction de la réflexion stratégique nous allons essayer de l'intellectuel qui suit encadrant ce dilemme comme suit:

References:

1- Hanks, William, Indexicality, *Journal of Linguistic Anthropology* 9(1-2):124-126. Copyright © 2000, American Anthropological Association, available online at, http://www.univie.ac.at/ksa/html/inh/stud/studterm_files/SE_Coleman/Hanks%20-%20Indexicality.pdf

2- Hector-Neri Castaneda, "*On the phenomena- logic of the I*", Essays on self consciousness, Indiana University Press,1985, p 89.

2- Perry, John, "The self", 1995, p4, available online at: http://faculty.washington.edu/smcohen/453/PerrySelf.pdf

3- Nunberg, Geoffrey, Indexicality and Deixis, *Linguistics and philosophy*, 16, 1993, p 32, available online at : http://tudresden.de/die_tu_dresden/fakultaeten/philosophische_fakultaet/iph/thph/braeuer/lehre/bezugnahme_relevanz/Nunberg%20-%20IndexicalsandDeixis.pdf

4- Kaplan, David, "*Demonstratives*",1977, P 509, available online at https://webspace.utexas.edu/wechsler/Kaplan-Demonstratives.pdf

by such sentences? If such sentences inform us by nothing, what would be the best way to classify them? An astronaut who answers a question addressed to him by the scientists in the earthly bases: where are you now? By saying: “I am here” can't be said to have provided any answer at all. One might say it is not an answer because the astronaut is supposed to have an access to more information. That is true, and therefore, he will say something, let us say like: “I am on the moon surface now” or what so ever. But notice, this assertion is not as immune as the first one, because the astronaut might wrongly think himself to be on the moon's surface. But, he will never come out false if he only says: “I am here”. Does that mean that this kind of thought is empty[9]? I don't think so. I prefer to say that it is a non-informative thought in which the indexical is still *referring* even if not *describing*. In other words, the output data in the case of a ‘here-thought’ is nothing more than the input data which is nothing; because I need no information about where I am to be able to say “ I am here” in a meaningful sense, similarly, I reveal no information by asserting such a statement.

Probably, the best way to describe 'here-thoughts’ is to describe them as dependent thoughts that can’t exist if isolated from their dependence to 'I' thoughts, due to the dependence of the indexical ‘here’ to the first person pronoun. At the end of the day, 'here' means nothing more than “the place I exist in” and any attempt to define 'here' regardless of its connection to the first person indexical will end up by stripping 'here' from some of its intrinsic properties.

8I am grateful to Prof. Edward Becker for his valuable discussion.

"Indexical dependence" allows for 'Here' thoughts to be understood as thoughts that depend in their existence on 'I' thoughts, this is what explains the fact that I need no information to be able to rightly assert a sentence like “I am here now” even if no information about the location is available, because such an assertion depends on its inseparable connection with 'I' assertions, the assertions that do not need any information to be rightly held. I can always make a successful reference to myself even in cases of amnesia, where I have no idea who I am or even what is my name. I can wake up in the hospital with a lost memory to find myself in a place that I don’t know and still make a true reference to myself –even if totally unknown in this case- by saying ; “where am I ?” Similarly, I can always refer to the place I occupy by saying: “I am standing here in a place that I don't have any idea about”. Of course, I can describe the place if I had some access to it but even if I couldn't figure out any of its properties, I can continue successfully referring to the place by using the indexical 'here'. What makes me able to do that is the indexical dependence of the indexical 'here' and the peculiarity that both 'I' and 'here' share, i.e., both of them are referring expressions and not to be understood as describing expressions, when purely used as indexicals.

What I am proposing in this paper is a reduction that explains in what sense a sentence like “I am here now” is always true, because 'here' means nothing more than " the place I occupy”; therefore and as long as 'I' is immune from error through misidentification and as long as I can make a successful self-reference regardless of the information I have of myself, similarly, I can always make true statements about the place I occupy. Because what matters is the 'I' reference, which is always fixed and not the 'here' dependent reference.

We still have to answer the question: to what degree can we consider non informative sentences like “I am here” in cases where I have no access to any description or information of the location as sentences that express genuine thoughts? Are there really any thoughts revealed

to this intuition I appeal to the unique relationship between 'I' and other indexicals, more precisely, I appeal to the primacy of the first person indexical. Let's consider the two following sentences;

(6) I am here

(7) The pen is here

While (6) seems to be immune from falsity, (7) doesn't hold the same immunity. It might be the case that I am hallucinating, or confusing the stick in front of me with my pen; as a result asserting (7) would be a case of asserting a false sentence. But what is the difference between (6) and (7)? This question can be answered by reducing the two sentences to their 'I' content and rewrite them after replacing 'here' by its semantical equivalent 'the place I occupy'. The two sentences can be rewritten as the following,

(8) I occupy the place I occupy.

(9) The pen occupies the place I occupy.

Obviously and trivially, (8) sounds more reliable and be less suspicious than (9); of course, it might still be open to argument by claiming that (8) might be wrong in other worlds, i.e., there might be other possible worlds in which I might not occupy the place I occupy but this doesn't mean that a sentence like (8) is not always true if not necessary true. Since what I am proposing to explain is the universal truth of a sentence like "I am here" and not the necessity of it I will rule out from my argument all the scenarios of the argument from other possible worlds.

Furthermore, 'Here' -I argue- can be reduced to the first person indexical and can only be understood in its connection with this indexical.

I can always identify 'Here' as "the place around me" or "the place where I exist". The same can be equally true for 'now', which I can define as "the period of time as I time it", for example, I might say: " we will start the meeting now" and leave the room fro 3 seconds , 1 minuet, or what ever I decide as can be referred to by using 'now'.[5]

A sentence like: "I am here " can be explained as: "I am in the place I occupy". Here, 'Here' has no other meaning than "the place I occupy", therefore, I need no information to be able to say "I am here" in a meaningful sense even if I have no idea about the place. A kid who stands in the darkness where he can't identify where he is by using any of his senses can answer his mother as she asks him: "where are you? " by saying: "I am here." Defiantly he doesn't inform much by saying: "I am here", nevertheless his answer is true.

As David Kaplan rightly observes a sentence like: "I am here now" can never be false, it will turn out to be always true. He says, '*One need only understand the meaning of "I am here now" to know that it cannot be uttered falsely*'[6]. But the continuity of the positive truth value that this sentence holds shouldn't derive us to falsely think that this sentence should always be necessary true, because 'it *is not necessary that I be here now*'[7].

However, our semantical intuition tells us that a sentence like "I am here now" turns out always to be true even when I have no clue about the place I am standing in[8]. In my explanation

[5] "Now" can vastly conventionally vary from culture to culture. Some cultures can tolerate longer periods to be included in the referring power of this indexical than others. For example, in the Arabic culture, 'now' is more loosely used. A fried calling to say he is coming to visit now can be understood as referring to the time needed to arrive, even if this time can last for 1 hour.

[6] Kaplan, David, "*Demonstratives*",1977, P 509, available online at https://webspace.utexas.edu/wechsler/Kaplan-Demonstratives.pdf

[7] Ibid

[8] "I am here now" can't be false. One can't truly say "I am not here now". This is true even in cases where we leave on the answer machine the reply "I am not here now", because at the time when a person records the message "I am not here now" the message is to be considered false at the time of recording it. "I am not here now " can be true as said by the answer machine but can never be true as said by the person who records it.

objective descriptions, just as "I" was not.' [3]Nevertheless, the indexical 'I' which was classified by Nunberg as being a 'strong indexical'[4] seems to have primacy over other indexicals . First; 'I' holds a permanent identity. 'I' as said by Z can refer only to Z. This is not the case for 'now' for example, which can be said to refer to different times or 'Here' which can be said to refer to different places. Other observations from the way we use different indexicals can be helpful. It is always rational to ask the question: what do you mean by 'here', or what do you mean by 'now', or to seek a further clarification after they are uttered, the same can't be equally applied to the first person pronoun. For example, let's suppose I have the habit of getting myself a cup of coffee before the class starts, but as I inters the class I see the professor in it, to make sure I will not miss anything I ask him when are we starting? Suppose he replied by saying: we are going to start now. As I hear his answer I cancel the idea of getting myself some coffee. To my surprise, the professor poses for a minute before starting, turns to his office to come back after 3 or 5 minutes holding his own coffee. At this minute, realizing I had missed a chance to bring my own coffee I regret not having asked him: what do you mean by now? The same can be said for sentences using 'Here'. For example, a sign that holds the sentence: "Smoking is not allowed here", might equally refer to the whole building, the room I am standing in, the corner or wherever he who put it had in mind when he placed the sign in the first place.

Rational questions can be asked regarding what is precisely meant by 'Here' and 'now' as used differently. However, similar questions can't be still rationally asked when it comes to the referring power of ' the first person indexical, which seems to refer in a more direct way. When one uses the first person to refer to himself he leaves no room for any further inquiries about the extent his usage might be applied to. However, this is not the end of the story, because it is not only true that 'I' refers in a direct way that indexicals like 'Here' and 'Now' can't compete with.

---

[3] Perry, John, "The self", 1995, p4, available online at: http://faculty.washington.edu/smcohen/453/PerrySelf.pdf

[4] Nunberg, Geoffrey, Indexicality and Deixis, *Linguistics and philosophy*, 16, 1993, p 32, available online at : http://tudresden.de/die_tu_dresden/fakultaeten/philosophische_fakultaet/iph/thph/braeuer/lehre/bezugnahme_relevanz/Nunberg%20-%20IndexicalsandDeixis.pdf

call on that time or when I have a voice that he/she can recognize without the need for any other elaboration.

The first person indexical immunity can be transferred to sentences dependent on the self-reference for their existence. A sentence like: “I am here now" can't be false. But a sentence like "Abla is here" can be more open to argument. Let's suppose that professor X is used to make sure that all his students are there in class before he starts. Let’s suppose that I was sitting there and I said as I heard my name: “I am here now". Intuitively, no one will be interested in arguing whether what I have said is false or true, because as long as I am saying that “I am here" it will keep coming true, simply because it is an assertion that is made solely by me. On the other hand a sentence that uses my name to refer to me can be more vulnerable to come out false, simply because it is a sentence that can be said by me or by anyone else. In the class example, someone might mistakenly say: "Abla is here" simply because he confused me with my friend who looks like me. In short, “I am here” is always true but “Abla is here” does not share with the first sentence the same peculiarity.

What matters for my discussion is the immunity of the first person pronoun. There is no way in which I can use 'I' to refer to myself and fail in doing that. This idea is what Hector-Neri Castaneda referred to by saying, *'The first-person pronoun has what I have called an ontological priority over all names, contingent descriptions of objects, and all other indicators: a correct use of I cannot fail to refer to the entity to which it purports to refer; moreover, a correct use of I cannot fail to pick up the category of the entity to which it refers.*'[2]

As Perry rightly observes, the first person indexical shares other indexicals some properties, '*We use “now” and “today” to express our knowledge of what time it is, and “here” to express our knowledge of where we are. These locutions are not reducible to names or*

[2] Hector-Neri Castaneda, “*On the phenomena- logic of the I*”, Essays on self consciousness, Indiana University Press, 1985, p 89.

(1) Is not the same as (2) even when it is said by me. Although they both might have the same meaning they still have different senses. Furthermore, it needs taking an additional reasoning step, or an additional move to be able to realize (2) which can come only after realizing (1); because I need first to realize that Abla is standing in front of the mirror, then I can link this information to my self - notion, i.e. I can realize that it is me who is standing in front of the mirror by realizing that I am Abla. In step (1) I assert what anyone else can assert, because the observation that Abla is standing in front of the mirror is something that anyone else can equally made; therefore, sentence (1) can be said by me or by anyone else, and still have the same meaning. Still true, it would sound awkward if I used my name instead of the indexical 'I' to refer to myself; but if I tried to do that, I will be referring to myself as anyone else might do. In other words, it would appear as if I am using another way to refer to myself, a way void of any self consciousness; because I will be asserting something that everyone else can assert. To be able to assert (2) I need to have a kind of self-consciousness. I will first need to link (1) to (2), the task which can't be done if not mediated by a third awareness, the kind of awareness that I can express by saying or thinking (3):

(3) I am Abla

In fact the first person pronoun forms a unique tool for making successful self- references. This type of reference seems to be error-free as well as irreplaceable. It is not only that a name can fail as a referring device instead of the indexical 'I'; sometimes, using 'I' instead of the name can also suffer from the same shortcoming. On the phone, I say: 'Hi, it is me'. In this case, I should either say my name- which is usually what takes place- or I will have a good chance of being unrecognized. Of course, there are cases in which such a behavior, i.e., of using 'I' instead of saying my name on the phone reveals my certainty that I will be recognized without even the need to say my name, such as if I believe that the person I am calling is already expecting my

'I' is the indexical we essentially use to express self-knowledge. It is unique in a way that it can't suffer under any circumstance from a failure of reference, or from an error through misidentification. 'I' as used by anyone will always refer to he who says it; this can be true even in cases of amnesia and memory-loss; because even in these extreme cases all what we lose are descriptions attached to the 'I' and not the ability to make a successful self-reference.

The term indexical came first to the philosophy of language from Charles Sanders Peirce. Some other familiar indexicals are: today, here, you, now..etc. As Hanks puts it: '*To say that any linguistic form is "indexical" is to say that it stands for its object neither by resemblance to it, nor by sheer convention, but by contiguity with it.'* [1]
Although there are many indexicals, 'I' is the indexical that forms the special irreplaceable device we use to refer to ourselves. Despite the fact that names can also be used for making successful self references, the many differences existing between the way according to 'I' can be used and the way names can be used raise doubts regarding the interchangeable semantical function of both devices.

Let's consider these two sentences;

(1) Abla is standing in front of the mirror.

(2) I am standing in front of the mirror

[1] Hanks, William, Indexicality, 2000, *Journal of Linguistic Anthropology* 9(1-2):124-126. Copyright © 2000, American Anthropological Association. available online at: http://www.univie.ac.at/ksa/html/inh/stud/studterm_files/SE_Coleman/Hanks%20-%20Indexicality.pdf

Indexical dependence

Dr. : Abla Hasan
University of Nebraska-Lincoln – USA

ملخص البحث

هذا البحث في فلسفة اللغة التحليلية معد لحل أحد الألغاز اللغوية المتعلقة بجملة كثيرة الاستخدام و التداول : "أنا هنا ". كيف و لم تظل هذه الجملة صحيحة و على الدوام؟ بحيث لا يستطيع أحد القول مثلا "أنا لست موجودا هنا" دون أن يجانب الصواب. البحث يعتمد على التحليل اللغوي لجملة "أنا هنا " لحل هذا اللغز من خلال تسليط الضوء على العلاقة اللغوية بين مفهوم الأنا و التعبير اللغوي عنه, أي مفهوم الأنا المدرك و مفهوم التواجد المكاني لهذا الأنا المدرك. ينتهي البحث باستنتاج علاقة لغوية تبعية تربط التعبير "أنا هنا " بالتعبير "أنا" بوصف التعبير الثاني الحامل اللغوي للتعبير الأول. فهم هذه العلاقة اللغوية الخاصة كفيل بتفسير خصوصية استخدامنا للتعبير "أنا هنا ".

Abstract

This paper is an attempt to explain why a problematic sentence like “I am here” is always true. I solve this linguistic riddle by suggesting what I call “*indexical dependence*.” I argue that the indexical ‘here’ semantically functions as a dependent indexical to the first person pronoun, i.e., the indexical ‘I’, which explains the fixed truth value of the sentence: “I am here”.

Key words:

Indexicals, the first person pronoun, indexical dependence.

دراسات وأبحاث

DIRASSAT WA ABHATH

www.revue-drassat.org
www.univ-djelfa.dz